وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة تونس 1
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

تطـــــور الحركــــة الشيوعيـــة بتونــــس

1943 - 1919

❁ شهادة التعمـق في البحـث ❁

تحت اشراف
الاستاذ علي المحجوبي

اعداد
الحبيب القزدغلي

ـ السنة الجامعية 1987 ـ 1988 ـ

فهرس الموضوعات

القسم الثالث : الاستفاقة و التصدي للتعسف البيروطوني

القسم الرابع : الشيوعيون بتونس زمن الجبهة الشعبية

.../...

القسم الخامس : الحزب الشيوعي التونسي في دوامة الحرب العالمية الثانية (سبتمبر 1939 /ماي 1943)

.../...

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة تونس 1
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

تطور الحركة الشيوعية بتونس
1919 - 1943

﴿ شهادة التعمق في البحث ﴾

اعداد
الحبيب القزدغلي

تحت اشراف
الاستاذ علي المحجوبي

- السنة الجامعية 1987 - 1988 -

الاهداء

* * * * * * * *

- الى امي الشاذلية و ابي عبد القادر،
- الى ليلى و آمنة و مهدي،
- الى كل الذين احبوا تونس الوطن و الشعب و العمال،
و ناضلوا من أجل ان تسود على ارضها مثل العدالة
و الحرية و التقدم، على اختلاف اديانهم و جنسياتهم
و احزابهم السياسية.

اليهم جميعا اهدي هذا
العمل المتواضع

مقــــدمـــــة :

يتناول هــذا البحث دراسة تــطور الحركة الشيوعيــة بتونس منذ انطلاقهــا سنة 1919 الـــى مـــاي 1943 تاريخ خروج القوات الالمانية من تونس و رجوع البلاد من جديد تحت السيطرة الفرنسيــة. و قد شهدت السنوات الاخيرة بروز عــدة اعمال و رسائل جامعية تناولت تاريخ الحركة الشيوعة والاشتر اكية بتونس و مساهمتهــا في الحركة الوطنية و العمالية، بعد ان تركزت البحوث في مرحلــة اولى على دراسة الاحزاب الوطنية و خاصــة الحزب الدستوري الجديد الذي ارتقى الــى الحكم اثر استقلال البلاد سنة 1956.

و في الحقيقة فان دراسة الحركــة الشيوعيــــة و الحركة العمالية بتونس انطلقت في مطلع السبعينات على يــــد باحثين فرنسيين (1) أو قبل ذلك من طرف بعض المستشــرقين الفرنسييـــن و الانقليز و لكــن ضمــن دراسات شملت كامل المنطقة العربية و الاسلاميــة (2).

لكـن سرعان ما ظهــر اهتمام بالحركــة الشيوعية لدى البــاحثين التونسيين، سواء كان ذلك ضمــن دراسات ركزت على الحركة ذاتهــا، او ضمن علاقتها او اختلافاتهــا مع الاحــزاب الاخــرى.

---

(1) نشير على سبيل المثال لاعمال كـــلود ليوزي و التي نشرهـــــا في حوليات افريقيــا الشمالية :

- La Presse Ouvrière Européenne en Tunisie (1881 - 1939) in Annuaire de l'Afrique du Nord, CNRS, Paris 1970.

- Les Syndicats en Tunisie au temps du cinquantenaire in Annuaire de l'Afrique du Nord, CNRS, Paris 1973.

- La naissance d'une presse révolutionnaire tunisienne in Annuaire de l'Afrique du Nord, CNRS, Paris 1974.

و كذلك مقال رونـــــي قاليسو :

- Sur les débuts du Communisme en Algérie et en Tunisie, in mélanges d'histoire sociale offerts à Jean Maiton, les éditions ouvrières, Paris 1976.

و ليس هدفنا في هذا التقديم القيام بمسح تقييمي شامل لهذه الاعمال، خاصة وانها لم تبلغ من حيث الكم درجة تسمح بتصنيفها و ابراز اتجاهاتها و اهدافها. اننا من خلال استعراضنا لهذه الاعمال و خاصة من حيث الفترات الزمنية التي تناولتها نريد تبرير تركيزنا في هذا العمل على الفترة المتراوحة بين 1919 و 1943. فخلافا لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي افرد لها حسين رؤف حمزة رسالته الجامعية (1) فان دراسة الحركة الشيوعية بتونس في فترة ما بين الحربين لم تحظ بعمل شمولي. فالاستاذ مصطفى كريم ركز على جذور الحركة في بداية العشرينات (2) و على مظاهر من نشاطها في الثلاثينات في عمل ثاني (3) اما ليلي بليلي بن تميم فقد تعرضت في بحثها لنشاط الجامعة الشيوعية بتونس سنتي 1921 و 1922 (4)

فعدم افراد دراسة خاصة تشمل الحركة الشيوعية لكامل فترة ما بين الحربين ، دفعنا الى الاهتمام بهذا الموضوع منذ عدة سنوات في محاولة لتسليط اكثر ما يمكن من الاضواء على جوانب من تاريخ هذه الحركة من

---

(2) نذكر بالخصوص : - Rodinson (Maxime) Marxisme et Monde Musulman, aux éditions du Seuil, Paris 1972.

(1) HAMZA (H.Raouf), le P.C.T face aux nationalistes et la question nationale, de la libération à l'indépendance (1943 - 1956), thèse de 3ème cycle préparée sous la direction de J.DROZ et R. Galissot, Paris I (1982/83).(renéotypé).

(2) KRAIEM (Mustapha), Aux origines du Parti Communiste tunisien in Revue d'histoire Maghrébine n° 2, 1974.

(3) KRAIEM (Mustapha), le Parti Communiste tunisien dans les années trente, in Revue d'histoire maghrébine n° 21.22 , 1981.

(4) BEN TEMIME (Leila), la Fédération Communiste de Tunisie (1921 1922), un effort précoce de tunisification, mémoire de maitrise sous la direction de Mme M.ROBRIOUX, Université Paris VIII Octobre 1976 (renéotypé).

حيث تطورها التنظيمي و علاقتها بمحيطها السياسي و الاجتماعي.(1)

و في الحقيقة فان الاهتمام المتفاوت الذي حظيت به بعض الفترات من تاريخ الحركة الشيوعية في تونس بين الحربين له ما يبرره.

فالتركيز على السنوات الاولى من طرف كل من قاليسو، كريم و بن تميم قد شجعه عاملان على الاقل:

- طرافة المواقف التي عبرت عنها الحركة الشيوعية منذ انطلاقها بتاكيدها على ضرورة الانفصال و الاستقلال الفوري على فرنسا، و الحركية التي بدت عليها في مجالات متعددة التي خولت لها استقطاب و لو لفترة وجيزة عدة طاقات تونسية.

- كثرة الوثائق و التقارير التي تم الاحتفاظ بها في الارشيف و التي مكنت من القيام بدراسة معمقة نسبيا لعدة جوانب من تطور الحركة في تلك الفترة.

الا انه بداية من النصف الثاني من العشرينات تصبح الوثائق قليلة و متقطعة وهو يعكس الضعف و الوهن الذي ميز الحركة الشيوعية نتيجة عوامل داخلية و خارجية رغم محاولات الاستنهاض و الدفع، و سيتواصل هذا الوضع حتى ماي 1936، تاريخ صعود الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا و دخول الاحزاب و الحركات الاجتماعية في تونس مرحلة جديدة.

---

(1) شاركنا في عدة ملتقيات بمداخلات تناولت المواضيع التالية:
- التطور التنظيمي للحركة الشيوعية بتونس (1939/1926). الملتقى الثالث حول تاريخ الحركة الوطنية، تنظيم وزارة التعليم العالي و البحث العلمي بسيدي ظريف ماي 1985.
- تطور سياسة الحزب الشيوعي التونسي خلال الحرب العالمية الثانية (الملتقى الرابع)
- محاولات اعادة بناء الحركة النقابية بعد محاكمة قادة جامعة عموم العملة التونسية (1928/1925) في الملتقى حول ،، النقابة و المجتمع،، تنظيم مركز الدراسات و الابحاث الاقتصادية و لاجتماعية. ديسمبر 1987.
- Le Rassemblement populaire de Tunisie (1936 - 1038)
in colloque International : 1936 et le Monde Arabe. Paris
4 - 5 - et 6 Décembre 1986, organisé par le GREMAMO. Paris VIIè.

لذا فان من اهم الاهداف التي وضعناها لانفسنا في هذا العمل هي :

أ) محاولة القيام بمسح تاريخي للعمل الشيوعي في تونس في فترة ما بين الحربين و رفع الغبار عن اهم النشاطات و المبادرات التي وقع القيام بها في المجال التنظيمي و الاجتماعي و الوطني.

ب) تسليط الاضواء على فترات الظل في تاريخ الحركات السياسية ، تلك الفترات الصعبة التي يصبح فيها الهدف الجوهري للمناضلين هو الكفاح من اجل البقاء في انتظار مرور العاصفة باعتبار هذه الفترات جزءا اساسيا في تاريخ الحركات الاجتماعية تساهم في تحديد تطورها المستقبلي.

ج) محاولة القيام بتقييم أولي لدور الشيوعيين و مدى تاثيرهم و المواقف التي عبّروا عنها بالارتباط مع المهمات التي كانت مطروحة في تونس في فترة ما بين الحربين امام الشعب التونسي و قواه الوطنية و الديمقراطية.

د) تتبع مسيرة تونسة الحركة هيكليا و جغرافيا و سياسيا و بشريا، فلا يخفى ان الحركة الشيوعية بتونس هي امتداد بالاساس لافكار و تجارب برزت في اوروبا نتيجة الثورة الصناعية و قد دخلت الى تونس في فترة الاستعمار عن طريق مثقفين و عمال اوروبيين كانوا محظوظين ماديا بالنسبة لرفاقهم المحليين بالاضافة الى انهم ينتمون عرقيا الى الجالية المهيمنة على اقتصاد البلاد وهو ما سيمثل حاجزا آخر امام انتشار مبادئ العدل و الحرية التي كانوا يحملونها.

و الحركة الشيوعية بتونس هي فرع لحزب عمالي عالمي (الاممية الشيوعية) و مقره بموسكو والذي تحدد سياسته واهدافه انطلاقا من مصالح الحركة الثورية في العالم و في مقدمتها الدفاع عن الدولة الاشتراكية الاولى، لذا يفرض

البحث عن مدى قدرة الشيوعيين بتونس في التوفيق بين مهامهم المحلية و القرارات الملتزمة الصادرة عن مؤتمرات و هياكل الاممية.

هـ) و اخيرا فاننا نريد ابراز مدى عراقة و تاصل الفكر الاجتماعي و الشوري في هذه التربة و دوره - و ان كان بتوجيه من الخارج في غالب الاحيان - في بلورة الوعي الوطني و مساهمته في الحركة الوطنية التونسية و اعطائها صبغة تقدمية و عقلانية رغم العثرات و الاخطاء التي لا تخلو منها اي حركة تاريخية.

و معلوم ان السنوات الاخيرة شهدت بروز عدة بحوث سعت للتفكير في جزء او في مجمل تلك المحاور التي سنركز عليها في عملنا هذا، و قد شملت هذه الدراسات عدة بلدان عربية خاصة الجزائر (1) و مصر (2) و فلسطين(3). و تعرضت هذه الاعمال - رغم اختلاف مناهجها و اهدافها - الى تجارب الاحزاب الشيوعية في البلدان العربية بالارتباط مع الاستراتيجية العامة للحركة الشيوعية العالمية و كذلك حاولت تقييم مدى توفق هذه الاحزاب في التفاعل مع محيطها المحلي و الانصهار ضمنه.

و البحث في تاريخ الحركة الشيوعية في بلد شهد الهيمنة الاستعمارية المباشرة يطرح مجموعة من الاشكاليات و التعقيدات. فالحركة العمالية بتعبيراتها السياسية (الاحزاب الاشتراكية و الشيوعية) و النقابية (بجميع تياراتها) برزت و تطورت في البلدان التي حدثت فيها الثورة الصناعية و ما رافقها من تحولات في مستوى علاقات الانتاج و بلورة و استقطاب العلاقات الاجتماعية.

---

(1) SIVAN (Emmanuel) Communisme et Nationalisme en Algérie (1920 - 1962) Presses de la Fondation nationale des sciences politiques, Paris 1976, 262 P.

(2) رفعت السعيد، اليسار المصري (1925 - 1940) دار الطليعة بيروت 1972، 304ص

(3) •ماهر الشريف، الاممية الشيوعية و فلسطين (1919 - 1928) دار ابن خلدون بيروت 1980، الطبعة الاولى، 303 ص

•ماهر الشريف، الشيوعية و المسالة القومية في فلسطين (1948/1919) مركز الابحاث و الدراسات الاشتراكية في العالم العربي، 1986، 208 ص

لقد مثلت هذه الحركات احدى مظاهر الوعي الاجتماعي للطبقة العاملة التي كانت تعاني الاستغلال الراسمالي ، فسعت للدفاع عن مصالحها كطبقة مضطهدة داخل المجتمع مؤكدة اهمية دورها في عملية انتاج الثروات، في حين كانت الطبقة البرجوازية تعمل لفرض هيمنتها على الدولة و المجتمع رافعة راية الدفاع عن الامة (Nation)،

ان الصورة تبدو اكثر تعقيدا في البلدان التي عرفت الهيمنة الاجنبية فالقومية (Nationalisme) كما يقول جون سورات كونال (1) ،، لا تبرز فقط كايديولوجية البرجوازية ، بل تبدو و كانها انعكاسا للصالح العام لجميع الطبقات في مجتمع هو بدوره في حالة تشكل . ،،

ان كل الطبقات و الفئات الاجتماعية التي يتكون منها مجتمع البلدان المستعمرة بما فيها الطبقة العاملة تكون معنية بهذا النضال ،، القومي ،، . لذا فان قدرة الاحزاب الشيوعية في تحقيق المعادلة بين القومي و الطبقي و بين المحلي و الاممي ستمثل احدى المقاييس الهامة لتحقيق اندماجها في الواقع و تفادي التهميش

اضافة للمسالة ،،القومية ،، تطرح دراسة الحركة الشيوعية اشكالية اخرى تتعلق بتركيبتها الاتنية (Ethnique) و الدينية . فدعاة المشروع الأوائل كانوا من الفرنسيين و رغم انهم من اشد المتحمسين لافكار الحرية و المساواة و دفاعا عن السكان المحليين، فان انتماءهم لنفس بلد المغتصب و لدينه ، كان كافيا لاعتبارهم اجانب و اتهام الحزب الشيوعي بانه حزب ،،رومي،، (2)

---

(1) Jean Suret - Canal, article in "Présence africaine" Février - Mai 1959. Communication au II. Congrés des écrivains noirs.

(2 ،، رومي ،، تعني اجنبي (فرنسي)، كما تم نعت الحزب الشيوعي بانه حزب يهودي ، لانه كان يضم في صفوفه مناضلين ينحدرون من الجالية اليهودية التونسية .

كما ان الحزب الشيوعي بدفاعه عن مثل الحرية و العدالة و رفضه للعنصرية سيستقطب ابناء الجالية اليهودية الذين لم يرتاحوا لتركيز الحزب الدستوري الجديد و القديم على الاسلام. (1).

ان تواجد عدد هام من الشيوعيين اليهود - وهو امر طبيعي - وسط الحزب الشيوعي في بلد اغلبية سكانه من المسلمين ستعطي الفرصة لاعدائه لمقاومته بالاعتماد على الافكار الرجعية و المتحجرة التي سيرت العلاقات بين اليهود و المسلمين منذ احقاب طويلة و التي ستوظفها الدعاية الصهيونية منذ نهاية الحرب الاولى و خاصة بعد قيام دولة اسرائيل.

لقد كان على الحركة الشيوعية بتونس ان،،تتحمل ،، اعباء اضافية ناتجة عن تطورها في بلد مستعمر تنتمي الاغلبية الساحقة من سكانه الى تراث حضاري و ثقافي واحد، فهل ستسطيع استيعاب كل هذه ،، المعوقات،، و توظيفها في اطار استراتيجيتها العامة ؟.

ان اثارة هذه الاشكاليات يعين على استجلاء الاطار ،، الخصوصي،، الذي تطورت فيه الحركة الشيوعية بتونس و يدخل بعض النسبيات لتجاوز،،الاحكام،، و الافكار المسبقة التي كثيرا ما سلطت عند تناول مسالة تاريخ الحركة الشيوعية لكن ذلك لا يعني تبريرا مطلقا ، فمسيرة الحزب الشيوعي التونسي رافقها بلا شك التبسيط و تطبيق ،، التعليمات ، دون التثبت في مدى ملاءمتها للواقع التونسي و تقديم الاعتبارات العالمية على متطلبات النضال الوطني...

---

(1) Gilbert Naccache, Cristal (récit) collection Identités éditions Salammbo. Tunis 1982 P. 142

يتحدث جلبار نقاش عن ظروف التحاقه بالحزب الشيوعي التونسي 1953 بعد ان اختار العديد من اصدقائه الحركة الصهيونية، انه لم يبق امامه سوى الشيوعية ، ذلك انه لم يقبل عنصرية المتفوقين الفرنسيين القاطنين بتونس، كما ان الحركة القومية التي كانت كثيرة التركيز على الدين لم تكن مفتوحة لليهود التونسيين.... فالشيوعية كانت تمثل رفض العنصرية و عدم المساواة و الظلم...

اما المصادر و المراجع التي اعتمدناها في هذا البحث فهي تطرح بدورها عدة ملاحظات.
فعند القيام بمسح شامل لتاريخ الحركة الشيوعية بتونس في فترة ما بين الحربين اعترضتنا عدة صعوبات و ان سعينا لتجاوز البعض منها و التقليل من تاثيراتها السلبية فاننا نعتقد ان عدة ثغرات بقيت موجودة. فهذه الفترة - باستثناء بدايتها و زمن الجبهة الشعبية - لم تكن فترة صعود بالنسبة للحركة الشيوعية فالادبيات الصادرة عنها قليلة جدا و تكاد تنحصر في بعض الورقات الصحفية التي صدرت علنيا و بصفة متقطعة قبل 1926 و لم تعد للبروز الا خلال 1936 و 1937، لذا كان ضروريا الرجوع الى صحف ونشريات الحزب الشيوعي الفرنسي و مقررات و محاضر الاممية الشيوعية لفهم الاطار النظري و الفكري الذي يتحرك ضمنه المناضلون الشيوعيون بتونس.

و بما ان التنظيم الشيوعي كان ملاحقا في اغلب مراحل هذه الفترة و يحظى باهتمام و مراقبة السلط، كان من الطبيعي الرجوع الى الارشيف (ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية، و خزينة الوثائق التونسية).وهي تحتوي على نقائص لا يخلو منها عمل بوليسي، فهي تتراوح بين الجهل و الانتقاء، و التهويل اوالتبسيط المفرط للانشطة حتى لا يتّهم المسؤول بالتهاون او التسامح مع هذه الحركة "العدوّة"...
و في غياب ارشيف خاص للحركة الشيوعية الذي كان من المستحيل المحافظة عليه للاعتبارات الامنية حتى نسلط اضواء اخرى على الجوانب الاخرى، كان ضروريا الرجوع الى ارشيف الحزب الشيوعي الفرنسي.

لقد اعتمدنا على ما تمكنا من الاطلاع عليه في ارشيف معهد الدراسات الماركسية (64 شارع اوغست بلانكي، باريس) وهي مجموعة محاضر جلسات اللجنة الاستعمارية التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي و كذلك التقارير المرسلة من طرف هذه اللجنة الى الاممية الشيوعية خاصة و انه وقع تكليف الحزب الشيوعي الفرنسي منذ سنة 1922 بالاشراف و متابعة النشاط الشيوعي في المستعمرات الفرنسية.

و تجدر الاشارة الى الملاحظات التالية :

- ان هذه المحاضر و التقارير على اهميتها و دقتها تهم فترة محددة (1924 / 1932)، مع عدة فراغات داخلها، و صمت بالنسبة للفترات التي قبلها و بعدها، لا ندري اسبابه اذ لا يملك المعهد المذكور احصاء لعددها. (1).

- هذه التقارير موجهة الى اعلى هيكل في الهرم التنظيمي الشيوعي (الاممية الشيوعية) لذا فهي خالية من كل صيغة تلقائية و يطغى عليها الجانب "الرسمي"، الذي يريد ان يبرز ان العمل قد وقع القيام به طبقا "للتعليمات" المرسلة من قبل.

- هذه التقارير وقع اعدادها انطلاقا من ملاحظات مبعوثين ارسلتهم اللجنة الاستعمارية للقيام بمهمات في تونس او هي رسائل مبعوثة من طرف مندوبي الحزب الفرنسي في تونس لذا فان معرفة هؤلاء باوضاع البلاد غالبا ما تكون محدودة، و نظرتهم للواقع التونسي غالبا ما تكون حسب المقاييس الاوروبية.

- ان اللجنة الاستعمارية التي كانت تشرف على العمل الشيوعي في المستعمرات، كانت لها اولويات حسب اهمية تلك البلدان المولي عليها فالجزائر كانت تحتل المرتبة الاولى، تليها الهند الصينية، فتونس

- ان جزءا من هذه الوثائق هي عبارة عن تعليمات تم توجيهها الى المناضلين في تونس و لا ندري مدى تطبيقهم لها.

---

(1) يتكون ارشيف الحزب الشيوعي الفرنسي (اللجنة الاستعمارية) من نسخ مصورة و اشرطة مصورة Micro-films للوثائق الاصلية المودعة في معهد الماركسية اللينينية التابع للحزب الشيوعي السوفياتي، و قد سلّم هذا الاخير نسخا من تلك الوثائق في بداية السبعينات للحزب الفرنسي الذي ضاعت منه كل ارشيفاته في ظروف الحرب العالمية الثانية.

كما اعتمدنا في عملنا على شهادات المناضلين الشيوعيين الذين عاشوا تلك الفترة، و رغم التحفظات التي يبديها العديد من الباحثين حول قيمة الشهادات الشفاهية و المذكرات - و اغلبها معقولة و مقبولة - فقد كان ذلك بالنسبة لنا امرا ضروريا و ذلك قصد سدّ عدة فراغات و ثغرات لنشاطات لم نعثر لها عن اي اثر و خاصة للتثبت من قيمة بعض التقارير البوليسية التي عثرنا عليها في الارشيف.

و بطبيعة الحال فقد استفدنا كثيرا في اعداد عملنا من قائمة كبيرة من المراجع و من الدراسات التي تناولت جوانب من الحركة الشيوعية بتونس او في بلدان تشابهها من حيث الاوضاع و الاطار التاريخي و هذه القائمة موجودة في اخر هذا البحث.

و لا يفوتنا في هذه المقدمة ان نشير الى التخطيط الذي اعتمدناه و الذي تركز على تتبع مسيرة الشيوعيين في مساعيهم الموفقة و المتعثرة لتونسة تنظيمهم والمواقف و التحاليل التي بادروا بها فيما يتعلق بالمسالة ،، القومية ،، و العلاقات مع الاحزاب الوطنية، و كذلك دورهم في الميدان النقابي.

و قد سايرنا محاولات الشيوعيين للتاقلم مع الواقع المحلي ضمن خمسة فترات زمنية تمثل كل واحدة منها مرحلة من مراحل تطور الحركة الشيوعية و تبرز فيها مجموعة من الخصائص التي تجعل منها فترة متميزة عن غيرها مع وجود عناصر التواصل.

لذا يشتمل هذا البحث على خمسة اقسام كبرى ويتفرع كل قسم الى فصلين ففي القسم الاول سنتعرف على بدايات الحركة الشيوعية في تونس و الحيثيات العالمية و المحلية لولادتها و كذلك للسنوات الاولى من تطورها و التي تمتد حتى نهاية النصف الاول من العشرينات.

و بعد الحيوية التي ميزت سنواتها الاولى تدخل الحركة الشيوعية مرحلة صعوبات و صراع من اجل البقاء رغم المحاولات الداخلية و الخارجية التي ستبذل لدعمها و سيتواصل هذا الخمول حتى سنة 1932 التي سيشهد نصفها الثاني استفاقة النشاط الشيوعي و عودة المحاولات لبناء حزب شيوعي ،، تونسي،، لكن هذه الاستفاقة سيعترضها تعسف السلط بداية من سبتمبر 1934 الذي سيتواصل الى ربيع 1936.

و على اثر نجاح الجبهة الشعبية في فرنسا تدخل الحركة الشيوعية مرحلة جديدة متمتعة بامكانيات كبرى للتحرك و لكن وسط اطار عالمي سيطر عليه الخطر الفاشي على حساب القضية الوطنية.

اما القسم الخامس فيتناول مساهمة الحزب الشيوعي التونسي خلال فترات الحرب العالمية الثانية المختلفة.

و بطبيعة الحال سنسعى في كل مرة للتعرض للاسباب التي كانت وراء صدور مبادرات الشيوعيين في تونس ، و ذلك بالارتباط مع تحليل و مواقف الاممية الشيوعية و الحزب الشيوعي الفرنسي و كذلك الرجوع الى الحيثيات المحلية الاقتصادية منها و الاجتماعية.

الا ان هذا المجهود الذي حرصنا على ان يحترم كل قواعد البحث التاريخي الموضوعي و ان يبتعد عن الذاتيات - رغم اقرارنا بصعوبة تجرد المناضل - في عملية البحث و استقراء احدى جوانب تاريخنا لا بد من دعمه في المستقبل و اثرائه باستعمال وسائل الدراسة المعتمدة في علم الاجتماع وهي :

- العمل المونوغرافي لجهة جغرافية او قطاع تواجد به الشيوعيون و تتبع ردود الفعل في محيط صغير كمثال يمكن ان يعيننا على فهم اشمل.

- الاعتماد على الاحصائيات و القيام بدراسة اجتماعية للافراد الذين قاموا بحمل تلك الافكار (المهن - المستوى الثقافي - التجربة) و القيام بمقارنات وهو ما يتطلب الغوض اكثر في الارشيف و اعتماد القواميس البيوغرافية التي هي بصدد الاعداد.

وفي خاتمة هذا التقديم لا بد ان نؤكد على ان هذا العمل على تواضعه هو مدين للعديد من الاصدقاء و الاساتذة الذين ساعدونا على المثابرة لانجازه. للاصدقاء الذين بذلوا معنا الكثير - في تونس و باريس - و حرصوا على مساعدتنا لتجميع اكثر ما يمكن من المعلومات و الوثائق و فتحوا لنا ذكرياتهم ، و للاساتذة - جميعهم - الذين تعلمنا عليهم مناهج البحث التاريخي و الوسائل العلمية لاستقراء الماضي و فهمه كشرط اساسي لكل عمل مستقبلي، لكل هؤلاء نرفع اسمى عبارات التقدير و الاحترام و نعاهدهم على مواصلة البحث المتاني عن الحقيقة التاريخية التي كلما احطنا بها اعتقدنا انها نسبية و قابلة للاثراء و تسليط اضواء جديدة عليها.

القسم الاول

بدايات الحركة الشيوعية
في تونس

الحيثيات المحلية و العالمية
لولادتها (1919 / 1926)

تقديــــــــم : أهــــــم مميــــزات الوضع التونسي غداة الحرب الاولى

تزامن الاعلان عن نهاية الحرب العالمية الاولى في شهر نوفمبر 1918، مع عودة قوية لتنفيذ البرامج الاستعمارية من طرف السلط الفرنسية بتونس

لقد تميزت فترة الحرب بتوقف عمليات انتزاع الاراضي التونسية اذ كانت كل انظار الحكومة الفرنسية مشدودة الى جبهات القتال مع المانيا. و هذا ما ادّى الى تحسن الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للتونسيين.

ان من ابرز عوامل هذا التحسن،تراجع عمليات الاستحواذ على الاراضي من طرف المعمرين الخواص و الشركات الراسمالية، كما ان انهيار الانتاج الصناعي و الفلاحي في اوروبا من جراء المعارك التي شهدتها مختلف المحاور و خاصة الاراضي الفرنسية جعل الانتاج التونسي يتخلص بدرجة كبيرة من المزاحمة الاجنبية.

ادّى هذا التحسن النسبي للاوضاع الاقتصادية الى تقلص عدد العاطلين، فبالاضافة الى توقف قدوم اليد العاملة الاوروبية الى تونس مدة الحرب، فان الطلب ازداد على العمال التونسيين للعمل في تونس او في المصانع الفرنسية، لتعويض العمال الذين وجهوا نحو الجبهات (1).

ان اعلان الهدنة و توقف المعارك في نهاية 1918، سيحدث خللا في التوازنات التي شهدتها الايالة خلال فترة الحرب

---

(1) وقع ارسال حوالي 56.000 تونسي الى فرنسا للعمل في المصانع و للقتال و قد مات منهم 12.000 (معدل انطلاقا من التقارير المختلفة التي حررت اثر الحرب.)

لقد رجعت السلط الاستعمارية بتونس لممارسة ،،صلوحياتها،، بقوة، و ذلك قصد استغلال و توظيف موارد البلاد التونسية - و غيرها من المستعمرات - لمواجهة الاضرار البشرية و الاقتصادية و الاجتماعية التي خلفتها الحرب في فرنسا (1).

لذلك فان تلبية احتياجات فرنسا بالمواد الفلاحية و المنجمية ستشكل الهدف الاساسي للسياسة الاستعمارية في تونس غداة الاعلان عن الهدنة. (2)

و لضمان تزويد فرنسا بالمواد الغذائية عاد الاستعمار الفلاحي بقوة على حساب اراضي العروش و اراضي الاحباس العامة و الخاصة (3).

احدث هذا المشروع تململا بين التونسيين خاصة في الارياف و شمل الغضب ايضا الملاكين الكبار التونسيين الذين كانوا يتصرفون في جزء من تلك الاراضي و كذلك المشرفين على الزوايا و اتباعهم. (4)

---

(1) خسرت فرنسا 20./. من مجموع الرجال العاملين، و انهار الانتاج المنجمي و الصناعي و الفلاحي مقارنة مع ما كان عليه سنة 1913 (96./. الفحم الحجري، 95./. الفولاذ 57./. الحديد، 1/3 للانتاج الفلاحي) بالاضافة الى ان تكاليف الحرب وصلت الى 1/3 الميزانية سنويا.

(2) Ali MAHJOUBI, les origines du mouvement national en Tunisie (1904 - 1934) Publication de l'Université de Tunis 1982, P 166.

(3) تم تحضير تحت اشراف المقيم العام فلاندان FLANDIN مشروعا للاستصلاح حوالي 3،5 ملايين هكتار من الاراضي الملك بدون عقد و الموات و الاحباس الخاصة و العامة ، هذا بالاضافة للامتلاك المعمرين الفرنسيين سنة 1921 لحوالي 554.000 هكتار و الايطاليين لـ 60.400 هكتار، و المالطيين لـ 15.000 هكتار.

(4) علي المحجوبي ، جذور الحركة الوطنية، المصدر السابق ص 168.

و سينتج عن ذلك تحول عدد من اهالي تلك المناطق الى عمال فلاحيين في الضيعات الاستعمارية ، بينما انعكفت البقية على استغلال ما ترك لها من اراضي فقيرة في انتظار اول انهيار للمحاصيل يجبرهم على النزوح نحو المدن الساحلية.

ان الاختلال في التوازنات الاجتماعية شمل ايضا المدينة حيث عادت البضائع الفرنسية المصنعة لتملأ الاسواق، فبعد ان شهد الحرفيون التونسيون انتعاشا اثناء الحرب اصبحوا اثرها يعانون ازمات نتيجة استعادة توريد المواد المصنعة (1). ان الغضب الذي سيعمّ اوساط الصناعة التونسية سيساعد على بروز الحركة السياسية والاجتماعية فلا غرابة ان تكون اسواق العاصمة و دكاكينها احدى الميادين الرئيسية التي ستنتشر فيها حركة المعارضة للسياسة الاستعمارية بتعبيراتها المختلفة : القومية (2)، و الطبقية و المطلبية، كما اهتم المقيم العام فلاندان بتقوية الحضور البشري الفرنسي في تونس اذ كانت السلطات الفرنسية منشغلة بتفوق الجالية الايطالية على الفرنسية.(3)

و قصد تلافي الاخطار التي يمكن ان تنجر عن التفوق الايطالي عمدت السلط الى تشجيع الفرنسيين على القدوم و العمل بتونس لتدعيم نفوذ بلادهم.

---

(1) ارتفعت قيمة الواردات الى تونس من 207 مليون فرنك سنة 1918 الى 722 مليون فرنك سنة 1921. انظر علي المحجوبي المصدر السابق ص 170 ، عن الاحصائيات العامة للبلاد التونسية 1921 . ص 259.

(2) ترجمة للكلمة الفرنسية : (Nationaliste)

(3) حسب احصاء 1921، بلغ عدد افراد الجاليات الاجنبية كالاتي الفرنسيون 54.476 الايطاليون 84.799، و المالطيون 13.500.

و للتحصل على نتائج ملموسة رفعت في اجور الفرنسيين بنسبة 33./. و ذلك بمقتضى الميثاق الذي اصدره المقيم العام فلاندان سنة 1919.(1) جعل هذا الاجراء الموظفين و كذلك العمال التونسيين ينقمون على هذا الميز العنصري لذلك ستكون المطالبة بتساوي الاجر عند التساوي في العمل احدى الشعارات الاساسية للحركة الوطنية و النقابية.

الا ان الجاليات الاوروبية المتواجدة بتونس و ان كانت في وضع مادي احسن من التونسيين - وهو ما سيساهم في دعم الحس الوطني لدى المحليين - فانها لم تكن كلها في وضع تحسد عليه من حيث ظروف العيش و العمل و كانت تعاني بدورها من استغلال الشركات الاستعمارية.

ان العمال الايطاليين و المالطيين كانوا يعانون درجة كبيرة من الاستغلال لذلك ستنتشر في اوساطهم حركة المطالبة و سيكونون احدى الدعائم الاساسية للمنظمات النقابية و الاحزاب اليسارية و من ضمنها الحزب الشيوعي.

ان النواة الشيوعية الاولى التي ستتطور في بداية العشرينات ستكون احدى التعبيرات السياسية عن احتداد التناقضات الوطنية و الطبقية التي احدثها الرجوع القوي لتنفيذ البرامج الاستعمارية في تونس اثر الحرب.

---

(1) لم ينجر عن هذا الاجراء ارتفاع سريع في قدوم الفرنسيين لذلك ستعمد السلط سنة 1923 الى تعميمه الى كل الذين يقبلون اكتساب الجنسية الفرنسية و سيكون التجنيس وسيلة اضافية لتقوية العنصر الفرنسي بالبلاد التونسية.

سيعمل الشيوعيون للتعبير عن مطامح مختلف ضحايا الاستغلال الاستعماري، فمن ناحية الاهالي التونسيين الذين يحركهم بالخصوص الدافع الوطني امام التواجد الاجنبي بشتى مظاهره و من ناحية اخرى العمال الاجانب الذين يعانون من الاستغلال الراسمالي لذلك سيتحمسون بالخصوص لكل المعارك التي يرجى من ورائها تحسين لوضعهم الاجتماعي.

ان الجمع بين هاتين المهمتين لن يكون بالامر الهين ، خاصة و ان المعطيات الموضوعية ترجح اولوية النضال الوطني في حين ان جزءا من قاعدة الحزب الشيوعي - الاجنبية بالخصوص - ستبقى مشدودة للنضال الطبقي الاجتماعي ، وهو ماسيسهل ظهور عدة انحرافات في عمل الحزب كما سنرى ذلك لاحقا. والى جانب تاثرها بالمعطيات الجديدة للواقع التونسي ، فان الحركة الاشتراكية بتونس ستتفاعل مع التحولات التي ستشهدها جماعة الشباب التونسي اثر الحرب و ما سيطرأ على برامجها ووسائل عملها من تجذر. في نفس الوقت فان التغييرات التي طرات في اوروبا و خاصة اخبار ثورة اكتوبر في روسيا و ما نتج عنها من نقاشات في الحركة العمالية العالمية بالاضافة لبعث الاممية الشيوعية في مارس 1919 سيكون لها صدى لدى الاشتراكين بتونس

الفـــــصل الاول

مـن الجامعـــة الاشتراكيـــة الـــى الجامعة الشيوعيـــة بتونس (1919/ 1921)

* * * * * * * * * * * * *

ان النواة الشيوعية التي ظهرت في اواخر 1920 هي امتداد للتيارات الاشتراكية التي نشطت في تونس قبل الحرب الاولى خاصة في صلب الجامعة الاشتراكية التي وقع بعثها سنة 1908 ، ثم انضمّت للفرع الفرنسي للاممية العمالية (S.F.I.O) سنة 1912 (1).

و كان بعث الجامعة الاشتراكية بتونس سنة 1908 تتويجا لسلسلة من التطورات عرفتها المنظمات الفرنسية ذات التوجه الجمهوري التي تكونت في الفترة الممتدة بين 1901 و 1906، مثل رابطة التعليم، رابطة حقوق الانسان، حلقات الجمهوريين، بالاضافة الى مجموعات البنائين الاحرار التي يعود بعثها لنهاية القرن الماضي.(2)

و قد عقدت هذه المجموعات مؤتمرا في شهر افريل 1906 ضم 154 مندوبا جمهوريا و راديكاليا و اشتراكيا(3). ورغم ان الميزة الطاغية على شعارات هذه المجموعات هي اللائكية ، و الدفاع عن الجمهورية فقد تاثرت ايضا بالواقع التونسي، فالى جانب الدفاع عن العمال الذين قاموا بحركة اضرابية سنة 1904، فانهم نادوا بتطبيق اصلاحات اجتماعية تحرر الاهالي من سيطرة الارستقراطية ، و بتعميم التعليم الذي يحرر العقول.(4)

---

(1) - HAUPT (G) et Roberioux (M) la II Internationale et l'Orient éditions CUJAS 1967, P 147.
يوجد في هذا الكتاب نص الرسالة التي وجهها DUCOS DE LA HAILLE عضو الهيئة الادارية للحزب الاشتراكي الفرنسي، الى رفاقه بتونس يعلمهم فيها بقبول الجامعة التونسية ضمن الفرع الفرنسي للاممية العمالية. بعد ان ظل يطرح هذه المسالة مرارا عديدة منذ سنة 1908 (تاريخ زيارته لتونس)

(2) - Claude Liauzu, aux origines du socialisme en Tunisie, la Presse démocratique Française in A. Afrique du Nord. Publications du CNRS Paris 1971, P. 943.

(3) ليوزي المصدر السابق ص 946 .

(4) نفس المصدرو الصفحة.

.../...

كما ان هذه المجموعات تعـاطفت مع التونسيين و فتحت صحفها للمثقفين منهم مثل عبد الجليل الزاوش و على باش حانبة زعيم حركة الشباب التونسي (1) .

لكن هذا الاهتمام بالقضايا التونسية لم يتجاوز الموقف العام الذي اتخذته الاممية العمالية الثانية من قضايا الاستعمار قبل الحرب العالمية الاولى، التي كانت تضع في مقدمة مشاغلها النضال ضد خطر الحرب (2).

لم يكن للاممية الثانية موقفا موحدا وقارا من الاستعمار ، باستثناء التيار الذي تزعمه جون جوراس الذي تبنّى بصفة متواصلة فكرة السياسة الاستعمارية "الايجابية". (3)

و يبدو واضحا من خلال المطالب التي حددتها المجموعات الاشتراكية بتونس منذ 1906 مثل ضرورة سن قوانين تحمي الاهالي من الاستغلال و اقرار نظام ديمقراطي ، و فضح رجال الاعمال الذين يبتزون خيرات البلاد و مطالبتهم ادخال و نشر التعليم الذي يحرر العقول، يظهر من خلال ذلك ان الجامعة الاشتراكية بتونس كانت متاثرة بموقف جوراس من المسالة الاستعمارية. وهذا الموقف ياخذ جذوره في تقاليد الثورة الفرنسية لسنة 1789 و التيارات التي ساندتها التي كانت ترى ان من مهام الحكومة الفرنسية نشر الافكار الحرة و تخليص الشعوب الاخرى من الاقطاع و التخلف لذا ساندت حملات نابليون في اوروبا و الشرق.

---

(1) المصدر السابق. عنوان الصحيفة Courrier de Tunisie و كان يشرف عليها Auguste Destrées.

(2) الاممية الثانية و مسالة الشرق، المصدر السابق ص 17 يقسم المؤلفون تاريخ الاممية الثانية الى ثلاث فترات. الاولى تمتد من التاسيس سنة 1889 حتى مؤتمر امستردام 1904، و تميزت بالتحسس بين النزاعات، الثانية قصيرة من 1906 الى 1908 ظهر فيها بعض الاهتمام بالقضايا الاستعمارية ، اما الثالثة فهي من سنة 1908 و خاصة 1910 فقد سيطر فيها النضال ضد الحرب.

(3) - Ageron (Charles Robert) Politiques coloniales au Maghreb P.U.F 1972, P. 151.

سنشير لهذا المؤلف ب ،،اجرون،، السياسات الاستعمارية في المغرب

فهذا الاتجاه الذي كان يريد الزام السلطات بالقيام بواجبات عديدة تجاه الشعوب المستعمرة - و الذي كان اكثر المواقف تجذرا داخل الحركة الاشتراكية الفرنسية - هل سيبقى في مستوى المتغيرات التي ستشهدها الساحة التونسية و العالمية اثر الحرب الاولى؟

اولا / الاشتراكيون بتونس غداة الحرب الاولى /

استعادت الجامعة الاشتراكية نشاطها في بداية 1919 في نفس الوقت تم بعث الشبيبة الاشتراكية التي كانت تضم بالخصوص تلاميذ السنوات النهائية بمعهد كارنو(1).

كان اغلب منخرطي الجامعة من الفرنسيين الا انها شهدت اقبال عدد قليل من المثقفين التونسيين(3 محامين و معلما) (2) .

اصدرت الجامعة بداية من19 مارس 1919 صحيفة L'Avenir social(3) و كان عليها ان تطور سياستها و تجابه اوضاعا جديدة على المستوى المحلي و العالمي.

فعلى المستوى المحلي ستعود مجموعة الشباب التونسي للنشاط بعد الحرب و ستشهد عدة تحولات في برامجها و هيكلتها.

و على المستوى الخارجي فان من اهم الاحداث التي سيكون لها تاثير على تطور الجامعة الاشتراكية بتونس هي بروز اول دولة اشتراكية اثر ثورة اكتوبر في روسيا و ما سينتج عنها من بعث الاممية الشيوعية.

---

(1) - Ben Miled (Ahmed) Mohamed Ali, la naissance du mouvement ouvrier tunisien. ed. salammbo. Tunis 1984.

سنشير لهذا المؤلف باحمد بن ميلاد ، محمد علي... يذكر بن ميلاد في صفحة 19 ،، انخرطت في الشبيبة الاشتراكية مع محمد بدرة و موريس رامبو و كانت تضم 12 منخرطا اغلبهم تلاميذ معهد كارنو، و كانت اجتماعاتنا تتم يوم الاحد صباحا في مقر عمال السكك الحديدية (ساحة المنجي بالي حاليا...)

(2) احمد بن ميلاد... نفس المصدر.ص 115 من بينهم محمد النعمان و حسان القلاتي.

(3) سنشير اليها بالعربية ب ،، المستقبل الاجتماعي،،

القسم الاول

بدايات الحركة الشيوعية
في تونس

الحيثيات المحلية و العالمية
لولادتها (1919 / 1926)

تقديـــــــم : اهــــم مميـــزات الوضع التونسي غداة الحرب الاولى

تزامن الاعـلان عن نهـاية الحـرب العالمية الاولى في شهـر نوفمبـر 1918، مـع عـودة قوية لتنفيذ البرامج الاستعمارية من طرف السلـط الفرنسيـة بتونس
لقد تميزت فترة الحرب بتوقـف عمليــات انتزاع الاراضـــي التونسيـــة اذ كانت كل انـظار الحكومة الفرنسيـة مشـدودة الـى جبهـات القتال مـع المانيـا. و هـذا ما ادّى الـى تحـسن الاوضاع الاجتماعيـة و الاقتصـادية للتونسييـن.

ان من ابرز عـوامل هذا التحســن،تراجع عمليات الاستحـواذ على الاراضي من طـرف المعمـرين الخواص و الشركات الراسمالية، كما ان انهيار الانتاج الصناعي و الفـلاحـي في اوروبـا من جـراء المعارك التي شهـدتهـا مختلف المحاور و خاصة الاراضي الفرنسيـة جعل الانتـاج التونسي يتخـلص بدرجة كبيرة من المزاحمـة الاجنبيـة.

ادّى هـذا التحـسن النسبي للاوضاع الاقتصادية الى تقلـص عـدد العاطلين، فبالاضافـة الـى توقف قدوم اليـد العاملـة الاوروبيـة الـى تونس مـدة الحـرب، فان الطلب ازداد على العمال التونسييـن للعمـل في تونس او في المصانع الفرنسيـة، لتعويض العمال الذين وجـهوا نحـو الجبهـات (1).

ان اعـلان الهدنـة و توقـف المعـارك في نهاية 1918، سيحـدث خـللا في التوازنات التي شهـدتـهـا الايالـة خـلال فترة الحـرب

---

(1) وقـع ارسال حوالي 56.000 تونسي الى فرنسا للعمل في المصانــع و للقتال و قد مات منهم 12.000 (معدل انطلاقا من التقارير المختلفة التي حررت اثـر الحـرب.)

لقد رجعت السلط الاستعمارية بتونس لممارسة ،،طلوحياتها،، بقوة، و ذلك قصد استغلال و توظيف موارد البلاد التونسية - و غيرها من المستعمرات - لمواجهة الاضرار البشرية و الاقتصادية و الاجتماعية التي خلفتها الحرب في فرنسا (1).

لذلك فان تلبية احتياجات فرنسا بالمواد الفلاحية و المنجمية ستشكل الهدف الاساسي للسياسة الاستعمارية في تونس غداة الاعلان عن الهدنة. (2)

و لضمان تزويد فرنسا بالمواد الغذائية عاد الاستعمار الفلاحي بقوة على حساب اراضي العروش و اراضي الاحباس العامة و الخاصة (3).

احدث هذا المشروع تململا بين التونسيين خاصة في الارياف و شمل الغضب ايضا الملاكين الكبار التونسيين الذين كانوا يتصرفون في جزء من تلك الاراضي و كذلك المشرفين على الزوايا و اتباعهم. (4)

---

(1) خسرت فرنسا 20./. من مجموع الرجال العاملين، و انهار الانتاج المنجمي و الصناعي و الفلاحي مقارنة مع ما كان عليه سنة 1913 (96./. الفحم الحجري، 95./. الفولاذ 57./. الحديد، 1/3 للانتاج الفلاحي) بالاضافة الى ان تكاليف الحرب وصلت الى 1/3 الميزانية سنويا.

(2) Ali MAHJOUBI, les origines du mouvement national en Tunisie (1904 - 1934) Publication de l'Université de Tunis 1982, P 166.

(3) تم تحضير تحت اشراف المقيم العام فلاندان FLANDIN مشروعا للاستصلاح حوالي 3،5 ملايين هكتار من الاراضي الملك بدون عقد و الموات و الاحباس الخاصة و العامة ، هذا بالاضافة للامتلاك المعمرين الفرنسيين سنة 1921 لحوالي 554.000 هكتار و الايطاليين لـ 60.400 هكتار، و المالطيين لـ 15.000 هكتار.

(4) علي المحجوبي ، جذور الحركة الوطنية، المصدر السابق ص 168.

و سينتج عن ذلك تحول عدد من اهالي تلك المناطق الى عمال فلاحيين في الضيعات الاستعمارية ، بينما انعكفت البقية على استغلال ما ترك لها من اراضي فقيرة في انتظار اول انهيار للمحاصيل يجبرهم على النزوح نحو المدن الساحلية .

ان الاختلال في التوازنات الاجتماعية شمل ايضا المدينة حيث عادت البضائع الفرنسية المصنعة لتملأ الاسواق، فبعد ان شهد الحرفيون التونسيون انتعاشا اثناء الحرب اصبحوا اثرها يعانون ازمات نتيجة استعادة توريد المواد المصنعة (1). ان الغضب الذي سيعمّ اوساط الصناعة التونسية سيساعد على بروز الحركة السياسية والاجتماعية فلا غرابة ان تكون اسواق العاصمة و دكاكينها احدى الميادين الرئيسية التي ستنتشر فيها حركة المعارضة للسياسة الاستعمارية بتعبيراتها المختلفة : القومية (2)، و الطبقية و المطلبية، كما اهتم المقيم العام فلاندان بتقوية الحضور البشري الفرنسي في تونس، اذ كانت السلطات الفرنسية منشغلة بتفوق الجالية الايطالية على الفرنسية.(3)

و قصد تلافي الاخطار التي يمكن ان تنجر عن التفوق الايطالي عمدت السلط الى تشجيع الفرنسيين على القدوم و العمل بتونس لتدعيم نفوذ بلادهم.

---

(1) ارتفعت قيمة الواردات الى تونس من 207 مليون فرنك سنة 1918 الى 722 مليون فرنك سنة 1921. انظر علي المحجوبي المصدر السابق ص 170 ، عن الاحصائيات العامة للبلاد التونسية 1921 . ص 259.

(2) ترجمة للكلمة الفرنسيّة : (Nationaliste)

(3) حسب احصاء 1921، بلغ عدد افراد الجاليات الاجنبية كالاتي الفرنسيون 54.476 الايطاليون 84.799، و المالطيون 13.500.

و للتحصل على نتائج ملموسة رفعت في اجور الفرنسيين بنسبة 33٪. و ذلك بمقتضى الميثاق الذي اصدره المقيم العام فلاندان سنة 1919(1) جعل هذا الاجراء الموظفين و كذلك العمال التونسيين ينقمون على هذا الميز العنصري لذلك ستكون المطالبة بتساوي الاجر عند التساوي في العمل احدى الشعارات الاساسية للحركة الوطنية و النقابية.

الا ان الجاليات الاوروبية المتواجدة بتونس و ان كانت في وضع مادي احسن من التونسيين - وهو ما سيساهم في دعم الحس الوطني لدى المحليين - فانها لم تكن كلها في وضع تحسد عليه من حيث ظروف العيش و العمل و كانت تعاني بدورها من استغلال الشركات الاستعمارية.

ان العمال الايطاليين و المالطيين كانوا يعانون درجة كبيرة من الاستغلال لذلك ستنتشر في اوساطهم حركة المطالبة و سيكونون احدى الدعائم الاساسية للمنظمات النقابية و الاحزاب اليسارية و من ضمنها الحزب الشيوعي.

ان النواة الشيوعية الاولى التي ستتطور في بداية العشرينات ستكون احدى التعبيرات السياسية عن احتداد التناقضات الوطنية و الطبقية التي احدثها الرجوع القوي لتنفيذ البرامج الاستعمارية في تونس اثر الحرب.

---

(1) لم ينجر عن هذا الاجراء ارتفاع سريع في قدوم الفرنسيين لذلك ستعمد السلط سنة 1923 الى تعميمه الى كل الذين يقبلون اكتساب الجنسية الفرنسية و سيكون التجنيس وسيلة اضافية لتقوية العنصر الفرنسي بالبلاد التونسية.

سيعمل الشيوعيون للتعبير عن مطامح مختلف ضحايا الاستغلال الاستعماري، فمن ناحية الاهالي التونسيين الذين يحركهم بالخصوص الدافع الوطني امام التواجد الاجنبي بشتى مظاهره و من ناحية اخرى العمال الاجانب الذين يعانون من الاستغلال الراسمالي لذلك سيتحمسون بالخصوص لكل المعارك التي يرجى من ورائها تحسين لوضعهم الاجتماعي.

ان الجمع بين هاتين المهمتين لن يكون بالامر الهين، خاصة و ان المعطيات الموضوعية ترجح اولوية النضال الوطني في حين ان جزءًا من قاعدة الحزب الشيوعي - الاجنبية بالخصوص - ستبقى مشدودة للنضال الطبقي الاجتماعي، وهو ماسيسهل ظهور عدة انحرافات في عمل الحزب كما سنرى ذلك لاحقا. والى جانب تاثرها بالمعطيات الجديدة للواقع التونسي، فان الحركة الاشتراكية بتونس ستتفاعل مع التحولات التي ستشهدها جماعة الشباب التونسي اثر الحرب و ما سيطرأ على برامجها ووسائل عملها من تجذر. في نفس الوقت فان التغييرات التي طرات في اوروبا و خاصة اخبار ثورة اكتوبر في روسيا و ما نتج عنها من نقاشات في الحركة العمالية العالمية بالاضافة لبعث الاممية الشيوعية في مارس 1919 سيكون لها صدى لدى الاشتراكين بتونس

الفصل الاول

من الجامعة الاشتراكية الى الجامعة الشيوعية بتونس (1919/ 1921)

* * * * * * * * * * * * *

ان النواة الشيوعية التي ظهرت في اواخر 1920 هي امتداد للتيارات الاشتراكية التي نشطت في تونس قبل الحرب الاولى خاصة في صلب الجامعة الاشتراكية التي وقع بعثها سنة 1908، ثم انضمّت للفرع الفرنسي للاممية العمالية (S.F.I.O) سنة 1912(1).

و كان بعث الجامعة الاشتراكية بتونس سنة 1908 تتويجا لسلسلة من التطورات عرفتها المنظمات الفرنسية ذات التوجه الجمهوري التي تكونت في الفترة الممتدة بين 1901 و 1906، مثل رابطة التعليم، رابطة حقوق الانسان، حلقات الجمهوريين، بالاضافة الى مجموعات البنائين الاحرار التي يعود بعثها لنهاية القرن الماضي.(2)

و قد عقدت هذه المجموعات مؤتمرا في شهر افريل 1906 ضم 154 مندوبا جمهوريا و راديكاليا و اشتراكيا(3). ورغم ان الميزة الطاغية على شعارات هذه المجموعات هي اللائكية، و الدفاع عن الجمهورية فقد تاثرت ايضا بالواقع التونسي، فالى جانب الدفاع عن العمال الذين قاموا بحركة اضرابية سنة 1904، فانهم نادوا بتطبيق اصلاحات اجتماعية تحرر الاهالي من سيطرة الارستقراطية، و بتعميم التعليم الذي يحرر العقول.(4)

---

(1) - HAUPT (G) et Roberioux (M) la II Internationale et l'Orient éditions CUJAS 1967, P 147.
يوجد في هذا الكتاب نص الرسالة التي وجهها DUCOS DE LA HAILLE عضو الهيئة الادارية للحزب الاشتراكي الفرنسي، الى رفاقه بتونس يعلمهم فيها بقبول الجامعة التونسية ضمن الفرع الفرنسي للاممية العمالية. بعد ان ظل يطرح هذه المسالة مرارا عديدة منذ سنة 1908 (تاريخ زيارته لتونس)

(2) - Claude Liauzu, aux origines du socialisme en Tunisie, la Presse démocratique Française in A. Afrique du Nord. Publications du CNRS Paris 1971, P. 943.

(3) ليوزي المصدر السابق ص 946.

(4) نفس المصدرو الصفحة.

.../...

كما ان هذه المجموعات تعاطفت مع التونسيين و فتحت صحفها للمثقفين منهم مثل عبد الجليل الزاوش و على باش حانبة زعيم حركة الشباب التونسي (1) .

لكن هذا الاهتمام بالقضايا التونسية لم يتجاوز الموقف العام الذي اتخذته الاممية العمالية الثانية من قضايا الاستعمار قبل الحرب العالمية الاولى، التي كانت تضع في مقدمة مشاغلها النضال ضد خطر الحرب (2).

لم يكن للاممية الثانية موقفا موحدا وقارا من الاستعمار ، باستثناء التيار الذي تزعمه جون جوراس الذي تبنّى بصفة متواصلة فكرة السياسة الاستعمارية "الايجابية". (3)

و يبدو واضحا من خلال المطالب التي حددتها المجموعات الاشتراكية بتونس منذ 1906 مثل ضرورة سن قوانين تحمي الاهالي من الاستغلال و اقرار نظام ديمقراطي ، و فضح رجال الاعمال الذين يبتزون خيرات البلاد و مطالبتهم ادخال و نشر التعليم الذي يحرر العقول، يظهر من خلال ذلك ان الجامعة الاشتراكية بتونس كانت متاثرة بموقف جوراس من المسالة الاستعمارية. وهذا الموقف ياخذ جذوره في تقاليد الثورة الفرنسية لسنة 1789 و التيارات التي ساندتها التي كانت ترى ان من مهام الحكومة الفرنسية نشر الافكار الحرة و تخليص الشعوب الاخرى من الاقطاع و التخلف لذا ساندت حملات نابليون في اوروبا و الشرق.

---

(1) المصدر السابق. عنوان الصحيفة Courrier de Tunisie و كان يشرف عليها Auguste Destrées.

(2) الاممية الثانية و مسالة الشرق، المصدر السابق ص 17 يقسم المؤلفون تاريخ الاممية الثانية الى ثلاث فترات. الاولى تمتد من التاسيس سنة 1889 حتى مؤتمر امستردام 1904، و تميزت بالتحسس بين النزاعات، الثانية قصيرة من 1906 الى 1908 ظهر فيها بعض الاهتمام بالقضايا الاستعمارية ، اما الثالثة فهي من سنة 1908 و خاصة 1910 فقد سيطر فيها النضال ضد الحرب.

(3) - Ageron (Charles Robert) Politiques coloniales au Maghreb P.U.F 1972, P. 151.

سنشير لهذا المؤلف ب ،،اجرون،، السياسات الاستعمارية في المغرب

فهذا الاتجاه الذي كان يريد الزام السلطات بالقيام بواجبات عديدة تجاه الشعوب المستعمرة - و الذي كان اكثر المواقف تجذرا داخل الحركة الاشتراكية الفرنسية - هل سيبقى في مستوى المتغيرات التي ستشهدها الساحة التونسية و العالمية اثر الحرب الاولى؟

اولا / الاشتراكيون بتونس غداة الحرب الاولى /

استعادت الجامعة الاشتراكية نشاطها في بداية 1919 في نفس الوقت تم بعث الشبيبة الاشتراكية التي كانت تضم بالخصوص تلاميذ السنوات النهائية بمعهد كارنو(1).
كان اغلب منخرطي الجامعة من الفرنسيين الا انها شهدت اقبال عدد قليل من المثقفين التونسيين(3 محامين و معلما) (2) .
اصدرت الجامعة بداية من19 مارس 1919 صحيفة L'Avenir social(3)
و كان عليها ان تطور سياستها و تجابه اوضاعا جديدة على المستوى المحلي و العالمي.

فعلى المستوى المحلي ستعود مجموعة الشباب التونسي للنشاط بعد الحرب و ستشهد عدة تحولات في برامجها و هيكلتها.

و على المستوى الخارجي فان من اهم الاحداث التي سيكون لها تاثير على تطور الجامعة الاشتراكية بتونس هي بروز اول دولة اشتراكية اثر ثورة اكتوبر في روسيا و ما سينتج عنها من بعث الاممية الشيوعية.

---

(1) - Ben Miled (Ahmed) Mohamed Ali, la naissance du mouvement ouvrier tunisien. ed. salammbo. Tunis 1984.
سنشير لهذا المؤلف باحمد بن ميلاد ، محمد علي... يذكر بن ميلاد في صفحة 19 ،، انخرطت في الشبيبة الاشتراكية مع محمد بدرة و موريس رامبو و كانت تضم 12 منخرطا اغلبهم تلاميذ معهد كارنو، و كانت اجتماعاتنا تتم يوم الاحد صباحا في مقر عمال السكك الحديدية (ساحة المنجي بالي حاليا...)

(2) احمد بن ميلاد... نفس المصدر.ص 115 من بينهم محمد النعمان و حسان القلاتي.

(3) سنشير اليها بالعربية ب ،، المستقبل الاجتماعي،،

أ) تطور حركة الشباب التونسي /

كان ،،الشباب التونسي،، ابرز مجموعة سعت للتعبير عن مطالب التونسيين قبل الحرب الاولى، و تكونت بالخصوص من النخبة المثقفة التي زاولت دراستها العالية بفرنسا، و قد تركز نشاطها على الجانب الفكري حيث كانت وراء تاسيس جمعيات ثقافية كالخلدونية لتزويد طلبة الجامع الاعظم بالعلوم العصرية و كذلك جمعية قدماء المدرسة الصادقية وهي مبادرات تهدف الى رفع مستوى التونسيين و جعلهم في مرتبة تمكنهم من جميع الحقوق التي كان يتمتع بها الفرنسيون.

و قد تم اول مرة الاعلان عن البرنامج الاصلاحي للمجموعة يوم 24 مارس 1906 عندما القى البشير صفر خطابا خلال حفل تدشين،، التكية،، بحضور المقيم العام بيشون.

و في السنة الموالية اصدرت الجماعة صحيفة،، التونسي ،، الناطقة بالفرنسية، و انضم للمجموعة سنة 1909 الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي زاول تعلمه بجامع الزيتونة و اصبح يحرر القسم العربي من الجريدة.

و كان على المجموعة ان تتفاعل شيئا فشيئا مع الوضع الذي يعيشه التونسيون و تسعى للتعبير عن السخط الذي بدا ينتشر بينهم تجاه السياسة الاستعمارية ، ذلك السخط الذي لم تعد تشعر به النخبة المثقفة وحدها.

كانت ،، معركة الزلاج،، يوم 7 نوفمبر 1911 بين اهالي الحاضرة الذين خرجوا في حماس شديد لمنع اعوان البلدية من تسجيل اراضي المقبرة، اول معركة يصطدم فيها التونسيون مع الجنود

.../...

الفرنسيين، و قد سقط فيها العديد من الضحايا (1).

ان الحس الوطني الذي ساهم ،، الشباب التونسي،، في ابرازه لدى اهالي العاصمة و التعبير عنه في جريدتهم سيجد مناسبة جديدة للظهور يوم 9 فيفري 1912، اثر مقتل طفل تونسي في حادث تسبب فيه سائق الترامواي الايطالي.

و قد اغتنمت جماهير العاصمة هذا الحادث لاعلان مقاطعة الترامواي.

ان هذا الاقتحام العنيف للشارع من طرف التونسيين مرتين في فترة وجيزة ، جعل السلط الفرنسية ترد الفعل بقوة فبعد اعلان حالة الحصار في نوفمبر 1911، قامت بنفي زعماء جماعة الشباب التونسي (2) الذين واصلوا نشاطهم بالخارج في كل من مصر و تركيا و سويسرا (3).

---

(1) شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير : القوميات الاسلامية و السيادة الفرنسية، الدار التونسية للنشر تونس،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1976، ص 90 - يذكر انه قتل 8 من الفرنسيين و الايطاليين في انه لم يعرف عدد القتلى من التونسيين.

(2) امرت السلطات بنفي على باش حانبة و عبد العزيز الثعالبي و المحاميان حسان القلاتي و محمد نعمان.

(3) كان ابرز عمل قام به التونسيون في المهجر هو اصدار «مجلة المغرب»، الشهرية باعانة مادية و معنوية لكل من المانيا و تركيا، و قد صدرت فيما بين 1916 و 1918، انظر Béchir Tlili, le groupement de la Revue du Maghreb in les cahiers de Tünisie n° 101-102.

../...

اما في الداخل فقد بقيت الحركة سرية يغلب عليها طابع الانتظارية.(1)

دفعت المواجهة العنيفة التي قابلت بها السلط الفرنسية احتجاج التونسيين، قادة الشباب التونسي خاصة الذين بقوا في الخارج الى مراجعة مطالبهم.
فمن فكرة الإصلاحات التي نادت بها المجموعة قبل الحرب اصبحت مجلة المغرب تطالب في مطلع سنة 1918 باستقلال تونس (2).
اثر انتهاء الحرب و توضح نتائجها عاد الشباب التونسي للنشاط في الداخل، خاصة بعد الصعوبات التي اصبح يلقاها مناضلوهم في المنفى اثر توقف الاعانات المادية التركية والالمانية.(3)

---

(1) توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء الاول ص 74...،،قالوا و تلك فلسفتهم في تلك الايام، اتركوا الحرب تمر و تنتهي فاذا ما انتصر الفرنسيون و الانكليز ذكرناهم بحسن سلوكنا... و طالبناهم عندئذ بحقوقنا. اما اذا انتصر الالمانيون و العثمانيون بكينا لهم و ذكرنالهم ما كنا نقاسيه من مذلة وهوان...،،

(2) علي المحجوبي ، المصدر السابق ص 146 يذكر ان مجموعة المجلة انضمت في الحقيقة للموقف الذي تبناه منذ بداية الحرب كلا من صالح الشريف و اسماعيل الصفايحي و محمد الخضر حسن، الذين طرحوا الاستقلال و لكن في اطار الامبراطورية العثمانية ، اما مجموعة المجلة فقد نادت بالاستقلال في اطار مبادئ و لسن.

(3) علي المحجوبي، المصدر السابق ص 198، اخر عدد من مجلة المغرب صدر في سبتمبر - ديسمبر 1918 كما ان اخر مبادرة قام بها المنفيون تمثلت في ارسال برقية الى الرئيس ولسن بتاريخ 2 جانفي 1919 طالبوه فيها بالتدخل لتمكين مندوبين عن الشعبين التونسي و الجزائري لحضور مؤتمر الصلح بفرساي ، و لم يكن لهذه المبادرة اي نتيجة.

رغم الانتظارية التي طبعت موقف الشباب التونسي في الداخل كما وصفها احمد توفيق المدني في مذكراته ، فانهم كانوا في موقع احسن من سواهم الذين عاشوا في المنفى و اتهمتهم فرنسا بالتواطؤ مع اعدائها.

لقد شهدت سنة 1919 نشاطا حثيثا قام به الشباب التونسي حيث تعددت الاجتماعات ، من ابرزها الاجتماع الذي التأم في مارس1919 برئاسة خير الله بن مصطفى بحضور 30 تونسي يهودي و30 تونسي مسلم.(1)
و قد اسفرت هذه الاجتماعات على بروز مجموعة - كلها من العناصر التونسية المسلمة - بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي، اقرت العزم ،، على تحوير نظام الحماية و الوصول في يوم ما لتحرير البلاد،،.

هذه المجموعة ستطلق على نفسها اسم الحزب التونسي و ستشرع في القيام بعدة مبادرات في اتجاه السلط الفرنسية ، ففي شهر افريل 1919 تم ارسال المحامي احمد السقا الى باريس للاتصال بالمنظمات الانسانية و الاحزاب و الصحف للتعريف بالمطالب التونسية . و في شهر جويلية التحق به الشيخ عبد العزيز الثعالبي، و في خريف 1919 اصدر الحزب التونسي كتاب ،، تونس الشهيدة ،، باللغة الفرنسية في باريس (2)

و هكذا فان سنة 1919 شهدت الخطوات الاولى لبلورة برنامج الوطنيين واشكالا جديدة في التحرك وهو ما سيفرض على الجامعة الاشتراكية تحديد موقفها من هذه التحركات.

---

(1) - Khairallah Chedly, le mouvement national tunisien 1904/ 1932 (Notes et documents), Le mouvement pré-destourien et l'action du Parti Mars 1919, Mars 1920 (CDN Dossier B. 3.2)

(2) صدر الكتاب في باريس باللغة الفرنسية دون ان يحمل امضاء مؤلف وهو عمل جماعي لاعضاء الحزب التونسي و ان كانت صياغته بالفرنسية من عمل احمد السقا.

- La Tunisie Martyre, ses revendictions. Paris Jouve 1920. 212P.

ب) الاشتراكيون بتونس و مطالب الحزب التونسي /

لم يكن اعضاء الجامعة الاشتراكية بتونس بعيدين عن النقاشات التي دارت بين الشباب التونسي منذ مطلع 1919 و كذلك عن مختلف المبادرات التي قاموا بها ذلك انه كان يوجد من بين الوطنيين من كان منخرطا في نفس الوقت ضمن الجامعة و في صلب الحزب التونسي مثل حسان القلاتي و محمد نعمان...

لقد مثلت الجامعة بالنسبة لهم ملجا احتموا به اثر ملاحقة جماعة الشباب التونسي بعد احداث 1912، وهم الذين سينقلون اخبار النقاشات الدائرة بين الوطنيين الى اعضاء الجامعة و سيساهمون في دفعها لاخذ موقف من مطالب الشباب التونسي خاصة اثر صدور تونس الشهيدة.

ان توضيح موقف الجامعة من المسالة التونسية سيتم خلال مؤتمرها المنعقد في 30 نوفمبر 1919، حيث صادق الاشتراكيون على لائحة جاء فيها بالخصوص :

1) ان تونس هي واقعا ، بلد تحت هيمنة فرنسا ، فلا التدخل و لا الاحتلال يخلقان حقوق بل يحتمان واجبات.

2) على فرنسا تبرير وجودها و ذلك بالقيام بمهمتها التاريخية.

3) ان المهمة التاريخية لفرنسا تتمثل في تطوير الشعوب و في تحرير الانسانية.

4) ان وجود نخبة في العمل و في الفكر، من الذين ينخرطون في المدرسة و النقابة يدل على امكانية التطور عند الشعب التونسي.

5) ان الشعب التونسي يجب ان يصبح شعبا، المواطنون فيه احرار و متساوون في الحقوق.

6) ان الحزب الاشتراكي يلتزم بتكريس كل طاقاته وقوته الدعائية و نفوذه السياسي من اجل اليوم الذي يصبح فيه بتونس شعب راشد يعيش بدون اي تفريق جنسي قومي - ديني - سيدا، لحقوقه و لمصيره ،، (1)

ان بروز هذا الموقف يبدو مرتبطا بصدور كتاب تونس الشهيدة الذي تمت بلورة محتوياته من قبل الوطنيين خلال سنة 1919 و التي كان اعضاء الجامعة على اطلاع عليها قبل صدور الكتاب (2).

فهذه اللائحة ارادت تسجيل تباينها مع ،، تونس الشهيدة ،، ذلك انها ترى ان الشعب التونسي لم يوجد بعد و ان بروزه سوف يصبح ،،حقيقة ،، بعد اكتمال ،، المهمة الحضارية لفرنسا بتونس، في حين ان الكتاب المذكور احتوى على تعريف مفصل لمعنى التونسي، حيث تضمنت المطالب فصلا في هذا الخصوص جاء فيه ،، سيعتبر تونسيا و سيتمتع بحقوق و واجبات المواطن التونسي اذا رغب في ذلك، كل شخص يولد بالبلاد التونسية

---

(1) اورد هذه اللائحة مصطفى كريم في كتابه
- Kraiem (Mustapha) .
Nationalisme et Syndicalisme en Tunisie 1918/1919, imprimerie de l'UGTT 1976 P. 325
و قد قمنا بترجمتها عن اللغة الفرنسية

(2) صدرت ترجمة لتونس الشهيدة عن دار القدس بيروت 1975 قام بها سامي الجندي كما صدرت ترجمة اكثر وفاء للنص الفرنسي قام بها حمادي الساحلي و راجعها محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي .لبنان 391 صفحة، الطبعة الاولى، سنة 1984.

او يقيم بها دون انقطاع و بمحض ارادته مدة عشر سنوات ....،، (1)
و هكذا فان الجامعة الاشتراكية بقيت وفية لتراث جوراس و متمسكة بمبدا ،، السياسة الاستعمارية الايجابية ،، التي وقع تبنيها من طرف الحركة الاشتراكية الفرنسية في فترة ما قبل الحرب الاولى.
اما الدافع الثاني لاصدار هذا البيان هو اخذ موقف في الخلاف الذي ظهر في صفوف اعضاء الحزب التونسي اثر نشر ،، تونس الشهيدة ،، بين الذين التزموا بالمطالب الواردة في الكتاب و من نعتوها بالتطرف(2) فلا غرابة ان نلاحظ ان تحرير اللائحة التي سيصادق عليها مؤتمر الجامعة كان من طرف 3 فرنسيين الى جانب 3 تونسيين، ينتمون الى الشق المعتدل الذي عارض مطالب الثعالبي، والى جانب تاكيده على موقف الاشتراكيين من المسالة التونسية، كان لبيان نوفمبر 1919 هدفا مباشرا هو الضغط على اعضاء الحزب التونسي لحملهم على التخلي على المطالب ،، المتصلبة ،، التي احتوتها ،، تونس الشهيدة ،، (3)

و فعلا فان عديد المقالات ستصدر في جريدة ،، <u>المستقبل الاجتماعي</u> ،، لانتقاد الافكار التي وردت في هذا الكتاب، كما يبدو ان الجامعة قد قامت بمجهودات عديدة لاعانة الجناح المعتدل ضد جناح الثعالبي.

---

(1) تونس الشهيدة... المصدر السابق... ترجمة الساحلي ص 293، و من بين المطالب الاخرى التي تضمنها الكتاب و التي تقر وجود شعب تونسي في نظر الدستوريين، مطالبتهم بجعل السلطة التنفيذية وراثية في العائلة المالكة انذاك، وجعل السلطة التشريعية بايدي مجلس اكبر يتركب من 60 عضوا من المواطنين التونسيين، و جعل التعليم الابتدائي اجباريا بالنسبة للذكور و باللغة العربية..

(2) تزعم التيار ،، المعتدل ،، كلا من المحامي حسن القلاتي و محمد نعمان اللذان سينشقان عن الحزب الحر الدستوري فيما بعد و يكونان الحزب الاصلاحي سنة 1921.

(3) - Tlili (Béchir) la Fédération socialiste et la Tunisie martyre. Cahiers de la Tunisie 99. 100, 1977.

و الى جانب تفاعلها مع محيطها المباشر - في تونس - كان على الجامعة الاشتراكية متابعة التطورات التي عرفتها الحركة الاشتراكية في العالم خلال سنوات الحرب و المتمثلة في نجاح الثورة في روسيا في اكتوبر 1917 و ما رافقها من بروز اول دولة اشتراكية في العالم ثم الانعكسات التي ستكون لهذا الحدث في مختلف الاحزاب الاوروبية .

ففي مارس 1919 تم بعث الاممية الشيوعية الشئ الذي سيترتب عنه نقاش واسع داخل الحركة الاشتراكية الفرنسية تمحور حول مسالة الانضمام للمنظمة العالمية الجديدة، كما شمل النقاش اساليب و مواقف المولود الجديد من القضايا الاساسية المطروحة امام الدول الاوروبية و بصفة ثانوية موقفه من المسائل المتعلقة بالشعوب المستعمرة . فما هو الصدى الذي سيكون لثورة اكتوبر و لتاسيس الاممية الشيوعية عند الاشتراكيين بتونس ؟

ثانيا / ثورة اكتوبر و تاسيس الاممية الشيوعية و صداها لدى اعضاء الجامعة الاشتراكية بتونس /

أ) ثورة اكتوبرفي روسيا ، تاسيس الاممية الشيوعية و موقفها من المسالة الوطنية (1919 / 1921)

في شهر اوت 1914 اندلعت الحرب العالمية الاولى و تفجر معها خلاف حاد في صلب الحركة الاشتراكية العالمية بين اغلبية وجدت داخل الاحزاب الاشتراكية الاوروبية صوتت على قروض الحرب لفائدة حكومتها واقتنعت ،،بالصبغة الدفاعية ،، للحرب و اقلية داخل نفس هذه الاحزاب رفضت المشاركة في الحرب و اكدت على طابعها ،، الامبريالي،،

و قد جرت خلال الحرب عدة اتصالات بين القادة الاشتراكيين المعارضين،، لسياسة الوحدة المقدسة،، مع البرجوازية و ذلك بهدف مناقشة

الوضع الجديد و اقرار خطة لمجابهة السياسة الرسمية التي سلكتها احزابهم.

و منذ الندوة الاولى المنعقدة في زيمرفالد (سبتمبر 1915) (سويسرا) طرح لينين - زعيم الديمقراطيين الاشتراكيين الروس، افلاس الاممية الثانية سياسيا و تنظيميا و دعى الى تكوين حركة اشتراكية عالمية جديدة. رغم اجماع المشاركين على نقد سياسة الاممية تجاه الحرب فان اقتراح لينين لم يفرز حوله اغلبية سواء في تلك الندوة او في الندوة الموالية المنعقدة بكينتال (سويسرا) في افريل 1916.

الا ان انتصار الثورة العمالية في روسيا في اكتوبر 1917 سيعطي دفعا كبيرا لهذه الفكرة فبالاضافة الى ان اشد المتحمسين لبعث اممية جديدة هم الذين اصبحوا على راس الدولة الاشتراكية الاولى، فان الشيوعيين الروس كانوا مقتنعين انه لا يمكن المحافظة على الوضع الجديد لفائدتهم الا اذا انتشرت الثورة في البلدان الاوروبية و في المانيا في المقام الاول ، و تم توظيف الحركات التحريرية للشعوب المستعمرة لاضعاف الحكومات البرجوازية و عرقلة تدخلاتها للقضاء على السلطة السوفياتية الناشئة.

و هكذا اصبح للمستعمرات و لكفاحها دور بارز في اطار توازن القوى العالمي الذي ظهر اثر ثورة اكتوبر ، فالى جانب تخلي الدول الراسمالية لاول مرة في التاريخ عن التحكم بمفردها في مصير العالم ، فان الحركة الشيوعية ستسعى لمساعدة الشعوب المستعمرة في نضالها من اجل التحرير الوطني و توظيف في نفس الوقت هذه القوة الهائلة ضد الدول الراسمالية التي كانت تحاصر الثورة و تريد القضاء عليها.

و من الصعب التوصل الى ابراز مراحل واضحة في سياسة الاممية الشيوعية تجاه القضية الاستعمارية فمظاهر الاستمرارية في الموقف متوفرة الى جانب حدوث تغيرات خلال التطورات التاريخية التي شهدتها الاممية منذ بعثها في مارس 1919 الى ان وقع حلها في ماي 1943. (1)

و حتى المحاولات التي وقعت لتقسيم تاريخ الاممية الشيوعية الى فترات اعتمدت كلها كمقياس ، موقف هذه الاخيرة من قضايا و مهمات الحركة العمالية في اوروبا (2).
لذا فاننا سنتتبع تطور مواقفها من المسالة الوطنية عبر طرحها في المؤتمرات العالمية و اجتماعات الهيئات العليا.

---

(1) وقع حل الاممية في خضم الحرب العالمية الثانية في شهر ماي 1943 و اجابة على سؤال المندوب الصحفي لوكالة رويتر في موسكو قدم ستالين الاسباب التالية لحلها (تسهيل القيام بحملة جماعيه لجميع الامم ضد العدو المشترك، تكذيب الدعاية الالمانية القائلة بان موسكو تريد التدخل في الشؤون الداخلية للدول ، تسهيل عمل الانصار في كل بلد ضد الفاشية...) المصدر : خطب ستالين نشر جمعية فرنسا - الاتحاد السوفياتي. الجزائر 1943 (بالفرنسية).

(2) جرت العادة على تقسيم تاريخ الاممية الى فترتين ، الاولى تمتد حتى صعود هتلر (1919 / 1933) و الثانية فترة الجبهة المعادية للفاشية (1935 / 1943).

المؤتمر التاسيسي
للاممية الشيوعية (مارس 1919)

شهدت الثلاثة اشهر الاولى التي سبقت المؤتمر الاول من سنة 1919 بداية او تواصل عدة انتفاضات وطنية في كل من الهند و الصين و تركيا و مصر و تحركات للنخبة الوطنية في تونس كما راينا بهدف المشاركة في مؤتمر الصلح الذي افتتح اشغاله في قصر فرساي في جانفي 1919.

لكننا لا نجد صدى خاصا لهذه النضالات في المؤتمر الاول للاممية الشيوعية المنعقد بموسكو من 2 الى 6 مارس 1919. فالمسائل الاستعمارية لم يقع تناولها كنقطة منفردة في جدول الاعمال و حتى المناقاشات العامة لم تتناول مسالة المستعمرات الا بصفة غير مباشرة.

تعرض زينوفياف في تقريره لدور عصبة الامم التي اعتبرها مؤسسة راسمالية لا يمكن لها حل القضايا الاستعمارية و اقترح رفع شعار ،، الموت للاستعمار ،، (1).
اما تروتسكي فقد ذهب في تقريره الى ان ،، المستعمرات لا يمكن لها التوصل للاستقلال الحقيقي الا عن طريق الارتباط بالمركز الاوروبي ،، ... (2)

كما وقع تناول المسالة في اطروحات و بيانات المؤتمر، اذ اعتبر ميثاق الاممية ،، ان التعطش للارباح يدفع الراسمالية العالمية الى الصراع من اجل تملك اسواق جديدة و مصادر جديدة للمواد الخام

(1) Enrica Colloti Pischel Chiara Robert tazzi l'internationale communiste et les problèmes coloniaux (1919 - 1935), éditions Moutons Paris 1968, P.24
سنشير لهذا المؤلف بانريكا، الاممية الشيوعية و قضايا الاستعمار...

(2) انريكا الاممية... نفس المصدر . ص24

و يد عاملة رخيصة من العبيد المستعمرين ،، (1)
اما البيان الختامي للمؤتمر الاول فقد تعرض للوسائل التي يمكن للشعوب المستعمرة توخيها في كفاحها التحريري فبعد استعراض النضالات التي كانت تخوضها شعوب الهند و ايرلندا و مدغشقر يذكر البيان ،، ان المسالة الكولونيالية تطرح بكل اتساعها ليس فقط على البساط الاخضر لمؤتمر الديبلوماسيين في باريس بل في المستعمرات نفسها . ان هدف برنامج ولسن في احسن تقدير هو تغيير اسم الاستعباد الكولونيالي، ان تحرير المستعمرات لا يمكن تصوره الا اذا تم تحرر الطبقة العاملة في الدول المستعمرة (بالكسر) .(2)

و هكذا فان المؤتمر الاول للاممية الشيوعية و ان ابدى اهتماما بما يجري في المستعمرات من اضطهاد و كفاحات فانه طرح مسالة تحرر شعوبها بالارتباط مع الهدف الاساسي الموضوع على جدول اعمال الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية المتطورة.

كانت الاممية تعتقد ان الاستيلاء على السلطة السياسية لا يزال امرا واردا خاصة في البلدان المنهزمة ، و ذلك رغم فشل المحاولات التي تمت في كل من المانيا شهري نوفمبر - ديسمبر 1918و كذلك المجر.(3)

لقد ربط المؤتمر الاول تحرر المستعمرات بانتصار الطبقة العاملة و تمكنها من السلطة في الدول الاوروبية.

---

(1) بيانات و موضوعات الاممية الشيوعية المؤتمران الاول و الثاني (1919 1920) النصوص الكاملة ترجمة طلال الحسيني. دار الطليعة بيروت 1972 الطبعة الاولى ص 87.

(2) بيانات موضوعات المصدر السابق. ص 85

(3) تم اعلان الجمهورية السوفياتية بالمجر في شهر مارس 1919.

و هـذا الموقف (1)- رغم التعديلات التي سيدخلها عليه لينين و مندوبو المستعمرات في المؤتمرات الاحقة - سيبقى عالقا في اذهان العديد من قادة احزاب شيوعية اوروبية، وهو ينطلق من اعطاء الاولوية للمهمات التي تنتظر الطبقة العاملة في البلدان الصناعية و يوظف القضايا الاستعمارية لفائدة نضال الشيوعيين في المركز (METROPOLE) الا ان المؤتمر الثاني سيعطي اهمية اكثر لهذه المسالة و سيقع تدقيق الموقف منها خاصة في شروط الانخراط للاممية.

---

(1) يرى ماهر الشريف انه يمكن تبرير هذا الموقف نظرا لان الحركة التحريرية في المستعمرات و شبه المستعمرات لم تكن تظهر و كانها قادرة على لعب دور مهم في اطار العملية الثورية العالمية الهادفة الى القضاء على سلطة البورجوازية الاستعمارية. ماهر الشريف، الاممية الشيوعية و فلسطين (1919 / 1928) ابن خلدون، بيروت 1980، الطبعة الاولى ص 27.

المـؤتمـر الثـانـي

تجـذر طـرح المسالة الوطنـيـة

في المـؤتمـر الثاني للاممية الشيوعية الذي انعقد بين 17 جويلية و 7 اوت 1920 وقع تناول المسالة تحت عنوان ،، القضية القومية و الاستعمارية ،،كنقطة مستقلة في جدول الاعمال، و تمت مناقشتها يومي 25 و 28 جويلية 1920.

شهد المؤتمر حضور مندوبين من بلدان مستعمرة بعيدة نسبيا عن روسيا ، فبالاضافة لممثلي فارس و ارمينيا و تركيا و الصين الذين حضروا منذ المؤتمر الاول فقد حضر مندوب عن المكسيك و خاصة مندوب الهند م.ن.روا (M. N. ROY) (1) الذي سيكون له مساهمة خاصة فيما يتعلق بمسالة المستعمرات.

تعرض لينين في تقريره امام المؤتمر (يوم 26 جويلية) الى طبيعة القوى الاجتماعية و الحركات السياسية التي تناهض الاستعمار و اكد على ضرورة تصنيفها الى قسمين ،، الحركات الديمقراطية البرجوازية ، و الحركات الوطنية الثورية ، حيث يتحتم على الشيوعيين مساندة الوطنيين الثوريين شريطة ان لا يجابهوا الشيوعية و ان لا يعارضوا تنظيم الفلاحين حسب خطة ثورية ،، (2)

---

(1) (M. N. ROY) ولد في البنغال سنة 1891 من عائلة ميسورة ، تلقى دراسته العالية في علم الرياضيات، كان شديد المعارضة للحضور البريطاني في الهند ، لذلك قرر الهجرة للولايات المتحدة سنة 1915 ثم الى المكسيك كان له دور هام في الاممية الشيوعية من 1920 الى 1928 حيث تخصص في متابعة المسائل الاستعمارية قبل ان يغادر الحركة الشيوعية نهائيا .

(2) انريكا ، الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 31

لم يوافق روا على جزء من تقرير لينين و راى في تشديد هذا الاخير على ضرورة التثبت في طبيعة القوى الوطنية و امكانياتها نوعا من الاستنقاص لدورها ، لذلك اقترح مجموعة من الاطروحات المكملة دعى فيها الى توضيح العلاقة بين الحركة العمالية العالمية من جهة و الحركات الثورية في البلدان المستعمرة من جهة اخرى. كما اعتبر ان المرابيح التي تستخرجها البرجوازية من المستعمرات تلعب دورا هاما في المحافظة على النظام الراسمالي في المركز لذا يصعب استيلاء البروليتاريا على السلطة اذا ما بقيت الهيكلة الاستعمارية على حالتها. (1)

و في خاتمة اطروحاته ينتهي روا الى نتيجة معاكسة تماما لما ذهب اليه تروتسكي في المؤتمر الاول، و يؤكد على ،، ان انهيار الهيمنة الاستعمارية و الثورة العمالية في المركز يؤديان للقضاء على النظام الرسمالي في اوروبا ،، (2)

---

(1) انريكا ، الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 31

(2) نفس المصدر و الصفحة .
اورد ماهر الشريف فيكتابة الاممية الشيوعية و فلسطين، المصدر السابق ص 33 فكرة روا بشكل اوضح دون ان يذكر المصدر حيث يذهب الى ان المندوب الهندي صرح ،، ان مستقبل الثورة في الغرب مشروط فقط بدرجة تطور قوى الحركة الثورية في البلدان المستعمرة ،،

ان هـذا الطـرح العالم ثالثي (Tiers Mondiste) المبكر الذي يربط الثورة العمالية التي ،، كانت على الابواب، بنضال الشعـوب المستعمرة التي كانت تشهـد اولى مراحـلهـا، ستعتـبر نشازا امـام ممثلـي الاحـزاب الشيوعيـة الاوروبيـة الذين كـانوا يعتـقـدون ان الاستيلاء على السلطـة امـرا وشيك الوقـوع و ان كـل الظـروف الذاتيـة و بالخـصوص الموضوعيـة متوفـرة لذلك (1)

و رغـم محـاولة لينيـن لاخـذ بعين الاعتبـار مـا جـاء في تـدخـلات المنـدوب الهنـدي، الا ان المهمـة المركزية بقيتالحفاظ على الثورة المنتـصرة في روسيـا و الاستيـلاء على السلطـة في البلدان الراسماليـة حيـث تؤكـد النقطـة الخامسـة ،، الموضوعات حـول المسالة الاستعـمارية،، ان الوضع السياسي العالمي الراهـن يطرح ديكتاتوريـة البرولتياريـا على جـدول الاعمال(2)

و قـد تـم في المؤتمـر الثـاني صـيـاغـة شروط الانضمام للامميـة الشيوعيـة حيـث تم تخـصيص النقطـة الثـامنـة لقضيـة المستعمرات وهي تـضع حـدا لكل تـردد فيما يتعلق بدور المستعمرات و شرعيـة كفـاح شعـوبهـا الذي ابداه ممـثل الاشتراكيـين الايطاليـين سيراتـي(3)

---

(1) اثـارت اطروحات المندوب الهندي ردودا مختلفة حيث اعتبرها مندوب فارس سلطان زداه مثالية، اما مارينغ (ممثل الهند الهولندية) فقد ذكر انه لا يوجد تناقض بين اطروحات لينين و روا. (انريكا : الاممية المصدر السابق ص33) و قد تصدى لينين لوجهات نظر روا و اعتبر ان هذا الاخير ذهب بعيدا جدا في تحليله، (ماهر الشريف، المصدر السابق ص 33).

(2) بيانات مقررات موضوعات الاممية. المصدر السابق. ص 206.

(3) سيراتي هو احد زعماء الحركة الاشتراكية الايطالية منذ مطلع القرن الحالي اعتبر ان الاطروحات التي قدمها كل من لينين و روا، وسطية انتهازية،، و اكد على ان التحرر الحقيقي للشعوب المضطهدة لن يتحقق الا بعد انتصار الثورة البرولتيارية في اوروبا و اضاف انه لا يمكن للطبقة العاملة ان تدعم حركات التحرر خوفا من ان تفقد مواقعها و توجهاتها الطبقية. انريكا ، الاممية الشيوعية .ص 132و كذلك ماهر الشريف المصدر السابق ص 37.

توكد النقطة الثامنة ،، في مسالة المستعمرات و القوميات المضطهدة،على الاحزاب في البلدان التي تمتلك فيها البرجوازية مستعمرات او تضطهد قوميات اخرى ان تمتلك خط عمل واضح و نقي بشكل خاص، و على كل حزب منتم الى الاممية الثالثة واجب الفضح دون شفقة لاعمال امبريالي بلاده في المستعمرات و الدعم بالفعل و ليس بالكلام لكل نضال في المستعمرات و طرد الامبرياليين من المستعمرات و تغذية المشاعر الاخوية في قلوب شغيلة البلاد ازاء السكان الكادحين في المستعمرات و القوميات المضطهدة و القيام بين جنود البلاد الامبريالية بتحريض مستمر ضد كل اضطهاد للشعوب المستعمرة ،، (1)

و قد اعلن زينوفياف باسم المكتب التنفيذي للاممية عن مشروع عقد مؤتمر لممثلين عن الشعوب المضطهدة في شهر سبتمبر 1920 في مدينة باكو.

---

(1) بيانات و موضوعات الاممية... المصدر السابق ص 106،
شروط قبول الاحزاب في الاممية الشيوعية المصادق عليها من طرف المؤتمر الثاني للاممية.

المـؤتـمـر الاول لشـعوب الـشرق

باكو 1 / 8 سبتمبـر 1920

حضر المؤتمر 1891 مندوبا اغلبهم من الفرس و الافغان و الاتراك و الصينيين و خاصة مندبين عن مستعمرات روسيا في العهد القيصري و لم يحضره الا ثلاث عرب.

كان المكتب التنفيذي للاممية الشيوعية قد اصدر في بداية شهر جويلية 1920 نداء للدعوة لعقد المؤتمر (1)، تمحور حول العلاقات بين الثورة العمالية و النضال المعادي للاستعمار و تراس اشغاله زينوفياف امين عام الاممية ، و صادق المشاركون على بيان موجه لاستنهاض الشعوب المستعمرة للنضال ضد الاستعمار و تقرير مصيرها.

سعى البيان الختامي لاستعمال المفهوم الديني للحرب المقدسة وهو يبدو موجها بالخصوص للشعوب الاسلامية. ،، ... يا شعوب الشرق، لقد سمعتم من حكامكم الدعوة للحرب المقدسة، لقد سرتم وراء راية الرسول الخضراء... و لكن هذه الحروب المقدسة لم ينتفع بها الا حكامكم... الان ندعوكم للحرب المقدسة الحقيقية وراء الراية الحمراء للاممية الشيوعية... انهضوا ايها العرب و الافغان التائهين في الصحاري و المقطوعين عن العالم من طرف الانقليز. انها الحرب المقدسة لتحرير شعوب الشرق حتى لا تكون

---

(1) - Maxime Rodinson, Marxisme et monde musulman aux Editions du Seuil. Paris 1972 P. 471.

جاء في النداء بالخصوص ،، ... يا عمال و فلاحي الشرق اذا ما تنظمتم اذا ما تسلحتم مع الجيش الاحمر و فلاحي روسيا، ستستطيعون مواجهة الراسماليين الانقليز و الفرنسيين و تتمكنوا من التخلص منهم....،،

.../...

الانسانية منقسمة بين مضطهدين(بالفتح) و مضطهدين (بالكسر). (1)

كانت انعكاسات هذا المؤتمر متفاوتة حسب البلدان، لا شك انه ساهم في توطيد العلاقة بين الشيوعيين الروس و النخب المستنيرة في المستعمرات السابقة لروسيا القيصرية. اما في البلدان العربية العربية فانه لم يحدث تغييرا يذكر(2) في محتوى او توجهات الحركات الوطنية التي بقيت في معظمها مشدودة الانظار الى نتائج مؤتمر الصلح بفرساي و الوعود التي كانت تلوح بها كل من فرنسا و انقلترا.

و مهما يكن من امر فان المؤتمر كان تجسيدا اوليا للمبادئ الجديدة التي اعلنتها الاممية الشيوعية و المتعلقة بالنضال من أجل التحرر الفعلي للمستعمرات، و سيعمل مؤتمرها العالمي الثالث على تعميق هذا التوجه.

---

(1) رودنسون، الماركسية و العالم الاسلامي، المصدر السابق ص 473.
اورده عن نشرة ،، مؤتمر شعوب الشرق،، الصادرة في تيروغراد 1921. و معلوم ان محاولات توظيف الدين من طرف الماركسيين في العالم الاسلامي ستتعدد و تتخذ اشكالا متنوعة نذكر حرب الريف 1925 ، النضال ضد الفاشية (البطل المسلم عمر المختار) المؤتمر الافخارستي و التجنيس بتونس

(2) ارشيف الحكومة التونسية ، تقرير بتاريخ 10 اكتوبر 1920 يذكر ان الشباب التونسي كانوا يناقشون مقررات مؤتمر باكو و يتابعون اخباره.

المؤتمر الثالث للاممية

الجبهة المعادية للامبريالية

انعقد المؤتمر الثالث بموسكو من 22 جوان الى 12 جويلية 1921 و لاول مرة نلاحظ حضور مندوبين عن البلاد العربية اذ حضر ممثل عن الحزب الشيوعي المصري، و مندوبان عن الحزب الشيوعي الفلسطيني.

لكن المسالة الاستعمارية لم تحظ بمكانة بارزة خلال المؤتمر اذ وقع ادراجها في النقطة الاخيرة من جدول الاعمال ، و تمت مناقشة عامة حولها يوم 12 جويلية - اليوم الاخير - دون ان يسبقها تقرير تمهيدي وهو ما اثار حفيظة المندوب الهندي روا (1).

لقد تركزالاهتمام خلال المؤتمر الثالث على تحليل الاوضاع الجديدة اذ اقرت الموضوعات ،،... ان الموجات الثورية التي عمت كل البلدان لم تستطع قلب الراسمالية العالمية و لا حتى الراسمالية الاوروبية... لذا تتساءل الاممية هل انه تم فعلا الدخول في فترة استقرار و تدعيم للراسمالية بعد فترات من الانتفاضات و الازمات السياسية...،، (2)

---

(1) انريكا، الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 63 رفض روا المشاركة في النقاش العام احتجاجا على عدم تخصيص وقت كافي للمسالة و اعتبر ان موقف المؤتمر اكثر رداءة من مواقف الاممية الثانية ، وقد سانده المندوب الفرنسي شارل اندري جوليان بقوله ،،... ان الثورة في الشرق ضرورية لانتصار الثورة العالمية ، لذلك يجب التنسيق بين الحركة الشيوعية و الحركات التحريرية في المستعمرات...،،

(2) - Manifestes; thèses et résolutions des quatres premiers congrès de l'internationale communiste (1919- 1923) librairie du travail 1934 réédition en fac.similé, François Maspéro 1975, P. 85.

سنشير لهذا الكتاب ببيانات المؤتمرات الاربع الاولى...

لم يعد مطروحا الاستيلاء مباشرة على السلطة عن طريق ثورات عمالية في اوروبا ، حيث اكد لينين ان الراسمالية قد دخلت في مرحلة ،، الاستقرار المؤقت،، و ان على روسيا ان تتعايش لفترة من الزمن مع بلدان اوروبا الغربية في محيط راسمالي.(1)

ان تغيير سمات الوضع العالمي سيحتم مهمات جديدة في الدول المستعمرة ، ان دعم الاتحاد السوفياتي سيمر ضرورة عن طريق النضال من اجل الاستقلال الوطني و انفصال المستعمرات عن الدول الامبريالية.

رغم ان السنوات 1919 ـ 1921 تميزت باظطرابات اجتماعية و سياسية في اوروبا ، جعلت الاممية تعتقد في امكانية حدوث تحولات ثورية فان ذلك لم يمنعها من رسم سياسة مغايرة لتلك التي سلكتها الاممية الثانية قبل الحرب فيما يتعلق بمصير المستعمرات اذ طرحت بوضوح حق الشعوب في الاستقلال و الانفصال.

كيف ستتقبل الاحزاب العمالية و الاشتراكية الاوروبية و فروعها في البلدان المستعمرة هذه التغييرات ؟كيف سيتفاعل الاشتراكيون بتونس مع هذا التحول الذي اخذ في التبلور خلال المؤتمرات الثلاثة الاولى للاممية.

---

(1) شهدت الراسمالية في اوروبا بداية من سنة 1921 فترة من الاستقرار بعد الصعوبات التي عقبت الحرب وهو ما جعل الاممية تغير تكتيكها و تركز على تقوية الاحزاب الشيوعية عن طريق ،، البلشفة ،، و اقتراح الجبهات الموحّدة مع الاشتراكيين و ستتواصل هذه السياسة حتى المؤتمر السادس 1928.

ب) الاشتراكيون بتونس امام ثورة اكتوبر و تاسيس الأممية الشيوعية (1919 / 1921)

كان اصدار بيان 30 نوفمبر 1919 من طرف الجامعة الاشتراكية بتونس و الذي وضحت فيه موقفها من المسالة الاستعمارية نابعا بالاساس كما راينا عن ضغوط داخلية ، ذلك ان موقف الاممية في مؤتمرها الاول (مارس 1919) من قضية المستعمرات لم يكن مبلورا بوضوح خاصة و انه ربط ،، تحرر المستعمرات بانتصار الثورة العمالية في اوروبا ،،.

ان النقاشات التي ستدور بين مناضلي الجامعة اثر تاسيس الاممية لن يكون محورها في الفترة (1919 /1921) متعلقا بموقف هاته الاخيرة من المستعمرات و طرق تحررها ، فالخلاف بين اعضاء الجامعة الذي سيطفو على صفحات جريدة ،، المستقبل الاجتماعي ،، خلال كامل سنة 1920 التي ستشهد في اخر ايامها انعقاد ،، المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي بمدينة تور كان متعلقا بالاساس بقضايا مثل البرلمانية و مسالة الانخراط العضوي في الاممية الثالثة او التحالف معها،وكذلك تقييم ثورة اكتوبر و ابعادها.

ان احصاءا اوليا للمقالات الواردة في الصحيفة الاشتراكية تجعل الملاحظ يعتقد و كان الاحداث تدور على ساحة اوروبية ، لكن مع بروز نشاط الحزب الحر الدستوري في النصف الثاني من سنة 1920 و وصول اخبار المؤتمر الثاني للاممية و خاصة شروط الانخراط فيها، فان المسالة الوطنية ستصبح احدى محاور النقاش و التعاطف معها، سيكون واضحا لدى التيار المنادي بالانضمام للاميمية الثالثة.

التحضير لمؤتمر سترازبورغ و بروز التيار المتعاطف مع الاممية الثالثة بتونس

في اواخر شهر فيفري 1920 دعي للانعقاد مؤتمر الحزب الاشتراكي الفرنسي في مدينة سترازبورغ (27 / 29 فيفري 1920) فكان على الجامعة الاشتراكية بتونس بوصفها هيكلا جهويا لهذا الحزب ان ترسل مندوبين عنها للمشاركة في اشغاله.

منذ بداية فيفري اعلنت صحيفة الجامعة (1) عن تاريخ المؤتمر الوطني و كذلك تاريخ انعقاد المؤتمر الجهوي بتونس لانتخاب المندوبين الذين سيمثلون الاشتراكيين بتونس في سترازبورغ، كما نشرت في نفس العدد اللوائح التي ستعرض للمناقشة و التصويت وهي تتعلق بالموقف الواجب اتخاذه تجاه الاممية الشيوعية التي وقع تاسيسها في مارس 1919(2).

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 5 فيفري 1920.

(2) نفس المصدر ... اللائحة الاولى معتدلة وهي من اعداد لجنة اعادة بناء الاممية (نزعة داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي دعت لترميم الاممية الثانية) نادت اللائحة ببعث كتلة من الاحزاب الاشتراكية الاوروبية تقيم علاقات تحالف مع الاممية الشيوعية دون الانضمام فيها.
اما اللائحة الثانية فهي من اعداد لجنة الاممية الثالثة (نزعة اقصى اليسار آنذاك) تدعو المناضلين للانضمام الفوري في الاممية الثالثة و قد تزعم هذا التيار بوريس سوفارين(Boris Souvarine) الذي ولد في مدينة كييف باكرانيا سنة 1893، انخرط في الحزب الاشتراكي الفرنسي سنة 1916، تحمس للانخراط في الاممية اثر بعثها و كان مديرا ،، للنشرة الشيوعية،،

لم يؤكد المؤتمر الجهوي للجامعة المنعقد يوم 15 فيفري 1920 التكهنات التي اوردتها ،، المستقبل الاجتماعي،، بخصوص حتمية حصول اللائحة المعتدلة على اغلبية الاصوات(1).

لقد اقرت اغلبية المندوبين في المؤتمر الجهوي اللائحة المطالبة بالقطيعة المباشرة مع الاممية الثانية،كما صوت ثلثي المندوبين لفائدة الانضمام الفوري في الاممية الثالثة.(2)

جسد المؤتمر الجهوي بوضوح بروز تيار قوي داخل الاشتراكيين بتونس مناصر للاممية الشيوعية و هذا التيار بدا يعبر عن نفسه منذ مطلع 1920. ففي مقال ،، دروس عن السوفيات،،صدر ،، بالمستقبل الاجتماعي (3)

---

(1) المستقبل الاجتماعي . 12 فيفري 1920، تكهنت الصحيفة ان اغلبية المندوبين في المؤتمر الجهوي سيوافقون بالاجماع على اللائحة المعتدلة.

(2) المستقبل الاجتماعي . 19 فيفري 1920 نشرت الصحيفة نتائج التصويت على اللوائح في المؤتمر الجهوي المنعقد يوم 15 فيفري حيث اقرت النيابات التسعة القطيعة مع الاممية الثانية، و صوتت 6 منها للانضمام الفوري في الاممية الثالثة و دعت 3 نيابات لنقاشات مسبقة مع الاممية.

(3) المستقبل الاجتماعي. 25 - 1 - 1920.

.../...

اشار روبار لوزون (1) الى ان الحزب الاشتراكي الايطالي و التيار الاشتراكي المستقل في المانيا قد حسما في مؤتمريهما ضد البرلمانية و اقرّا الطريقة السوفياتية (2) و لا بد للحركة الاشتراكية الفرنسية ان تسير في نفس الاتجاه .

ان السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح كيف حصل هذا التحول ضمن اعضاء الجامعة الاشتراكية بتونس و انتقالهم بداية 1920 من المواقف المعتدلة التي تميزوا بها خلال سنة 1919 و قبل الحرب الى التحمس الى الاممية الشيوعية ؟ و ما هي المعلومات التي وصلتهم عن الاممية و عن مؤتمرها الاول حتى يقررون التصويت على لائحة الانضمام الفوري منذ فيفري 1920. حتى نهاية 1919 لم تكن لدى الاشتراكيين في فرنسا فكرة

---

(1) روبار لوزون ، ولد سنة 1882 مهندس متخرج من مدرسة المناجم بباريس قدم الى تونس سنة 1912 رفقة زوجته المريضة بداء المفاصل ، شارك في الحرب الاولى رغم معاداته للحرب. انخرط سنة 1919 في الجامعة الاشتراكية بتونس و تحمس للانضمام للاممية الثالثة . سيصبح ابرز منشط للجامعة الشيوعية اثر بعثها، القى عليه القبض في فيفري 1922 . و بعد قضاء 8 اشهر في السجن اطرد من تونس في اوت 1922 و قد انضم في باريس سنة 1924 الى مجموعة ،، الثورة البرولتيارية ،، . توفي سنة 1976 (المصدر احمد بن ميلاد ، محمد علي... المصدر السابق ص 115).

(2) البرلمانية تعني الوصول للسلطة عن طريق التحصل على اغلبية في البرلمان و قد رفضت الاممية الشيوعية في البداية هذه الطريقة و اقترحت طريقة الاستيلاء على السلطة بواسطة المجالس العمالية و الفلاحية .

.../...

واضحة عما كان يجري في روسيا ، و يرجع ذلك لانقطاع الاتصالات بسبب الحرب ثم نتيجة الحرب الاهلية ، فالجريدة الفرنسية الوحيدة التي كانت تنشر بعض الاخبار المتفرقة هي (Le Populaire) (1)

لكن الامر سيتغير في بداية 1920 حيث ستتكون نزعة موالية للاممية الثالثة داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي ستسمي نفسها ،، لجنة الاممية الشيوعية ،، و ستتولى اصدار صحيفة اسبوعية ،، النشرة الشيوعية ،، (2) تحت اشراف بوريس سوفارين، و يبدو ان روبار لوزان كان على اتصال بهذا الاخير و سيتابع خطواته حتى اثر خروج سوفارين من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1924.

منذ جانفي 1920 اصبح الاشتراكيون بتونس على اطلاع على اخبار الثورة في روسيا بواسطة ،، النشرة الشيوعية ،، التي كانت تصدر في باريس اما محتوى هذه الاخبار فهي تتعلق بالخصوص بتعامل زعماء الثورة مع القضايا الداخلية مثل توزيع الارض على الفلاحين الفقراء و الاعتماد على السوفياتات (مجالس العمال و الفلاحين و الجنود) باعتبارها مصدر سلطة الكادحين و محاربتهم للبرجوازية و حتى الموقف الذي صدر عن المؤتمر الاول فيما يتعلق بالمستعمرات لم يكن ليصدمهم فهو يواصل نفس الاتجاه الاورو- مركزي اذ انه يربط - كما راينا - تحرر المستعمرات باستيلاء العمال على السلطة في اوروبا.

---

(1) Le Populaire كانت لسان حال النزعة الوسطية داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي و لم تكن شديدة الحماس تجاه الثورة الروسية اذ راى جزء من الاشتراكيين الفرنسيين انها ستضعف الحلفاء خاصة باعلانها الهدنة مع المانيا.

(2) النشرة الشيوعية Bulletin Communiste لسان حال النزعة الموالية للاممية الشيوعية بقيت بمفردها تنشر اخبار الثورة الروسية في النصف الاول من سنة 1920.

ان التيار المتعاطف مع الثورة الروسية سيتزعمه في تونس روبار لوزون الذي سيصبح المدافع المتحمس عنها على اعمدة ،، المستقبل الاجتماعي،، (1)

°

وسيجد لوزون معاضدة خاصة من طرف الشبيبة الاشتراكية التي تكونت في شهر فيفري 1920 (2) و كان اعضاؤها من اشد المتحمسين للاممية الشيوعية اذ سيسعون بسرعة الى تحويلها الى شبيبة شيوعية (3) كل هذه العوامل جعلت مؤتمر الجامعة الاشتراكية بتونس المنعقد في 15 فيفري 1920. يشهد بروز نزعتين احداها موالية للاممية الشيوعية و الاخرى معتدلة تريد ان تكون مواصلة للحركة الاشتراكية قبل الحرب، و سيتواصل التنافس بين التياران بمناسبة التحضير لمؤتمر تور (TOURS) الذي سينعقد في اواخر ديسمبر 1920.

---

(1) في شهر سبتمبر 1920 ، نشرت ،، المستقبل الاجتماعي،، سلسلة من المقالات عن الثورة البلشفية تبرر مختلف المواقف داخل الجامعة مما كان يجري في روسيا. انظر المستقبل الاجتماعي، 1920/9/12 و 1920/9/19 و 1920/9/30 و 1920/10/7 و 1920/10/21.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 8 فيفري 1920 اما احمد بن ميلاد ، المصدر السابق... ص 19 فيذكر ان تاسيسها يرجع الى اواخر 1919.

(3) في بيان صادر في ،، المستقبل الاجتماعي،، بتاريخ 19 اوت 1920 اعلن المكتب التنفيذي للشبيبة الاشتراكية بتونس رفضه الانصياع للهيمنة التي يريد فرضها عليه مكتب الجامعة الاشتراكية و اعلن موافقته على الدعوة لعقد مؤتمر يبت في مسالة الانخراط في الاممية الشيوعية.

اما البيان الصادر في المستقبل الاجتماعي بتاريخ 14 اكتوبر 1920 فيؤكد ان اغلبية الشبيبة الاشتراكية بتونس توافق على وسائل موسكو و تعلن انخراطها في الاممية الشيوعية ، اما احمد بن ميلاد فيذكر ان تحول الشبيبة الى شيوعية يرجع تاريخه الى 20 ماي 1920 (المصدر السابق ص 19)

.../...

التحضير لمؤتمر تور

و تفوق التيار الموالي للاممية الشيوعية داخل الاشتراكيين بتونس

سيشرع الاشتراكيون بتونس وسط عدة متغيرات سواء كان على الساحة التونسية او العالمية في التحضير لمؤتمر تور.

ان هذه المعطيات الجديدة ستؤثر في النقاشات الدائرة بينهم و المتعلقة بالانخراط في الاممية الشيوعية . فعلى المستوى التونسي شهد شهر فيفري - مارس 1920 ميلاد الحزب الحر الدستوري. الذي شرع في التعريف ببرنامجه و ذلك عن طريق ارسال الوفود سواء كان الى الباي (يوم 15 جوان 1920) او الى السلطات الفرنسية بباريس حيث تم ارسال اول وفد دستوري بعد تكوين الحزب خلال شهر جوان 1920.

و قد كان لهذه التحركات صداها على صفحات ،، المستقبل الاجتماعي،، (1) اذ كتب حسان القلاتي(2) معلقا على سفر الوفد الدستوري الاول الى باريس انه يتحتم على الاشتراكيين الاهتمام بقضايا الاهالي و عدم تركهم لوحدهم بدعوى ان الحزب الدستوري يريد طرد الفرنسيين من تونس

---

(1) المستقبل الاجتماعي، 17 جوان 1920 مقال حسان القلاتي . الوفد الدستوري في باريس

(2) حسان القلاتي ، محامي من اصل جزائري شارك قبيل الحرب الاولى في نشاط حركة الشباب التونسي، على اثر احداث الترامواي سنة 1912 وقع طرده من الايالة كما كان الشان بالنسبة لبقية قادة الحركة و لكن سرعان ما وقع السماح له بالعودة.
(علي المحجوبي... المصدر السابق ص 278).

و لم ينف القلاتي وجود هذا الاتجاه حيث ذكر انه في كل شعب هناك وطنيون متزمتون و لكنه اكد ان مساعدة الاشتراكيين للدستوريين هي الكفيلة بعزل مثل هذه الاتجاهات.(1)

امه روبار لوزان فقد سجل بدوره نمو الشعور الوطني لدى التونسيين و اعتبر انه من الطبيعي بحثهم عن ،، رمز وطني ،، يتعلقون به خاصة و انهم يتعرضون لهيمنة اجنبية لكنه نصحهم بالتعلق بكل ما هو تقدمي في الحضارة الاسلامية و اتخذ مثال ابن رشد كرمز وطني يتحتم على التونسيين السير في طريقه .(2)

كما اغتنم لوزان فرصة محاكمة الثعالبي (3) ليجدد مساندته لهذا المناضل ،، الشجاع، الباحث دوما عن الحقيقة و الذي انتهى الى المطالبة بحق التونسيين في ممارسة حقوقهم السياسية ... ،،

---

(1) حضر حسان القلاتي في النقاشات التي دارت في منزل علي كاهية في شهر فيفري 1920 و دافع على ضرورة اهتمام الوطنيين بالمسائل التي تتعلق بتسيير الشؤون اليومية للتونسيين و المطالبة بتحسين ظروفهم ، لكن اغلبية الحاضرين رفضوا هذه الفكرة، و معلوم ان القلاتي سيؤسس فيما بعد الحزب الاصلاحي باعانة من الجامعة الاشتراكية .

(2) المستقبل الاجتماعي ،، 15 جويلية 1920 مقال روبار لوزون ،، ابن رشد،،

(3) المستقبل الاجتماعي 14 نوفمبر 1920 مقال روبار لوزون ،، تحية الى الشاتمين،، تم ايقاف الثعالبي في فرنسا في اعقاب اقامة الوفد الدستوري الاول في باريس و ذلك بتهمة التامر ضد امن الدولة. و قد بقي سجينا حتى غرة ماي 1921 تاريخ صدور العفو عليه ،،وفي يوم 21 ماي 1921 انعقد المؤتمر الثالث للحزب الحر الدستوري الذي انتخب الشيخ الثعالبي رئيسا له.

.../...

لـقد ساهمت التطورات التي شهدتها الساحة التونسية في النصف الاول من سنة 1920 في بلورة النزعتين داخل الحركة الاشتراكية بتونس الا ان صائفة 1920 ستشهد حدثين على المستوى الخارجي سيكون لهما انعكاس بالغ الاهمية على توجهات الاشتراكيين بتونس .

فمن ناحية انعقد المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية فيما بين 17 جويلية و 7 اوت 1920 و الذي تناول كما راينا المسالة الاستعمارية و الموقف الذي يتحتم على المنخرطين في الاممية اتخاذه تجاه المستعمرات(1) .

و من ناحية اخرى شهدت الصائفة زيارة كلا من مارسيل كاشان(2) Marcel Cachin وفروسار(FROSSARD.) (3) الى روسيا و اقتناعهما بضرورة الانضمام الى الاممية الشيوعية . (4)

---

(1) تم نشر شروط الانخراط في الاممية الشيوعية على صفحات المستقبل الاجتماعي في ثلاث حلقات كان اولها يوم 31 اكتوبر 1920 ثم 4 نوفمبر و 11 نوفمبر 1920 (بعد حوالي 4 اشهر من صدورها)،،الانسانية ،، نشرتها يوم 8 اكتوبر 1920. اما في الجزائر فوقع نشرها بداية من 18 نوفمبر 1920.

(2) Cachin Gilles Marcel ولد في 20 سبتمبر 1869، استاذ مستشار بلدي في مدينة بوردو (1900 - 1906) عضو في الحزب الاشتراكي الفرنسي منذ بداية القرن انتمى الى هياته القيادية و انتخب مديرا لصحيفته المركزية ،، الانسانية،، منذ 1918.

(3) FROSSARD ولد في 5 ماي 1889،معلم ثم صحافي انتخب امينا عاما للحزب الاشتراكي منذ 1918.

(4) في مؤتمر سترازبورغ (فيفري 1920) اعيد انتخاب فروسار و كاشان كلا في منصبه و كانا ينتميان الى النزعة المعتدلة داخل المنادية باعادة بناء الاممية الثانية،اثر زيارتهما للاتحاد السوفياتي في صائفة 1920، اعلنا انسلاخهما (8 اكتوبر 1920) من تلك النزعة و اصبحت ،، الانسانية ،، تنشر اخبارا عديدة عن روسيا.

.../...

لقد تفاعل الاشتراكيون بتونس مع هذه الاحداث ففي حين عبّر فالنتين عن اختلافه الشديد مع الوسائل المتوخاة من طرف البلاشفة و اعتمادهم على الارهاب و الديكتاتورية كوسائل دائمة للاشتراكية (1) فان الاعداد الموالية من ،، المستقبل الاجتماعي،، تضمنت ردودا عنيفة على ما ذهب اليه فالنتين.

فاعتبر موريس نيكولا (2) ان تكوين البلاشفة لجيش احمر قوي يعد امرا مشروعا للدفاع عن ثورتهم. اما ديكتاتورية البروليتاريا فهي وسيلة ضرورية لتدعيم النظام الجديد الذي يخدم اغلبية الشعب ، لذلك ينهي مقاله بالتاكيد على حتمية الانضمام للاممية الثالثة.

و قد ساهم لوزون بدوره في الرد على فالنتين الذي راى في الثورة الروسية حركة معادية للاقطاع ليس للراسمالية ، و يعني ذلك انه لا يمكن تعميمها او التاثر بها ، فالحضارة الغربية - حسب فالنتين - قد انجزت تلك المهمات منذ زمن بعيد.

دافع لوزون عن البلاشفة مبرزا اهم الانجازات التي قاموا بها على طريق تركيز نظام اشتراكي، كما عرّف القراء بالقوانين المتعلقة بالارض التي اصدرتها الحكومة الثورية. (3)

---

(1) المستقبل الاجتماعي 12 سبتمبر 1920 مقال بقلم بيار فالنتين،، حول البلشفية ،،

(2) المستقبل الاجتماعي 19 سبتمبر 1920 مقال بقلم مورس نيكولا ،، في قلب البلشفية ،،.

(3) المستقبل الاجتماعي 30 سبتمبر 1920 مقال بقلم روبار لوزون ،، افتروا - افتروا ،،.

و اثر اطلاع الاشتراكيين بتونس على شروط الانخراط في الاممية في اكتوبر 1920 تناول النقاش ايضا الموقف من المستعمرات.
لقد عارض شارل فرانسيس فريي (1) بشدة النقطة الثامنة الداعية لمساندة الحركات التحررية في المستعمرات، و اعتبر ان هذه النقطة قابلة لجميع التاويلات و من ضمنها مساندة تمرد الاهالي لذلك فهو يرفضها.

كما اكد فريي ان الجامعة الاشتراكية بتونس كانت سبّاقة (2) للاهتمام بالمسالة الإهلية في وقت لم يكن احد يتحدث عنها في فرنسا وهي لم تنتظر ،، اوامر موسكو،، حتى تقوم بواجباتها المتمثلة في غرس مبادئ الحرية التي ستمكن التونسيين بصفة تدريجية من تسيير امورهم.

لقد شمل النقاش بين النزعتين جميع القضايا المحلية و العالمية وهو ما ساعد على بروز نظرتين على الاقل حاولت تلخيصهما اللوائح التي عرضت على المندوبين في مؤتمر تور و التي تمت مناقشاتهما قبل انعقاد المؤتمر.

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 28 اكتوبر 1920 مقال بقلم شارل فرنسيس فريي،، الاشتراكية الاستعمارية ،، Socialisme colonial

(2) المقصود هنا هي اللائحة الصادرة عن الجامعة الاشتراكية بتونس في مؤتمرها المنعقد بتاريخ 30 نوفمبر و التي تركز بالخصوص على واجبات فرنسا بتونس وهي تلخص، نظرية الاستعمار الايجابي،، التي دافع جوريس قبل الحرب وهي اكثر النظريات في الحركة الاشتراكية الفرنسية ميلا للاهالي و دفاعا عنهم.

.../...

و قصد التحضير لهذا المؤتمر ، انعقد مؤتمر جهوي للجامعة يوم 18 ديسمبر 1920 بمقهى فرنسا (1) عرضت فيه اللوائح الثلاث على التصويت الذي انتهى الى النتائج التالية :

الفروع	لائحة كاشان فروسار (2)	لائحة لونقي (3)	لائحة بلوم (4)
بنزرت	3	2	0
فري - فيل	4	0	0
حلق الوادي	1	3	0
سوسة	4	1	0
تونس	11	7	2
المجموع	23	13	2

و بما ان الحزب الاشتراكي قد حدد عدد نيابات الجامعة في المؤتمر الوطني بـ 9 فقد وقع توزيعها كالاتي : 6 لفائدة لائحة كاشان و 3 للائحة لونقي.

مرة اخرى يسجل انصار الانخراط الفوري في الاممية الشيوعية تفوقا،و قد كان لروبار لوزون دورا متميزا في تحقيق ذلك، بالاضافة لحركية عناصر الشبيبة الاشتراكية التي تحولت الى شيوعية منذ 10 اكتوبر 1920 و قررت

---

(1) المستقبل الاجتماعي 23 ديسمبر 1920.

(2) لائحة كاشان فروسار. كانت تنادي بالانخراط في الاممية الثالثة.

(3) لائحة لونقي، نادت بالانخراط لكن مع التبريث و اصراء نقاش (لونقي ولد في 10 ماي 1876 بلندن، عضو قيادة الحزب الاشتراكي الفرنسي)

(4) لائحة بلوم: نادت بالوحدة العمالية ضمن منظمة واحدة و يعني ذلك التمسك بالاممية الثانية و ترميمها . النص الكامل لهذه اللوائح يوجد في :
Le Congrés de Tours. Edition critique réalisée par Jean CHARLES, Jacques GIRAULT, Jean Louis Robert et D. TARTA KOVSKY Paris, Ed, Sociales 1980.

الانضمام للاممية الشيوعية تحت تاثير ابرز منشطيها موريس رامبو.(1)

فوضت الجامعة ممثلين عنها الى مؤتمر تور لتبليغ نتائج التصويت على اللوائح المعروضة هما المحاميان دوران انقليفيال و حسان القلاتي.(2)

---

(1) موريس رامبو ، ولد بتونس سنة 1903 من ابوين ينتميان لسلك التعليم تلميذ بارز في معهد كارنو، من باعثي الشبيبة الاشتراكية ، ثم عمل على تحويلها الى شيوعية قبل انعقاد مؤتمر تور. حوكم سنة 1922 من اجل مقال حول زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية ميلران الى تونس
درس الفلسفة في مدينة ليون حيث اصيب بمرض في الرئة اجبره على العودة الى تونس في اواخر 1924.
رغم المرض الذي الم به ، شارك بقلمه في دعم و مساندة حركة محمد على تحت اسم ،، الموجيك،، توفي في شهر افريل 1925.

(2) قرر المؤتمر الجهوي ارسال حسان القلاتي و كينيو . (المستقبل الاجتماعي 1920/12/23) لكن لا ندري لماذا تقرر تعويض هذا الاخير بانقليفيال.
صحيح انهما كانا كاشخاص مع لائحة لونقي و لكنهما كانا مكلفان بابلاغ نتائج التصويت الكاملة التي كانت لفائدة الانخراط الفوري و قد قاما بذلك بالفعل رغم معارضتهما الشخصية للانخراط في الاممية الثالثة.

انعكاسات مؤتمر تور على الحركة الاشتراكية بتونس و بعث الجامعة الشيوعية

صوتت اغلبية المؤتمرين في تور لفائدة الانخراط في الاممية الشيوعية ، و لم يكن ذلك ليفاجع احدا نظرا الى ان التصويت على اللوائح قد تم في المؤتمرات القاعدية للحزب قبل المؤتمر الوطني - كما كان الشان في تونس - وهو ما جعل النتيجة تكون معروفة قبل الوصول الى مدينة تور.

لكن المسالة المعقدة التي بقيت تشد انتباه المؤتمرين هي مصير الحزب الاشتراكي الفرنسي بعد هذا التصويت ، هل سيبقى موحدا ام سينقسم الى حزبين. (1)
حول هذه النقطة تردد المؤتمرون كثيرا و لم يتم الحسم الا بعد قراءة برقية وردت على المؤتمر من طرف زينوفياف نعت فيها لونقي زعيم المعتدلين بانه ،، عون للبرجوازية ،، (2)

و هكذا برز عقب المؤتمر حزبان ، الفرع الفرنسي للاممية العالمية (1398 نيابة في المؤتمر) و الفرع الفرنسي للاممية الشيوعية 3247 نيابة)

---

(1) Robert (Jean Louis) nouveaux éléments sur les origines du PCF in cahiers d'histoire de l'institut de recherches marxistes Nlle série N°3 , 1980 P.29

يذكر روبار ان يمين الحزب كان مقرا العزم على مغادرته لكن انصار الانضمام للاممية كانوا مقرين العزم على طردهم خاصة و انه كان مع الانضمام و لكن بشروط، ان هذا التردد هو الذي جعل زينوفياف يرسل البرقية للتاثير على المؤتمرين.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 13 جانفي 1921 مقال بقلم دوران انقليفيال ،، حول مؤتمر تور،، تاسف فيه لا على انضمام الاغلبية للاممية الشيوعية و لكن اخطار تقسيم الحزب التي اصبحت واقعا.

اثـــر عودته عـــبّر انقليفيال عن يقينـــه بان هذا الانقسام لن يكون نهائيا (1) اما Jean Desvignes. فقد كتب ،، ان الذي يجعل التوحد صعبا في الظروف الحالية هو تدخل موسكو في نشاط الاشتراكيين الفرنسيين،، لذلك فالهام هو اتجـاه الحزبين نحو العمل و على كل مناضل ان يختار بكل استقلالية الجامعة التي يريد النشاط فيها.

و قد اتخـذ بيار فالنتين ، اتجاها ،، توفيقيا،، حيث اكد على ضـرورة بقاء جريدة ،، المستقبل الاجتماعي ،، بعيدة على الانقسام ،، فمهما كان اختلافنا حول الامية فنحن متفقون على مواصلة العمل الذي بدانـاه في تونس منـذ ثلاث سنوات ،، (3)

سعـى مكتب الجامـعة الاشتراكية للسيـر في الاتجـاه ،،التوفيقي،، الذي اقترحه فالنتين حيث صدر ببان باسم الكاتب الجهوي يؤكد ان ،، الانقسام الذي حـصل في تـور يمكن تفاديه في تونس فاعـضاء الجامعـة الاشتراكية بتونس يخوضون نضالا يستدعـى تكاثف كل القوى الاشتراكيـة (4)

الا ان هذا المنحي ،، التوفيقي،، لم ينل موافقة التيار الشيوعي ، حيث عبر لوزون عن اعجابه بتسمية المنظمة الجديدة المنبثقة عن مؤتمر تـور ،، شيوعيـة،، لان كلمة اشتراكية وقـع الاساءة اليهـا كثيرا حتى ،، تكون اداة تحقق التحامنا بالجيش الثوري،،.(5)

---

(1) المستقبل الاجتماعي، 13/ 1921/1 مقال دوران انقليفيال اثر رجوعه من المؤتمر. المصدر السابق

(2) المستقبل الاجتماعي ،،1921/1/16 مقال ديفينـي. جامعة شيوعية و جامعة اشتراكية.

(3) المستقبل الاجتماعي ،، 1921/1/20 مقال بيار فلنتيـن،، فلنواصل،،.

(4) المستقبل الاجتماعي، 23 جانفي 1921 بيان صادر عن مكتب الجامعة الاشتراكية بتونـس

(5) المستقبل الاجتماعي، 10 فيفري 1921 مقال روبار لوزون بعنوان ،، الاممية الشيوعيـة ،،

و هكذا يبدو من المقال ان لوزون و مجموعته اتجهوا نحو الحسم ،، و تنقية ،، الجامعة من العناصر التي لا تريد الانضمام للاممية الشيوعية.

و بداية من العدد الصادر يوم 13 فيفري اصبحت افتتاحية ،، المستقبل الاجتماعي ،،تحمل امضاء روبار لوزان (1) كما وقع الاعلان عن مواعيد اجتماعات هيئة التحرير (2) و عنفتح مقر لفرع مدينة تونس (23 نهج انقلترا) (3) تابع للفرع الفرنسي للاممية الشيوعية ، كما وقع الاعلان عن قرب انعقاد مؤتمر للشيوعيين يحضره شارل اندري جوليان(4).

---

(1) المستقبل الاجتماعي،، نفس المصدر كانت افتتاحية الجريدة تمضي باسمها . و يبدو ان تحويل الامضاء باسم لوزون للايحاء بان الجريدة اصبحت تعبر عن التيار ،، الشيوعي.

(2) المستقبل الاجتماعي ،، 13 فيفري 1921 انعقد اجتماع عام لانصار الجريدة قرر تفويض الادارة السياسية للصحيفة الى هيئة تحرير تتكون من 9 اعضاء (4 من اعضاء التيار الشيوعي، 2 من النقابات العمالية، و 3 من الاشتراكيين الغير منتمين لتنظيم اشتراكي) و على اثر هذا القرار اعلن بيار فالنتين انسلاخه من الهيئة، و سينضم فيما بعد ،، لتونس الاشتراكية،،

(3) كان مقر الحزب الدستوري يوجد ايضا في نهج انقلترا

(4) شارل اندري جوليان ، ولد في 2 سبتمبر 1891 بمدينة كان ، قدم للجزائر وهو في الخامسة عشر من عمره. في مؤتمر سترازبورغ (فيفري 1920) عين مسؤولا عن الدعاية في افريقيا الشمالية. في مؤتمر تور ساند الانخراط في الاممية و اصبح مندوب الحزب الشيوعي الفرنسي في افريقيا الشمالية. بقي كامل شهر مارس 1921 في تونس

.../...

و في يوم غرة مارس 1921، صدر العدد الاول من ،، تونس الاشتراكية ،،(1)
و بذلك اصبح الانقسام بين النزعتين واقعا، حيث سينعقد يوم 27 مارس
1921 مؤتمر الاتجاه الشيوعي في مدينة فري - فيل و سينتخب مكتبا
جهويا سيشرف على نشاط الجامعة الشيوعية بتونس

---

(1) تونس الاشتراكية ،، صدر العدد الاول يوم 1 مارس 1921
كصحيفة اسبوعية باسم الجامعة الاشتراكية . و قد فسر هذا
القرار باستحالة مواصلة العمل ضمن ،، المستقبل الاجتماعي ،، التي
اصبحت لسان حال ،، حزب لسنا منخرطين فيه ،، مدير الجريدة دوران
انقليفيال.

الفصل الثاني

نشاط الجامعة الشيوعية بتونس

(مارس 1921 - جانفي 1926)

المحاولات المبكّرة للتونسة (1)

---

(1) اخذنا عنوان هذا الفصل عن العنوان الذي اعطته لبحثها الجيد الصديقة ليلى بليلي (بن تميم) عن الجامعة الشيوعية بتونس 1921 / 1922.

- Ben Témime Leila, la Fédération Communiste de Tunisie (1921 - 1922) un effort précoce de tunisification, mémoire de maitrise sous la direction Mme ROBERIOUX, Univertisté Paris VIII Octobre (1976) (rénéo typé).

يمكن اعتبار 27 مارس 1921 تاريخ البعث الرسمي للجامعة الشيوعية بتونس، رغم ان التيار الاشتراكي الموالي للاممية الشيوعية قد برز و تدعم في صلب الجامعة الاشتراكية خلال كامل سنة 1920 .

سنتتبع في هذا الفصل نشاط الجامعة منذ تكوينها في مارس 1921 حتى موفي جانفي 1926 تاريخ صدور القرارات الزجرية.

قامت الجامعة خلال هذه السنوات بمجهودات كبيرة للاتصال بالاهالي لنشر الافكار الشيوعية بينهم ، و كذلك حاولت التعبير عن طموحاتهم الوطنية و الطبقية وهو ما جعل قاليسو ينتهي الى استنتاج ان عمل النواة الشيوعية الاولى بتونس يعتبر انموذجا متميزا بالنسبة لعمل الشيوعيين في المستعمرات. (1)

سنركز على مجالين من نشاط الجامعة في تلك الفترة ،(2) موقفهما من المسالة الوطنية و علاقتهما بالاحزاب الاهلية ، ثم دور الشيوعيين في التجربة النقابية الاولى التي تزعمها محمد علي الحامي.

هذا النشاط و المجهود المبكر للتونسة و ان كان نتيجة لعمل اعضاء الجامعة ـ كما سنرى ذلك لاحقا ـ فهو ينصهر ضمن اطار عالمي.

---

(1) - Galissot (René) sur les débuts du Communisme en Algérie et en Tunisie in Mélanges d'histoire sociale. offerts à Jean Maitron, les éditions ouvrières . Paris 1976

(2) ذلك اننا نعتقد ان اعمال و بحوث كلا من ليلى بن تميم (المصدر السابق) و مصطفى كريم في Nationalisme et syndicalisme en Tunisie (1981/1929) Imprimerie de l'UGTT Tunis 1976.

قد تناولت باطناب الجوانب التنظيمية للجامعة في تلك الفترة انطلاقا خاصة من التقارير الموجودة بارشيف الحكومة التونسية.

فالمناضلون الشيوعيون في تلك الفترة كانوا مقتنعين
ان عملهم هو جزء من فكرة عالمية ، وان ما يقومون به هو تجسيد
لبرنامج حزب عمالي عالمي : الاممية الشيوعية .
لذلك سنتعرض لاهم التطورات التي شهدتها الاممية الشيوعية
و فرعها الفرنسي في تلك الفترة نظرا لارتباط الجامعة
الشيوعية بتونس العضوي بهاتين المنظمتين.

اولا . الامميـة الشيوعيـة و المستعمرات

(1926 - 1921)

انتهى المؤتمر الثالث للاممية (22 جوان / 12 جويلية 1921) الى استنتاج ان الاستيلاء على السلطة من طرف الاحزاب العمالية في اوروبا لم يعد مطروحا كمهمة عاجلة نتيجة دخول الراسمالية في مرحلة استقرار منذ بداية 1921. و كنتيجة لهذا التحليل ستركز الاممية عملها لاضعاف الدول الامبريالية عن طريق تنظيم نضال الطبقة العاملة في الدول الراسمالية، (1) وعلى تقديم دعم و مساعدة فعلية للشعوب المستعمرة لتحقيق استقلالها و انفصالها عن المركز.

لذلك سعى المكتب التنفيذي للاممية لتوسيع رقعة اهتمامه بالمستعمرات، فالقضية الاستعمارية لم تعد منحصرة في الشرق الاقصى والبلدان المتاخمة لروسيا، بل ستشمل ايضا المستعمرات الفرنسية، و قد بدا ذلك في دورته المنعقدة في اوائل 1922.

---

(1) تركزت اشغال المؤتمر الثالث على القضايا التنظيمية و على توضيح مناهج عمل الاحزاب الشيوعية الاوروبية، كما اقر المؤتمر بعث منظمة نقابية دولية ،، الاممية النقابية الحمراء،، لمحاربة نفوذ نقابة امستردام التي كانت تحت تاثير الاشتراكيين و في نفس الوقت صادق المؤتمر على تكوين اممية للشباب الشيوعي، و نظر في العمل في الاوساط النسائية. (بيانات المؤتمرات الاربع الاولى... المصدر السابق)

.../...

أ) دورة المكتب التنفيذي (21 فيفري / 4 مارس 1922)

اكدت اعمال الدورة على ضرورة الاهتمام و دعم نضال جميع المستعمرات و اوصت جميع الاحزاب الشيوعية الاوروبية ، بتقوية فروعها في المستعمرات التي تتبع دولها .

الا ان هذه الدورة لم تخرج بتوصيات عملية و اقتصر تجسيد السياسة الجديدة على التوجه لشعوب المستعمرات بنداءات تدعوها فيها للتحرر من الهيمنة الاجنبية (1)

و في هذا الاتجاه صدر اول نداء توجهت فيه الاممية مباشرة الى العمال الفرنسيين و التونسيين و الجزائريين(2).

جاء في هذا النداء بالخصوص : ،، ان رئيس الجمهورية الفرنسية ، ذلك الرجل الذي بامكانه ان يطمح بكل مشروعية الى لقب اول اشتراكي خائن... قد زار مؤخرا الممتلكات الشاسعة للامبريالية الفرنسية في افريقيا الشمالية... ان هذا الاشتراكي الخائن قد امر بقمع حركة التحرر الاهلية و ملاحقة و سجن الشيوعيان لوزون و الكافي و غيرهم..

ان الاممية الشيوعية تحيّ الرفاق الفرنسيين و الاهليين الملاحقين او المعتقلين... وهي تحيّ الجامعة الشيوعية بتونس والحزب الشيوعي الفرنسي اللذان يخوضان نضالا ضد الاضطهاد ... ،،

---

(1) SIVAN (Emmanuel) Communisime et nationalisme en Algérie. Presses de la 1920/1962) fondation nationale des sciences politiques 1976. P 24
سنشير لهذا المؤلف بسيفان ، الشيوعية و القومية في الجزائر.

(2) نداء المكتب التنفيذي الموسع للاممية الشيوعية تحت عنوان ،، من اجل تحرير الجزائر و تونس، بتاريخ 20 ماي 1922، و قد اوردته ،، المراسلات الدولية ،، عدد 44 لسنة 1922 وهي نشرة اسبوعية تصدر عن الاممية باللغة الفرنسية.
كما اورده محي الدين الحضري في ملحق كتابه ص 202
Mohieddine HADHRI l'URSS et le Maghreb de la révolution d'octobre à l'indépendance de l'Algérie (1917/1962) éditions l'Harmattan 1985.

رغم ان النص كان موجها بصفة عامة لشعوب شمال افريقيا المضطهدة من طرف الاستعمار الفرنسي ، فان محتواه ارتبط خاصة بالاحداث التي شهدتها تونس في ربيع 1922 (زيارة الرئيس ميلران و ما سبقها من غليان شعبي و مظاهرات لمساندة الباي على اثر اعتزامه التنازل على العرش يوم 3 فيفري 1922).(1)

و قد جسم صدور هذا النداء خطوة جديدة في توسيع رقعة اهتمام الاممية الشيوعية بالمستعمرات البعيدة عن روسيا ،و رغم محدودية توزيعه فقد اثار حفيظة و سخط الاوساط الاستعمارية في تونس و في باريس (2)
كما ان هذا النداء المساند بكل وضوح لتحرير شعوب تونس و الجزائر قد اثار ردود فعل متناقضة لدى الشيوعيين انفسهم.

اول رد فعل كان مصدره الفرع الشيوعي بسيدي بلعباس (بالجزائر) حيث اصدر لائحته الشهيرة يوم 27 جوان 1922 (3)

---

(1) قرر الباي محمد الناصر التنازل عن العرش احتجاجا عن نشر تصريحات نسبت اليه على صفحات جريدة باريسية ،، LE PETIT JOURNAL ،، الصادرة يوم 22 مارس 1922. وقد ادعت الصحيفة ان الباي عبّر لها عن اختلافه الشديد و معارضته للدستوريين و للشيوعيين ، انظر علي المحجوبي ، اصول الحركة الوطنية... المصدر السابق بداية 280.

(2) وقع التعرض الى هذا النداء في مداولات مجلس النواب الفرنسي حول الاصلاحات المزمع ادخالها بتونس (صائفة 1922) و كذلك على اعمدة الصحف الاستعمارية ، انظر الحضري، الاتحاد السوفياتي و المغرب،... المصدر السابق ص. 28 و 29

(3) تم نشر نداء الاممية في ،، المراسلات الدولية ،، يوم 6 جوان 1922 اول رد فعل صدر عن فرع سيدي بلعباس يوم 27 جوان 1922. انظر سيفان الشيوعية و الوطنية في الجزائر . المصدر السابق ص 25

التي ،، اعتبرت ان انتفاضة الجموع الاسلامية الجزائرية في الظروف الراهنة ستكون حماقة خطيرة لايمكن للجامعات الشيوعية المشاركة فيها خوفا من محاكمة التاريخ الشيوعي...،، (1)

أما الجامعة الشيوعية التونسية فستعبر عن مساندتها لعمل الاممية و ستفضح هذا، السلوك الاستعماري،، و تحتج على موقف الحزب الشيوعي الفرنسي المتردد و ذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية.

---

(1) ترجمنا النص الفرنسي الذي اورده سيفان .

ب) المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية : الاهتمام بعمل الحزب الشيوعي الفرنسي في المستعمرات.

انعقد المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية بموسكو بين 7 نوفمبر و 5 ديسمبر 1922 و قد وقع تناول المسالة الاستعمارية في النقطة السادسة من جدول الاعمال و تمت مناقشتها يومي 22 و 23 نوفمبر 1922.

شارك في اشغال المؤتمر - و لاول مرة - مندوب عن الجامعة الشيوعية بتونس وهو الطاهر بودمغة ، (1) ضمن الوفد الفرنسي

قدّم روا تقريرا للمناقشة العامة قسم فيه البلدان المستعمرة الى ثلاثة اصناف و ذلك انطلاقا من مدى تطور قوى الانتاج داخلها ، كما تعرض الى خاصيات القوى الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع المستعمر، حيث استنتج الدور المتناقض ، الايجابي و السلبي الذي يمكن ان تلعبه البرجوازية ، و انتهى في تقريره الى حتمية مساندة الشيوعيين للحركات الوطنية المعادية للامبريالية .

تدخل الطاهر بودمغة في المناقشات العامة ، فتعرض ،،للعلاقة بين الاستيلاء على السلطة في المركز الاوروبيو الثورات الوطنية في المستعمرات، و اكد ان الامبرياليين يوظفون عائدات مستعمراتهم لقمع الحركة الثورية في المركز.

---

(1) الطاهر بودمغة ولد في نهاية القرن الماضي، موظف بريد في باب المنارة ، حيث بعث نقابة تابعة للجامعة العامة للشغل سنة 1920. انخرط في الجامعة الشيوعية سنة 1921 ، و حضر في مؤتمر الجامعة الشيوعية بحلق الوادي ديسمبر 1921، اثر عودته من موسكو اطرد من عمله. لن يكون له اي دور يذكر في بعث جامعة عموم العملة التونسية ، و في سنة 1926 تذكر التقارير انه أصبح يتحاشى اي نشاط يمكن ان يجعله عرضة للتعسف.

وقد هاجم بودمغة الاطروحة التي مازال يتبناها بعض قادة الحزب الشيوعي الفرنسي و القائلة بان الثورة العمالية في فرنسا هي وحدها القادرة على تحرير المستعمرات ، ....، انه يتحتم على الحزب الشيوعي الفرنسي تنظيم نشاطه في شمال افريقيا و التخلي عن جميع مظاهر ،، الانتهازية ،، و عن دعم ما يسمون ،، بشيوعي الجزائر ،، ان حركة الجامعة الاسلامية قوة ثورية و لا يمكن تجاهلها ... ،، (1)

ان هذا التدخل يعكس التفكير السائد لدى اعضاء الجامعة بتونس و القناعات التي توصلوا اليها بعد سنتين من التجربة :

- أ. رفض الافكار التي سادت حتى المؤتمر الثالث للاممية (1921) و التي ترى ان تحرر المستعمرات سيكون نتيجة لاستيلاء العمال على السلطة في اوروبا.

- ب. تنديد بتقصير عمل الحزب الشيوعي الفرنسي في المستعمرات و عدم اقتناعه الفعلي باطروحات الامية فيما يتعلق بطرق تحرر المستعمرات. (2)

---

(1) انريكا ، الامية الشيوعية و قضايا الاستعمار... المصدر السابق ص 95 و قد اوردتها عن ،، النشرة الشيوعية ،، بتاريخ 1923.1.12 كما اورد محي الدين حضري، الاتحاد السوفياتي و المغرب... المصدر السابق ص 30 مقتطفات من تدخل بودمغة.

(2) كما سنرى ذلك لاحقا فان النشاط الحثيث الذي قامت به الجامعة الشيوعية بتونس كانت بالاساس نتيجة عوامل موضوعية و ذاتية داخلية و ليس نتيجة تعليمات من الحزب الفرنسي الذي لم يحدد بعد سياسة واضحة في هذا المجال.

- ج. رفض لمواقف الشيوعيين في الجزائر و تنديد بالعقلية الاستعمارية السائدة لديهم، وهو نفس الموقف الذي عبّر عنه لوزون حين اعتبر نشر موقف ،، جماعة بلعباس، على صفحات ،، الانسانية،، عارا (1)

- د. ان الجامعة الشيوعية بتونس حاولت تجنيب الاممية اتخاذ موقف انعزالي سلبي تجاه الجامعة الاسلامية، خاصة و ان الحركة الوطنية التونسية و المعادية للاستعمار الفرنسي كانت متاثرة الى حد ما بفكرة الجامعة الاسلامية رغم ان هذه الاخيرة ضعفت اثر الحرب. (2)

ه

ساهم تدخل بودمغة في دفع عمل المؤتمر الذي ركّز جزءا من اشغاله لتقديم توضيح اكثر جراة و تدقيق فيما يتعلق بهدف نضال المستعمرات و المتمثل فالاستقلال السياسي (3)

و من جهة اخرى فان اثارة المندوب التونسي لنقائص عمل الحزب الشيوعي الفرنسي ستساهم ايضا في جعل المؤتمر ينكبّ على وضع خطة عمل و برنامج لهذا الحزب.

---

(1) النشرة الشيوعية ،،عدد جانفي 1923 ، اورد ذلك كلود ليوزي اصول العالم ثالثية ... المصدر السابق ص 17.

(2) على المحجوبي ، اصول الحركة الوطنية ... المصدر السابق ص 190، يذكر ان الشباب التونسي الذي كان في المهجر اثناء و بعد الحرب الاولى كان مرتبطا بحركة الجامعة الاسلامية، و قد كان لهؤلاء تاثيرا قويا على الزعماء في الداخل.

(3) الاربع مؤتمرات الاولى للاممية ... المصدر السابق ص 175، حيث تؤكد الموضوعات ،، ... ان هدف الاحزاب الشيوعية في البلدان المستعمرة هو الحل الجذري لقضية الثورة الديمقراطية ، البرجوازية و في مقدمتها التحصل على الاستقلال السياسي دون اهمال المطالب الخصوصية للعمال و الفلاحين ...،،

صادق المؤتمر على لائحة حول المسالة الفرنسية ، وقع التعرض فيها للازمة الداخلية الحادة التي يمر بها الحزب و لفت نظر الشيوعيين الفرنسيين الى اهمية النشاط و الدعاية في المستعمرات و ضرورة التباين مع موقف جماعة بلعباس ،، الذين تحت غطاء جمل ثورية يتبنون مواقف رجعية مساندة للهيمنة الاستعمارية (1)

كما اقر برنامج عمل الحزب الشيوعي الفرنسي، اذ تؤكد النقطة الثامنة المتعلقة بالمستعمرات انه ،، يتحتم على الحزب بعث هيكل مختص تابع للقيادة يعني بمتابعة العمل الشيوعي في المستعمرات الفرنسية. ،،.(2)

و هكذا بعد سلسلة من التوضيحات اصبحت الاممية الشيوعية تطرح الاستقلال السياسي كهدف لنضال المستعمرات، لكن هذا التوضيح هل سيصبح نافذ المفعول بمجرد صدوره ؟ و هل سيشرع الفرع الفرنسي في تطبيقه مباشرة؟ لذلك سنتعرض لمختلف التطورات التي شهدتها مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي من المسالة الفرنسية منذ تكوينه حتى سنة 1924.

---

(1) الاربع مؤتمرات للاممية... المصدر السابق ص 198

(2) نفس المصدر ص 205.

ثانيا. الحزب الشيوعي الفرنسي

و القضية التونسية (1920 / 1924) اهتمام ثانوي

تركز اهتمام النواب في المؤتمر الثامن عشر للحزب الاشتراكي الموحد بمدينة تور على مسالة الانخراط في الاممية (S F I O) الشيوعية و مصير الحزب الاشتراكي بعد المؤتمر ، لذلك لم تقع اثارة المشكلة الاستعمارية في المناقشات الا من طرف ثلاث نواب وهم بول فيان كوتيري و شارل اندري جوليان و نقويان اي كوك (هو شى منه) و ثلاثتهم سيكون لهم دورا هاما في معاداة الاستعمار في المستقبل (1)

و رغم موافقة نواب الجزائر على الانضمام للاممية الثالثة فانهم سيسارعون الى توضيح موقفهم بعد المؤتمر اذ كلفوا المندوب الدائم شارل اندري جوليان بالتحذير من اخطار انتفاضات الاهالي (2)

و بعد سنتين من مؤتمر تور بقى شيوعيو الجزائر على موقفهم المناهض للنقطة الثامنة من شروط الانخراط حيث اعتبرت اللائحة الصادرة عن المؤتمر الفيديرالي لشيوعي الجزائر يوم 22 سبتمبر 1922 ،، ان الدعوة لاستقلال شمال افريقيا خطوّ فادح...،، (3)

---

(1) لازلوناجي (LASZLO NAGY) الاممية الشيوعية و المغرب، مداخلة في ملتقى التاريخ حول ،، الاستعمار في العالم العربي،، الذي نظمه مركز الدراسات و الابحاث الاقتصادية و الاجتماعية تونس 3 / 8 اكتوبر 1983 (غير منشور)

(2) الانسانية ،، (L'HMANITE) 1 و 7 جانفي 1921 مقالان لشارل اندري جوليان حول فهم شيوعي الجزائر لتصويتهم على الانضمام للاممية الثالثة

(3) ،، النشرة الشيوعية ،، (Bulletin Communiste) 7 و 14 ديسمبر 1922 انظر كذلك.

ان هذه المواقف تبرز بوضوح ان انضمام الاغلبية في مؤتمر تور الى الاممية الشيوعية لم يكن مبنيا على قناعات عميقة بكل ما جاء في شروط الانخراط، ذلك ان العوامل الداخلية الفرنسية هي التي رجحت بالاساس الكفة لفائدة الانضمام (1) .

ان هذا الوضع سيحتم على الحزب الشيوعي الفرنسي القيام بحملات توضيحية كبيرة لتوعية منخرطيه اولا ، ثم الطبقة العاملة الفرنسية باهداف الاممية فيما يتعلق بمساندة نضال الشعوب المستعمرة.

لذلك ستتميّز سنتي 1921 و 1922 ببروز مواقف متناقضة و لن تاخذ مواقف الحزب طريقها نحو الوضوح الا اثر تكوين لجنة الدراسات الاستعمارية.

لجنة الدراسات الاستعمارية (1921 / 1924)

لم يكن بعث لجنة الدارسات الاستعمارية المرة الاولى التي سوّس فيها هيكل من هذا النوع ، اذ سبق ان وقع تكوين ،، لجنة قضايا الاستعمار ،، تابعة للحزب الاشتراكي الفرنسي

---

(1) - Robert (Jean Louis) nouveaux éléments sur les origines du PCF cahiers d'hitoire de l'IRM N° 3. 1980

يتعرض روبار الى اطروحة قريقل حول اصول الشيوعية في فرنسا التي اكدت فيها ان اهم العوامل التي تفسر تصويت الاغلبية في المؤتمر على لائحة الانضمام للاممية هي : (فشل الحركة العمالية الفرنسية في انتخابات نوفمبر 1919، فشل اضرابات ماي 1920، تواصل حالة غليان ثوري في النصف الثاني من سنة 1920 في المستوى الاوروبي و هذا ما جعل الاشتراكية الفرنسية توجه انظارها نحو الاممية الشيوعية كهيئة ثورية خارجية بامكانها مساعدتها على حل مشاكلها الداخلية.).

بداية من 1918 لكن لم يكن لهما اي دور يذكر و لم تساهم في تحضير مؤتمر تور عن طريق تقديم مشاريع لوائح تتعلق بالمسالة الاستعمارية (1)

من ابرز منشطي اللجنة الجديدة (2) شارل اندري جوليان و بول فايان كوتيري اللذان كانا ضمن الوفد الفرنسي للمؤتمر الثالث للاممية المنعقد بموسكو في جوان - جويلية 1921 وقد سبق ان راينا كيف تدخل ش.أ. جوليان لمساندة المندوب الهندي روا الذي احتج على عدم تخصيص نقطة مستقلة تتعلق بالمستعمرات في جدول الاعمال.

لم يكن لهذه اللجنة في البداية نشاطا كبيرا اذاقتصر عملها على المبادرات الفردية للمنشطين (3) و قد قدمت تقريرا للمؤتمر الاول للحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في مرسيليا بين 26 و 31 ديسمبر 1921 لم تقع حتى مناقشته (4).

---

(1) ناجي ، الاممية و المغرب. المصدر الشابق.

(2) تم تنظيم اللجنة بداية من شهر اوت 1921 اثر عودة الوفد الفرنسي من موسكو ، انظر اجرون . السياسات ، المصدر السابق ص 201

(3) قام شارل اندري جوليان بزيارة الى تونس خلال شهر مارس 1921 اختتمها بالاشراف على مؤتمر الجامعة الشيوعية يوم 27 مارس 1921 كما انجز عملية سبر اراء لدى شيوعيي الجزائر حول المسالة الاستعمارية ليقدمه للمؤتمر الثالث للاممية الشيوعية.

(4) طالب هوشي منه في تدخله في المؤتمر يوم 29 ديسمبر 1921 بان يحدد الحزب سياسته فيما يتعلق بالمستعمرات.. اجرون (ش ر) المصدر السابق ... ص 201.

و لتلافي هذا التقصير اصدر الحزب ،، نداءا لاخواننا الاهالي ،، يوم 2 جانفي 1922 ، سار في الاتجاه العام لتحليل الاممية الشيوعية في فترتها الاولى الذي يرى ان تحرر المستعمرات سيكون نتيجة حتمية للاستيلاء الطبقة العاملة على السلطة في المركز اذ اكد النداء انه ،،.... في اليوم الذي بفضل نجاح التغيير الكبير الذي نحن بصدد تحضيره، و الذي سنصبح بمقتضاه احرارا، سينتهي بؤسكم، و تعاستكم ، ستستطيعون تسيير اموركم بانفسكم... ان علاقاتنا بكم ستصبح علاقات تضامن و تاخي....،، (1)

و لتجسيد هذا النداء، قام بول فايان كوتيري، بجولات توضيحية و دعائية في كل من الجزائر و تونس في شهر مارس - افريل 1922.(2)

كانت نتائج هذه الزيارة متفاوتة ، ففي تونس ستساهم في توضيح مواقف الشيوعيين، كما سنرى ذلك، اما في الجزائر فسيتلوها صدور بيان فرع سيدي بلعباس الذي سبق ان تعرضنا اليه.

---

(1) ارشيف وزارة المستعمرات (III/ 2 Slotfom) اورده كلود ليوزي اصول العالم ثالثية... المصدر السابق ص 15

(2) حول زيارة Paul Vaillant Couturier المستقبل الاجتماعي 17 ماي 1922، و ارشيف الحكومة التونسية، (كارتون 7 الحركة الوطنية) تقرير حول خطابه يوم 26. 3. 1922 حيث ركز على ضرورة اعدام النظام الراسمالي.

ان تـواصل هذا ،، السلوك الاستعـماري،، لدى بعض الشيوعيين جـعل المؤتمـر الثاني للحزب الشيوعي الفرنسـي المنعـقد في باريـس بداية من 15 اكتوبـر 1922 يشهـد عـدة احتجاجـات من طـرف بلنكـور(1) و نقويـان اي كـوك (هـوشي منه) على تقصيـر الحزب الذي سمـح لا فقط ،، بثورة جماعـة سيدي بلعـباس،. ولكـن خـاصة ممارسـة صحيفـة ،، الانسانيـة،، الرقابة على النـداء الذي اصدرتـه الاممية لاجـل تحرير تونس و الجـزائـر يوم 20 مـاي 1922 (2).

و كمارايـنـا فقد احتـج لوزون عـلى هـذا السلـوك في عـدد جانفي 1923 من،،النشـرة الشيوعـية،، معتبرا موقـف جماعة بلـعباس ،، عـارا،،

و قـد تـواصلت هـذه الاحتجـاجات على تقصيـر الحزب الشيوعي الفرنسي خلال المؤتمـر الرابع للامـمية الشيوعيـة المنعقد في شهـر ديسمبـر 1922 مثلما سبق التعـرض لذلك وهـو ما يفسـر صـدور لوئـح مختلفـة تتعلق بـنشاط الحزب الفرنسي.

و لتـلافي هذا التقصيـر انكـب المجلس الوطنـي للحزب الفرنسي المنعقـد في جانفي 1923 على دراسـة تجسيد اللوائـح المتعلقـة بنشاطـه و المصادق عليها من طـرف المؤتمر الرابع للامـمية ، حيث تم اتخـاذ مجموعـة من الاجـراءات فيما يتعلق بالمستـعمـرات :

---

(1) بلنكور، محامي استقر بفرنسا وهو اصيل جزر الانتي (Les Antilles) عضـو نشيط في لجنة الدراسات الاستعمارية التابعة للحزب الشيوعية الفرنسي منذ بعثهـا.

(2) كلود ليوزي ، اصول العالم ثالثية، المصدر السابق ص 16

(3) ،، النشرة الشيوعية،، عدد جانفي 1923 اورد ذلك كلود ليوزي اصول العالم ثالثية ، المصدر السابق ص 17

- اعادة تنظيم اللجنة الاستعمارية
- اعادة فتح ركن ،، الانسانية،، في المستعمرات
- مقاومة الافكار العنصرية و الاستعمارية في صفوف الشيوعيين
- العمل في اتجاه المهاجرين الجزائريين(1)

و قد تواصلت عملية التوضيح في المؤتمر الثالث للحزب المنعقد بليون بين 20 و 24 جانفي 1924 اذ وقع التاكيد على ضرورة الاتصال بالاهالي و بث الدعاية الشيوعية و المعادية للاستعمار،، حتى يصبح الاهالي فاعلا ثوريا،، كما اتخذ المؤتمر قرارا يقضي بتحويل لجنة الدراسات الى ،، لجنة للمستعمرات،،(2)

و هكذا فان الفترة التي اشرفت فيها ،، لجنة الدارسات الاستعمارية،، على توجيه عمل الحزب الشيوعي في المستعمرات الفرنسية و التي تواصلت من 1921 الى 1924 تميزت بتقصير كبير ونقص في المبادرات من جانب المركز الى جانب تواصل العقليات،، الاستعمارية،، لدى بعض الشيوعيين كما كان الشان في سيدي بلعباس.

ان اسباب هذا التقصير في اهتمام الحزب الشيوعي بالمستعمرات ترجع الى الظروف التي حفت بتكوين الحزب نفسه و هيمنة العوامل الداخلية الفرنسية على قرار

---

(1) كلود ليوزي ، اصول العالم ثالثية. المصدر السابق ص 17

(2) ارشيف معهد الدراسات الماركسية Institut de Recherches Marxistis (Bobines 7 série 70)
تقرير حول تاريخ العمل الشيوعي في المستعمرات حرر في 1925.1.3

اغلبية الاشتراكيين بالانضمام للاممية الثالثة.

فرغم انضمامه للاممية فان الحزب الفرنسي لم يوضح سياسته من كل القضايا نتيجة قلة الانسجام بين اعضاء قيادته التي بقيت تتجاذبها النزاعات التي ميزت الحركة الاشتراكية قبل الحرب و خاصة فيما يتعلق بالمسائل الخارجية.

ان انهماك الحزب في مشاكله الداخلية سيحد فرص التدخل لتوجيه عمل الفروع خاصة تلك التي تقع في المستعمرات.

كيف سينعكس هذا الوضع الصعب الذي عاشه الحزب الشيوعي الفرنسي في بداياته على الجامعة الشيوعية بتونس التي تعتبر احدى هياكله الجهوية ؟ في كامل تلك الفترة لم يزر تونس الا ثلاثة مبعوثين عن الحزب وهم شارل اندري جوليان (مارس 1921) و فايان كوتيري (مارس/ افريل 1922) و المحامي برتون (نوفمبر 1925) الذي قدم للدفاع على النقابيين.

كيف ستواجه الجامعة المهام العديدة التي ستطرح امامها في فترة مليئة بالاحداث و التحركات الوطنية و الطبقية لذلك سنتابع نشاط الجامعة و مميزات عملها في الساحة التونسية خلال الخمس سنوات الاولى من العشرينات.

ثالثا: نشاط الجامعة الشيوعية (1921 / 1926)

مبادرات مبكرة في اتجاه التونسة

اثر مؤتمرها المنعقد يوم 27 مارس 1921، تحت اشراف شارل اندري جوليان شرعت الجامعة الشيوعية في القيام بحملاتها الدعائية و تركيز فروع لها داخل البلاد.

كان المؤتمر تتويجا لسلسلة من المحاضرات الدعائية و التثقيفية القاها شارل اندري جوليان خلال شهر مارس في اهم المدن التونسية (1).

و قد انعقد المؤتمر التاسيسي للجامعة بمدينة فري ـ فيل (2) بحضور نواب عن فروع بنزرت ، فري فيل ، تونس و سوسة ، و تم انتخاب مكتب تنفيذي للجامعة تركب من :

- بواتار (BOITARD) كاتب عام
- محمد نعمان و موريس نيكولا (مساعدان) (3)

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 6 مارس 1921 اعلنت الصحيفة عن برنامج المحاضرات و تواريخها بنزرت (5 مارس) فري فيل (6 مارس) تونس (7 مارس) سوسة (9 مارس) صفاقس (16 مارس) و تمحورت الاجتماعات حول الوضع العالمي ، الاممية الشيوعية و الثورة البلشفية.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 31 مارس 1921

(3) لا نملك معلومات كثيرة عن هؤلاء الاشخاص . فمحمد نعمان عنصر نشط في حركة الشباب التونسي قبل الحرب، ففي يوم 13 مارس 1912 تم وقع العفو عليه ، شارك في الحزب التونسي اثر الحرب، و كذلك في الجامعة الاشتراكية. اثر مؤتمر تور انضم للتيار الشيوعي في حين انتمى صديقه القلاتي الى التيار الاشتراكي لن يمكث طويلا مع الشيوعيين اذ سيؤسس صحبة القلاتي في خريف 1921 الحزب الاصلاحي.

- السيدة رامبو امينة مال (1)

شكل المؤتمر الحدث الثاني الهام في نشاط الجامعة الشيوعية بعد تحول ،، المستقبل الاجتماعي،، بداية من 13 فيفري 1921 كصحيفة ناطقة باسمها.

و بالرغم من ان العناصر المؤسسة كانت فرنسية فان الجامعة ستسعى منذ البداية للتاقلم مع الاوضاع المحلية.

ان هذا التوجه سيقع تجسيمه عند اختيار مقرات الجامعة بتونس العاصمة، فالمطبعة التي ستتولى اصدار صحف و نشريات الجامعة ستتخذ مقرا لها في 50 نهج سوقي بلخير في قلب الحلفاوين ذلك الحي الشعبي الذي يمثل احدى الروافد الاساسية للحركة الوطنية التونسية.

ان الاهتمام بالعنصر التونسي سيتجلى كذلك في تكوين هياكل التنظيم، ففي المؤتمر التاسيسي تم اقحام محمد النعمان و اثر انسحاب هذا الاخير تم تعيين محمد بورقيبة في المؤتمر الاول المنعقد بحلق الوادي (2)

---

(1) اما السيدة رامبو فهي معلمة تحمست كثيرا للاممية الشيوعية اثرت كثيرا في ابنها موريس باعث و منشط الشبيبة الشيوعية بتونس
اما بوتار فهو معلم، من مؤسسي نقابات التعليم مع السيدة رامبو توفي سنة 1929.

(2) المستقبل الاجتماعي،، 25 ديسمبر 1921، انعقد المؤتمر الاول بضاحية حلق الوادي يوم 18 ديسمبر 1921 و قد تم تعيين روبار لوزون في الكتابة العامة. يساعده كلا من محمد بورقيبة و جوبار.

كما ان الجامعة الشيوعية ستتميز عن التنظيمات السياسية ـ ذات الاصل الاوروبي ـ بالسعي للتمركز في الاوساط التونسية، فالى جانب الدعاية في المراكز العمالية الفرنسية (بنزرت ، فري فيل، سوسة ...) ستقوم بمحاولات للتمركز في كل من القيروان(1) و في المنستير ، و جربة و نفطة و مكنين(2) وهي مناطق لم تشهد استقرار مكثفا للجاليات الاجنبية.

و قصد التحصل على نتائج فعلية ، وجب على الجامعة الاهتمام بعدة قضايا تخص شكل الدعاية (اللغة) و محتواها (الفهم الصحيح للمسالة الوطنية).

---

(1) ارشيف الحكومة التونسية سلسلة الحركة الوطنية تقرير بوليسي بتاريخ 16 جانفي 1922.

(2) ارشيف الحكومة التونسية سلسلة E (اوردت ذلك ليلى بن تميم المصدر السابق ... ص 5)

أ) . الصحف و النشريات الشيوعية باللغة العربية

الى جانب ،، المستقبل الاجتماعي ،، الناطقة بالفرنسية ، قررت الجامعة اصدار صحيفة ناطقة بالعربية فكان بروز ،، حبيب الامة ،،يوم 23 اكتوبر 1921(1)

كان الهدف هو ربط الصلة بالاهالي و تبسيط الافكار الشيوعية وجعلها في متناولهم و ،، افهام الشعب التونسي ،، و خاصة العمال ان تحررهم لن يكون الا ثمرة لمجهودهم الخاص(2)

منذ البداية ستتفطن السلط الاستعمارية الى ان السماح للشيوعيين بالاتصال بالتونسيين لن يساعدها على تحقيق مشاريعها لذلك ستعمل على مضايقة هذه الصحافة في انتظار اصدار قوانين حازمة . لقد كانت الثلاثة اشهر الاخيرة من سنة 1921 مسرحا لصراع بين السلط الشيوعيين من اجل الابقاء على صحيفة ناطقة بالعربية وهو ما يبرزه الجدول التالي : (3)

---

(1) ،،المستقبل الاجتماعي،، 16 اكتوبر 1921 فسر روبار لوزون الدواعي التي جعلت الجامعة تقرر اصدار صحيفة باللغة العربية ، وذكر ان نفس العنوان قد وقع استعماله من طرف صحيفة صدرت قبل الحرب و نالت اعجاب التونسيين.

(2) نفس المصدر.

(3) ارشيف الحكومة التونسية (سلسلة الحركة الوطنية كارتون 16)

العنــوان	المدير المسؤول	ملاحظـــات
،حبيب الامة ،	مختار بن الحاج بلقاسم العياري	. مطلب موجه بتاريخ 1921.10.14 . ترخيص سلم في 1921.10.22 . منع بقرار صدر في 1921.11.8
،،حبيب الامة ،،	مختار بن الحاج بلقاسم العياري	. مطلب موجه في 1921.11.11 . ترخيص سلم في 1921.11.14 . منع بقرار 1921.11.16
،،البصير،،	حسن بعيون	. مطلب مقدم في 1921.11.23 . صدر عدد واحد يوم 1921.12.19 و منع في نفس اليوم.
،، المظلوم ،،	مختار بن الحاج بلقاسم العياري	. مطلب بتاريخ 1921.12.19 . صدر عدد واحد يوم 1921.12.27
،، الخبير ،،	الطاهر بن علي عجم	. مطلب بتاريخ 1921.12.24 . صدر عدد واحد في 1921.12.31
،، المظلوم،،	حسن بعيون	. مطلب بتاريخ 1921.12.27 . صدر عدد واحذ يوم 1922.1.2 ومنعت الجريدة يوم 1922.1.3

بالاضافة للصحف سيقع توظيف الشعر الشعبي لتبسيط اهم الافكار التي تدعو اليها الجامعة الشيوعية ، وقد برز في هذا المجال الشاعر عبد الرحمان الكافي الذي اشتهر بقصيدتين دعائيتين :

.../...

ملـــزومـــة شيوعيـــة و مسدســة شيوعيـــة (1)
تحاول هذه القصائـــد في اسلوب سهـــل وصف معاناة الضعفاء من جرّاء استغلال الاغنياء وتقارن بيـــن وضعية كـــلا الطبقتـــين وهي تستعـــمل في ذلك مفاهـــيم اخـــلاقيـــة و دينيـــة لتشـــويه الاعمـــال التي يقوم بها اصحاب الامـــوال الطائـــلة و تعبئـــة السامعيـــن و حثـــهم لمقاومـــة الاستغلال و الظلـــم.

كمـــا لـــن تكتفي الجامعـــة بالتعريف بمقتـــطفات من نظريتهـــا لذلك سينكبـــب فريق من المنـــاضلين على تحـــرير البـــرنامج الكامـــل للجـــامعـــة و ما يقترحـــونـــه من حـــلول للبـــلاد التونسيـــة.

النشرية الحمـــراء ــ نسبـــة للون الغـــلاف ــ بهذه التسميـــة كثيرا ما وقعـــت الاشارة لبرنامج الشيوعيـــين من طـــرف مصالح الامن(2)

العنوان الكامل لهذه النشرية المحـــررة بالعربيـــة ،، المسالة التونسية وحـــلهـــا بواسطـــة الشيوعيـــة،، تقرير قام بتحـــريره بطلـــب من الشعبـــة الشيوعيـــة التونسية نـــفر من انـــصار الافكـــار الحـــرة تحت رعـــايـــة الكاتب العام للشعبـــة الشيوعية الاستاذ الدكتور روبير لوزون (3)

---

(1) تم نشر القصيدتين في بداية 1922 وقد طبعتا في مطبعة لوزون 50 نهج سوقي بلخير، بقلم شاعر الملحون عبد الرحمان الكافي فتمت احالته على المحكمة التي قضت بحبســـه 8 اشهر.

(2) ،، الوزير،، 13 فيفري 1922 نقلت خبرا اوردته الصحيفة الناطقة بالفرنسية ،، لا ديبيش، بتاريخ 12 فـيفري1922 يفيد بان المحافظة حجزت يوم 9 فيفري عدة لفات من رسالة وقع طبعها تحت رعاية الحزب الشيوعي حيث لم يقع توجيه نسختين منها للحكومة حسب ما يقتضيه القانون. انظر كذلك ،، المستقبل الاجتماعي،، 19 فيفري 1922

(3) عثرنا على نسخة اصلية واحدة محفوظة بالمركز القومي للتوثيق

يحتوي الكتيب على 44 صفحة صاحب الفكرة هو لوزون لكن تم تحرير اغلب الاجزاء من طرف محمود بورقيبة و محمد بلحسين(1). و قد تم طبعها بمطبعة لوزون في 3000 نسخة (2)
ما يلفت الانتباه عند قراءة الكتاب، تاثره باسلوب كتاب تونس الشهيدة و بمحتواه.

و في التقديم تم التعرض للفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي التي وقع تقيمها ايجابيا ،، فرغم ما كانت عليه (البلاد) من نقصان العلم وضعف وسائل الانتاج و انتشار الكسل الناشئ من فقدان الامن... فقد كان التونسيين من هذه الوجهة ايسر حالا و اريح بالا مما هم عليه الان... فكانت الثروات موزعة على الافراد على درجة اقرب ما تقرب للنظام الشيوعي،،(3)

هل يعكس هذا التقييم الايجابي للفترة السابقة للاحتلال تحولا في افكار الشيوعيين، ام هي محاولة لمجاراة الشعور العام الرافض للحضور الفرنسي و المدفوع للتعلق بالماضي في عملية البحث عن الهوية..؟(4)

---

(1) هذا ما صرح به شاهد عيان – جون بون فينودوري – في حديث لليلى بن تميم المصدر السابق . ص33

(2) ،، تونس الفرنسية،، 3 سبتمبر 1923 بن تميم . نفس المصدر و الصفحة.

(3) المسالة التونسية ، المصدر السابق. ص 10

(4) ،، المستقبل الاجتماعي،، 15 جويلية 1920 في مقال تحت عنوان ،، ابن رشد،، اعتبر انه من الخطا الاعتقاد في الاسطورة القائلة بان تونس كانت سعيدة و تعيش في رفاهية تحت نظام البايات قبل معاهدة باردو.

بعد التقديم السريع، وقع التعرض باطناب للوضع الذي الت اليه البلاد اثر انتصاب الحماية من اغتصاب للاراضي و منع لنشر التعليم في اوساط التونسيين، و تردّي الوضع الصحي للاهالي، كما تم انتقاد بشدة السياسة المالية و مساندة السلط لاصحاب رؤوس الاموال.

ان البلد المثالي الذي يقدمه الكتاب هي روسيا التي ،، لا يوجد بها تبذير و التي يقوم فيها رئيسها بجميع الاعمال(1)

و قد شهرت المجلة بسياسة التمييز في الاجور،، فكيف بهم اليوم بعد ما تحملوه من غصص في ضعف الاجور و اهانة و اعتلاء فريق من زملائهم عليهم... لمحض كون جنسيتهم كانت اكثر شرفا و اقوى شوكة...،، (2)

في الخاتمة نجد الحلول التي يقترحها الشيوعيون، فقد دعوا التونسيين الى التنظيم و الاتحاد و عدم التعويل على الوعود الحكومية ،، فالحكومة الجائرة اذا تقدم اليها ملهوف بطريق الاسترحام فان باسها يتضاعف بخلاف ما اذا عمدنا اليها بشهامة و عزة نفس.. و اقمنا لها الدليل... اننا اهل لان نتصرف في ذلك الحق المغصوب...،،(3)

---

(1) المسالة التونسية، المصدر السابق ص 12

(2) نفس المصدر ص 22

(3) المسالة التونسية ... امصدر السابق ص 41

.../...

و تتمثل النقطة الثانية من البرنامج في نشر التعليم و توعية الاميين و ،، ايقاظهم من غفلاتهم ،، و نلاحظ هنا نقدا غير مباشر لتحركات الحزب الدستوري و ارساله الوفود الى فرنسا ،، فتحضير الافكار اولى من اقتحام الاسفار و توجيه الارساليات التعليمية الى داخل الايالة افضل من توجيهها الى ما وراء البحار، الى حكومة لا تعين الا الفسقة و الفجار....،، (1)

و يبدو محررو النشرية متفائلين جدا حول حظوظ نجاح الدعاية الشيوعية بتونس ذلك ،، ان تعاليمها سهلة الالقاء و سهلة التناول في بلاد يتالم اهلها من وطاة الاحتلال الاجنبي ....،، (2)

تعتبر هذه النشرية اول محاولة شاملة يقوم بها الشيوعيون في تونس للتعريف ببرنامجهم كاملا، و القارئ يلاحظ مجهودا كبيرا للتبسيط عن طريق الاستشهاد بمظاهر حيّة من اوضاع التونسيين. كما انها تبدو مستوعبة لخصوصيات البلاد . فكان التركيز على معاناة الشعب التونسي من الاضطهاد الاستعماري و ضرورة تجميع قواه لمقاومة الاحتلال.

لقد طغى على تحليل النشرية الاتجاه ،، القومي،،(3)و هو ما جعل صحيفة ،، الديبيش، القريبة من الاقامة العامة تتهم مؤلفي النشرية ،، بنقل ما جاء في كتاب تونس الشهيدة مع تشديد اللهجة....،،(4)

---

(1) نفس المصدر ص 42

(2) نفس المصدر ص 43

(3) وقع التركيز في اغلب فقرات النشرية على انعكاسات الهيمنة الاجنبية على التونسيين بكل طبقاتهم، في حين انه جرت العادة ان تهتم الادبيات الشيوعية بالفوارق الطبيقية و كذلك بالتناقضات حتى داخل المجتمع التونسي.

(4) Dépèche Tunisienne 12 فيفري 1922

.../...

و في الحقيقة فـــان صـــدور هذه الكتـابـات كان تتويجـــا لسلسلـــة من التوضيحـات قام بهـا الشيوعيـــون خلال كامل سنة 1921 حـول فهمهم للمسالـة الوطنيـــة و المهمات المطروحـــة على الاحزاب الوطنية في تونس كمـا سعوا الـــى تحديد علاقاتهم بهـــذه الاحزاب.

ب) فهم اوضح للمسالة الوطنية
وسعي للتحالف مع الاحزاب التونسية

لا شك انه كان للنقطة الثامنة من شروط الانخراط في الاممية الشيوعية و المتعلق بمساندة نضال المستعمرات دورا حاسما في توضيح تعامل الشيوعيين في تونس مع المسالة الوطنية ، لكنه كا عليهم ان يجتهدوا لفهم الحركة الوطنية التي تطورت اثر الحرب في تونس
في مرحلة اولى ، عرفوا بموقف الحركة الشيوعية تجاه الامم المضطهدة (1) كما اكدوا ان مهمة الطبقة العاملة الغربية هي اعانة العمال في الشرق(2).

و في مرحلة ثانية ، سعى الشيوعيون لتجسيد شعاراتهم بالنسبة للوضع التونسي، فعبروا عن تضامنهم مع النضال الذي تخوضه الاهالي من اجل التحصل على دستور(3) معتبرين ان هذه المعركة هي معركة كل التونسيين مهما كان موقعهم الطبقي ،، فنحن نساندهم حتى اذا كانوا من البجوازية ،،(4)

الى جانب المساندة ، يشرح لوزون منشط الجامعة موقفه من الطرق المطروحة للكفاح من اجل التحصل على هذه الحقوق.

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 31 مارس 1921 تم نشر في ذلك العدد خطاب زينوفياف رئيس الاممية الشيوعية امام مؤتمر باكو.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 22 ماي 1921.

(3) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 26 ماي 1921 مقال بقلم روبار لوزون.

.../...

فهو يرى ان الطريق الاولى سياسية وهي تهدف لتعويض رؤوس الاموال الفرنسية المسيطرة على البلاد باخرين عرب .
اما الطريق الثانية - و التي يساندها الشيوعيون - فتتمثل في التحرر السياسي و كذلك في تغيير الهيكلة الاقطاعية للمجتمع (1).
و رغم الاقرار بترابط المهمتين ، يعترف لوزون ان الاستقلال السياسي هي المقدمة الضرورية لصراع الطبقات. (2)

ان هذه المحاولات لربط الصلة بالاهالي و نشر الافكار الشيوعية بينهم لن تثير فقط تخوفات السلط الاستعمارية بل و كذلك بعض الاوساط التونسية التي ستلجأ لتوظيف الدين ، فاثر صدور صحيفة ،، حبيب الامة ،، في خريف 1921، برزت عدة مقالات في الصحف العربية و خاصة ،، المنير ،، لانتقاد هذه النظرية و دعوة الاهالي لامتناع عن اي اتصال بالحزب الشيوعي لاختلافه مع تعاليم الدين الاسلامي. في عدة قضايا جوهرية كمنعهم الارث ، و تحريمهم لحق الملكية بالاضافة للالحاد و الاباحية (3). و قد اجابت صحف الجامعة بعدة مقالات مبرزة عدم تعارض الدين مع النظرية الشيوعية ،، فالجامعة الشيوعية التي قوت صفوفها بعدد كبير من العلماء و المفكرين المسلمين قد بينوا عدم التعارض بين مبادئ الحزب القائمة على تحرر الضعفاء من تسلط الاقوياء مؤكدين ان الدين يحث على ذلك. (4)

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 1921.6.23

(2) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 1921.5.23 مقال بقلم روبار لوزون.

(3) ،، المنير ،، 1922.1.22 و 5 مارس 1922
مقتطفات من هذه الصحيفة اوردتها ليلى بن تميم ...
المصدر السابق ص 116

(4) ،، المهضوم ،، صدر عدد واحد بتاريخ 1922.1.2

.../...

ان محاولات التوفيق بين الاسلام و الشيوعية و ابراز امكانية التكامل بينهما لمقاومة الاستعمار، لم تكن تعني مهادنة الافكار السلفية .

لقد سعت الجامعة الى فضح رجال الدين الذين يساندون الاستغلال مبدية انحيازها للذين اجتهدوا في فهم الاسلام و تطويره. اذ قامت ،، المستقبل الاجتماعي،، بنشر على 4 حلقات مجموعة نصوص كان قد كتبها عبد العزيز الثعالبي قبل الحرب الاولى حول،، الفكر الحر في القرآن،،. (1)

و قد فسر لوزون الهدف من نشر هذه الدراسة معتبرا ،، ان نهضة شعب يخضع لوصاية شعب آخر تستوجب النضال ضد قوى الاستبداد و مقاومة الجمود الذي يمنع التنفس و التحرك الحرّ. لذلك يتحتم اكتساب حرية العمل و التفكير . ان مقالات الفكر الحر في القرآن هي بداية جريئة في هذا الاتجاه ، لذا تتشرف الجريدة بنشرها،، (2)

هل هو مجهود صادق للتوفيق بين النظرتين ام مجرّد توظيف للدين لتفادي تالب الاوساط الدينية ضد الجامعة و عرقلة نشاطها؟ و ما هو مدى تاثير الحجج المقدمة من طرف الشيوعيين في الاوساط التونسية؟. الواضح ان الشيوعيين تعاملوا في العشرينات مع الظاهرة الدينية كجزء اساسي من مقومات الذاتية الوطنية ، و اقتنعوا ان الهيمنة الاجنبية زادت في تاكيد التعلق بها لابراز تباينهم مع المستعمر.

---

(1) اعداد ،، المستقبل الاجتماعي،، التي نشرت بها المقالات 23 و 30 اكتوبر 1921 - 6 و 13 نوفمبر 1921.

(2) ،، المستشبل الاجتماعي ،، 23 اكتوبر 1921 مقال لوزون.

هذا الموقف المتفهم تجاه التعبيرات المحلية الذي اتخذه الشيوعيون يتجلى بوضوح اكثر في نوعية العلاقات التي ارادوا ربطها مع الاحزاب الوطنية و خاصة مع الحزب الحر الدستوري.
لقد راينا ان الجامعة الاشتراكية كانت انتقائية في تعاملها مع الشباب التونسي و كيف انها كانت تدعم العناصر الذين تعتقد انهم اقرب اليها.

فعلى العكس من ذلك سعت الجامعة الشيوعية الى تقوية الحزب الوطني و دعم مطالبه حيث اكدت انها تناصر منح التونسيين ميثاقا دستوريا.

و رغم ان الشيوعيين كانوا يعتبرون ان الدستور لا يمثل الهدف النهائي لعملهم، الا انهم اكدوا ان اشياء عديدة توحدهم مع الرفاق الاهالي الذين تحركهم رغبة عميقة لتحرير الشعب(1)
ان هذا التقييم الايجابي لدور الحزب الحر الدستوري جعل الشيوعيين يمتنعون عن التدخل في الخلافات التي ظهرت في صفوف هذا التنظيم.

فاثر انشقاق جماعة القلاتي و محمد نعمان في شهر افريل 1921، و تاسيسهم للحزب الاصلاحي(2) ثم اصدارهم لبرنامج في صحيفتهم ،، البرهان،، يوم 19 سبتمبر 1921، امسكت الجامعة عن الاصداع بكل ما من

---

(1) المستقبل الاجتماعي ،، 1921.9.4 مقال بقلم الزوهردي(ZOHARDI) وهو الاسم الصحفي لزهير العيادي المولود سنة 1905،درس في المعهد الصادقي،سيغادر الجامعة الشيوعية سنة 1925 ليشتغل في صحيفة ،،النهضة،، (ليلى بن تميم المصدر السابق ص 145)

(2) اثر اعتقال الثعالبي في صائفة 1920 و فشل الوفد الدستوري الاول المرسل الى باريس برز اتجاه معتدل في صفوف الحزب اعتبر ان المطالب غير واقعية؟ المحجوبي... المصدر السابق.. ص 277.

شأنـــه ان يعـمّق الخـلا ف (1)

و بعد فترة من التريث اصدرت الجامعة موقفهـــا حـــيث دعـــت كل التونسيين بقطـع النـظر عن الطبقات التي ينتمون اليهـــا الـــى تكويـــن جبهـــة موحـدة للتحـصـل على الاستقـلال الوطـنـــي.

و اعتبـــرت ،، ان كـل انقسام فى صفوف الذين يناضلون من اجـل التحـصل على هذه الحقوق لن تستفيـــد منه الا الحكومة و من اجـل ضمان نجـاح هذا الكفاح، فـان الجامعـة الشيوعيـة تدعو كـل اعضائهـا للامتنـاع عـن اخـذ موقـف في الخلاف القائم بين جماعة الثعـالبي و جماعة القلاتي وهـي في نفـس الوقت تدعوهم لبذل كل ما في وسعهـم للتخفيف من حـدة هذا الاخلاف ،، (2)

و هكذا يمكـن القول ان ثلاثة مميزات طبعت عمـل الشيوعيـــين سنتـــي 1921 و 1922 وهـي الاصرار على الاتصال مباشرة بـالاهالي.و الاخـــذ بعين الاعتبـار الخصوصيـــات القوميـة و الدينيـــة و المحاولات الجريئـــــة للتعـامل الايجـــابي مـــع التعبيـرات الوطنيـــة .

ان هـــذا المجـــهود سيعـتريـــه بـعض الخـلـل في النـصـف الثـاني من سنة 1922 و في سنة 1923 خاصة اثر محاكمة و طرد العـديد من قـادة

---

(1) ،،المستقبل الاجتماعي 1921.9.18، ذكرت الصحيفة ان الجامعة لم تتخـذ بعد موقفـا من هذا الخلاف لذلك فانهـا لن تنشر موّقتـا اي من المقالات التي وصلتهـا (تذكر انـا تسلمت رايـان من طرف زوهاردي و جدير).

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 9 اكتوبر 1921 بيـان حول الخلافات في صفوف الوطنيـــين.

.../...

الجامعة في ربيع و صائفة 1922 (1) لكنه سيجد مجالا للتواصل بمناسبة اندلاع اضرابات 1924 و تكوين جامعة عموم العملة التونسية.

(1) يوم 17 ماي 1922 صدر قرار يقضي بحل الجامعة الشيوعية ، انظر ،، المستقبل الاجتماعي،، بتاريخ 22 ماي 1922 و قبل ذلك تم ايقاف العديد من الشيوعيين فبعد لوزون و الكافي (فيفري 1922) موريس رامبو (12 افريل 1922) .
لنشره مقالا في صحيفة الجامعة يوم 16 افريل، كما تم اعتقال عبد العزيز محجوب، محمد بن جعفر، العيادي الزاني...ويوم 2 ماي 1922 تم اعتقال المختار العياري و توجيه تهمة التآمر على امن الدولة ضدّه. كما تم وضع فينودوري الموظف بالبلدية على ذمة الادارة الفرنسية، انظر ،، المستقبل الاجتماعي ،، 28 ماي 1922

ج. دعـم الحركـة النقابيـة التونسيـة

(1926 / 1919)

لم يكـن بروز جامعـة العملة التونسية في ديسمبر 1924 اول مظهـر للعمل النقابي بتونس، فالاحتجـاجات الاولـى ترجع الـى مطلع القرن وهي مرتبطـة بظهـور الشركات الاستعمارية و رافق ذلك من قدوم لالاف. العمال الفرنسيين و الايطاليين الذين مـارسوا او سمعوا في بلدانهـم بالاشكال التي يتوخاها العمال للدفاع عن مصالحهم المادية و المعنوية.

اول اضراب هام سجّـل بتونس كان يوم 2 مـاي 1904 و قـد اتخذ صيغـة الاضراب العام حيث شارك فيه عمال ينتمـون لحرف مختلفـة (عمال البناء المعادن، المخابز و الرصيف). و قد تواصـل الاضراب 8 ايـام و شـارك فيه 12.000 عامل (1). وقد تبعـت الاضراب عدة محـاولات لايجـاد منظمات او جمعيات عمالية توّطـر العمال لكنهـا فشلت بسبب الخلافات التي كانت تشـق الاوساط العماليـة الفرنسية و الايطاليـة و كذلك دور السلط الاستعمارية: التي رفضت الاعتراف القانوني بالعمل النقابـي، و تطبيـق القانون الفرنسـي الصـادر سنة 1884 و المتعلق بتنظيـم النشاط النقابي(2)

و في شهـر مارس 1909 اضـرب عمـال السكة الحديديـة لمدة 12 يوما للمطالبـة بالترفيع في الاجـور و المنح العائلية و تواصلـت حركتهم من يوم 18 الـى 30 مارس (3)

---

(1) اندلع الاضراب اثر محاضرة القاها الدكتور كونفرتي (CONVERTI) يوم غرة ماي 1904 حول الحركة النقابية. انظر ،، المستقبل الاجتماعي،، 1 ماي1924 و الدكتور كونفرتي ايطالي الاصل ولد في منطقة كالابريا سنة 1858 تعرض لعدة مضايقات في ايطاليا نتيجة نشاطه ضمن المجموعات الفوضوية. اضطر للهجرة الى تونس سنة 1887 حيث استقر بها الى ان توفي سنة 1939 كان نشيطا في صلب الجالية الايطالية بتونس و اصدر عدة صحف ذات توجه اشتراكي مثل ،،العامل،، و صوت العامل،، جوليات بسيس المؤسسون... المصدر الشابق ص 7

(2) مصطفي كريم، الحركة الوطنية و النقابية. المصدر السابق ص 407

(3) نفس المصدر ص 406

و لقد لقي الاضراب مساندة من طرف اعوان البريد و شركات البناء و تحصل عمال السكة الحديدية على المطالب التي كانوا اضربوا من اجلها. تميزت الحركات الاحتجاجية بعدم تواصلها فطغى عليها الطابع الظرفي نتيجة انعدام هيكل نقابي يؤطرها، لكن منذ الاضراب الاول كانت الحركة متاثرة بالافكار الاشتراكية التي بدات تاخذ طريقها بتونس عن طريق المهاجرين السياسيين و خاصة اثر تكوين الجامعة الاشتراكية بتونس سنة 1908.

و قد مهدت مختلف هذه التجارب لبعث اول هيكل نقابي في تونس اثر الحرب العالمية الاولى وهو اتحاد النقابات ،،

الشيوعيون و العمل النقابي

قبل تجربة محمد علي (1919 /1924)

كان اتحاد النقابات امتدادا تنظيميا للمركزية النقابية الفرنسية ،، الكنفيدرالية العامة للشغل،،.

عقد الاتحاد اول مؤتمر له يوم 21 مارس 1920 و حضر اشغاله مندوبون عن 17 نقابة من جملة 20 نقابة منضوية في المنظمة (1)

كان المنخرطون ينتمون الى جنسيات و اديان مختلفة فمنهم الايطالي و الفرنسي و التونسي المسلم و اليهودي ، الى جانب الوضعيات المهنية المختلفة حتى اذا تساوت الكفاءات ، ذلك ان الفرنسيين كانوا يتحصلون على منح و امتيازات بمقتضى اصلاحات المقيم العام فلاندان المتمثلة خاصة في اسناد الثلث الاستعماري.
و رغم انخراط التونسيين في هذا الاتحاد فان دورهم في اخذ القرار سيكون منعدما (2) و يمكن تفسير ذلك بحداثة تجربتهم، و تواضع مستواهم الثقافي ذلك ان اغلب النقاشات كانت تدور في لغة اجنبية (الفرنسية او الايطالية).

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 25 مارس 1920

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، المصدر السابق تذكر ان النقاشات سيطر عليها كلا من زاري، باريس دورال ، جولي و كلها اسماء فرنسية او ايطالية و يعني ذلك دور التونسيين في مستوى اخذ القرار و التسيير كان منعدما.

و اسفر المؤتمر الاول على تعيين هيئة عامة تتولى تسيير الاتحاد و تشرف على العمل النقابي و من ابرز اعضائها الاشتراكي دورال (1)

سيتاثر اتحاد النقابات بتونس بالتطورات التي ستشهدها المنظمة الامبفرنسا خاصة اثر قرار الانضمام للاممية الشيوعية الذي اتخذته اغلبية نواب المؤتمر الثامن عشر للحزب الاشتراكي الفرنسي في ديسمبر 1920 ، فانقسام الحركة الاشتراكية الفرنسية سيكون له امتداد في المستوى النقابي. فقد اعلن المكتب الوطني لل. س ج. ت الذي بقي تحت تاثير الاشتراكيين بعد مؤتمر تور ان كل هيكل نقابي يبدي موافقته على الانضمام للفرع النقابي التابع للاممية الشيوعية يضع نفسه خارج المنظمة ولن يستطيع حضور مؤتمراتها (2).

ان صدور هذا البلاغ سيضع النقابيين الموالين للاممية الشيوعية في موقف حرج خاصة و انهم اتخذوا قرار البقاء داخل المنظمة النقابية و تكوين داخلها تيار ،، نقابي ثوري،، (3)

---

(1) Durel (Joachim) ولد في مدينة تولوز سنة 1878 قدم الى تونس سنة 1898 استاذ في معهد كارنو من مسّسي الجامعة الاشتراكية بتونس سنة 1908 و من باعثي اتحاد النقابات سنة 1919. رفض الانضمام للاممية الثالثة كما سيعارض بشدة بعث جامعة عموم العملة التونسية سنة 1924.
بقي مسيرا للاتحاد النقابات حتى سنة 1934حين شملته اجراءات بيروطون التعسفية فتم ارجاعه الى فرنسا سيعود الى تونس سنة 1937 ليموت في قرطاج في اكتوبر 1939(المصدر جوليوت بسيس المؤسسون.. المصدر السابق ص 66)

(2) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 20 فيفري 1921.

(3) ،،المستقبل الاجتماعي،، 20 فيفري1921 التيار النقابي الثوري كان يقدم نفسه بديلا للتيار المهيمن على الحركة النقابية آنذاك و الذي نعت با،،لاصلاحية ،،.

و فعــلا فـان الخلاف كان على اشده بين جنـاحـي الحركة الاشتراكية . العالمية في المجالات السياسيـة و الاجتماعيـة ، وهو ما سيؤدي الـى استحالة التعايــش داخل منظمات نقابيـة موحـدة .

بداية من شهر جويليـة 1921 سيصبح انقسام الحركة النقابيـة الفرنسية امـرا واقعـا . فالنقابـة الام (س ج.ت) ستـضم بالخصوص التيار الاشتراكـي. و ستنضم الـى ،، الفيدراليـة النقابيـة العالميـة ،،(1) اما التيار النقابي الشيوعـي فسينسلـخ مـن هذه المنظمـة و يكون ،، الكنفيدراليـة العامة للشغـل المـوحّـد،، التي ستنتمـي بدورهـا الـى الاممـية النقابيـة الحمراء،، التـي تاسسـت في موسكو في شهـر جويليـة 1921 (2)

ان هذا الانقسام سينعكس في تونس ، حيث سيبرز الاتجاهان النقابيـان، لكـن،، الس. ج. ت ،، كانت اكثر وزنـا و تـاثيـرا من النقابات الموحـدة .

---

(1) وكثيرا ما تسمى ،،اممية امستردام التي عادت للنشاط اثر الحرب و عارضت ثورة اكتوبر في روسيا و كانت تضم النقابات في اوروبا المصنعة (النقابات الالمانية و الانقليزية و جزءا من الحركة النقابية الفرنسية الممثلة في الس. ج. ت.) وهي ذات توجه اشتراكي.

(2) قررت الاممية الشيوعية بعث هذه المنظمة لمواجهة تاثير نقابة امستردام و تعرف النقابات الحمراء بانها طبقية و تعلن صراحة محاربتها لراس المال. و قد نتج عـن ذلك انقسام الحركة النقابية الفرنسية في المؤتمـر المنعقد بمدينة ليل LILLE في اواخر جويلية 1921.

ففي الوقت الذي سيواصل فيه اتحـاد النقـابـات ،، نشاطه بـاشراف الاشتراكي دوريل ، ستظهـر بعض ،، النقابات الموحـدة ،، التـي سيسيرهـا غالبـا منـاضلون شيوعيـون ، و لكنهـا لن تستطيع مزاحمة اتحـاد النقابات الا في ترسخـانة فري ـ فيـل.

ان ضعـف الشيوعيـين داخل الحركة النقابية سيفرض عليهم سلوك سياسة مرنة و التكيّـف مـع الظروف النقـابيـة .
فـاذا كانت المؤسسـة تضـم عددا كبيرا من العمال المنخرطيـن فياتحـاد النقابات، فـان النقابيـين الشيوعيـين ينضـمونلتلك النقـابـة و يسعون لدفعهـا نحـو مواقفهـم و يمهـدون بذلك السبيل لانسلاخـها و انضمامهـا للنقابـات الموحـدة وهو ما حـصل لنقابات الترامـيـنو (1)

اما في القطاعات التي لم يكـن فيهـا تنظيم نقابـي يعمـل الشيوعيـون على تكويـن نقابات مرتبطـة مبـاشرة بالنقابات الموحـدة وهو ما تـم بالنسبـة لترسخـانة فـري ـ فيل، و لاعـوان التجـارة (2) و لنقـابـة السراجيـن(3)

---

(1) انضمت نقابة الترامينو الى النقـابـات الموحدة خلال مؤتمرها المنعقد اواخر جوان 1922، الذي جدد انتخاب مختار العياري في المكتب رغم طرده من طرف الادارة في شهر مارس 1921. (المستقبل الاجتماعي 1 جويلية 1922)

(2) ارشيف الحكومة التونسية ، سلسلة الحركة الوطنية تقرير بتاريخ 1922.1.13 يذكر ان الشيوعي جوبار سيكون على راس نقابة اعوان التجـارة ، اما الشيوعي كوستا فهو بالدعاية لتكويننقابة اعوان البنوك.

(3) ،، الطريق الجديد،، عدد 72. 1983.2.26، كلمة الدكتور احمد بن ميلاد في احياء الذكرى العشرين لوفاة حسن السعداوي حيث يذكر،،... كونت مع حسن السعـداوي او نقابة للسراجين سنة 1923 و كنت آنذاك مناضلا في الحزب الشيوعـي...،،

.../...

و هكذا فان الشيوعيين استطاعوا ارساء حركة نقابية متواضعة خارج اتحاد النقابات سعت الى الاقتراب من العنصر المحلي في الاسواق و تبنت مطالب العمال التونسيين الذين طالبوا بتساويهم في الاجر مع زملائهم الفرنسيين، كما حصل في اضراب الترامينو في فيفري 1921(1) لكن هذه الحركة و ان اخذت بعين الاعتبار مطالب العمال التونسيين و دافعت على ضرورة المساواة بينهم و بين زملائهم الاوروبيين فانها لم تطرح على نفسها بناء نقابة تونسية مستقلة تنظيميا عن النقابة الام الفرنسية، لذلك فان اضرابات عمال الرصيف بتونس العاصمة في صائفة 1924 و ما تبعها من نقاشات حول بعث منظمة جديدة مستقلة عن النقابات ذات التوجه الاشتراكي او الشيوعي ستطرح على الشيوعيين اشكالية لن تكون الاجابة عنها سهلة، وهو ما سيجعلهم يترددون بعض الوقت قبل الانضمام للمشروع الجديد الذي سيتزعمه محمد علي الحامي.

---

(1) تواصل الاضراب 19 يوما و انتهى يوم 24 فيفري 1921 تحت شعار ،، تساوي الاجل عند تساوي العمل،، حيث طالب المضربون بتوحيد منح غلاء المعيشة لكل الاعوان بقطع النظر عن حبسياتهم، و تم حل الاضراب اثر وعد من المقيم العام بتوحيد المنح لكل الاعوان باستثناء منحة ينفرد بها العمال الفرنسيون ،، انظر ،،المستقبل الاجتماعي ،، 13 و 20 و 27 فيفري 1921.

.../...

ب) انضمام الشيوعيين لمشروع محمد علي

و تكوين جامعة عموم العملة التونسية

(1924 / 1925)

تابع النقابيون الشيوعيون اضراب عمال الرصيف و عملوا مع غيرهم من المناضلين السياسيين لتأطير الاضراب و ارشاد العمال خاصة انه لم تكن لهم منظمة نقابية تقوم بهذا الدور.

لقد تكونت لذلك الغرض لجنة ضمت محمد علي الحامي و احمد المدني و احمد بن ميلاد و المختار العياري و رجال من عملة الرصيف المحنكين يراقبون سير الاعتصاب(1) كما انتخب العمال كلا من البشير بودمغة و البشير الفالح لقيادة الاضراب(2).

و معلوم ان الاضراب كان له صدى كبير في مراكز عمالية اخرى خاصة في بنزرت حيث شهدت عدة معامل حركة احتجاجية و اضرابات بلغت اوجها يوم 11 سبتمبر 1924 اذ تصادم المضربون مع رجال الامن الذين قتلوا اثنين من المتظاهرين. (3)

ان هذه الحركة الاضرابية تمت في اغلبها في مؤسسات يتكون معظم عمالها من العنصر المحلي و لم يكن بها تنظيمات نقابية لذلك كان من الطبيعي ان تتسابق القوى النقابية الموجودة على الساحة التونسية لدعوة هؤلاء

---

(1) الطاهر الحداد ، العمال التونسيون و ظهور الحركة النقابية ، طبع الدار التونسية للنشر(الطبعة الثالثة) سنة 1972 ص 61 اعضاء اللجنة كانوا من غير العمال احمد بن ميلادو العياري من الحزب الشيوعي ، احمد توفيق المدني عضو الهيئة التنفيذية للحزب الدستوري، و محمد علي شاب عائد من المانيا كان يدعو اخذاك لتكوين تعاونيات

(2) الطاهر الحداد، المصدر السابق ص 64

(3) المصدر السابق ص 93

العمال الـى الانضمام اليها.

فبعد ثلاثة ايام من اندلاع الاضراب اعلنت صحيفة ،، تونس الاشتراكية ،، ان الاعتصاب مستمر و العملة عازمون على الاستمرار في المقاومة الى الحصول على النتيجة و ان انخراط العمال في جامعة عموم العملة (الس. ج. ت) سيقع قريبا. (1)

اما محمد على الحامي الذي كان يقوم بمساعي حثيثة لتاسيس جمعية التعاون الاقتصادي التونسي و عقد لذلك الغرض عدة اجتماعات تمهيدية، فقد قرر ارجاء مشروع جمعية التعاون ريثما يتم هذا الحادث. (2).

في نفس الوقت عمل الشيوعيون من جهتهم على جلب هذه القوة العمالية الى مشروعهم النقابي الثوري و تقوية النوات النقابية التابع لهم و الموجودة آنذاك. (3).

كما اهتم الحزب الدستوري بالحركة الاضرابية حيث كان احمد توفيق المدني عضوا في لجنة المساندة للاضراب و شارك في النقاشات التي ستؤدي لبعث جامعة عموم العملة التونسية.

---

(1) الطاهر الحداد ، العمال... المصدر السابق ص 81، اورد مقال صدر بتونس الاشتراكية بتاريخ 16 اوت 1924.

(2) نفس المصدر ص 61

(3) يذكر الطاهر الحداد ص 142 ،، ان الشيوعيين قد طمعوا اولا في ابتلاع مؤسسة العمال التونسيين فكما كان لحزب العمال الذي على راسه م.جوهو في فرنسا و م.دوريل في تونس.. كذلك كان للشيوعيين...،، و يعني ذلك ان الشيوعيين ارادوا ادخال العمال في صلب النقابات الموحدة التي يشرفون عليها.

.../...

انتهت الحركة الاضرابية في النصف الاول من شهر سبتمبر 1924 و تلتها نقاشات طويلة بين كل الاطراف التي اهتمت بها حول مستقبل هذه الحركة و كيفية تنظيمها. في نفس الوقت تم بعث نقابات اساسية في المؤسسات التي شهدت اضرابات و قد تركزت النقابات الجديدة خاصة في العاصمة و في جهة بنزرت.

تواصلت النقاشات طيلة شهرين (اكتوبر - نوفمبر1924) قبل ان يقع الاعلان رسميا عن تكوين جامعة عموم العملة التونسية يوم 3 ديسمبر 1924.

ان الموضوع الذي شدّ انتباه الاطراف المتحاورة هو الاطار التنظيمي الذي سيجمع النقابات التي ظهرت مؤخرا ، هل انها ستنظم للهياكل الموجودة التي تمثل امتداد للنقابات الام في فرنسا ام ستكون النواتات الاولى لمنظمة نقابية وطنية تونسية ؟.

من الطبيعي ان تسعى المنظمات النقابية الموجودة الى تدعيم نفسها بواسطة النقابات الناشئةو اول من قام بهذا العمل اتحاد النقابات الذي ،، اراد التدخل لفائدة المعتصبين على معنى ضمهم اليه حتى لا تتكون قوّة منفصلة عنه ،، (1)

---

(1) الطاهر الحداد، العمال ... المصدر السابق ص 125.

.../...

و لما بدات تظهر فكرة تاسيس نقابة مستقلة اعترض الاتحاد بشدة على ذلك معتبرا ان ذلك ،، يقسّم العملة الى شطرين امام قوة المال المتحدة....،(1)

لقد اعطى اتحاد النقابات الاولوية للقضية الطبقية فالمهم بالنسبة اليه هو اتحاد العمال في منظمة واحدة خاصة و ان فوارق الاديان و الاجناس معدومة في المبادىء النقابية (2).

ان هذا الموقف يعكس في الحقيقة الموقف العام الذي كان يتبناه الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي كان يرفض وجود امة تونسية مكتملة المكونات و يعتبر ان ذلك سيكون نتيجة للمهمة الحضارية التي ينبغي على فرنسا القيام بها في تونس و من هذا المنطق راى اتحاد النقابات ان بروز اتحاد مستقل سيكون عملا سابقا لاوانه سيطغى عليه التعصب الديني و الملي على حساب المصلحة الطبيقية للعمال.

بعد التحذير من نتائج المشروع الجديد انتقل اتحاد النقابات الى مرحلة التشهير معتبرا اياه عملا سيئا من انجاز الوطنيين و الشيوعيين(3) و في محاولة اخيرة لاقناع اصحاب المشروع بضرورة التراجع سيقوم جوهوامين عام الس. ج. ت بزيارة الى تونس بداية من 24 اكتوبر1924.

---

(1) الطاهر الحداد . العمال... المصدر السابق ص 125.

(2) نفس المصدر 125

(3) ،، تونس الاشتراكية ،، 18 اكتوبر 1924، بيان صادر عن اتحاد النقابات بتونس ، اورده الطاهر الحداد في كتاب العمال . المصدر السابق ص 208.

.../...

لن ينفرد اتحاد النقابات الاشتراكي النزعة بالحذر من المشروع الجديد فقد عبّر الشيوعيون عن نفس التخوفات مقدمين نفس الحجج . لقد خطب المختار العياري محذرا العمال بقوله ،، ان انفصالكم عن الاتحادية ، يحرمكم من اعانة 25 مليون من العمال... ان مبادىء العملة اممية و لا يمكن انفرادكم بالعمل... ان الذي يدعوكم لتاسيس نقابة غير منظمة للاتحادية انما يدعوكم الى الانقسام الذي يهلك قوة العمال....،،(1)

نرى ان الشيوعيين قد استعملوا تقريبا نفس الكلمات و الحجج التي استعملها الاشتراكيون لرفض فكرة تاسيس النقابة الجديدة و هذا ما يؤكد انهم لم يكونوا من المبادرين بل سينضمون الى دعاة المشروع الجديد وهي مجموعة المثقفين المتكونة بالخصوص من محمد على الحامي و الطاهر الحداد (2).

من الصعب ان نحدد بدقة تاريخ هذا التحول في موقف الشيوعيين و تخليهم عن موقف الحذر من المشروع للالتحاق به و التحمس له. الا انه يمكن الحزم ان مدة التردد لم تتواصل و ان الانحياز لفكرة محمد علي و اصدقائه كان نهائيا في منتصف شهر اكتوبر 1924 و يمكن دعم هذا الراي بعاملين :

---

(1) الطاهر الحداد. العمال... المصدر السابق ص 127

(2) احمد الدرعي. دفاعا عن الحداد تقديم وتحقيق محمد انور بوسنينة. تونس 1976. يذكر ان مشروع تكوين النقابات كان عرضيا وان الاصل كان بعث برنامج تعاوني و ان اتجاه محمد علي الى التاسيس فرضته اعتصابات الرصيف و اتصال مجموعة من المضربين به، عند ذلك فكر في تسبيق العمل النقابي على العمل التعاوني و اضافة للصعوبات التي طرحت امامه في هذا الميدان.

فمن ناحية يشير البيان الذي اصدره اتحاد النقابات في صحيفة ،، تونس الاشتراكية ،، بتاريخ 18 اكتوبر 1924 ان الذي يقف وراء المشروع الجديد هم الوطنيون و الشيوعيون.

و من ناحية اخرى فان قرار الطرد الذي اتخذته الجامعة الشيوعية ضد احمد بن ميلاد الذي ندد بعملية تأسيس الناقابات قد وقع نشره يوم 26 اكتوبر 1924 .(1)

لقد اعتبرت الجامعة الشيوعية ان موقف بن ميلاد يتعارض تماما مع سياستها لذلك قررت رفضه من صفوفها لكن السؤال الذي يبقى مطروحا ما هي العوامل التي كانت وراء تغيير موقف الجامعة من الحذر و التردد الى التحمس و المساندة الكاملة للمنظمة الجديدة.

نعتقد ان هذا التحول الذي حدث في موقف الشيوعيين لم يتطلب منهم مجهودا كبيرا فقد راينا ان الجامعة الشيوعية قد سعت منذ البداية الى ربط اوثق الصلات بالعنصر المحلي و ساندت المطالب الوطنية بما فيها الاستقلال السياسي و الانفصال عن

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 26 اكتوبر 1924.
احمد بن ميلاد سبق ان ذكرنا انه انضم للشبيبة الاشتراكية ثم الشيوعية منذ سنة 1919 و كان مناضلا نشيطا في الميدان النقابي و الصحفي فقد قام بتغطية اضرابات صائفة 1924 و تم اعتقاله في بنزرت يوم 11 سبتمبر 1924 لما كان سجينا بلغته اخبار بعث المنظمة الجديدة و انضمام رفاقه الشيوعيين للمشروع فارسل رسالة نشرتها صحيفة ،، تونس الاشتراكية ،، يوم 20 اكتوبر 1924 ساند فيها الاشتراكيين الذين كانوا قد عارضوا النقابات الجديدة و اعلن ان المستقبل سيكون للتجمع الاممي و انه يوبخ كل الذين يوجهون الطبقة العاملة في طريق التقسيم و الحقد...،،

.../...

فرنسا و يرجع ذلك الى الاطار النظري و السياسي الذي تنتمي اليه الجامعةو المتمثل في مبادىء و برنامج الاممية الشيوعية (1).

من عوامل هذا التحول وجود مناضلين حركيين مجربين في صفوف الجامعة الشيوعية مثل النقابي المختار العياري و فينودوري و موريس رامبو و كلهم عرفوا روبار لوزون و تاثروا بشدة تحمسه لمساندة المطالب التونسية.

الى جانب العوامل المحلية يمكن ذكر دور الحزب الشيوعي الفرنسي و خاصة اللجنة الاستعمارية التابعة له التي ساندت بعث المنظمة الجديدة و رفضت التخوفات التي عبرت الكنفيدرالية العامة للشغل الموحد من نتائج تكوين نقابة تونسية مستقلة (2)

و من العوامل الاخرى التي سهلت اتخاذ هذا الموقف انه لم يكن للشيوعيين في تونس تاثيرا قويا داخل الحركة النقابية مقارنة مع التاثير الذي كان للاشتراكيين داخل اتحاد النقابات. لقد راينا انه عند اندلاع اضرابات صائفة 1924 لم يكن للشيوعيين تاثيرا الا في عدد

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي، 22 مارس 1925 مقال بقلم الموجيك يرى ان الشيوعيين لا يعترفون بمعاهدة باردو فاذا كانت تونس الرسمية تقع تحت وصاية الدولة الفرنسية فان ذلك لا يعني بالنسبة لنا ان تمارس الطبقة العاملة الفرنسية اي نوع من الوصاية على العمال التونسيين... اننا نساند استقلال الشعب التونسي و نساند استقلال منظماته العمالية....،،

(2) ارشيف معهد الدراسات الماركسية شريط رقم 7. سلسلة 70 تقرير حول العمل في المستعمرات بتاريخ 1925.1.3 مرسل من الحزب الشيوعي الفرنسي الى الاممية الشيوعية، يتعرض الى النقاشات التي وقعت بين لجنة المستعمرات التابعة للحزب و المركزية النقابية ذات التوجه الشيوعي حول جامعة عموم العملة التونسية.

.../...

قليل من النقابات فنجاح المشروع الجديد يمكن ان يساهم في تقليص نفوذ السـ ج.ت. (الاشتراكية) كل هذه العوامل التكتيكية و المبدية جعلت الجامعة الشيوعية تقف الى جانب جامعة عموم العملة التونسية حيث وضعت على ذمتها صحيفة ،، المستقبل الاجتماعي،، التي كانت تنشر البيانات النقابية و تدافع عن المشروع الجديد و تشرح اهدافه و تشهر باعدائه.

كذلك فان اغلب مناشير الجامعة النقابية تم سحبها في مطبعة لوزون بنهج سوقي بلخير . كما ان جون بول فينودوري مسؤول الجامعة آنذاك قد شوهد مع محمد علي في عدة اضرابات و خاصة في اضرابات حمام الانف و برج السدرية.

و قد تحصلت المنظمة النقابية الجديدة على دعم مالي من الجامعة النقابية الفرنسية ذات التوجه الشيوعي. (1)

ان السلط الفرنسية لن تغفر للشيوعيين موقفهم من الحركة النقابية التونسية لذلك سينال ابرز عناصرهم اقسى العقوبات خلال محاكمة النقابيين في نوفمبر 1925.

لقد تميز عمل الجامعة الشيوعية بتونس منذ تكوينها في فيفري / مارس 1921 حتى نهاية 1925 بمجهودات كبرى للاتصال بالاهالي و بث الفكرة الشيوعية بينهم و اتسمت مبادراتها بمرونة قصوى خاصة عند التعامل مع المجموعات التونسية التي سعت الى تشكيل احزاب سياسية او الى بعث منظمة نقابية.

---

(1) Finodori (J.P) Batailles ouvrières , la C.G.T Tunisienne et les impérialistes français des années 20 textes et documents de Robert Louzon. 1981.

يذكر فينودوري في مقدمة هذا الكتاب انه ذهب شخصيا لمقابلة قاستون مونمصو بنهج القرانج (مقر الجامعة النقابية الفرنسية بباريس) الذي قدم له مساعدة مالية تقدر بـ 1000 فرنك لفائدة المنظمة النقابية التونسية.

ارادت الجامعة الانصهار في الواقع التونسي لتكوين احدى تعبيراته الاساسية و البروز كجزء من مكوناته .
صحيح ان النتائج التي تحصلت عليها بعد 5 سنوات من النشاط كانت متواضعة جداً (1) و ذلك بالمقارنة مع المجهودات و التضحيات المبذولة الا انه من المفيد ان نتساءل عن دوافع هذه الحركية المبكرة و هذا الاصرار على التحول بسرعة الى تنظيم تونسي.

لا شك ان ذلك راجع الى ان الجامعة الشيوعية - كما سبق ان راينا - كانت جزءا من الاممية الشيوعية التي الزمت كل منخرطيها بالعمل على نشر الفكرة الشيوعية (النقطة الرابعة من شروط الانخراط) بالاضافة للنقطة الثامنة التي تفرض على الشيوعيين المساندة الفعلية للشعوب المستعمرة.(بالفتح).

ان الاطار الفكري و التنظيمي الذي انتمت اليه الجامعة الشيوعية - على اهميته - لا يمكن لوحده ان يفسر هذا التوجه العنيد نحو التونسة .

ففي الجزائر مثلاً، كانت هياكل الحزب الشيوعي في نفس الفترة المدروسة هنا، اكثر عددا و صلابة و تنظيما لكنها لم تركز عملها في اتجاه الاهالي كما كان الشان في تونس بل على العكس فقد اعتبر بعضها - كما راينا ذلك - ان التوجه نحو العنصر المحلي ستنجر عنه عدة اخطار.

---

(1) لا نملك معلومات دقيقة عن عدد المنخرطين بالجامعة الشيوعية ففي حين نلاحظ مبالغة في الارقام الواردة الى اللجنة الاستعمارية (80 عضوا في ديسمبر 1926 حسب ارشيف م.د.م) اما احصئيات البوليس فهي تتجه الى التقليل.

ان اتجاه الجامعة المبكر للتاقلم مع الظروف التونسية يرجع في نظرنا الى مجموعة من العوامل :

1. احتداد التناقضات الوطنية و الاجتماعية التي افرزتها العودة القوية لتطبيق البرامج الاستعمارية من طرف السلط الفرنسية غداة الحرب العالمية الاولى، فالجامعة الشيوعية ستسعى لتكون احدى التعبيرات السياسية للوعي الوطني و الطبقي الذي شهد انتشارا اوسع لدى فئات اجتماعية جديدة تضررت من انعكاسات السياسة الاستعمارية .

2. في بداية العشرينات كان اهتمام المنظمة الام التي تنتمي اليها الجامعة وهي الحزب الشيوعي الفرنسي ثانويا بالقضايا الاستعمارية عامة و بالمسالة التونسية خاصة وهو ما فرض على المناضلين المحليين القيام بمجهودات متواصلة للتاقلم مع المحيط الذي يتحركون داخله .

و في هذا الاطار كان لمجموعة من الافراد دورا متميزا في تجسيد هذا المجهود من ابرزهم روبار لوزون باعث الحركة الذي سخر امكانياته المادية و طاقته الفكرية لتوفير وسائل دعاية (الصحف و المطبعة و المقرات) و لربط صلات بالعناصر الوطنية و بالمثقفين المحليين وهو ما جعله يحظى باحترام كبير لدى المناضلين و سيواصل ذلك حتى بعد مغادرته البلاد (1)

---

(1) ينهي عبد الرحمان الكافي قصيدته ملزومة شيوعية بهذا البيت مادحا روبار لوزون :

تعيش الاخوة و تحيو الشيوعيين و المنجل و المطرقة تعيش يا لوزون

اما التقرير المقدم الى اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي بتاريخ 1927.1.7 فيشير الى ان التاثير الشخصي لروبار لوزون لا يزال باقيا لدى العناصر الشيوعية بتونس وهم يعتبرون انفسهم في حزب لوزون (ارشيف م.د.م شريط 35 سلسلة 24)

استعان لوزون في عمله بمجموعة من الافراد الذين امتازوا باندفاعهم و حيوتهم مثل رامبو الذي استطاع ان يقنع كامل اعضاء الشبيبة الاشتراكية بالانخراط في الاممية الشيوعية و ذلك قبل البعث الرسمي للجامعة الشيوعية. و قد كان الشباب العنصر النشيط و الحركي الذي سيتحمل مسؤولية نشر الافكار و تنظيم الاجتماعات و اصدار الجريدة و توزيعها.

كذلك نجح لوزون في احاطة الجامعة بمجموعة من المثقفين المحليين الذين انتموا او تعاملوا مع الجامعة لفترات اختلفت في طولها مثل محمد نعمان و محمد بورقيبة و محمد بلحسين و الشاعر عبد الرحمان الكافي الذي وظف الشعر الشعبي لاغراض الدعاية الشيوعية.

اما في الميدان النقابي فقد كان للمختار العياري دورا كبيرا في نشاط جامعة عموم العملة التونسية.

3. اضافة لتاثير الاشخاص و اشعاعهم ووضوح افكارهم، هناك عامل اخر ساهم في توجيه عمل الجامعة نحو الاهتمام بالقضايا التونسية وهي حالة ،، النضج الوطني،، التي اصبحت عليها البلاد التونسية غداة الحرب الاولى، هذا النضج الذي تجسد بوضوح في بعث حزب وطني طالب بتحرير البلاد من الحضور الاجنبي.

و هذا ،،النضج ،، هو نتاج لمختلف الحركات الاصلاحية و التحديثية التي عرفتها تونس قبل انتصاب الاستعمار و اثر ذلك، وهو تعبير على مرحلة من مراحل الوعي الوطني،، الذي سياخذ اشكالا اكثر نضجا و ترسخا في الثلاثينات و الاربعينات . ان ،، النضج الوطني،، سيشكل حافزا لتوجيه عمل الشيوعيين في اتجاه الاهالي و المساهمة في تعميق انخراطهم في العمل

.../...

السياسي . هذا بالاضافة لدور الاممية الشيوعية و لتعليماتها الملزمة لجميع الاعضاء . لكن هذه البلورة المبكرة للوعي الوطني في تونس ستشكل في نفس الوقت عقبة تاريخية امام توسيع تاثير الحركة الشيوعية رغم المجهودات الكبيرة التي سيبذلها عناصرها . ذلك ان الحركة الشيوعية في تونس لن تبرز لتسد فراغا بل وجدت امامها على الساحة تيارا فكريا و سياسيا اصلاحيا متبلورا. وهو وثيق الصلة بالتراث الحضاري و الثقافي للاغلبية الساحقة من الشعب.

ان هذا الواقع فرض على النواة الشيوعية العمل في مستويين ، المستوى الاول تمثل في دعم و مساندة الحزب الدستوري و التعبير عن مطالبه لكن بصفة اوضح و ذلك في اطار السعي للتحالف مع هذا الحزب و ربط قنوات اتصال عن طريقه بالجماهير التونسية .

اما المستوى الثاني فتمثل في العمل على كسب مساحة خاصة يؤثر فيها و تتاثر به بصفة متميزة فكان توجه الجامعة نحو المراكز العمالية و اهتمامها بالنقابات و بتوسيع اشعاعها داخلها.

و هكذا فقد توضحت بالنسبة للجامعة الشيوعية منذ سنواتها الاولى ابرز الاولويات و ميادين التاثير ، لكن هل ستستطيع في الفترات اللاحقة الاستجابة لكل الضغوطات الاجتماعية و الوطنية التي ستطرح امامها؟.

القسم الثاني

تعدد المحاولات لاعادة بناء التنظيم الشيوعي 1926 / 1932

بعد الحركية التي ميزت الجامعة الشيوعية عند انطلاقتها سيشهد نشاطها تراجعا واضحا منذ بداية 1926 رغم المحاولات التي سيقوم بها بعض المناضلين و رغم الاهمية التي سيوليها الحزب الشيوعي الفرنسي و من ورائه الاممية الشيوعية للعمل في المستعمرات، لذلك ستتميز الفترة الممتدة بين 1926 و 1932 بتعدد المساعي الخارجية لدفع نشاط الجامعة التي ستبقى في حالة ضعف كبير و ستشقها خلافات ادت سنة 1929 الى اتخاذ العناصر المتبقية قرار حلها.

فالنضال الوطني و الاجتماعي الذي عرفته البلاد التونسية في الخمس سنوات الاولى من العشرينات ابرز حدّة التناقضات التي يعيشها المجتمع التونسي نتيجة الاستغلال الاستعماري و الطاقات الكامنة داخله.
الا ان حداثة التجربة لدى المنظمات السياسية و النقابية و التعسف و المناورات التي ستجابهه بهما السلط هذه التحركات اضافة لتغير المعطيات الاقتصادية و تحسن المحاصيل عموما في النصف الثاني من العشرينات، كل هذه العوامل ستجعل الحركة الشيوعية و كذلك الدستورية تدخلان في مرحلة ركود رغم الحوافز و المحاولات الخارجية و الداخلية لدفع نشاطها.

.../...

الفصل الاول

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

مساعي خارجية و داخلية لدفع الحركة الشيوعية بتونس (1925 / 1928)

اولا : الاممية الشيوعية و الحزب الشيوعي الفرنسي و المسالة التونسية (1924 / 1928)

راينا ان المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية المنعقد في اواخر سنة 1922 كلّف الحزب الشيوعي الفرنسي بمتابعة النشاط الشيوعي في المستعمرات الفرنسية الا ان ذلك لن يمنع الاممية من مواصلة الاهتمام بنضال شعوب المستعمرات.

ففي المؤتمر الخامس المنعقد بموسكو من 17 جوان الى 8 جويلية 1924 احتلت المسالة الاستعمارية مكانة بارزة ،اذ رتبت كنقطة خامسة في جدول الاعمال و تمت مناقشتها خلال ايام 30 جوان و 1 و 8 جويلية 1924، انطلاقا من تقرير قدمه مانويلسكي

و قد اشار التقرير الى الهفوات و الاخطاء التي ارتكبتها عدة احزاب نتيجة تواصل ،، العقليات الاستعمارية ،، داخلها بالاضافة للنقص في النشاط و الوعي بحقيقة القضايا الاستعمارية داخل الحزب الشيوعي الفرنسي و الهولندي و خاصة الانقليزي.(1)

واحتلت قضايا المستعمرات بداية من سنة 1925 مكانة متميزة في اهتمامات المكتب التنفيذي للاممية ، فخلال سنتي 1925 و 1926 وضع في جدول اعمال اجتماعاته 3 مرات مسالة فلسطين و 4 مرات تركيا و 4 مرات الصين و 5 مرات المغرب خاصة و ان حرب الريف كانت في اوجها(2).

---

(1) انريكا، الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 133

(2) انريكا ، الاممية الشيوعية..المصدر السابق ص 159.

٥

كما اصدر المكتب التنفيذي للاممية النقابية الحمراء نداء للعمال و النقابيين التونسيين اثر محاكمة قادة جامعة عموم العملة التونسية في نوفمبر 1925(1).

و من بين المبادرات الهامة التي اتخذتها الاممية لتجسيد برنامجها فيما يتعلق بالمستعمرات ، القرار الذي صادق عليه اجتماع المكتب التنفيذي الموسع المنعقد في صائفة 1926 و القاضي ببعث حركة جماهيرية عالمية معادية للاستعمار ستعقد مؤتمرها الاول في مدينة بروكسيل في شهر فيفري 1927 و ستنبثق عنه رابطة النضال ضد الامبريالية و الاضطهاد الاستعماري. (2)

الا ان تجسيد كل هذه التوجهات و المبادىء بالنسبة لشمال افريقيا ستكون من مشمولات الحزب الشيوعي الفرنسي عن طريق ،، اللجنة الاستعمارية ،،.

---

(1) نداء الاممية النقابية الحمراء، صدر هذا النداء بموسكو في 20 نوفمبر 1925 و نشرته الجريدة الشيوعية ،، العامل،، بتونس بتاريخ 11 جانفي 1926، و قد جاء فيه بالخصوص ....،، ان الاممية النقابية الحمراء تبعث كل تعاطفها الى الرفاق في تونس المقموعين و الى كل العمال التونسيين الذين تعرضوا الى تعسف من طرف حكومة كتلة اليسار التي يساندها الاشتراكيون و الاصلاحيون النقابيون. ايها العمال الفرنسيون ساندوا رفاقكم المضطهدين في تونس و اصلوا الكفاح من اجل تحرير الشعوب المستعمرة. عاش اتحاد الشعوب المستعمرة....،،

(2) سنرى لاحقا مساعي الحزب الشيوعي الفرنسي لتامين مشاركة عناصر تونسية في المؤتمر الاول المنعقد في بروكسيل.

.../...

ويعود قرار تكوين هذه اللجنة الى المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية الا انه رغم موافقة مؤتمر ليون للحزب الشيوعي الفرنسي على ذلك القرار حيث تم تحويل لجنة الدارسات الى لجنة مختصة بالمستعمرات فانه لم يحدث تطور نوعي في عمل الحزب تجاه المستعمرات في سنتي 1923 و 1924.

و يرجع ذلك الى ان مشاغل الحزب الاولى كانت موجهة نحو ترتيب اوضاعه الداخلية كما ان لجنة المستعمرات احتوت ،، على رفاق غادروا بلدانهم منذ وقت طويل، لذا تميزت اعمالها بنقاشات بدون نهاية و لا غاية و لم يكن لها اي نفوذ و لم تقدم اى اقتراح للمكتب السياسي لحثه للتداخل في اتجاه فروعه بشمال افريقيا (1).

سيتميز نشاط اللجنة بفاعلية اكبر منذ تعيين جاك دور بو على راسها (2) في اوت 1924 فبعد مرور اربعة اشهر على ذلك التعيين قام بارسال اول تقرير يلخص عمل اللجنة و من ابرز النشاطات المذكورة ،، التوصل الى وضع تحت تاثيرنا (كذا) الحركة النقابية التونسية و ذلك عن طريق بعث جامعة عموم العملة التونسية (3)

---

(1) ارشيف معهد الدراسات الماركسية، شريط 7، سلسلة 70.
تقرير حول العمل في المستعمرات بتاريخ 1925.1.3 امضاء هنري لوزاري.

(2) جاك دوريو من مؤسسي الشبيبة الشيوعية الفرنسية، عضو بارز في الحملة ضد حرب الريف بداية من 1924 مثل الاممية فيالصين لفترة قصيرة كان عضو خلال سنوات عديدة في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي . اشرف على اللجنة الاستعمارية . اطرد من الحزب الفرنسي سنة 1934 حيث كون الحزب الشعبي الفرنسي ذيالطابع الفاشيز ساند السياسة الالمانية. مات في المانيا خلال عملية قصف سنة 1944.

(3) ارشيف م.د.م شريط 7 سلسلة 70 تقرير حول نشاط الحزب الشيوعي الفرنسي في المستعمرات بتاريخ 1924.12.18 بامضاء جاك دوريو.

.../...

وقد تعرضت تقارير اخرى باكثر دقة لهذه المسالة ، حيث ذكرت بالنقاشات التي حدثت في صلب الحزب الشيوعي الفرنسي حول مشروع بعث الجامعة النقابية التونسية و علاقاتها الممكنة مع النقابة الفرنسية ذات التوجه الشيوعي ذلك ان قادة جامعة الشغل الموحدة (C.G.T.U) عبّروا على معارضتهم لقيام نقابات وطنية مستقلة في المستعمرات على المنظمة الام (1).

و كان للتوضيح الذي قام به الحزب الشيوعي الفرنسي اهميته بالنسبة لموقف الشيوعيين في تونس ، فبعد فترة من التردد قبلوا كما راينا التعامل مع المنظمة الجديدة على اساس احترام استقلاليتها (2)

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 7 سلسلة يذكر التقرير المؤرخ يوم 1925.1.3 انه ،،... بعد نقاشات طويلة و تبادل اراء استطعنا تجاوز الصعوبات التي برزت اذ ان جامعة الشغل الموحد كانت تعارض استقلال النقابات التونسية مبدية تخوفها من اتخاذ السلط قرارا بحلها و عندئذ لا يمكنها التدخل للحيلولة دون ذلك ، كما ابدت تخوفها من ان تنسج الحركة النقابية في الجزائر على ذلك المنوال و بعد النقاش وقع الاتفاق على ان تنخرط جامعة عموم العملة مباشرة في الاممية النقابية الحمراء.،،

(2) الطاهر الحداد ، العمال ... ص 134 و135 عندما تعرض - كما راينا الى موقف العياري المعارض في البداية لفكرة بعث الجامعة ثم ساندها و انخرط فيها بحماس

و اثـر ايقـاف النقابيين و محاكمتهم خلال سنة 1925 سعت اللجنة الاستعمارية لتنظيم التصدي للتعسف الاستعماري، وذلك عن طريق مبعوثين عنها الى تونس(1) و ارسال اعانات مادية شهرية لعائلات النقابيين المعتقلين(2) و ستليها محاولات لاعادة هيكلة جامعة عموم العملة التونسية (3).

لقد بُذلت اللجنة الاستعمارية مجهودات كبرى خلال السنوات 1924 و 1928 في اتجاه دعم الحركة النقابية التونسية عند بعثها او عند التعسف عليها. و يمكن القول ان هذه التجربة بما احدثته من نقاشات حول العلاقة الممكنة بين الحزب الشيوعي و النقابة قد مكنت الشيوعيين الفرنسيين من اضافة نظرية تتعلق بامكانية قيام منظمات نقابية وطنية مستقلة في المستعمرات رغم انه كان للحزب حركة نقابية تحت تاثيره.

و سيتمسك الشيوعيون في فرنسا و في تونس بالدفاع على جامعة عموم العملة التونسية و يتبينون عملها و تراثها حتى سنة 1936 تاريخ توحيد الحركة النقابية الفرنسية.

---

(1) تم في الفترة الممتدة بين 1925 و 1928 ارسال عدة عناصر من اللجنة الى تونس بقصد دفع العمل الشيوعي او القيام باتصالات مع النقابيين ومع الدستوريين من بينهم محمود بالاكحل و عبد العزيز منوار و النائب برانتون ، سنتعرض لحصيلة اعمالهم عند استعراضنا للنشاط الشيوعي بتونس في الفصل القادم.

(2) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 172 تقرير حول نشاط اللجنة لشهر افريل 1926 وهو مؤرخ في 1926/4/27 امضاء دوريو.

(3) ستنعرض في جزء لاحق لمحاولات الشيوعيين لاعادة بعث جامعة عموم العملة التونسية.

.../...

بالاضافة لاهتمامها بالحركة النقابية، واصلت اللجنة الاستعمارية متابعة تطور الحزب للحر الدستوري في محاولة منها للتاثير على سياسته.

لقد احدث موقف حسن الظن الذي اتخذه الحزب الحر الدستوري تجاه تكتل اليسار التي تسلم الحكم في فرنسا في صائفة 1924 خيبة امل لدى الشيوعيين الفرنسيين.

و لما اضاف الحزب الدستوري لذلك اجتماعه مع الاشتراكيين و الاصلاحيين و النواب التونسيين في المجلس الكبير في فيفري 1925 ممضيا معهم نداء يدعو العمال التونسيين للانضمام للجامعة للشغل فان اللجنة الاستعمارية انتهت في تحليلها الى ان هذا الحزب اصبح ،، يخضع لمشيئة البرجوازية و الاقطاعيين،، (كذا)

ان هذه التطورات فرضت على الحزب الشيوعي الفرنسي استخلاصات مناقضة لمواقفه السابقة من الحزب الدستوري(1)
فقد انتهت اللجنة الى الفكرة القائلة بانه لا يمكن بروز حزب وطني ذي توجهات جذرية في معاداة الاستعمار الا اذا ضم في صفوفه و في قيادته عناصر ثورية قادرة لا فقط على المطالبة بالاستقلال - وهي مرحلة ضرورية - و لكن ايضا التوجه نحو الثورة الاجتماعية و تحقيق الاشتراكية.

---

(1) ساند الشيوعيون في فرنسا و في تونس الحزب الحر الدستوري من ذلك الدور الذي قام به المحامي و النائب اندري برتون لفائدة الوفود الدستورية في باريس و للثعالبي عند اقامة هذا الاخير في باريس كذلك الحملة التي قام بها الحزب الشيوعي الفرنسي لفائدة المطالب الدستورية مؤكدا ،، ان الشيوعيين يساندون الحركة الانفصالية للشباب التونسي، و ذلك بقطع النظر عن الاختلافات النظرية التي تفرق بينهم...،، انظر المستقبل الاجتماعي 28 ديسمبر 1924.

.../...

و في هذا الاطـار تم بعث جمعية النجم الشمال الافريقي في ربيع سنة 1926 ببادرة من اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي ذلك انه من اهم الاسباب التي اوردتها اللجنة لتبرير قيامها بهذا المشروع هو سد الثغرات التي ابرزتها تجربة التعامل بين الحزب الحر الدستوري و الشيوعيين الفرنسيين لذا اكدت اللجنة ...، على ضرورة دخول الشيوعيين الى النجم الشمال الافريقي ... انظروا ما وقع في الحزب الدستوري اين كان تاثير الشيوعيين ضعيفا. لان في قيادة هذا الحزب يوجد البرجوازيون و ليس العمال....
و لوكان لنا تاثير في قواعد الدستور لقمنا بالتشهير بقادته الحاليين...(1)

لكن بعث النجم الشمال الافريقي ابقى المسالة برمتها بالنسبة الى تونس فالمنظمة الجديدة كانت تضم بالخصوص العمال الجزائريين المهاجرين في فرنسا و قادتها من الجزائريين الحاجعلي عبد القادر المصالي الحاج و تاثيرها امتد بالخصوص الى الجزائر رغم ان المشروع في هدفه الاصلي كان موجها للبلدان المغربية الثلاثة.
ان هذا الواقع جعل اللجنة الاستعمارية لا تقطع صلاتها بالحزب الحر الدستوري ، بل كانت تتابع التطورات التي كان يمر بها و ترسم على ضوء ذلك السياسة الملائمة تجاهه.

فقد تضمنت التوجيهات المقدمة للنائب الشيوعي برانتون الذي كلف بمهمة في بداية ماي 1926 في تونس التاكيد على ضرورة ،، افهام قواعد الحزب الحر الدستوري حقيقة المهزلة التي يقوم بها تكتل اليسار (الحاكم في فرنسا) و يقع تذكيرهم ان الشيوعيين هم دوما

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 73 محضر جلسة اللجنة الاستعمارية بتاريخ 9 سبتمبر 1926.

.../...

على استعداد لاعانتهم ، و لكن في نفس الوقت يحذرونهم من اوهام بعض القادة الدستوريين الذين يريدون ابقاء المعركة في المستوى الدستوري و القانوني ،، (1).

و في نفس الاتجاه اعطيت تعليمات لبرانتون لكي يتصل بالعناصر الدستورية القريبة من الشيوعيين ، ذلك ان اللجنة كانت تخطط لاحداث انشقاق داخل الحزب الدستوري او تكوين مجموعة متجذرة داخله تعمل للضغط على القيادة و توجيهها في اتجاه ثوري. (2)

و قد اكد تقرير اللجنة الاستعمارية لشهر سبتمبر 1926 هذا التوجه حيث الح على ضرورة ارسال ،، اطار ملم بجوانب سياستنا تجاه المستعمرات الى تونس نظرا لضعف المناضلين الشيوعيين الموجودين هناك خاصة و ان اخبارا وردت هذه الايام تفيد بحدوث انشقاق داخل الحزب الحر الدستوري (3)

و قد وجد الحزب الشيوعي الفرنسي في شخص الشاذلي خير الله عضو اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري، نقطة ارتكاز لربط علاقة بهذا الحزب ، ذلك ان خير الله قدم الى باريس في صائفة 1926 قصد مواصلة دراسته و كان ذلك بعد المدة التي قضاها في السجن اثر نشره لمقال ينتقد فيه

---

(1) ارشيفم.د.م شريط 25 سلسلة 172 محضر اجتماع اللجنة الاستعمارية التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي بتاريخ 24 افريل 1926(تعليمات اللجنة للنائب الشيوعي برانتون الذي كان يتهيأ لزيارة تونس).

(2) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 172 تقرير حول نشاط اللجنة الاستعمارية لشهر افريل 1926 حيث يذكر انه من بين التوصيات التي اعطيت للشيوعيين بتونس العمل على تكوين اطارات قادرة على خلق مجموعة يسارية داخل الحزبالدستوري.،،

(3) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 172 تقرير اللجنة الاستعمارية بتاريخ 1926.9.23.

.../...

بشدة قصف دمشق من طرف الجيوش الفرنسية. (1)

و اثر النقاشات التي اجريت معه تبنى الشاذلي خير الله باسم حزبه ارضية عمل مشتركة يتم عرضها على الحزب في تونس و تحتوي على مجموعة من المطالب تتمثل بالخصوص في :

(النضال ضد القرارات الزجرية الصادرة في جانفي 1926 ، مقاومة غلاء المعيشة و الاداءات الجديدة، من اجل حرية الصحافة و الحق النقابي ، تطبيق 8 ساعات عمل في اليوم و بقية القوانين الاجتماعية ، برلمان تونسي، سلم عاجلة في المغرب و سوريا سحب الجنود التونسيين من هذه الجبهات.) (2)

و رغم التوصل لهذا الاتفاق مع الشاذلي خير الله فان تقييم اللجنة الاستعمارية كان حذرا لمعرفتها حقيقة موقف الدستوريين في تونس من العمل مع الحزب الشيوعي، و تخوفهم من كل تحالف يمكن ان تجلب لهم غضب السلط الفرنسية .

لذا نراها في تقييمها لهذا الاتفاق تؤكد ،، انه يشكل اتجاها جديدا لكنه يبقى عملا منقوصا و يتحتم علينا تنظيم حركة الاحتجاج التي ما فتئت تبرز ضد القيادة و ذلك عن طريق القيام بالتوجية السياسي

---

(1) الشاذلي خير الله ، ولد في 10 مارس 1898 ابن خير الله بن مصطفى بعد دراسة في تونس و ليون اصبح موظفا في ادارة الداخلية . انخرط في الحزب الدستوري سنة 1924 و سرعان ما اصبح عضوا في لجنته التنفيذية، نشر يوم 21 نوفمبر 1925 مقالا حول دمشق المدينة الشهيدة . حوكم من اجله يوم 26 جانفي 1926 بـ 6 اشهر سجن، اثر ذلك تحول الى باريس اين سيقيم علاقات بالحزب الشيوعي الفرنسي و ينضم للنجم الشمال الافريقي الى ان يقع طرده من فرنسا بداية 1928.

(2) ارشيف م.ذ.م. شريط 35 سلسلة 242 تقرير حول نشاط اللجنة الاستعمارية شهر جانفي 1927.

الواضح لهذا الجناح.،، (1)

سيرتكز عمل اللجنة تجاه الحزب الدستوري في اتجاهين :
الاتجاه الاول هو تشريك الشاذلي خير الله و تقديمه في كل مناسبة بوصفه عضوا في قيادة الدستور، حيث شارك في بعث النجم الشمال الافريقي في جوان 1926 و اصبح رئيسا لهذه المنظمة في السنة الموالية و بتلك الصفة شارك ضمن الوفد الفرنسي الى مؤتمر بروكسيل المعادي للاستعمار.

اما الاتجاه الثاني فتمثل في مواصلة المساعي من اجل ربط صلات باللجنة التنفيذية بتونس حيث تمت دعوتها لحضور مؤتمر بروكسيل لكن اكتفى احمد الصافي الكاتب العام بتوجيه (رسالة الى المؤتمر قراها الشاذلي خير الله.(2)

ان كل هذه المساعي كانت تهدف لابراز جناح يساري داخل الحزب الدستوري قادر على تحويله الى منظمة ثورية شبيهة بحزب الكومينتنغ الصيني(3) المتحالف آنذاك مع الحزب الشيوعي الصيني.
و فعلا فان احدى غايات مؤتمر بروكسيل هو ادخال مثل هذا التوجه في الاحزاب الوطنية و توفير فرص التعامل و التحالف بينها و بين الاحزاب الشيوعية في المستعمرات.

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 85 سلسلة 242 نشاط اللجنة الاستعمارية خلال شهر جانفي 1927

(2) جاء في الرسالة بالخصوص.. آسف لعدم تمكن حزبنا الحر الدستوري التونسي المشاركة في الظروف الراهنة في اعمال مؤتمر الشعوب المضطهدة و نحن نؤكد التزامنا بالمشاركة الفعلية في اعمالكم في المستقبل ...يمكن للحكومة ان تكون من اليمين او اليسار في فرنسا، لكن بلدنا يبقى المكان الذي تمنع فيه حرية الصحافة و التعبير و الاجتماع رغم انشغاله بالنضال ضد الاستعمار فان الشعب التونسي لن ينسى اخوانه في الصين و الهند و مصر...،، الانسانية 22. فيفري 1927

(3) الكومينتنغ تجمع وطني صيني اسسه سنة 1911 الدكتور سان يات سين (1866/1925) شجعت الاممية الشيوعية الحزب الشيوعي الصيني للانخراط في هذا التجمع سنة 1924 رغم تحفظ الكاتب العام وفي بداية 1926 وقع قبول الكومينتنغ في الاممية بوصفه ،، حزبا مشاركا،، وسيتواصل هذا التحالف حتى مجازر شانقاي افريل 1927.

الا ان هذه المجهودات لن تؤتي اكلها و لم يحدث اي تغيير في موقف الحزب الدستوري ، ففي شهر ماي 1927 تلقت اللجنة الاستعمارية بمرارة رفض قيادة الحزب الدستوري القيام باي عمل مشترك مع الشيوعيين لنجدة ضحايا الجفاف (1)

و هذا الرفض المتواصل لمبادرات و نداءات الحزب الشيوعي جعل اللجنة الاستعمارية تستنفذ صبرها و تقرر الدخول في ،، حركة مباشرة و علنية للتشهير بمهادنة القيادة الدستورية و ترددها في النضال ضد الامبريالية ،، (2)

و لتجسيد هذا القرار وقع الاتفاق على الاسراع بتنظيم و هيكلة اليسار الدستوري و نشر ندائه الذي يحمل مجموعة المطالب

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 31 سلسلة 210 محضر اجتماع المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي بتاريخ 31 ماي 1927 ، قدم سيلور تقريرا عن الصعوبات التي تمر بها الفلاحة التونسية حيث ذكر ان 25./. من الماشية قد فقدت منذ بداية الموسم 1926 1927 اثر النقص الحاصل في العلف في فصل الشتاء ، اما بقية الماشية فهي معرضة للموت خلال الصائفة. اما بالنسبة للمحصول الزراعي فان الصابة قد هلكت في 3/4 المساحات كما ان العواصف الرملية التي هبت في شهر مارس 1927 قد اضرت بصفة جدية الصابة القادمة للزيتون و قد تضمن التقرير مقترحات لاعانة المتضررين من التونسيين الذي لم تقدم لهم السلط اي مساعدة. و تمت الدعوة لتكوين لجان عمل لمساعدة ضحايا الجفاف تضم الحزب الشيوعي و الحزب الدستوري و اذا ما رفضت القيادة يقع الاعتماد على العناصر اليسارية. (.)

(2) ارشيف م.د.م شريط 35 سلسلة 243 تقرير حول نشاط اللجنة الاستعمارية خلال شهر ماي 1927.

التي تبنـاها مؤتمـر بروكسيل المناهض للاستعمار و هذا التوجه نحو التصعيد في علاقات اللجنة الاستعمارية مع الحزب الدستوري سيتدعـم بصفـة اكثر وضوحـا في سنـة 1928 نتيجة تفاعل ثلاثة عـوامل :

- انعكسات احداث شانقـاي في الصيـن و انتهـاء التحالف بين حزب الكومينتنغ الوطني و الحزب الشيوعي الصيني

- انسحاب الشاذلي خير الله من الساحة السياسية البـاريسيـة اثر طرده من فرنسـا في مطلع سنة 1928

- انعقاد المؤتمـر السادس للاممية الشيوعيـة في صائفـة 1928 و اقراره لسياسـة انعـزالية تجاه الاحزاب و الحركات الوطنيـة .

و هكـذا تنتهـي مرحلـة تواصلت من سنـة 1924 الـى 1928 عملت فيهـا اللجنة الاستعمارية بكـل الوسائل لربـط علاقات بالتعبيرات السياسيـة و النقابية الوطنية في تونـس . و قد ركزنـا في حديثنا على اعمال اللجنة التي سـعت للقيام بها مباشرة انطلاقامن باريس في اتجـاه تونس لكـن هذه الاخيرة كانت توجه في نـفس الوقت عمل التنظيم الشيوعي بتونس الذي كان يعمل على ادخال حيز التنفيذ ،، التعليمات ، القادمـة من باريس

كيف سيعمل التنظـيم الشيوعي بتونس على تجسيـد هذه المبادىء كيف سيتعامـل على ارض الواقـع مع الحزب الدستوري، ما هو موقفـه من الحركة النقابيـة اثر محاكمة القيادة النقابية لجامعة عموم العملـة ؟. ما هي درجـة اشعاعه التنظيمـي و السياسي في النصف الثاني من العشرينات ؟.

.../...

ثانيا : نشاط التنظيم الشيوعي بتونس

(1928 / 1925)

شهدت الحركة الشيوعية تراجعا واضحا بداية من النصف من سنة 1925 و خاصة في مطلع سنة 1926.

و لتفادي حالة الضعف هذه ستسارع اللجنة الاستعمارية الى ارسال عدة مبعوثين عنها للقيام بمهمات سياسية في تونس قصد دفع العمل الشيوعي و قد انقسم هؤلاء المرسلين الى صنفين ، الصنف الاول يتكون من عناصر اقامت بتونس لفترة وجيزة قدمت خلالها تعليمات للمناضلين و حاولت مساعدتهم في مستوى التثقيف و الدعاية السياسية . و الصنف الثاني تمثل في وجود مندوب دائم عن اللجنة مقيم بتونس وهو المسؤول السياسي عن النشاط الشيوعي ، و بالنسبة لهذه الفترة فقد تحمل الخطة روبار باك.

و اهم المحاور التي شغلت بال العناصر الشيوعية بتونس هي العمل على المحافظة على التنظيم و ربط علاقات بالحركة الوطنية و استغلال انتفاضة الريفيين و السوريين ضد الاحتلال الفرنسي لبث الروح الوطنية في التونسيين اما المحور الثالث فتمثل في محاولات لاعادة هيكلة جامعة عموم العملة التونسية و بعث الحركة النقابية من جديد بعد محاكمة نوفمبر1925 و نفي قادتها.

.../...

أ .) محاولـــة اعـــادة هيكـلـة التنـظـيم الشيوعي

الصـراع مـن اجـل البـقـاء

في بدايـة 1926 تخلى الشيوعيون بتونس عن جميع مظاهر النشاط العلني اذ توقفت اخر صحيفة علنية ،، العامل،، (بالفرنسية) عن الصدور يوم 22 فيفري 1926، كما افرغ مقر الجريدة الكائن بـ 50 نهج سوقي بلخير من المطبعة التي كانت موجودة به حيث تم نقلها الى فري – فيل(1).

لقد احدث الحملات التعسفية نقلها في عدد المنخرطين و ضعفا في التنظيم الحزبي وهو ما جعل اللجنة الاستعمارية ترسل مبعوثين عنها في محاولة لاعادة بعث الحيوية لدى من بقي من المناضلين اما روبارباك فقد سعى من الداخل ليكون جيل من الشباب التونسي قادر على تطوير الحضور الشيوعي و المحافظة على التنظيم و ابرز المحاولات لدفع النشاط الشيوعي كانت على يد :

1) . مهمة محمود بالاكحل / نوفمبر – ديسمبر 1925(2)

قدم الى تونس في اواخر 1925 اثر صدور الاحكام على قادة جامعة عموم العملة التونسية . و كان مكلفا بربط صلات بين الشيوعيين و الاحزاب الوطنية و النظر في اعادة هيكلة جامعة عموم العملة التونسية ، لكن نفطنت السلط بسرعة لوجوده في تونس فقامت بترحيله الى الجزائر اين سجن.

---

(1) ارشيف الخارجية الفرنسية ، سلسلة 1 تونس (1940/1917) رسالة من المقيم العام الى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 1926.11.13

(2) محمود بالاكحل : جزائري ولد في 2 سبتمبر 1894 بالجزائر هاجر الى فرنسا سنة 1921 ارسل الى موسكو للدراسة في مدرسة الاممية الشيوعية . كان له دورا في لجنة المستعمرات .كلف بعدة مهمات في تونس و الجزائر. انظر ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 72 محضر اجتماع لجنة المستعمرات بتاريخ 1926.10.18.
توقف الحديث عن محمود بالاكحل بداية من سنة 1932.

.2 مهمة عبد العزيز منوار / (1) مارس 1926.

لم يستطع بالاكحل انجاز اي عمل تنظيمي نظرا لقصر المدة التي قضاها بتونس وهو ما سيسعى للقيام به الجزائري عبد العزيز منوار الذي قدم في شهر مارس 1926(2) .

وجد عبد العزيز تنظيما منعدما ،، فالعمل كان مقتصرا على الجريدة... ويوم توقفت الجريدة توقف معها كل شيء...،،

اما عن تكوين المناضلين فلاحظ ضعفا كبيرا رغم وجود الحماس و الاندفاع ذلك ان المنخرطين ،، كانوا يظنون انفسهم في حزب لوزون فهو الذي كونهم على طريقته....،، (3)

و قد عمل هذا المبعوث على افراز مجموعة من المهمات المحلية التي يمكن ان يتركز حولها النشاط الشيوعي (النقابات العمل مع الدستور) و كون هيئة تشرف على التنظيم الشيوعي بتونس تتركب من :

---

(1) عبد العزيز منوار ، ولد في 20 سبتمبر 1893 بالجزائر .هاجر الى فرنسا في بداية العشرينات. درس في موسكو في مدرسة الاممية . عين عضوا في اللجنة الاستعمارية بداية من 1924 .كما انتخب عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي بين 1926 / 1929.

(2) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 172 نملك معلومات اكثر دقة عن هذه المهمة ذلك ان عبد العزيز رفع تقريرا مكتوبا عن مهمته الى اللجنة الاستعمارية في اجتماعها يوم 1926.10.18.

(3) عادة ما نلاحظ في تقارير اللجنة الاستعمارية نقدا و امتعاضا عند التعرض لاسم روبار لوزون ذلك ان هذا الاخير غادر منذ 1924 الحزب الشيوعي و انظم لمجموعة ،، الثورة البروليتارية ،، التي اسسها بوريس سوفارين والتي ستصبح ذات نزعة تروتسكية.

.../...

* محمد قدّور : مكلف بالاشراف على العمل النقابي (1)

* حسن السعداوي : مشرف على فرع الاسعاف الاحمر الدولي (2)

* فانتوريني : مسؤول على فري ـ فيل (3)

* فيكتور زانا : مسؤول على جهة تونس و على الشبيبة الشيوعية (4)

---

(1) محمد قدور : موزع بريد من مؤسسي جامعة عموم العملة التونسية سنة 1924 وقد كان نقابيا قبل ذلك الوقت في السـ. ج.ت. (انظر العمال التونسيون... المصدر السابق ص 153).

(2) حسن السعداوي : ولد في اواخر القرن الماضي بمجاز الباب، اشتغل في سوق السراجين بالعاصمة حيث كوّن اول نقابة هناك صحبة احمد بن ميلاد ، انخرط في جامعة عموم العملة التونسية سنة 1924 و كان قد انخرط في الحزب الشيوعي سنة 1923 و الاسعاف الاحمر الدولي ترجع فكرة تكوينه الى يوم 1922/12/29. خلال انعقاد مؤتمر جمعية قدماء البلاشفة حيث اقترح المؤتمر بعث جمعية روسية للتضامن و التعاون مع المناضلين الثوريين في العالم، و قد تبينت الاممية الشيوعية هذه الفكرة و كونت فروعا الاسعاف في جميع البلدان. انظر مقالنا : ،، بالطريق الجديد،، عدد 62 بتاريخ 18 ديسمبر 1982 حول تاريخ الاسعاف بتونس

(3) فانتوريني : عامل فرنسي بترساخنة فري ـ فيل من مؤسسي نقابة الترساخنة و من باعثي التنظيم الشيوعي بتونس ، كانت له مساهمة في نشر الافكار الشيوعية و النقابية في جهة بنزرت خاصة في الاوساط الاوروبية .

(4) فيكتور زانا : ولد حوالي 1904 تونسي يهودي، اصيل ابه كسور (الكاف) درس في معهد كارنو اين انضم للشبيبة الشيوعية ثم الحزب الشيوعي ، ساهم في تعريف العديد من زملائه المسلمين بالافكار الشيوعية (الهادي فارج ، الهادي الغربي، الحبيب فرحات) يبدو انه شارك في المؤتمر السادس للاممية الشيوعية تحت اسم مصطفى سنة 1928 اثر صعوبات شخصية انخرط في الجيش الفرنسي ثم اصبح موظفا .

.../...

الا ان هذه الهيكلة الجديدة لن تصمد طويلاذلك ان حملات القمع ستتواصل في شهر مارس 1926 حيث تمت محاكمة روبار باك(1) المسؤول السياسي عن التنظيم ، و في يوم 23 افريل من نفس السنة تم القاء القبض على الهادي الغربي وهو بصدد توزيع المناشير ليلا في اسواق المدينة ، منددة بالحملات العسكرية الفرنسية على منطقة الريف بالمغرب(2) ان تتالي المضايقات على العناصر الشيوعية جعل اللجنة الاستعمارية تقرر ارسال النائب الشيوعي برانتون.

3.) مهمة برانتون ماي 1926 / اختلفت مهمة برانتون عن البعثات السابقة التي تمت في نطاق السرية ، فالهدف من ارسال نائب في البرلمان هو توظيف ما يتمتع به من حصانة لاحداث نوع من التحدي للسلط،، ورفع معنويات اعضاء الحزب و ارجاع الثقة اليهم،،. بعد الحكم على روبار باك بسنة سجن.

---

(1) روبار باك ، ولد في باريس في 1897/9/10 شارك في الحرب العالمية الاولى و في سنة 1917 صدر ضده حكم بالاعدام لانه رفض اطلاق النار ، انتهت الحرب دون ان ينفذ فيه الحكم، اطلق سراحه في نوفمبر 1925، بعد ان كان مسجونا في تبرسق(تونس) نشط الحركة الشيوعية بتونس من 1926 الى بداية 1929 حيث عاد الى فرنسا ، شارك في مقاومة النازية ، فاعتقل و اعدم طلقا بالرصاص يوم 6 فيفري 1943.

(2) الهادي الغربي ، من مواليد 1905، انخرط في البداية في الحزب الحر الدستوري و جامعة عموم العملة التونسية ، اشتغل برانسي . قبض عليه يوم 23 افريل 1926 وهو بصدد توزيع منشور شيوعي ضد حرب الريف و قد كان آنذاك صديقا للشيوعيين (الدستوريين الثوريين) اثر خروجه من السجن سيصبح عضوا في الحزب الشيوعي. نفي الى الجنوب سنة 1935 و في بداية جوان 1936 سيتحمل عدة مسؤوليات قيادية.

.../...

في نفس الوقت كلف برانتون بالاتصال بالحزب الدستوري، وفضح القرارات الزجرية في اجتماعات عامة (1)
الا ان زيارة النائب الشيوعي كانت هزيلة ، فلم يكن اجتماعه الذي عقده بفري فيل تحت عنوان ،، الطبقة العاملة و الوضع الراهن،، ناجحا و اثر ذلك تقدم بطلب لعقد اجتماع بتونس العاصمة للاحتجاج على القرارات الزجرية، لكن وقع رفض الطلب(2).

لم تكن مهمة برانتون اكثر حظا من تلك التي سبقتها وهو ما جعل اللجنة الاستعمارية تستخلص انه ليس بامكان الشيوعيين القيام ،، الا بنشاط محدود نظرا للتعسف و لقلة عدد المناضلين،، (3) كما انتهت الى ان تركيز التنظيم الشيوعي بتونس لا بد ان يتم بواسطة عناصر تونسية، لذلك جددت اللجنة طلبها الذي تقدمت به عدة مرات للاممية الشيوعية المتمثل في ارجاع الطلبة التونسيين الذين كانوا يدرسون في جامعة الشرق التابعة للاممية بموسكو للاستعانة بهم في تونس (4)

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 172 محضر اجتماع اللجنة 1926/4/24

(2) ارشيف و.خ.ف سلسلة 1 تونس (1917 /1940) برقية من المقيم العام الى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 12 ماي 1926.

(3) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 172 تقرير بتاريخ 22 اوت 1926 حول عمل اللجنة الاستعمارية تجاه تونس وهو مرسل الى الاممية الشيوعية.

(4) نفس المصدر... هذا و قد ذكر لنا الحبيب فرحات في حديث كان يوجد 3 طلبة تونسيين في مدرسة الاممية وهم البشير العوني، احمد الورتاني و المختار الكامل و قد عادوا من موسكو سنة 1927 بعد قضاء فترة من الوقت في باريس و لكن سوف يكون لهم الا دورا متواضعا جدا في مسيرة الحركة الشيوعية بتونس

.../...

اما الهيئة التي ركزها عبد العزيز منوار في مارس 1926 لتسيير التنظيم فلم تستطع القيام بعمل كبير نظرا لقلة تجربتها و انعدام تكوينها و غياب المشرف السياسي الذي يوجهها خاصة و ان روبار باك كان مسجونا آنذاك(1)

و في محاولة جديدة لتلافي هذا الضعف قررت اللجنة الاستعمارية ارسال ليومارشان (2) للاشراف على العمل الشيوعي بتونس في انتظار خروج باك من السجن.

<u>.4) مهمة ليومارشان نوفمبر 1926 - جويلية 1927 /</u> وصل الى تونس يوم 5 نوفمبر 1926 و بعد ان قضى حوالي شهرين عاد الى باريس ليرفع تقريرا عن الوضع التنظيمي امام اللجنة الاستعمارية في اجتماعها يوم 30 ديسمبر 1926.

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 172 محضر اجتماع اللجنة بتاريخ 18 اكتوبر 1926 المخصص لتونس و قد ذكر سيلور احد مسؤولي اللجنة مقيما بنشاط الهيئة المسؤولة - هناك ،،.... ان فانتوريني رفيق طيّب يقوم بحزم بالمهمات العملية لكن ينقصه التكوين السياسي و يقطن بعيدا عن تونس (فري فيل) اما في تونس فيوجد الشاب فيكتور زانا لكنه يواجه صعوبات عائلية عديدة تمنعه من تسخير كل وقته للحزب، اما السعداوي و قدور فلهما مهام عديدة تتجاوز طاقتهما ... ،،

(2) ليو مارشان. ولد في براست(فرنسا) في 1883.6.19، يذكر معاصروه انه ضعيف التكوين السياسي، كثير الاندفاع وهو من المقربين سياسيا لجاك دوريو عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي و المشرف على اللجنة الاستعمارية آنذاك.

.../...

اكـد مـارشان في تقريره حالة الضعف التي كان عليهـا التنظيم بتونـس (1). الـى درجـة ،، انه يمكـن الاقـرار بانعـدامـه....،، فـلا وجـود لاي خليـة او قطـاع حزبي ، و لـم يـبـق الا اربعـة شيوعيـين.

من ناحيـة اخرى وجـد صعوبات للاتـصال بالعناصـر التي كانت تتحمل مـسؤوليـة ، اذ ابدت تخوفهـا من التعـرض ـ لتعسف جديد (2).

لكن الغريب ، انه بالرغـم من حـالـة الضعـف التي اقرهـا بنفسه فـان مارشان يقدم صـورة مبـالغ فيهـا عـن الاعمال التي استـطاع القيام بهـا خلال اقامتـه القصـيرة و يعلن بعـث مجموعـة من الخلايا في تونـس و داخـل البلاد و قرب القيام بمؤتمـر جهـوي للتنظيم :

* <u>تونـس العاصمـة /</u> 12 شيوعي من بينهـم فرنسيان و يهودي. اما الشبيبـة الشيوعيـة فتضم بين 70 و 80 عضوا، 15 تونسي مسلم ، بعض الايطاليـين اما البقيـة فهم يهـود لذلك قرر مارشان توقيف الانخراط في اوساط اليهود و تكثيفهـا بين المسلمين).

---

(1) تتفق تقارير اللجنـة الاستعمارية (تقرير 18 اكتوبر 1926) و تقارير الاقامة (رسالة بتاريخ 11 نوفمبر 1926) على ان عدد الشيوعيين بتونس العاصمة يتراوح بين 5 و 6 افراد. يجب دومـا استثنـاء شيوعي ترسخانـة فري فيل لان الجزء الاكبر منهـم يكـون قد انخرط في فرنسـا قبل قدومـه الـى تونـس و هم مرتبطون مهنـيا و نقابيـا بصفة عضوية بفرنـسا.

(2) ارشيف م.د.م شريط 35 سلسلة 241 تقرير مارشان امام اللجنة الاستعمارية بتاريخ 30 ديسمبر 1926، يذكر انه لم يستطع مقابلة الطاهر بودمغة (الذي شارك في المؤتمر الرابع للاممية) الا بعد 15 يوما الذي اعلن له غير قادر على تحمل اي مسؤوليـة تعرضه لتعسـف السلط خاصة و انـه مطرود من العمل و نفس الشئ لقـدور (عضور الهيئة) الذي عبـر عن عدم استـعداده للقـيام بـاي عمل علنـي....

* مستوتة / منخرط واحد، نائب الاعوان في السكك الحديدية.

* بنزرت /5 منخرطين ، فرنسيان يعملان في مركز البريد. 1 مسلم و تونسيان اخران.

* فري - فيل / 12 منخرطا ذي نزعة فوضوية

* صفاقس / خلية للشبيبة الشيوعية تضم 7 منخرطين

* المنستير / (هناك اتصالات)

* سوسة / خلية الشبيبة الشيوعية تضم 9 منخرطين

كما وقع بعث هيئة جهوية تشرف على العمل الشيوعي بتونس و تضم 9 اعضاء(1)

ان هذا التقرير يبرز على الاقل المجهود المبذول و المحاولات لتوسيع رقعة التاثير الشيوعي، و لكنه يحتوي على عدة نقاط ضعف لم تكن لتخفى على سامعيه الذين سبق لهم ان تعرفوا على وضع التنظيم في تونس بامكانياته و نقائصه من خلال المهمات السابقة.

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 35 سلسلة 241 تقرير مارشان امام اللجنة الستعمارية بتاريخ 30 ديسمبر 1926 كما يحتوي التقرير على معلومات دقيقة حول الوضع النقابي اثر محاكمة محمد علي و رفاقه و كذلك تقسيم الحزب الدستوري . سنورد هذه المعلومات في الفصول المتعلقة بذلك في هذا البحث.

.../...

من ابرز الملاحظات التي وقعت اثارتها في المناقشة :(1)

- غياب قيادة قادرة على تصور المهمات و التخطيط لانجازها
- غياب تصور واضح للحركة الوطنية و لدور الشيوعيين داخلها
- ضعف التركيبة الوطنية للتنظيم (كثرة اليهود و الفرنسيين خاصة في اوساط الشبيبة) و الاجتماعية (قلة العمال التونسيين) وهو ما لا يمكنه من التفاعل مع الاوضاع السياسية التونسية .
- عدم التوصل لشكل تنظيمي يتلاءم مع الوضع القانوني للحزب(المحجر منذ ماي 1922)

و من الملاحظات التي يمكن الاشارة اليهما ان المراكز التي تحدث التقرير عن وجود خلايا بها ، هي نفسها التي عرفت النشاط الشيوعي منذ بداية العشرينات (بنزرت - فري فيل - تونس) اي المراكز الاستعمارية التي بها عددا هاما من الفرنسيين.

و قصد العمل على تجسيد المقترحات التي وردت في المناقشة (مواصلة التوجه نحو التونسيين المسلمين، تكثيف العمل السياسي و تطوير وسائل العمل و الدعاية...) وقع الاتفاق على ان يواصل مارشان مهمته بتونس رغم خروج باك من السجن في اواخر نوفمبر 1926 (2) .

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 35 سلسلة 241. تمت مناقشة تقرير مارشان يوم 7 جانفي 1927.

(2) نفس المصدر... لم يكن مسؤولوا الحزب الشيوعي راضين على طريقة عمل باك، فقد وقع انتقاده بشدة لحضوره في اجتماعات نقابة الرصيف رغم عدم انشغاله في اي قطاع . وهو ما جعل العمال يحتجون على حضوره و يطردونه من الاجتماع.

.../...

الا ان سلـــوك مارشان لم يكـــن اقـــل عفوية من سلـــوك روبار بـــاك اذ انـــه امام محدودية عمل المناضلين سيـــضطـــر للقيـــام بنفـــسه بالتحريض المبـــاشر وهو ما جـــعله يتـــصادم مع ضبـــاط البحريـــة في احـــدى مـــقاهـــي فري فيـــل يـــوم 6 مـــارس 1927 و قد استـــغلت السلط تلك الحـــادثـــة لايقافـــه يوم 30 مـــارس وقـــضـــت المحكمة بسجنه لمـــدة 3 اشهـــر يوم 18 جـــوان 1927. (1).

اثـــر مغادرة مارشـــان تونـــس ، ســـوف لن ترســـل اللجنـــة الاستعمارية مبعـــوثا جديدا و سيتـــولي الاشـــراف على الدعـــاية و التـــنظيـــم روبـــــــار بـــــاك.

---

(1) ارشيـــف و.خ.ف سلسلـــة 10 افريقـــيـــا 1918 / 1940 الشؤون الاسلامـــيـــة وقـــع اطـــلاق ســـراح ليو مارشان يـــوم 28 جـــوان 1927 و قد غـــادر تونـــس نهائيـــا يوم 1 جويلـــية 1927.
اثنـــاء التحقيـــق معه قـــام بـــاعترافات كثيرة وقدم معلومات عن التنظيم من اهمها ان المسؤول الحزبي بتونس العاصمة هو زانا. و ان الشبيبـــة الشيوعيـــة تضـــم 5 خـــلايـــا يقـــوم بتثقيفهـــا روبار بـــاك. كما اعـــلم عن الطريقة التي تصل بواسطـــتها الامـــوال من باريس و عن مشاريع التـــنظيم في اتجـــاه الدستور و في اتجـــاه النقـــابيـــين وهي معـــلومات تؤكدهـــا وثـــائق اللجنـــة الاستعمارية .

.../...

5.) روبـــار بـــاك : و دوره في المحافظة على النواة الشيوعيـة (1926 / 1928)

وقـع اطـلاق سـراح باك في شهـرنوفمبـر 1926 بعد قضـاء حوالي سنة في سجـن الرابطـة اثر محاكمته يوم 16 مارس 1926. و بذلك لـم يحـضر كل المحـاولات التي تمـت علي يد مبعوثين مـن باريس لاعـادة هيكلـة التنظـيم.

لكن بـاك واصل عملـه السـياسي داخل السجـن ، فخلال اقامته بالرابـطة التحـق به كـلا من على جـراد و الهـادي الغربياللذان سجـنا من اجـل توزيـع مناشيـر ضد حـرب الريف و لم يكونـا آنـذاك قد انضما الـى التنظيـم الشيوعـي و بل كـانـا من الدستوريـيـن المتعاطفيـن مع جمهـورية الريف و سيتـم التحاقهما بالحزب الشيوعـي في السجـن.

و العمل الهام الاخـر الذي قـام بـه باك هو الاشراف على تكويـن العنـاصر الشيوعيـة الشابة عـن طريق دروس كان يلقيـهـا بمقـر الجريدة السـايق في نهج سوقي بلخـير و حـضر هذه الدروس (1) عنـاصر سيكـون لـهـا دورا متفـاوت في الحركة الشيوعيـة بتونس مستقبـلا مثل الحبيـب فرحـات (2) الجيلانـي الجريدي(3) تميم ، حـسونة الرحـايمـي... الخ.

---

(1) حضر الحبيب فرحات هذه الدروس و اكد لنا صبغتها المبسطة و السطحية نظرا لضعف تكوين روبـار بـاك ، فكانت كلها تتمحور حول مهاجمة المثقفين و دعوة الشبـان للتحلي بـاخلاق العمـال المقامة على العمل و التضحية من اجـل الغير ومقاومة الاستغلال و تحدي سلط الاستعمار.

(2) الحبيب فرحات من مواليد 1907 بجزيرة قرقنة درس بصفاقس الجزء الاول من تعليمه الثانوي ثم التحق بمعهد كارنو اين تعرف على الشيوعية بواسطة فيكتور زانا. انقطع عن التعليم متبعا نصائح باك ، هاجر الى مرسيليا 1927 ثم الى باريس حيث اصبح عضوا في اللجنة الاستعمارية

(3) سنتـعرض لموجز حياته في الجزء المخصص للحزب الشيوعي في الثلاثينات نظرا للدور الذي سيلعبه الجريدي في محاولة تونسة التنظيم سنة 1934.

.../...

اما الجانب الاخر من نشاطه فانحصر في منطقة بنزرت و فري فيل و كان خاصة مع العناصر الفرنسية.

الى جانب المجال التنظيمي فقد كان لباك نشاطا و مبادرات في اتجاه الدستور و خاصة في اتجاه اعادة بناء الحركة النقابية.

ب) الشيوعيون و الدستور و الحركة الوطنية

(1928 / 1925)

راينا ان كل التعليمات الموجهة من طرف اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي الى العناصر الشيوعية بتونس، تركز على ضرورة ربط صلات بالدستور و خاصة بالعناصر ،، الاكثر وعيا،، كيف ستجسد العناصر الموجودة بتونس هذه التوجيهات ؟ و ما هي الحصيلة التي سيتم التوصل اليها ؟.

بعد توقف حركة الاحتجاج الإجتماعي التي عبرت عنها و اطرتها جامعة عموم العملة التونسية، سعى الشيوعيون خلال سنة 1925 الى توظيف الاحداث الجارية في كل من الريف و سوريا لبث الوعي الوطني لدى التونسيين و دفعهم للتحرك من اجل المطالبة بالاستقلال عن فرنسا.

فقد شهدت صائفة 1925 تصعيدا في المعركة التحررية التي كان يخوضها الشعب المغربي بقيادة محمد بن عبد الكريم ضد التحالف الاستعماري الفرنسي - الاسباني.

و معلوم ان اسبانيا سعت بداية من سنة 1921 لمدّ نفوذها على منطقة الريف من شمال المغرب الاقصى بعد ان قامت فرنسا بالسيطرة على وسط البلاد و جنوبها بداية منسنة 1912 و قد ظهرت حركة تحريرية في الريف

المستقلة في 19 سبتمبر 1921.
احدث هذا الانتصار موجة من التعاطف في كافة ارجاء المغرب العربي المحتل من طرف فرنسا وهو ما جعل هذه الاخيرة تغير موقفها من حرب الريف.

في بدايتها كانت فرنسا محايدة و حتى مساندة لعبد الكريم و ذلك في اطار التناقض بين الدول الاستعمارية ، لكن الصدى العميق الذي كان لهذه المعارك و الاهتمام الذي لقيته في المستعمرات دفع فرنسا للتحالف مع اسبانيا بهدف القضاء على جمهورية الريف. ففي صائفة 1925 اتفقت فرنسا و اسبانيا على تنسيق العمليات العسكرية بينهما و لتحقيق غرضها فان السلط الفرنسية بتونس عمدت الى القيام بحملات تجنيد واسعة في صفوف التونسيين لارسالهم ضمن الجيوش الفرنسية لمقاومة الريفيين.

زاد هذا الاجراء في غضب التونسيين حيث سعى الحزب الدستوري الى تجميع عرائض تحتج على ارسال التونسيين الى جبهة القتال كما استغلت الصحف الوطنية هذه الفرصة لانتقاد السياسة الفرنسية عامة و ابراز اعجابها و تعاطفها مع الريفيين.

و قد ساهمت الصحيفة الشيوعية ،، الكفاح الاجتماعي ،، في هذه الحملة فكانت تنشر المقالات و البيانات المعارضة للحرب و لتشريك الجنود التونسيين في محاربة الريفيين.

و سعت الصحيفة الشيوعية في افتتاحية العدد الصادر بتاريخ 12 جويلية 1925 لربط البعد الوطني لهذه المعارك بالتركيبة الاجتماعية الشعبية للمقاومين.

.../...

يؤكد صاحب المقال على ان مقاومة الاستعمار و الدفاع عن الوطن هي مهمة مقدسة بالنسبة للطبقات الشعبية في حين ان الطبقات الثرية كانت - عبر كافة العصور - تدعي الدفاع عن الوطن في حين انها اول من يتحالف مع المستعمر ويرى ان الحركة التحررية التي بدات تبرز في اقطار المغرب الثلاثة تمتد جذورها في الاوساط الشعبية لذلك لا يوجد في قيادتها لا القياد و لا الاشرياء بل على العكس هم الذين يقفون ضدها متحالفين مع الاستعمار...

و يرد المقال بعنف على الصحافة الفرنسية التي اكدت على ان عبد الكريم زعيم جمهورية الريف ليس من اصل عريق و شريف...، لو كان عبد الكريم اقطاعيا كبيرا لسهل امره و استطعتم شراءه كما اشتهيتم . ان عبد الكريم ليس من طبقة الاشراف و الاسياد. انه تجسيد لامال شعب. انه بطل الاستقلال الوطني....،، (1)

لقي النشاط الذي قام به الدستوريون و الشيوعيون لفائدة جمهورية الريف تعاطفا لدى الراي العام و شكل بداية استنهاض وطني بعد ضرب الحركة النقابية واعتقال قادتها في مطلع تلك السنة . ان امتداد التحرك و انتشاره خارج العاصمة (2)جعل السلط تجابهه بالتعسف و النفي حيث تم طرد احمد توفيق المدني و تعطيل فرقته المسرحية (3)

---

(1) ،، الكفاح الاجتماعي ،، بتاريخ 12 جويلية 1925 مقال بعنوان الامبريالية و الاستقلال الوطني.بامضاء الموجيك

(2) علي المحجوبي . اصول الحركة الوطنية. المصدر السابق ص 400 و 401.

(3) كانت فرقة السعادة المسرحية التي يشرف عليها احمد توفيق المدني تتهيأ لعرض مسرحية طارق ابن زياد في شهر جوان 1925.

.../...

وقد شمل التعسف ايضا الشيوعيين حيث تمت محاكمتهم يوم 18 جويلية 1925 من اجل توزيع مناشير تهاجم حرب الريف و اهم المتهمين هم رجب بن الهادي و محمد الصغير المسؤولان عن جريدة ،، الكفاح الاجتماعي ،، و الطيب الدباب(1) و عبد الرحمان عطية (2) و قد قدم للدفاع على المتهمين المحامي الشيوعي فواسين(3)

و رغم هذه المحاكمة فقد تواصلت حملة الشيوعيين لفائدة الريفيين ذلك ان محمود بالاكحل الذي قدم الى تونس فس شهر نوفمبر 1925 حاول بعث ،، لجنة لتحرير افريقيا الشمالية ،، تتكون من الشيوعيين و بقية الاحزاب الوطنية لكنه لم يستطع انجاز اي عمل يذكر. في ذلك الاتجاه نظرا لقصر المدة التي قضاها بتونس و انعدام وجود رغبة لدى الدستوريين.

و لجنة تحرير شمال افريقيا مبادرة شيوعية انطلقت في باريس في اتجاه العمال المهاجرين ثم حاول الحزب الشيوعي نقلها نحو تونس والجزائر و المغرب في نطاق الحملة التي قام بها ضد حرب الريف

---

(1) الطيب الدباب، ولد سنة 1903 بعد اتمام تعليمه الابتدائي و الثانوي اراد ان يتخصص في الحقوق فلم يتيسر له ذلك لعدم توفير الامكانيات المادية لديه. سافر الى فرنسا و عاش مدة بباريس حيث تعرف على الحزب الشيوعي . اثر عودته انضم للجامعة الشيوعية و شارك في حركة محمد علي. اثر محاكمته في جويلية 1925 سيعود مرة اخرى لباريس حيث سيكون لمدة وجيزة احد اعضاء اللجنة الاستعمارية

(2) عبد الرحمان عطية ،سنتعرض لموجز حياته عند عرضنا لنشاط الشيوعيين في الثلاثينات.

(3) تفاصيل المحاكمة في جريدة ،، الكفاح الاجتماعي،، بتاريخ 26 جويلية 1925 و كانت الاحكام كما يلي، الطيب الدباب ، محمد صالح ، عبد الرحمان عطية 13 شهرا سجنو 3.000 فرنك خطية . اما رجب الهادي و الصغير 8 اشهر سجن و 1000 فرنك خطية .

.../...

واقتصر عملها على توزيع بعض المناشير خلال سنة 1926. (1)

الى جانب حرب الريف سيتعاطف الراي العام التونسي مع الانتفاضة السورية ضد الاحتلال الفرنسي نظرا للانتماءات التاريخية و الحضارية المشتركة التي تجمع بينه وبين الشعب السوري، وكان لنضال السوريين صداه في الصحف الدستورية (2) و كذلك في الصحف الشيوعية (3).

تواصلت حملة المساندة للريفيين والسوريين التي ساهم الشيوعيون فيها كامل سنة 1925 و بصفة متقطعة سنة 1926 و رغم مشاركة الحزب الدستوري فيها فان هذا الاخير رفض القيام باي تحرك مشترك مع الشيوعيين بل ان صالح فرحات الكاتب العام المساعد للدستور اعتبر ان مجرد التفكير في

---

(1) ارشيف و. خ. ف رسالة من المقيم العام سان الى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 1926.1.8 يعلمه فيها بتوزيع منشور شيوعي وزع في بنزرت و صادر عن لجنة تحرير شمال افريقيا.
كما تم اصدار مناشير اخرى تحمل امضاء لجنة تحرير شمال افريقيا بمناسبة تدشين جامع باريس في اوت 1926 و يحمل المنشور عنوان،، لاستقلال المملكة التونسية،، انظر ارشيف و. خ. ف سلسلة 10 افريقيا.
و كذلك ارشيف م. د.م شريط 25 سلسلة 172 . و قد صدرت نشرية اخرى عن اللجنة المركزية لتحرير شمال افريقيا تحمل صورة محمد عبد الكريم و تصريحه الى المسلمين اثر انهزامه و تحوله الى المنفى (ارشيف م. د.م شريط 25 سلسلة 173).

(2) نذكر بالخصوص مقال الشاذلي خير الله ،، دمشق مدينة شهيدة ،، و الصادر بصحيفة ،، الليبرال،، (بالفرنسية). يوم 21 اكتوبر 1925 و الذي سيحاكم من اجله.

(3) انظر ،، الكفاح الاجتماعي،، 1 و 8 نوفمبر 1925 وهي تحتوي على مقالات تشهر بالتعسف الاستعماري ضد السوريين.

ذلك يعتبر امرا سخيفا (1).

و رغم ذلك فان الشيوعيين سيواصلون العمل في ذلك الاتجاه خاصة و ان كل الرسائل الورادة عليهم من اللجنة الاستعمارية تؤكد عليهم ،، ضرورة مساندة و دعم و تطوير الدستور الذي له صلات باوسع الفئات الشعبية و العمالية ،،(2)

و لتحقيق ذلك الهدف وقع حصر مجموعة نقاط يمكن ان تمثل ارضية دنيا لتحرك مشترك بين كل القوى السياسية بتونس (3).

و بطبيعة الحال فان قبول الشاذلي خير الله التعاون مع الشيوعيين في باريس سيشكل حافزا قويا للشيوعيين بتونس لمواصلة جهودهم نحو الدستور.

ان هذا التوجه لن يحقق اي نتيجة ايجابية فكما راينا رفض الدستور الدعوة الموجهة له لحضور مؤتمر بروكسيل في فيفري 1927 و كذلك لم يستجب للنداء الذي وجهه اليه الشيوعيون من اجل القيام بعمل مشترك للتصدّي للمشاكل الاجتماعية التي ترتبت عن جفاف ربيع وصائفة 1927. (4)

---

(1) صرح صالح فرحات الى صحيفة ،، الستانبا ،، الايطالية الصادرة يوم 12 اوت 1926.،،... ان لمن السخافة ان يفكر البعض في الايجابيات التي يمكن ان تنجرعن ربط صلات بالشيوعيين فحزبنا يضم 200.000 منخرط في حين ان الحزب الشيوعي لا يضم في تونس سوى 20 منخرط...،، اوردت الحديث جوليات بسيس في اطروحتها حول المتوسط الفاشي... المصدر السابق ص 101

(2) ارشيف م.د.م محضر جلسة اللجنة الاستعمارية بتاريخ 1927.1.7.

(3) نفس المصدر و التاريخ. اهم المحاور لبرنامج نضالي مشترك (النضال ضد جميع انواع التعسف، معارضة غلاء المعيشة و الاداءات الجديدة ، تصفية نظام الخماسة ، سلم عاجلة في المغرب و سوريا ، ضرورة اخذ موقف من النزاع القائم بين ايطاليا و فرنسا.

(4) رفض الدستوريون القيام بعمل مشترك مع الشيوعيين للضغط على السلط لتساعد المتضررين من الجفاف.

و لدفع الدستور نحو مواقف اكثر مرونة و قبول للتحالف معهم سيقرر الشيوعيون ارسال العناصر الشابة منهم للانخراط في الحزب الدستوري للتاثير على قواعده و يحولوه الى حزب وطني ثوري. (1)

و قد اعتقد الشيوعيون انه بالامكان انجاز مشروعهم خاصة و ان الحزب الدستوري قرر في مؤتمره المنعقد في شهر ديسمبر 1927 بعث ،، جمعية للشباب الاهلي ،، لبث الروح الوطنية بين الشباب (2)

و فعلا فقد بدا العمل على انجاز المشروع في شهر فيفري 1928 لكن المشرف على تكوين الجمعية - محي الدين القليبي - رفض ان تضم في صفوفها غير الطلبة. حيث اطرد العمال الشبان الحاضرين في الاجتماع مؤكدا ان الجمعية لا يمكن ،، ان تضم الطلبة و الجهلة ،، (3)

لم يعجب هذا القرار الشيوعيين خاصة و ان العمال الذين وقع طردهم كانوا منهم فشنوا حملة احتجاج على الحزب الدستوري معتبرين

---

(1) ارشيف و.خ .ف سلسلة 10 افريقيا الشؤون الاسلامية ، عقد الشبيبة الشيوعية يوم 1927.9.28 في مقهى الشرق و من المسائل التي وقعت مناقشتها ، الانخراط في الحزب الدستوري، تكوين حزب وطني ثوري، المطالبة بالاستقلال التام لتونس التعليم الاجباري، و حركة الصحافة و تم الاجتماع تحت اشراف روبار باك.

(2) ،، افريقيا الفرنسية ،، نشرية موالية للاوساط الاستعمارية عدد افريل 1928 تضمنت منشورا شيوعيا يحمل عنوان،، نداء لاخواننا الدستوريين،،.

(3) نفس المصدر . المنشور المذكور اعلاه. هذا المنشور يحمل تاريخ 15 مارس 1928.

.../...

ان قرار فصل الطلبة عن العمال يؤكد ،، ان الزعماء الدستوريين خضعوا للتعسف الاستعماري و ان اللجنة التنفيذية بقيت عاجزة في التوجه نحو التحصل على الاستقلال.....،(1).

كما طلب الشيوعيون ان تضم الجمعية الطلبة و العمال و الفلاحين و الجيش بدون اي تمييز في مستوى العقيدة و ان يكون هدفها ازاحة الاستعمار و الاعلان عن الاستقلال(2)

و هكذا فقد باءت كل المحاولات التي قام بها الشيوعيون في اتجاه الدستور بالفشل، بل ان هذا الاخير كان يستغل كل مناسبة للتاكيد على انعدام صلاته بهم و ان مشروعه يختلف عن برنامجهم الانفصالي و ان هدفه هو انجاز اصلاحات في اطار الحماية.

و لابراز حسن نواياه فان الدستور عبّر عن استعداده للتعاون مع اليسار الفرنسي ،، المعتدل،، ومنح ثقته لحكومة كتلة اليسار و قبل تقديم مقترحات لمختلف اللجان الدراسية التي شكلتها السلط الفرنسية قصد الاعداد للقيام باصلاحات. ورغم كل هذه التنازلات فان الدستور لن يتحصل على اي نتيجة ايجابية من الجانب الفرنسي(3)

اذا كان رفض التعامل مع الشيوعيين يعتبر منطقيا بالنسبة للدستور الذي كان يسعى لاعطاء السلط جميع الحجج لابراز حسن نواياه فما هي العوامل التي ستجعله ينجح في ،، اقناع مناضليه،، بصحة

---

(1) ،، افريقيا الفرنسية ،، مارس 1928 نص المنشور من طرف الشبيبة الشيوعية.

(2) نفس المصدر.

(3) علي المحجوبي، اصول الحركة الوطنية المصدر السابق... بداية من الصفحة 385. افلاس السياسة الجديدة للحزب الدستوري.

خطتـــه في هذا الميدان ؟. لا شـك ان العامل الاساسي في ذلك هـو ضعف التنظيم الشيوعي عدديا و اقتـصار وجوده على بعض المراكـز السـاحليـة اضافة للعـاصمة .

فحسب الاحـصاء الذي قدمـه روبار بـاك الى اللجنـة الاستعماريـة في شهـر جوان 1928 كانت الجامعة الشيوعيـة تـضم 56 عـضوا موزعيـن الـى 7 خلايا (1).

الـى جانب العدد المتواضع جـدا في وقت كان فيه الدستور يتبـاهـى ب 200.00 منخـرط كما جاء في حديث صالح فرحـات الـى جريدة ،، الستانيـا،، الايطاليـة ، هنـاك عائق اضافي تمثـل في التركيبة الوطنية فهـذا العدد كان ينقسم الـى ثـلاث مجموعات 24 شيوعي مسلم و 5 يهـود و 27 فرنسيا (2).

اما على مستوى التاثيـر، فكانت الجامعة الشيوعية تعـاني من عزلـة خـانقة بعد ضـرب الحركة النقابية فكل التنظيمـات الفرنسيـة كانت ترفض العمل مـع الشيـوعـيين بـالاضافة للسلـط التي كانت تعتبرهـم العـدو الاول(3).

---

(1) ارشيف و. خ. ف سلسلة 10 تقرير محـرر من طـرف بـاك في جـوان 1928 وهو موجـه الـى اللجنة الاستعمارية و يبـدو ان مصالح الامـن الفرنسي نجحـت في العـثور على هذه الوثيقة قبل وصولهـا الـى اصحابهـا.

(2) نـفس المـصدر.

(3) سيفـان، الوطنية و الشيوعـية... المصدر السابق ص 54 صرّح البـار صـارّو وزير الداخلية الفرنسي في قسنطيـنة في سبتمـبر 1927 ،، الشيوعية هذا هو العـدو،،

.../...

اذا ضعف عددي تركيبة وطنية مختلطة وعزلة و انعدام تاثير واسع كلها عوائق حالت دون انجاح سياسة الجامعة الشيوعية الرامية الى مدّ الجسور مع الحركة الوطنية و مع الحزب الدستوري، لذلك فان الجفوة ستكون على اشدها بين التنظيميين عشية انعقاد المؤتمر السادس للاممية الشيوعية في صائفة 1928 الذي سيقرر توجها جديدا لسياسة الشيوعيين تجاه الاحزاب الوطنية

و الى جانب عمل الشيوعيين في اتجاه الدستور و المسالة الوطنية فقد تميز نشاطهم في الفترة الممتدة بين اواخر 1925 و صائفة 1928 بمحاولات لاعادة احياء الحركة النقابية من جديد. فهل ستكون اعمالهم اكثر حظا في هذا الميدان.؟

ج). مساعي الشيوعيين لاعادة بعث

جامعة عموم العملة التونسية

(1928 / 1925)

صدرت الاحكام بالنفي على القادة النقابيين يوم 28 نوفمبر 1925 و تم تنفيذها عشية ذلك اليوم ،، حيث اركبوهم البحر الى ايطاليا،، (1) و تمكنت بذلك السلط الاستعمارية من القضاء في المهد على التجربة النقابية الوطنية بعد اشهر قليلة من انطلاقها.

و رغم قصر مدة نشاط الجامعة النقابية، فقد اكتسب العمال التونسيون وعيا نقابيا و غيرة على منظمتهم ، فاثر بلوغهم خبر ايقاف محمد علي و مختار العياري يوم 5 فيفري 1925 قاموا بتنظيم مظاهرة احتجاجية يوم 7 فيفري 1925 ضمت 3000 عاملا انطلقت من ميناء تونس في اتجاه الاقامة العامة حيث بلغوا استياءهم من عملية الايقاف..(2).

و اثر انتهاء المظاهرة تم القاء القبض على محمود الكبادي و محمد الغنوشي و على القروي، وفي الايام الموالية تم الاعلان عن التهمة الموجهة للموقوفين وهي ،، التآمر على امن الدولة ،،

ان ايقاف ابرز قادة الجامعة و الاعلان عن التهمة الموجهة اليهم و تبرأ

(1) الطاهر الحداد... العمال... المصدر السابق ص 213

(2) نفس المصدر ص 209

الحـزب الدستوري من الجامعة النقابيـة و تقربه من اليسـار المعتدل (1) بالاضـافة لانـعدام الخبرة لدى العناصر النقابيـة التي بقيت خارج السجـن

ان كل هذه العوامل جعلت حركة التصـدي و الصمود النقـابي تتقلص مع مرور الايـام، فباستثناء ردود الفـعل الاولـى لم يسجـل اي تحرك جماعي لفائـدة الموقوفيـن و اقتصرت ردود الفعل على اصـدار بعض البلاغـات للتاكيـد على تواصـل وجـود الجامعـة.

لقد وصف الطاهر الحـداد في كتابه ،، العمال التونسيـون،، الاستعدادات التي اتخـذتهـا السلط ايـام محاكمة النقابيـين حيـث ،، غمـر ساحة المحكمة الفرنسيـة جيش البوليس و الجند و من حـين لاخـر تصطـف كوكبـة من عساكـر الخيالة بقصـد حـفظ النـظام الذي لم يوجـد ما يؤذن بتعكيـره...،، (2)

و هذا يعني ان الهيئة التي اخذت على عاتقهـا مواصلـة المشروع النقابي اثر ايقاف القادة (3) لم تـقرر القيام بـاي عمل احتجاجي يـوم

---

(1) احمد الدرعي . حياة الطاهر الحداد الدار العربية للكتاب. تحقيق و تقديم محمد انور بوسنينة 1975 ص 112 في يوم 21 فيفري 1925 اجتمع دوريل بشخصيات تونسية تمثل الحزب الاصلاحي و الحزب الدستوري و القسم التونسي من المجلس الكبير تمخض عن نصح العملة التونسيين للانضمام لجامعة اتحاد النقابات و قد احدث هذا البلاغ ردود فعل و احتجاجات داخل الحزب الدستوري خاصة من شعبة مـاطر و المركاض و الكاف...،،

(2) الطاهر الحـداد. العمـال ... المصدر السابق ص 221

(3) احمد الدرعي حياة الطاهر الحداد... المصدر السابق ص 116 يذكر انه على اثر ايقـاف محمد علي اجتمع النقابيون التونسيون لتعيـين خلف له فوقع اختيارهم على الحداد الذي لم يتمكن من العمل لما قامت حوله من الدسائس و لما دخل من الضعف في صفوف العملة حتى انحلت الجامعة..

.../...

المحاكمة او لم تجد ما يشجعها على اخذ ذلك القرار. و ما يؤكد القضاء على المنظمة النقابية ما ذكره الحداد في خامسة كتابه من ان جامعة عموم العملة قد انتهت و ان الغرض من الكتاب ،، ليس ان نضعه مثالا يحتذى في العمل العمومي المقبل و لا ان يكون كدعاية جديدة لاثارة حماس سياسي اذ لم يبق احد يعتقد في الهياج السياسي.،، (1)

لا ندري الاسباب الحقيقية التي جعلت الحداد لا يذكر المحاولات التي وقعت - و ان كانت محتشمة - لاعادة بعث جامعة عموم العملة التونسية و ذلك خلال الفترة الممتدة بين المحاكمة (نوفمبر 1925) و تحرير كتابه الذي وضع فيه تاريخ الحركة سنة 1927.

فاضافة للهيكلة التي اشار اليها الدرعي و التي تم فيها تعيين الطاهر الحداد كاتبا عاما للجامعة، فقد تمت محاولة اخرى سنة 1927 لتكوين لجنة تنفيذية مؤقتة للجامعة النقابية كانت نتيجة لمجهودات الجامعة الشيوعية بعد سلسلة من التحضيرات.

و فعلا الى جانب تركيزها على المسالة الوطنية و محاولة ربط علاقات مع الحزب الحر الدستوري فان المهمات الاساسية التي عملت الجامعة الشيوعية بتونس على تجسيدها في النصف الثاني من العشرينات هي اعادة بناء بعث الحركة النقابية المستقلة ممثلة في جامعة عموم العملة التونسية.

و قد راينا ان هذا الهاجس كان دائم الحضور في تقارير اللجنة الاستعمارية التي كانت تحث باستمرار التنظيم التونسي لاعادة بعث الحركة النقابية.

---

(1) الطاهر الحداد، العمال... المصدر السابق ص 215

.../...

لقد ابرزت تلك التجربة القصيرة طاقات و امكانيات كبيرة كان ابطالها عمالا و حرفيين اهالي مستقلين عن السـ. ج.ت ،، الاصلاحية ،، و عن الدستور الذي يؤكد على ،، الوطني ،، و يهمل ،، الطبقي،، قبل روادها التعامل مع الشيوعيين ، فهي سابقة هامة و خطيرة يجب العمل على احيائها.

السؤال المطروح، هل ان الامكانيات الذاتية و الموضوعية تسمح بذلك ؟.

للاجابة على ذلك لا بد من القيام بكشف عن الواقع الاجتماعي للبلاد التونسية ، عن عدد العمال، عن الاماكن و القطاعات التي يجتمعون بها ، ماهي قدراتهم و استعداداتهم ؟.

سعى كل الموفدين من طرف اللجنة الاستعمارية خلال سنة 1926 الى القيام بذلك العمل و قدّم ليومارشان يوم 30 ديسمبر 1926 تقريرا مفصلا عن اوضاع الطبقة العاملة في تونس (1).

المهمة الاولى التي ينتهي اليها التقرير هي ضرورة ابراز عناصر قيادية جديدة و خاصة من بين عمال الرصيف اذ ان جميع العناصر التي لها تاثير على العمال وقعت محاكمتها.

و عمال الرصيف كانوا العمود الفقري للجامعة النقابية فمنهم انطلق شرارتها في اوت 1924، فقد سبق ان انخرط 1000 عامل منهم في النقابة وهم ،، يعملون في ظروف قاسية ،، و يضيف التقرير انه رغم الضعف الذي لحق نقابة بنزرت فان ،، املا كبرى يمكن وضعها في نقابة الرصيف بتونس حيث ان الرفيق قدور عضو في هيئتها ،، و هكذا فانه يمكن انطلاقا من ميناء تونس بعث جامعة قطاعية تضم عمال الرصيف

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 35 سلسلة 241 تقرير عن الوضع السياسي و النقابي بتونس قدمه ليومارشان امام اللجنة الاستعمارية في اجتماعها يوم 30 ديسمبر 1926 بعد ان قضى قرابة الشهرين بتونس حيث ابتدات مهمته يوم 5 نوفمبر 1926.

.../...

بتونس و صفاقس و بنزرت و قابس تمثل القاعدة الاساسية للجنة التنفيذية القادمة للجامعة .

القطاع الثاني الذي يهتم به التقرير ، هو المناجم . فالمناطق المنجمية لا تحتوي على اي تنظيم نقابي رغم وجود الاف العمال الذين يتقاضون اجورا منخفضة جدا (7،5 فرنك الى 9 فرنك) و يعملون 12 ساعة في اليوم على الاقل، الا انه لا يمكن الدخول الى المناطق المنجمية الا باذن من مدير المنجم .

اهتم التقرير ايضا بعمال الفلاحة الذي يتميز وضعهم بالتشتت ، فهم موزعين في ضيعات المعمرين و يتراوح عددهم بين 25 و 30 عاملا في كل ضيعة . و رغم عدم وجود اي تنظيم نقابي فان مارشان يبدو متفائلا ،، نظرا لوجود 5 رفاق اهليين يذهبون في موسم الحصاد لتركيز الاضاءة و اصلاح المعدات الفلاحية وهو ما سيمكننا من بعث نواتات نقابية في التجمعات الفلاحية الكبرى،، .

يتعرض التقرير كذلك الى ،، الصناع،، في الاسواق و يذكر صعوبة هذا الميدان اذ انه لم نتمكن من الدخول في قطاع الحرفيين لكن بالامكان القيام بمجهود خاصة و ان هناك ظروفا ملائمة فقطاع الشاشية يضم 1000 عاملا.

اما ،،وكالة التبغ،، فهي تضم 1500 عاملا، 20 ./. منهم اوروبيين و يوجد بها نقابة تابعة للاتحاد النقابات (س ج.ت) و يرفض الاوروبيون دخول التونسيين للنقابة خوفا من ان يسيطروا عليها، على ان العمال التونسيين كونوا ودادية .

و في ترسخانة فري ـ فيل يشتغل حوالي 4000 عامل اغلبهم من الاوروبيين و توجد نقابتان ، واحدة ،، اصلاحية،، تضم بين 80 و 90 منخرطا

و الثانيـــة ،، حمـــراء،، تـــضم 60 منخـــرطا و اغلـــب المنخـرطيـــن في النقابتيـــن من الاوروبيـيــن. و يهيمـن ،، الاصلاحـيـون،، ايـضا على قــطاع السكك الحديديـــة حيث يعـمل كاتـــب النقابـــة على عـــزل كـل،، المعارضيـن النقابييـــن ،، اذ يـــدعـــو دومـا للاجتماعات في الوقـــت الذي لا يمـــكن لهم فيه الحضور ، كما ان النقابـــة لا تقـوم باي عـمل يحث الاهليـــين على الانخـــراط.

و اخيرا فان قـــطاع الترا مينـو يضــم بين 1500 و 2000 عـــونـا و ليس بـــه نقابـــة .

هذا التقرير و ان احتـوى على عناصر هـــامة تتـعلق بالحركة النقابية في تونس بـــعد سنة من القضاء على جامعـــة عموم العملـــة التونسيـــة فانـــه يثيـــر بعض الملاحـــظات :

* يمـــثل حوصلـــة للمعلومـــات لدى مسؤولـــي التنظيـــم الشيوعـي بتونس لذا فهـو يعـــكس درجة تـاثيـــره و اشعـاعـــه ، من ذلك ان اهتمام الشيوعـــيين لم يتجـاوز المناطق و القطاعـــات التي شهـــدت حركية سنـتي 1924 و 1925 فـلا تزال مناطـــق باكمـلـهـا مجهولـــة بالنسبـــة للشيوعيـــين (الريـــف داخل البلاد، الســاحل الجنوب ، الشمـــال الغـــربي...)

* هناك مبـــالغـــة في دور عمال الرصيـــف نـظرا للـــدور الذي قامـــوا به في بـــعث جامعة عمـــوم العملـــة التونسيـــة ، في حين نـلاحـــظ عدم اطلاع كـافي عـــلى دور ،، صناع الاســـواق،، الذيـن كان لهم دورا هاما في جامعـــة محمد علي و بـــرز من ضمنهـــم العديد من المنشطيـــن خـاصة في السراجيـــن و البرانسيـــة و البلاغجيـــة ...

...‏/...

فتركيــز الاهتمام على القطاعات الاقتصادية ،، العصرية،، مثل الترسخــانة، السكك الحديديــة، وكالة التبغ، وهي قطاعــات مرتبــطة بالقوانيــن الاجتماعـية في فرنســا، وهو ما سيرجّــح كفــة العنــصر الطبقي المطلبي على حساب العمل النقابــي المرتبط باهــداف وطنيــة.

* يحجم التقرير عن ذكــر اسماء لنقابيــين قادريــن على القيام بهذه المهمــات النقابيــة الكبــرى، و هذا يعــكس التراجــع الواضــح الذي شهــده العمــل النقابي اثــر محاكمــة قادة الجامعة ،، لما دخل مــن الضعف في صــفوف العملة حتى انحلــت الجامعة و لم يبق منها الا التاريخ الذي كتبــه لها الحداد و نشره ســنــة 1927..،، (1) فهــل سيستــطيع الشيوعــيون بمفردهم ابــراز جــيل جديد من النقابيــين القادريــن على مواصلــة المهمة التي شــرع فيهــا محمد علي و رفــاقــه ؟.

ان كــل المؤشــرات تــدل على وجــود صعــوبات كبرى فحتــى العمال الشيوعيــين بفري فيل عبّــروا عــن تخوفهــم من فكرة اعادة بنــاء نقــابة تونسيــة مستقــلة لان ذلك سيــعرض العمال الاوروبيــين للتعــسف و حتى الطــرد من البلاد التونسيــة. اما عمال السكك الحديديــة فيرون ان مجــرد طرح المسالة فقــط يؤدي للــطرد من العــمل. (2)

---

(1) احمد الدرعي، حياة الطاهر الحــداد... المصدر السابق ص 116

(2) ارشيف م. د. م شريط 35 سلســة 241 محــضر جلــسة اللجنة الاستعمارية بتــاريخ 1927.1.7 المخصصــة لمناقشة التقرير الذي كان عرضــه مــارشان حول الوضع في تونس بتــاريخ 1926.12.30.

.../...

المهنة	التوزيع الترابي	العدد	عدد المنخرطين في النقابات	في النقابة الحمراء	في اتحاد النقابات	اشكال تنظيم اخرى	ملاحظات
الرصيف	بنزرت . تونس صفاقس قابس		1000 في تونس . 10 الى12 بنزرت				شاركوا بقوة في جامعة عموم العملة التونسية
المناجم	منطقة قفصة . المتلوي. الرديف	الاف العمال	ليس هناك اي تنظيم نقابي				يمنع دخول المنطقة الابعد ترخيص من مدير المناجم
الاسواق	تونس	1000 عمل في الشاشية					وحدت عدة نقابات سنتي 1924 و 1925
المطاحن	تونس	1500عامل					ليس هناك تنظيم نقابي.
وكالة التبغ	تونس	1500 عامل	60 الى 70	توجد كتلة حمراء داخل النقابة	اغلبهم في اتحادالنقابات	ودادية للعمال التونسيين تضم 150 عاملا	ترفض النقابة دخول الاهليين.
الترسخانة	فري - فيل	4000 عامل من بينهم 150 تونسي	140 الى 150	نقابة حمراء تضم 60	نقابة س ج.ت 80 الى 90		
السكك الحديدة	الشمال و الشمال الغربي	–	عدد هام من المنخرطين	–	الس.ج.ت تهيمن على هذا القطاع	–	ليس هناك اي عمل مع ،،الاهليين،،.
البريد	تونس	–	،،	–	،،		
الترامبتو	تونس	1500 الى 2000عامل	،،	–	–	–	لم يعد هناك نقابة منذ 1925.

القطاعات النقابية التي اهتمت بها الجامعة الشيوعية سنتي 1926 و 1927 و التي ارادت التاثير فيها و تحسيسها لفكرة اعادة بعث جامعة عموم العملة التونسية (تقرير ليومارشان امام اللجنة الاستعمارية 1926.12.30.)

الى جانب الصعوبات الذاتية فان الظرف السياسي العام كان دقيقا فبعد الهزات التي شهدها الاستعمار الفرنسي سنتي 1924 و 1925 في كل من المغرب وتونس و سوريا، استطاع سنة 1926 ان يستعيد الموقف لصالحه و ان يسيطر مؤقتا على هذه النقاط الساخنة وهو ما تقره اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي في مطلع 1927 (1).

و قد اكدت انه يجب العمل على انجاح عملية اعادة بناء جامعة عموم العملة التونسية مع توخي مرونة شديدة و تجمع اوسع القوى حولها و عدم ترك المجال للسلط لضربها او عزلها تحت غطاء انها مبادرة شيوعية (2).

هل ستنجح العناصر الشيوعية بتونس في تجسيم هذا المشروع ؟ و الى اي حد ستستطيع اعادة ابراز المنظمة النقابية كاطار واسع يجمع كل الذين نجح محمد على الحامي في ضمهم حوله ؟.

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 35 سلسلة 241 محضر اجتماع اللجنة الاستعمارية بتاريخ 1.7 1927. انتهى الحاضرون الى صعوبة الوضع في تونس و تدعيم تواجد الاستعمار خاصة بعد القضاء على ثورة عبد الكريم وقمع الحركة النقابية و اصدار القوانين الزجرية في تونس و اخماد الثورة السورية... لذا فانه لم يعد المطروح القيام بهبة ثورية بل التحضير لها...

(2) نفس المصدر . وضح سيلور احد اعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي الطريقة التي يتحتم اتباعها في اعادة بعث الجامعة،، يجب ان تهدف سياستنا الى بعث مركزية وطنية لان ذلك سيوفر لنا امكانيات كبيرة لتحقيق انخراطات جديدة . ان حركة نقابية معتمدة على منظمة وطنية هي في نفس الوقت قوة للحركة الوطنية... السؤال هو هل ان ذلك ممكن؟ نعم لكن الشرط الاساسي هو عدم الصاق الشيوعية بالمنظمة التي سيقع بعثها يجب ان تكون منظمة نقابية بحتة... بالنسبة للاسم يمكن تغييره يمكن ان لا تحمل نفس الاسم في البداية و لما تصبح قوية يمكن استعادة الاسم الاصلي...،،

.../...

لقد تميزت مساعي الشيوعيين في تونس لاعادة جامعة عموم العملة التونسية بالحذر الشديد، ذلك انه لم يكن ممكنا طرح الفكرة ضمن تحرك اجتماعي او موجه من الاضرابات فسنتي 1926 و 1927 تعتبران من السنوات الهادئة (1).

لذلك وقع الالتجاء لتحريك احداث الماضي و توظيف تواريخ هامة في نضال العمال التونسيين و لعل اهمها المظاهرة العمالية التي شهدتها مدينة بنزرت يوم 11 ديسمبر 1924.

اعطت اللجنة الاستعمارية اشارة الانطلاق لبداية العمل من اجل احياء الجامعة ، حيث اقترح عبد العزيز منوار نشر مقالات عن الوضع النقابي بتونس و احياء ذكرى اضرابات بنزرت و قمع السلط الفرنسية للعمال التونسيين. (2).

و فعلا فقد عمل الشيوعيون بتونس للاحتفال بتلك الاحداث عن طريق تلصيق مناشير على جدران شوارع العاصمة تذكر بحلول الذكرى الثانية لاضرابات بنزرت.

بعد ان يتعرض المنشور لظروف هذه الصفحة الخالدة من كفاح العمال التونسيين و التي استشهد فيها كلا من يوسف بن محمد

---

(1) C.Liauzu. Salariat et mouvement ouvrier en Tunisie Crises et mutations (1931 1939) éditions du CNRS 1978. P 26

بالنسبة لسنة 1926 وقع احصاء 11 اضرابا و 9 اضرابات في سنة 1927

(2) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 172 محضر اجتماع اللجنة الاستعمارية بتاريخ 4 سبتمبر 1926 حيث وقع الاعلام عن التحضيرات الجارية في تونس لاحياء ذكرى احداث بنزرت 1924.

.../...

و الكومي (كذا) (1)، كما يفضح سلوك الاشتراكيين الفرنسيين ممثلين في دوريل ، و الاصلاحيين التونسيين بزعامة القلاتي الذين لم يقوموا باي احتجاج ضد السلطة الفرنسية .

و ينتهي المنشور بطرح المهمة التي تنتظر العمال التونسيين وهي بعث الحركة النقابية من جديد،،... ان هذا اليوم هو خاتمة السنة الثانية لتاسيس جامعة عموم العملة التونسية التي كلفت عليكم بدم اثنين منكم ، فليكن بداية عمل ثابت في سبيل تنظيم نقاباتكم، و دخولكم فيها جميعا...،، (2)

لقد اراد الشيوعيون توظيف ذكرى ذلك الصدام الدامي بين عمال بنزرت والسلط الاستعمارية للقيام بعملية التحسيس لبعث التنظيم النقابي من جديد.

و ستتكرر هذه العملية في السنة الموالية و لكن احياء الذكرى الثالثة في سبتمبر 1927 ستكون اكثر جرأة و ذلك بمحاولة اقامة تظاهرة جماهيرية .

ففي تقرير موجه من المقيم العام لوزير الخارجية الفرنسي يذكر ،، انه حسب معلومات تجمعت لديه منذ جويلية 1927.

---

(1) الطاهر الحداد، العمال... المصدر السابق.ص100 يذكر الاسماء الحقيقية للذين استشهدا وهما العربي بن احمد الكومي.رجل مسن عمره 60 سنة و قد اصيب برضوض في جسده من الضرب باعقاب البنادق. و مبروك بن محمد الداهش الذي اشتهر في بنزرت باسم يوسف الماطري...

(2) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 افريقيا . الشؤون الاسلامية منشور وزع بداية شهر سبتمبر 1926 بتونس في الذكرى الثانية لاحداث بنزرت، عنوانه ،، ايها العمال و الفلاحين بتونس تذكروا.
و يذكر تقرير المقيم انه من بين الاماكن التي الصق عليها المنشور واجهة مقر الحزب الدستوري بنهج انقلترا.
ورسالة المقيم العام لوزير الخارجية بتاريخ 23 سبتمبر 1926).

.../...

ان الشيوعيين يعتزمون دعوة الاهالي لتنظيم مظاهرة لاحياء ذكرى احداث سبتمبر 1924، و لهذا الغرض جرت عدة اتصالات لتامين حركة تضامنية واسعة يشارك فيها عمال رصيف بنزرت و كذلك بقية عمال المدينة....، (1)

و يضيف التقرير ان هذه المعلومات قد اكدتها رسالة عثر عليها في محل سكنى الهادي مكنين عند اقتحامه و تفتيشه من طرف الشرطة يوم 18 اوت 1927. (2)

و فعلا اتخذت السلط يوم 11 سبتمبر 1927 مجموعة من الاجراءات الوقائية لعرقلة التظاهرة و جعل تاثيرها محدودا ، فقامت بمنع محمد الخميري (3) و فيكتور زانا من التحول من تونس الى بنزرت.
اما في بنزرت فتمت دعوة روبار باك و الهادي مكنين الى محلات

---

(1) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 افريقيا رسالة من المقيم العام الى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 18 سبتمبر 1927.

(2) عند تفتيش محل سكنى الهادي مكنين تم العثور على رسالة موجهة اليه من طرف اللجنة الاستعمارية تحثه على ضرورة احياء ذكرى 11 سبتمبر و جعلها تقليدا.

(3) محمد الخميري، من اصل جزائري ولد في بنزرت سنة 1897، انضم في سنة 1922 للجامعة الشيوعية . كان وراء اندلاع احداث بنزرت في سبتمبر 1924 حيث تم اعتقاله و ارساله الى مرسيليا يوم 14 سبتمبر 1924. عاد الى بنزرت يوم 6 اكتوبر1924 حيث عيّن كاتبا عاما لنقابة الرصيف انضم الى جامعة عموم العملة التونسية عند تاسيسها. لم يشمله الايقاف سنة 1925 حيث واصل نشاطه ضمن الجامعة الشيوعية .
قدم ترشيحه يوم 30 افريل 1928 لعضوية المجلس الكبير كمرشح عن الحزب الشيوعي لكن تم رفض مطلبه .

.../...

الشرطة كامل ذلك اليوم.

و هكذا استطاعت السلط افشال محاولة احياء الذكرى الثالثة لاحداث بنزرت، ولكن مساعي الشيوعيين من اجل احياء العمل النقابي و اعادة بعث جامعة عموم العملة التونسية ستتواصل.
ففي اطار ذلك المجهود تم عقد اجتماع بتونس يوم 25 سبتمبر 1927 ضم ممثلين عن نقابات بنزرت و تونس

انعقد الاجتماع بمنزل عبد العزيز السعدي المسمى،، شقلالة،، نهج الحلفة (1) و قد تراسه نقابي من بنزرت علي الخوجة و حضره نقابيون كانوا رفاق كفاح مع محمد على الحامي مثل محمد الخميري منشط اضراب بنزرت سنة 1924 و الطاهر بن سالم (2) كما حضر الاجتماع روبار باك مسؤول الجامعة الشيوعية دون ان تكون له اي صفة نقابية.

و اتفق الحاضرون على اعادة احياء ذكرى احداث بنزرت يوم 10 اكتوبر 1927 و كذلك على اعادة تكوين و هيكلة جامعة عموم العملة التونسية.

وقد تم انتخاب الطاهر بن سالم كاتب عاما بصفة مؤقتة و خميس الطبربي امين مال. ووقع تمثيل النقابات في الاجتماع كالاتي :

---

(1) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 افريقيا الشؤون الاسلامية رسالة من المقيم العام الى وزير الخارجية الفرنسي مؤرخة في 1 اكتوبر 1927 حضر الاجتماع حوالي 20 فردا.

(2) الطاهر بن سالم من مواليد 1900 انخرط في الجامعة الشيوعية سنة 1921. اطرد من العدلية سنة 1922. نظرا لنشاطه النقابي كان له دورا هاما في نشاط جامعة عموم العملة التونسية حيث قاد صحبة محمد الخميري اضرابات بنزرت في سبتمبر 1924 . اضرابات حمام الانف في جانفي 1925 وعلى اثرها حكم عليه بـ 10 اشهر سجنا و 5 سنوات نفي. توفي سنة 1986 في بعض المصادر الاخرى نجد انه كان دستوريا و كذلك نفس الشئ بالنسبة لمحمد الخميري(انظر حياة كفاح احمد توفيق المدني ص 287).

* الطاهر بن سالم : عن الطرازين
* حسونة الروباغي : سوق النحاس تونس
* المناعي : النسيج . تونس (1)
* علي هادية : شركة هرسان . بنزرت
* مازيا : السكة الحديدية . بنزرت (2)
* جوزاف : البناء . بنزرت
* علي الخوجة : النقل بنزرت
* خميس الطبربي : بائعي الخضر. تونس
* عبد العزيز : المطاحن. تونس

هذه المحاولة وان احتوت على وجوه نقابية معروفة فان اغلب عناصرها لم يسبق ذكرهم من قبل وهي في الغالب شيوعية او قريبة من الشيوعيين.

و قد انحصر المشاركون في المبادرة الجديدة على منطقتي تونس و بنزرت مع غياب ممثلين عن قطاع الرصيف الذي كان له دورا مميزا سنة 1924.

---

(1) المناعي (علي) نساج كان كاتب عام لنقابة النساجين سنة 1924 المنطوية في جامعة عموم العملة التونسية

(2) مازيا (فردينان) اشتغل في السكك الحديدية بمنطقة بنزرت. كان على صلة كبيرة بروبار باك و قد رافقه الى فرنسا في صائفة 1927 حيث كانت لهما عدة مقابلات مع قادة الحزب الشيوعي الفرنسي خاصة دوريو كوتيرلي كاشان...
(معلومات انطلاقا من الرسالة الموجهة من نائب اميرال بحرية بنزرت الى وزير البحرية الفرنسية بتاريخ 15 جويلية 1927 الواردة في ارشيف و.خ.ف سلسة 10 افريقيا).

.../...

و الجدير بالملاحظة هو حضور عناصر شيوعية فرنسية (مازيا و جوزيف) وهو ما اوصت به اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي التي كانت تريد ان تشمل النقابة الوطنية جميع العمال الموجودين بتونس بقطع النظر عن جنسياتهم و ذلك ضمن المحاولات المتعددة التي ستقع لابعاد العمال الفرنسيين عن هيمنة المتفوقين.

هذه المحاولة لم تعمر طويلا اذ لم يعثر على نشاط قامت به و ان احتوت على وجوه نقابية معروفة مثل الطاهر بن سالم و محمد الخميري فان اغلب عناصرها لم يسبق ذكرهم من قبل وهي في الغالب قريبة من الشيوعيين لذا فانها تبدو و كانها عملية احتواء للمنظمة النقابية من طرفهم.

و هكذا لم تثمر مجهودات الشيوعيين و لا المجهودات الاخرى من اجل بعث الحيوية في جامعة عموم العملة التونسية و استاطعت السلط الاستعمارية ان تنجح - و لو مؤقتا - مشروعها القاضي بالسماح لنوع من النشاط النقابي المطلبي،، المتفهم،، الذي كانت تسلكه الس. ج. ت بزعامة دوريل.

الا ان هذا الفشل لا يمكن تفسيره فقط بتعسف السلط الاستعمارية و مجابهتها للجامعة بالمحاكمات، التي كان لها بلا شك دورا هاما في احباط العزائم و بث الخوف في صفوف النقابيين و خاصة بعد توقف النشاطات الجماعية من اضرابات و اجتماعات التي تقوي الحماس و الوعي.

فمن بين الاسباب الاخرى التي تفسر هذا الفشل و التي يجب تعميق التفكير فيها :

أ. لا بد من الرجوع الي طريقة تسيير الجامعة خلال مدة نشاطها . اذ يبدو ان المشروع النقابي قد طغت عليه الارادية VOLONTARISME حيث استلهم حيويته و اندفاعه فقط من مشروعية المطالب دون مراعاة توازن القوى المتقابلة. هذا بالإضافة الى شدة اعتداد محمد علي برايه و انفراده بالقرار في اغلب الاحيان. (1).
فطريقة التسيير هذه و التي تغيب العمل الجماعي لن تساعد على ابراز قيادة جديدة ذات مصداقية نظرا ،، للدور المتميز الذي كان يلعبه محمد علي ، حيث تصبح المجموعة لا تثق بقدرة غيره على انجاز ما كان يقوم به وهو ماوقع بالفعل للطاهر الحداد الذي عيّن ليخلفه و لكنه فشل في مهمته.

ب .مسالة التحالفات، ذلك ان اعادة بناء الجامعة لا يمكن ان يتحقق فقط بالاعتماد على مشروعية المطالب ، فالشيوعيون لم ينجحوا في اقناع بقية الاحزاب السياسية و خاصة الدستور باهمية الجامعة النقابية لذا فان المحاولة كانت معزولة سياسيا.

ج. مراعاة الظرف الاقتصادي، ذلك ان الحركة النقابية هي احدى مظاهر الوعي الاجتماعي فكان على اصحاب المبادرة مراعاة خصوصيات الوضع الاقتصادي فتحسن الاوضاع الاقتصادية في تونس في النصف الثاني من العشرينات و تقلص التذمر الاجتماعي سيضع حدا ـ ولو مؤقتا ـ لحركة المطالبة و سيمنع بروز مظاهر الاحتجاج الاجتماعي الذي يمكن عبره طرح مسالة بعث الجامعة من جديد.

---

(1) الطاهر الحداد. المصدر السابق ص 115 يذكر متحدثا عن اخلاق محمد علي،،..ومع حبه نتقادح الاراء.فقد كان شديد التمسك برايه. يسير في طريق التغلب شده على من خالفه في الراي. و من الصعب ان ينقاد لغيره . شده احتفاظه برايه. يكره المعارضة. يكره الافكار السلبية التي تميل لترك عمل او تاخيره تحت تاثير الاحتياط و الاحترار الذي يسميه في احيان كثيرة جبنا مبرقعا.

هكذا تبدو حصيلة عمل الجامعة الشيوعية في الفترة الممتدة بين اواخر 1925 و بداية 1928 هزيلة جدا. ضعف عددي (56 منخرطا . من بينهم 24 تونسي مسلم) و التواجد مقتصر على تونس العاصمة . اما بنزرت و فري فيل فاغلب المنخرطين من الفرنسيين العناصر التونسية عديمة التجربة او غير مستعدة لتضحيات جديدة (1)

العناصر الاوروبية تؤكد على المطالب المهنية و تتخوف من سيطرة العنصر الاهلي (2)

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 35 سلسلة 241 في تقريره امام اللجنة الاستعمارية يذكر مارشان (1926.12.30) ان بودمغة الذي شارك في المؤتمر الرابع للاممية يرفض القيام بعمل يعرضه للتعسف خاصة و انه عاطل عن العمل . اما قدور (عضو هيئة التنظيم) فانه يرفض البروز بصفة علنية كشيوعي.

(2) ارشيف م.د.م شريط 25 سلسلة 172 في الندوة الجهوية للتنظيم الشيوعي بتونس يومي 24 و 25 ديسمبر برزت نزعة تخفي عقلية استعمارية . مثلها فانتوريني وهي ترى ان تشجيع العمال المحليين للدخول بقوة في النقابات ستجعل هذه الاخيرة تحت رحمتهم اذ سيمثلون الاغلبية داخلها و لن يكون ذلك في صالح العمال الفرنسيين .

.../...

هذا الضعف في العدد و في الفاعلية سيكون له انعكاسا سلبيا على نشاط الجامعة الشيوعية في المجالين الاساسيين التي ارادت التحرك في اتجاههما، ففي المستوى الوطني رغم مواصلة الجامعة طرح شعار الاستقلال الوطني فانها لم تنجح في ربط علاقات تحالف او عمل مشترك مع الدستور اما في المستوى النقابي فان جميع المجهودات التي بذلتها من اجل احياء جامعة عموم العملة التونسية قد باءت بالفشل.

اسباب الفشل متنوعة فرغم الحركية و الارادية و التضحية التي ميزت نشاط عديد المناضلين فان عوائق هامة حالت دون توسع رقعة اشعاع الجامعة و جعل الحصيلة مرضية في نهاية النصف الاول من سنة 1928.

لقد كانت لسلسلة التعسف و القمع التي لحقت العناصر الشيوعية منذ جانفي 1922، مرورا بتحجير الجامعة و سجن و طرد مؤسسها لوزون ثم محاكمة القادة النقابيين و نفيهم و كذلك المحاكمات التي عقبت الحملة لفائدة الريفيين ، كان لذلك اثرا كبيرا في تقلص عدد الوافدين للانخراط في هذه ،، المغامرة ،،.

و من ناحية اخرى فان التعسف قد منع التواصل لدى العناصر الشيوعية و اكتسابها للتجربة الضرورية اضافة لعجز الشيوعيين الموفدين من فرنسا على التاقلم مع ظروف و تعقيدات المستعمرات .
كذلك فان ضعف حصيلة عمل الشيوعيين مرتبطة ايضا بدرجة كبيرة بالاطار الذي كانوا يتحركون ضمنه فالحركة الوطنية التونسية شهدت منذ نهاية 1925 فتورا كبيرا نتيجة الانهاك و الخيبات و تحسن الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في النصف

الثانـــي من العشريـــنات (1).

فـــلا ننـســى ان الحركيـــة التي اظهـــرها الشيوعيــون منذ مطلـع العشرينات ، كانت تتــم على هامش التحــركات العامة للحركـــة الوطنية (فترة بعـــث الحزب الدستوري، احــداث افريل 1922 و تنـازل البـاي عـــن العرش التجربة النقـابيــة التي قادهـــا محمد علي، حـرب الريـــف في المغرب و تـعـاطـــف الراي العـــام التونسي و الغربي معهـــا...)

فعندما دخلــت الحركة الوطنيـــة في فترة جـــزر فان الشيوعـــين كانوا عاجزيـــن عـــن خـــلق حركيـــة خاصة بهـــم. ان هذا العجـــز الذي سيبدو عليه التنظيم الشيوعـي في شهـــر جوان 1928 سيتفـــاعـــل مـع عوامـــل اخـــرى خارجـــية ستشهـــد الاممـيـــة الشيوعـــية بمناسبـــة مؤتمـــرها الســـادس (صائفـــة 1928) و سيؤدي الـــى سلـوك سياسة ،، قفـــز الـــى الامـــام،، التي ستكون مقدمـــة لفترة من الضعـــف و الانحـلال ستـــواصـــل من 1929 الـــى سنة 1932.

---

(1) المحجوبي ، اصول الحركة الوطنية... المصدر السابق ص 438 يؤكـــد على ان تحسن الاوضـــاع الاقتـــصادية بدايـــة من صائفـــة 1926 هو الذي كان بالاســاس وراء سبات الحركة . و ان القـوانين الزجـرية التي توّجـت جميع الاجراءات التعـــسفيـــة التي صـــدرت قبلهـــا تبدو و كانها اتقـــاء من الاخـــطـار ممكنة في المستقـــبل اكثر منهـــا لردع حركة كانت تقلق بصفـــة مباشرة.

الفصل الثاني

محاولة فاشلة لبعث حزب شيوعي تونسي

(1932 / 1928)

ستتاشر سياسية الجامعة الشيوعية بتونس بداية من النصف الاول من سنة 1928 بالنقاشات التي شهدتها الحركة الشيوعية العالمية آنذاك و المتصلة بعلاقاتها مع الحركات و الاحزاب الوطنية خاصة بعد الاحداث التي شهدتها الصين و سيقع تتويج هذه التحولات في المؤتمر السادس للاممية المنعقد في صائفة 1928 الذي سيقر سياسة ،، المرحلة الثالثة ،،

كما ستنعكس ايضا على الجامعة الصعوبات التي عاشها الحزب الشيوعي الفرنسي في اواخر العشرينات و التي تمخضت عنها تصفيات في قيادته و ضمن اطاراته.

لهذه العوامل الخارجية ، ستضاف صعوبات داخلية ناتجة عن التعسف و الخيبات المتتالية في علاقاتها مع الحزب الدستوري و مع النقابيين . ان كل هذه التعقيدات ستفرز ،، سياسة مغامرية ،، ستؤدي الى خلافات بين المناضلين و اعلان جزء منهم حل الجامعة الشيوعية و اعلان ،، بعث ،، الحزب الشيوعي التونسي.

اولا: منعرج في سياسة الاممية الشيوعية و تقهقر في عمل الحزب الشيوعي الفرنسي في اتجاه المستعمرات (1928/1932)

ان التوجه الحازم والواضح في دعم نضال المستعمرات و مساندة الاحزاب الوطنية الذي سارت فيه الاممية سيتلقى صدمة عنيفة اثر الاحداث الدامية التي شهدتها مدينة شانقاي الصينية في شهر افريل 1927 (1).

لقد ادت احداث شانقاي الى مراجعة نقدية لسياسة الاممية تجاه المسالة الاستعمارية ، حيث تميزت الدورة الموسعة للمكتب التنفيذي المنعقدة بين 18 و 30 ماي 1927 بنقاشات حادة حول المسالة الصينية.

اعتبر تروتسكي و زينوفياف - الذي وقعت ازاحته من رئاسة الاممية - ان ماجرى في الصين كان نتيجة لمهادنة الشيوعيين للبرجوازية الوطنية ، و قد تدخل ستالين في النقاشات ليرد بعنف على طرح تروتسكي ،، الذي يرفض ثورة الفلاحين و يرفض ان يكون لهم اي دور في تحقيق المهمات الديمقراطية ،، (2)

و رغم هذه المواجهة لموقف تروتسكي فان سياسة الاممية ستصبح شديدة الحذر تجاه البرجوازية الوطنية و لدورها في الحركة الوطنية بعد فترة من التقييم الايجابي ، حيث كان ستالين يصرّح بكل ثقة سنة 1924 ،،.... ان الطبيعة الثورية للحركة الوطنية لا تعني ضرورة وجود

---

(1) في شهر افريل تراجع الكومينتنغ في تحالفه مع الحزب الشيوعي الصيني حيث قام الحزب الوطني بسحق الانتفاضة العمالية يوم 12 افريل و قتل غدرا الاف الشيوعيين الذين كانوا فتحوا له المدينة قبل شهر.

(2) انريكا ، الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 257 و 265.

عناصر عمالية داخلها او امتلاكها لبرنامج ... ان نضال الامير الافغاني من اجل الاستقلال هو موضوعيا نضال ثوري رغم الصبغة الملكية لمفاهيم الامير، لانه يضعف و يدخل خللا في النظام الامبريالي ، ان نضال المثقفين و التجار البرجوازيين المصريين هو نضال ثوري رغم الاصول و الصفة البرجوازية لزعماء الحركة الوطنية المصرية و رغم انهم ضد الاشتراكية... ،، (1)

سيتواصل تقييم التجربة الصينية خلال المؤتمر السادس للاممية الشيوعية الذي انعقد من 17 جويلية الى غرة سبتمبر1928 و قد شارك في اشغاله مندوبون عن البلدان العربية ، فلسطين، مصر سوريا ، كما ضم الوفد الفرنسي ثلاث جزائريين و مندوب عن تونس(2).

اقر المؤتمر بالنسبة لاوروبا التكتيك الذي تم التعبير عنه فيما بعد بصيغة ،،طبقة ضد طبقة،، و يعني ذلك رفض التعامل مع قيادات الاحزاب الاشتراكية و السعي لاقامة جبهة موحدة للطبقة العاملة لخوض المرحلة الثورية التي بدات تبرز معالمها و التي سيؤكدها اندلاع الازمة الاقتصادية العالمية بداية من سنة 1929.

و معلوم ان هذه السياسة ادت لتوخي الاحزاب الشيوعية الاوروبية لخط انعزالي لا يراعي الاولويات التي اصبحت مطروحة حيث تم وضع الحزب الاشتراكي و الحزب النازي في نفس الدرجة في المانيا ، فكان ذلك بين العوامل التي سهلت صعود هتلر للحكم في جانفي 1933.

---

(1) اورد هذا النص ماكسيم دردنسون في الـ ركسية و العالم الاسلامي... المصدر السابق ص 476.

(2) انريكا. الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 313. لم يتم ذكر اسم المندوب التونسي ،، مصطفى،، ضمن القائمة الرسمية للحاضرين لكن نلاحظ وجوده عندما يتدخل لمناقشة التقرير الذي قدمه كوسنان (شيوعي فنلدي) يوم 14 اوت 1928 حول الحركة الثورية في المستعمرات.

.../...

اما بالنسبة للمستعمرات فقد تم استخلاص تنائج قاسية من التجربة الصينية و تم اصدار ،، حكم،، يقضي بانتهاء الدور الوطني المعادي للامبريالية الذي كانت تضطلع به البرجوازيات الوطنية في المستعمرات و تم اتهامها بالمهادنة و التعامل مع الامبريالية. وقد وقع تعميم هذا ،، الحكم،، على جميع المستعمرات. اذ تسابق المندوبون الذين تناولوا الكلمة لسرد قائمات من التهم، و الامثلة المجسمة لخيانة احزابهم الوطنية.

و في هذا الاتجاه كان تدخل المندوب التونسي ،، مصطفى،،(1) اذ اعتبر ،، ان الحزب الدستوري اتجه منذ سنة 1922 نحو المهادنة و التعامل مع الامبريالية الفرنسية حين قبل اصلاحات ربيع 1922 التي اعطت تمثيلا فوقيا للاعيان في المجلس الكبير(2) و حين رفض مساندة النقابيين في محنتهم سنة 1925، و عندما لم يندفع للمشاركة بحماس في الحملة ضد حرب الريف.. ان هذه السلسلة من الخيانات ادت الى ضعاف هذا الحزب الوطني و شلّه، اذ لم يعد يتحرك اليوم الا عن طريق قلة من التنظيمات التابعة له....،، (3).

و هكذا فان جميع الاحزاب و القوى الوطنية التي كان لها دور في دفع الحركة الجماهيرية في البلدان العربية عقب الحرب الاولى و ابان انعقاد مؤتمر الصلح بفرساي، ستعتبر بجرة قلم معادية لتطلعات شعوبها و مهادنة للاستعمار و لا يمكن لها المساهمة في المعارك الوطنية القادمة.

---

(1) ،، مصطفى،، هو الاسم المستعار للمندوب التونسي، و يجمع المناضلون الذين عاشوا تلك الفترة وخاصة الحبيب فرحات و ليون زانا ان الذي مثل الجامعة الشيوعية هو فيكتور زانا.

(2) نلاحظ تسرعا في الاحكام على مواقف الحزب الدستوري حتى بالنسبة لتلك التي قيمها الشيوعيون عند حدوثها ايجابية و كان المقصود تقديم حجج اضافية للمؤتمر عن خيانة البرجوازية الوطنية في كل البلدان. من تلك المواقف موقف الدستور من اصلاحات 1922. انظر المحجوبي.. المصدر السابق بداية من ص 309.

(3) النص الكامل لتدخل مصطفى موجود في ،، المراسلات الدولية،، عدد 128 نوفمبر 1928 (انظر الملاحق.)

.../...

و تبعا لهذا التحليل اصبح ،،... الوفد المصري حزبا ،وطنيا -اصلاحيا ،، معاديا للثورة... انه حزب الخيانة الوطنية... ان كامل تاريخه منذ سنة 1919 لسلسة من المقاومة ضد العمال و الفلاحين الثوريين ،،. وذلك حسب ما جاء في برنامج عمل الحزب الشيوعي المصري المصادق عليه سنة 1931. (1)

و في نفس الاتجاه سارا الحزبان الشيوعيان في سوريا و فلسطين عند اصدارهما لتقييم يشمل جميع البلدان العربية (2).

ان هذا التحليل المبسط للواقع المعقد الذي كانت تمر به الحركات و الاحزاب الوطنية في مطلع الثلاثينات يتناقض مع المحاولات الجريئة التي قامت بها الاممية و كذلك النواتات الشيوعية الاولى في البلدان المستعمرة في مطلع العشرينات، لتحليل و فهم طبيعة القوى الوطنية و امكانياتها.

ان الانعطاف الذي قامت به الاممية في سياستها تجاه المستعمرات سيؤدي الى تعميق الخلافات المريبة بين الاحزاب الوطنية و الاحزاب الشيوعية و ستقوى عزلة هذه الاخيرة في اوساط اوسع الجماهير.

و من ناحية اخرى كان للمؤتمر السادس نتائج ايجابية في مستوى بعث منظمات شيوعية مستقلة تنظيميا في المستعمرات و في هذا الاتجاه

---

(1) أورد هذا البرنامج كاملا. م. رودنسون ، الماركسية و العالم الاسلامي... المصدر السابق ص 482

(2) نفس المصدر... ص 483 نص لائحة ندوة الحزب الشيوعي في فلسطين و سوريا سنة 1931 التي جاء فيهابالخصوص ،،... ان موقف الكتلة الوطنية في سوريا يتمثل في معارضة تشكيلية للاستعمار . مع رفض المساهمة في كل نشاط ثوري و نضال حقيقي ... في فلسطين دخلت اللجنة العربية العليا في طريق التسابق الخياني مع الصهيونية لعقد تنازلات و صفقة مع الامبريالية الانقليزية مقابل ضمان ،،الامن،، للجماهير العربية... في العراق وجه الحزب الوطني نداءات لعصبة الامم لكن في الواقع لا يقوم بتنظيم اي رد فعل ضد الغزاة الانقليز... في تونس فان بقايا الدستور اصبحت تحت تاثير الامبريالية الفرنسية...،،

صدرت لائحة عن المكتب التنفيذي توصي الحزب الشيوعي الفرنسي بضرورة ،، تعريب،، فروعه الشمال افريقية.(1) حتى تستطيع تحمل اعباء الكفاح الوطني و الاجتماعي بمفردها خاصة بعد،، تخلي الاحزاب الوطنية عن القيام بدورها.،،

فمنذ جوان 1928 اصبح الحزب الشيوعي الفرنسي يركز على الاتصال المباشر بالاهليين في المستعمرات الشمال افريقية حيث اصدر منشورا يندد فيه بالسياسة الاستعمارية و خاصة نتائج حرب الريف و يدعو فيه للتآخي بين الجنود المدفوعين عنوة للمشاركة في الجيش و الثوار.(2)

و هذا التوجه سيتعمق خلال سنة 1929 ، حيث ان الحزب سيعتبر نفسه المسؤول الوحيد عن المستعمرات ،، خاصة بعد خيانة الاشتراكيين الذين انتقلوا صراحة الى معسكر الامبريالية....،، و بعد ،،تراجع،، الاحزاب الوطنية ،،تخليها،، عن دورها المعادي للاستعمار ،، فالحزب الدستوري لم يعد حزبا وطنيا و تحول الى مجرد ممثل للامبريالية لذلك فان اهمية هذا الحزب اصبحت محدودة.(3)

---

(1) انريكا. الاممية الشيوعية و الاستعمار... المصدر السابق ص 377. لائحة السكريتارية السياسية للمكتب التنفيذي للاممية بتاريخ 16 اكتوبر 1929 و قد اوصت اللائحة بضرورة ،، تعريب هذه الاحزاب في مستوى المنخرطين والقيادات.

(2) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 افريقيا الشؤون الاسلامية رسالة موجهة من وزير الداخلية لوزير الخارجية الفرنسي يعلمه انه تم سحب 100.000 نسخة من منشور موجه الى سكان شمال افريقيا. بمطبعة الصحافة الفرنسية 144 بنهج مونمارتر (تاريخ الرسالة 11 جوان 1928).

(3)،،كراسات البلشفة،، رقم 4 افريل 1930 اطروحات حول عمل الحزب الشيوعي الفرنسي في المستعمرات صادقت عليها السكريتارية السياسية للاممية يوم 16 ديسمبر 1929 انتقدت هذه الاطروحات التراجع الذي بدا يلاحظ في عمل الحزب في المستعمرات. وقد نشرت بعد اربعة اشهر من صدورها.

.../...

و لكن في الوقت الذي فرضت فيه السياسة الجديدة للاممية مجهودات كبيرة على الحزب الشيوعي الفرنسي فان هذا الاخير سيدخل في فترة صعبة سينتج عنها فتور في عمله في المستعمرات و ستتواصل حتى سنة 1932.

فرغم تبني المؤتمر السادس للحزب الفرنسي المنعقد في سان دوني (افريل 1929) لمقرارات المؤتمر السادس للاممية و خاصة فيما يتعلق بضرورة ،،تكوين منظمات شيوعية في كل البلدان الواقعة تحت هيمنة الامبريالية الفرنسية ، و دعم المنظمات الموجودة و خاصة تحسين تركيبتها الوطنية و الاجتماعية،،. (1) فان التجسيد الفعلي لهذه القرارات سيبقى بعيد المنال خلال تلك السنوات.

ذلك ان الحزب الشيوعي الفرنسي دخل بداية من صائفة 1929 فترة صعبة نتيجة حملة الايقافات التي شملت مئات المناضلين و اغلب اعضاء اللجنة المركزية (2).

فكان على الحزب توخي اشكالا جديدة تتلاءم مع المستجدات خاصة بعد غرة اوت 1929 اذ اصبح في شبه سرية و استحال ضمان تسيير عادي لهياكل الحزب خاصة منها القيادية. لقد نتج عن هذا الوضع صعوبات داخلية عديدة من ابرز مظاهرها تكوين كتلات و تجمعات مختلفة داخل الحزب ، لعل اهمها المجموعة التي كان يقودها عضوا المكتب

---

(1) تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي (بالفرنسية) كتاب من نشر اللجنة المركزية. المنشورات الاجتماعية سنة 1964 ص 42

(2) تاريخ الحزب.. نفس المصدر . ص43 اثر موافقة الحزب الفرنسي على تنظيم الاحتفال بذكرى 1 اوت (تاريخ اندلاع الحرب الاولى الذي دعت اليه الاممية الشيوعية ، شنت السلط الفرنسية بداية من جوان 1929 حملة اعتقالات حيث تم اعتقال موريس طوريز و في يوم 24 جويلية تم القاء القبض على معظم اعضاء اللجنة المركزية.

السياســـــــي : هنري باربي و بيار سيلور . (1)

و قد تواصلت سيطـرة هذه المجموعة على قيادة الحزب و هياكله خلال النصف الثاني من سنة 1929 و النصف الاول من سنة 1930 حتى انعقاد دورة اللجنة المركزية في جويلية 1930 التي قررت ادخال تحوير على تركيبـة المكتب السياسي و السكريتارية و انتخاب موريس طوريـز كاتبا عاما للحزب، اما باربي و سيلورفلن يتم فصلهما عن الحزب الا في ديسمبر 1931 وهو ما يؤكدان تاثيرهما بقي كبيرا ، رغم تولي طوريـز المسؤولية الاولى.

ان انشغال الحزب بترتيب اوضاعه الداخلية ، بالاضافة لعزلته داخل اليسار و بصفة عامة في الساحة السياسية الفرنسية نتيجة تطبيقية ،، لسياسة طبقة ضد طبقة ،، الرافضة لكل عمل مشترك مع الحزب الاشتراكي في المستوى القيادي، سيخولان دون مواصلة قيامه بمبادرات في اتجاه المستعمـــرات.

لقد اصبح العمل المعادي للاستعمار ظرفيا و متقطعا نتيجة توقف اللحنة الاستعمارية عن النشاط (2) فابرز ما قام به الحزب في تلك الفترة هو محاولة تنظيم حملة مضادة لاحتفالات الرسمية التي اقامتها السلط الفرنسية بمناسبة احياء الذكرى المائوية لاحتـــــــــــــــــــلال

---

(1) تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي... المصدر السابق ص 44 يذكر الكتاب ظهور 4 تكتلات داخل الحزب. أ/ العناصر التي تجمعت حول 6 مستشارين بلديين في باريس والذين سيكونون حزب العمال و الفلاحين. ب/ مجموعة سترازبورغ التي ستكون عند طردها الحزب الشيوعي المعارض ج/ بروز اتجاه اصلاحي داخل النقابات الموحدة (C.G.T.U) يعارض دور الحزب الشيوعي داخل الحركة النقابية و اقترح المؤتمر الخامس لهذه النقابة التصويت على اربع سنوات سلم اجتماعية. د/ مجموعة باربي سيلور التي اتهمت فيما بعد بانها ،، استغلت تشتت اعضاء اللحنة المركزية سبب الايقافات او الملاحقة للانفراد بالقيادة... وفرض داخل المنضمات اساليب عمل غريبة و عرقلة تنفيذ سياسة الحزب و تعويضها بالجمل الثورية الفضفاضة...،،

(2) ذكر لنا الحبيب فرحات الذي كان عضوا قارا في اللجنة الاستعمارية بداية من سنة 1928 و ذلك اثر طرد الطيب الدباب من فرنسا ان في السنوات 1931/1929 توقفت اللجنة عن العمل و انه وجه للعمل في مكتب و رابطة النضال ضد الاضطهاد الاستعماري.

الجـزائـــر(1).

وقد وجـه مكتب الامميـــة خـلال هذه الفترة في عـدة مناسبات نقدا ،، للضعـف الملاحـظ في عمـل الحزب في اتجـاه المستعمرات بالمقارنـة مـع النشاط الحثيث خلال حـرب الريف...،لاحظت الاممية ضعـف العمل الشيوعـي في تونـس نتيجـة ،، تحـلل التنظيم الشيوعـي وهو ما ينـذر باخـطار عدة ....،، (2) لذلك فانه من ابـرز المهام العاجـلة التي طرحتهـا موضوعـات الامميـة على الحزب الفرنسي لاسترجـاع دوره في تونـس هـي ،، القضـاء على الازمـة التي تمر بهـا الحركة الشيوعيـة في تونـس و اعـادة تنشيطهـا في اطـار فرع جهـوي للحزب الفرنسي كمرحـلة اولى في اتجـاه تحـويلهـا الـى حـزب مستقل....،،(3)

مـا هي طبيعـة الازمـة التي مرت بهـا الحركة الشيوعيـة في تونـس و الى اي درجـة سيـســتـطيع الحزب الفرنسي التـاثير فيهـا خـاصة و انـه هو بدوره كان يمـر بصعـوبات حادة .؟

---

(1) ارشيف م.د.م شريط 69 سلسلة 461. تقرير اللجنة الاستعمارية بتاريخ 2 ديسمبر 1931 اقتـصرت الحملـة على مقالات صحفية فيكـل من جريدة الحـزب،، الانسانيـة ،، و ،، الدفـاع ،،لسـان الاسعـاف الاحمـر كما تم اصدار نـداء يدعـو لمقاطعة المعرض الاستعماري الذي نظمته السلط الفرنسيـة بباريس و قد تـم امضاؤه من طـرف 12 مثقـفا من بينهـم آراغون و ايليوار و برتـون.
و قد انتقدت ،، كراسات البلشفية ،، في عدد 12 ديسمبـر 1930 في مقال بعنوان مخـطط العمل الاستعماري للامبرياليـة الفرنسية، تواضـع الحملـة التي نظمت بمناسبة المائويـة رغم صدور عدّة تعليمات قبل الاحتفالات بمدة طويلـة تحرض المناضلين للاستعداد للحـدث.

(2) كراسات البشلفية عدد 4 افريل 1930

(3) نفـس المصـدر.

ثانيا : صعوبات الجامعة الشيوعية

عزلة و ،، انتفاضة ،، ضد اللجنة الاستعمارية

(1929 / 1932) .

في شهر جوان 1928 ، عندما كان ،، مصطفى،، يتهيأ للسفر الى موسكو للمشاركة في اشغال المؤتمر السادس للاممية الشيوعية ، كانت الجامعة الشيوعية بتونس تجمع حصيلة متواضعة رغم المجهودات التي بذلتها منذ نهاية 1925.

ضعف عددي (1) و تواجد يكاد ينحصر في منطقتي تونس و بنزرت و سلسلة من الخيبات في مجال العمل في اتجاه الدستوريين و النقابيين.

شارك ،، مصطفى،، في اعمال اعلى هيكل في الحركة الشيوعية العالمية و عاد محملا بقرارين اعتقد هو و من معه من الشيوعيين بتونس انهما ،، الحل السحري،، لتجاوز صعوباتهم و تطوير الحركة الشيوعية في تونس

لقد اعلن امام المؤتمر ان من ابرز مهام الشيوعين في تونس في المرحلة القادمة ،، قيادة و فضح العناصر ،، التوفيقية ، تنظيم الحركة النقابية و استعادة النفوذ الذي كان للشيوعيين داخلها و مقاومة ،، الاصلاحيين،، و يمر هذا ببعث حزب شيوعي تونسي قوي،، (2).

---

(1) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 ، تقرير باك موجه للجنة الاستعمارية في جوان 1928 يذكر ان العدد الجملي للشيوعيين 56 من بينهم 24 تونسي مسلم.

(2) ،، المراسلات الدولية ،، عدد 128 نوفمبر 1928
كلمة ،، مصطفى،، امام المؤتمر السادس للاممية الشيوعية.

.../...

٠٩)،،قيادة الحركة الثورية المعادية للامبريالية،،

او اعلان الحرب على الدستور

سبق أن راينا التقييم الجديد للدستور الذي تبناه الشيوعيون و الذي ورد على لسان ،، مصطفى،، في المؤتمر السادس للاممية فتم الاقرار بانزلاق الحزب الدستوري نحو المهادنة مع الاستعمار الفرنسي و تقديم التنازلات لفائدته و وقع تفسير ذلك بالارتباط بالتركيبة البرجوازية لقيادته.

نتيجة لهذا التحليل لم يعد مطروحا التحالف مع هذا الحزب ،، لانه خان الحركة الثورية،، فالمهمة الجديدة هي تكوين كتلة معادية للامبريالية تضم الطبقة العاملة تحت قيادة حزبها الشيوعي و الفلاحين الفقراء، الحرفيين و المثقفين. (1).

ان اعباء النضال الاجتماعي و الوطني ستصبح من مشمولات الحزب الشيوعي ،، بمفرده،، نتيجة ،، تراجع،، الحزب الدستوري في توجهاته المعادية للاستعمار. و قد وقع استثناء فروع و خلايا الدستور التي انسلخت،و اعلنت عصيانها للقادة الخائنين اذ يمكن للشيوعيين التعامل مع تلك المنظمات المحلية (2)

---

(1) ارشيف و.خ.ف رسالة موجهة من الحزب الشيوعي الفرنسي الى الشيوعيين بتونس اثر اعلانهم حل الجامعة و بعث حزب شيوعي تونسي. (اواخر سنة 1928)

(2) نفس المصدر. لكن تجدر الملاحظة انه باستثناء التململ الذي حصل في بعض خلايا الحزب الدستوري سنة 1925 عندما تخلى عن جامعة عموم العملة التونسية، فاننا لم نسجل حركة مماثلة او انسلاخات من هذا الحزب في السنوات 1927 و 1928.

فخلال السنوات 1929 / 1932 لن نلاحظ اثرا في المنشورات الشيوعية للنداءات و الدعوات للتحالف المشترك التي كانت تزخر بها برامج الشيوعيين في النصف الاول من العشرينات رغم ان شعار الاستقلال السياسي لا زال في مقدمة المهمات . اذ اعتبر الحزب الدستوري غير قادر على المساهمة في تلك المعركة.

ان هذا الانعزال عن الاحزاب الوطنية سيشمل ايضا المجال النقابي.

ب) التوجه مباشرة للعمال : تجربة ،، بوشكارة ،،

بعد المحاولات الفاشلة لاعادة بعث جامعة عموم العملة التونسية سنتي 1926 و 1927 عن طريق التعاون مع العناصر التي كان لها دورا الى جانب محمد علي سيتجه الشيوعيون الى انتهاج خطة جديدة في العمل النقابي بتونس

لقد قامت السياسة الجديدة على العمل على الاتصال مباشرة بالعمال ،، و ابراز،، عناصر ثورية قادرة على بعث جامعة نقابية مرتبطة مباشرة بالشيوعيين حتى يتم ،، تخليص، العمال من تاثير القادة ،، الاصلاحيين،،.(1)

---

(1) في مجال الحركة الوطنية لفظة الاصلاحيين كانت تعني الحزب الذي كونه كلا من حسن القلاتي و محمد نعمان اثر انشقاقهم عن الحزب الدستوري. اما في مجال الحركة اليسارية فهي تعني انصار الاممية الثانية وهم الاشتراكيون و الحركة النقابية المتاثرة بهم وهي،، السـ.ج.ت.

.../...

لتحقيق ذلك الغرض اتجه الشيوعيون الى العمال الذين ابرزوا في الماضي قدرات نضالية وحماسا في المعارك النقابية وهم عمال الرصيف.

ففي شهر ماي 1928 ، اصدرت الجامعة الشيوعية نشرية ،، بوشكارة،، الموجهة الى عمال رصيف العاصمة و لم نتمكن من العثور الا على عددين من هذه النشرية اعتمادا على الترجمة الموجودة في ارشيف الخارجية الفرنسية و مجلة ،، افريقيا الفرنسية،،. (1)

،، ان بوشكارة هي لسان حال عمال الرصيف بتونس وهي المعبر عن قضاياهم و مشاغلهم و ان محرريها من بينكم يعملون معكم كل يوم و يقاسمونكم الامكم و حياتكم الصعبة... ان هذه الجريدة ستبرز كل شهر و ستوضح لكم الطريق الذي يجب ان تسلكوه في كل الظروف...،، هكذا عرّفت بوشكارة نفسها لقرائها. ()

لا شك ان التركيز على عمال الرصيف له مبررات عديدة فلهؤلاء العمال تقاليد نضالية ، و اغلبهم من الاهالي الذين يتقاضون اجورا زهيدة بالاضافة الى ان الرصيف شكل حلقة هامة في حركة الاستغلال الاستعماري حيث تتدفق منتوجات البلاد التونسية المنجمية و الفلاحية التي يرصفها ،، اصحاب الشكارة،، داخل البواخر لتنقل الى اوروبا ليتم تصنيعها و تسويقها.

---

(1) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 الشؤون الاسلامية رسالة من المقيم العام لوزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 15 جوان 1928

(2) العددالاول من ،، بوشكارة،، ماي 1928 صدرت باللغة العربية و لكن لم نعثر عن اي نسخة اصلية . و انما اطلعنا عليها من خلال الترجمة الواردة في المصادر المذكورة اعلاه.

لا تكتفي ،، بوشكارة ،، بوصف التعاسة التي يعيشها عمال الرصيف و الاستغلال الذي يتعرضون له خاصة في فصل الصيف - عند شحن الحبوب و المنتوجات الفلاحية الاخرى - بل توجه العمال نحو تنظيم الدفاع عن مصالحهم الطبقية و المهنية ،،ان الراسماليين الذين يستغلون الموانى التونسية هم على غاية من التنظيم و الوحدة و نحن بدورنا يجب ان نكون صفا واحدا.

ان عمال الرصيف بصفاقس يريدون الاتحاد معنا فعلينا عقد مؤتمر وتكوين الجامعة العامة لعمال الرصيف....،،

نرى ان الشيوعيين يتابعون دوما الهدف الذين رسموه منذ 1926 و المتمثل في محاولة اعادة بناء الجامعة النقابية انطلاقا من عمال الرصيف.

الا ان الجديد سنة 1928 هو انهم اصبحوا لا يتحرجون من ابراز العلاقة التي يجب ان تربط النقابة بالحزب الشيوعي ،، القادر،، وحده على ربط المهام الاجتماعية بالمهام الوطنية ،، ان تجربة 1924 الاليمة لا بد ان تكون مفيدة للشعب التونسي انها تاكيد على ان قيام ذاتية لبلادنا لن يتحقق الا بالتحرر من الاستعمار و ان الاستقلال لن يمنح عن طيب خاطر بل بالقوة... فعلى كل الذين فهموا و اقتنعوا بنظريتنا ان يدعموا و ينخرطوا في صفوف الحزب الشيوعي ، الحزب الذي اكد بوضوح مطالبته بالاستقلال...،،

و في شهر اوت 1928 صدر العدد الثاني من ،، بوشكارة ،، الذي احتوى بالخصوص على اخبار و تعاليق حول الاضرابات التي جدت بتونس في شهر جويلية في كل من معمل الاجر بجبل الاحمر و مطاحن منوبة و اضراب عمال الترامينو الذين طالبوا بثماني ساعات في اليوم.

.../...

توقــــف صدور النشرية بعد العــدد الثاني فصداها كان ضعيفا لدى عمال الرصيف و لم تساهم في دفعهم للمشاركة في اضرابات جويلية 1928 كما ان العمال لم يتجاوبوا مع العنوان الذي وضع لهذه النشرية (1) الا ان السبب الرئيسي لتوقــف هذه التجربة يكمن في التطورات الداخليــة التي شهدتها الجامعة الشيوعيـة في النصف الثاني من سنــة 1928 اثــر رجوع مصطفى من المؤتمـر السادس للاممية الشيوعية

ج٠) الانتفـاضة التنظيميـة

حل الجامعة الشيوعيـة ،، و اعلان ،،

الحزب الشيوعي التونسـي

رابنـا انه مـن بين القرارات التي انتهـى اليها مؤتمـر الامميـة اثـر اقراره لخيانة الاحزاب الوطنيـة تحويـل فروع الحزب الشيوعـي الفرنسـي في شمال افريقيـا الـى احزاب مستقـلة تنظيميا.

بمجـرد رجوع مصطـفى الـى تونس و اعلامـه لبقيـة رفاقه بهذا القرار ، تـم اتخاذ قرار يقضي بحل الجامعـة الشيوعيـة (التابعـة للحـزب الشيوعي الفرنسـي) و اعلنـوا بعـث الحزب الشيوعي التونسي (2).

---

(1) كلود ليوزي، الحركة العماليـة بتونس.. المصدر السابق ص 167. ذكر لـه بعض شهود عيـان ان عنوان هذه النشرية قد صدم عمال الرصيف و لم يستحسنوه لانه يذكرهم بواقعهم الاليم المفروض عليهم .

(2) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 الشؤون الاسلامية. رسالة غير مؤرخة بدقة (خريف 1928) وهي موجـهة من الحزب الشيوعـي الفرنسي الى الشيوعيـيـن بتونس اثر قرارهم حل الجامعة و تعويضها بحزب مستقل تنظيميا عـن الحزب الشيوعي الفرنسي

ان المعلومات التي نملكها عن هذا القرار ليست مباشرة و انما تمكنا من استشفافها انطلاقا من الرسالة التي وجهها الحزب الشيوعي الفرنسي للشيوعيين بتونس يدعوهم فيها للتراجع في قرارهم و كذلك انطلاقا من النقاشات التي حصلت في اللجنة الاستعمارية بباريس اثر عودة روبار باك لتقديم توضيحات حول المبادرة التي تم القيام بها في تونس

يتبين لنا من هذه الوثائق ان 6 شيوعيين و 20 من الشبيبة الشيوعية كلهم من العناصر التونسية المسلمة او اليهودية اتفقوا على حل الجامعة الشيوعية و تحويلها الى حزب شيوعي تونسي . وقد صادقوا قبل ذلك ارضية سياسية سترفضها اللجنة الاستعمارية و تعتبرها مناقضة لسياسة الاممية (1).

كما انها ستفرض قرار بعث حزب شيوعي تونسي.

و لقد علل الحزب الفرنسي رفضه لمبادرة الشيوعيين بتونس بالاعتماد على لائحة الاممية نفسها التي اكدت انه يمكن فقط للاحزاب التي

---

(1) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 الشؤون الاسلامية جاء في الارضية السياسية ،، بعد 48 سنة من الحضور الفرنسي بتونس قامت الامبريالية بالقضاء على علاقات الانتاج الاقطاعية و طورت اقتصادا بوجوازيا راسماليا. و نتيجة لذلك فقد قضى على اسس الحركة القومية المعادية لفرنسا و طرح على جدول الاعمال الثورة العمالية و النضال لاقامة حكومة سوفياتية بتونس...،،
هذا التحليل سيعتبر مناقضا لاطروحات الاممية و متاثرا بالنظرية التروتسكية التي تركز على الثورة الاجتماعية

.../...

تحتوي على اغلبية من العمال المحليين ان تتحول الى احزاب مستقلة تابعة مباشرة للاممية الشيوعية في حين ان الجامعة الشيوعية بتونس كانت بعيدة كل البعد عن تحقيق ذلك الشرط(1).

لذلك طالب الحزب الفرنسي الشيوعيين بتونس التراجع في قرارهم و اعادة هيكلة الجامعة و القيام بجميع المجهودات لتوفير كل الشروط الضرورية لتحويلها الى حزب شيوعي تونسي مستقل.

و قد اسفرت النقاشات التي دارت في شهر جانفي 1929 في اللجنة الاستعمارية بحضور باك عن اقناع هذا الاخير بضرورة تحرير تقرير ثاني تراجع فيه عن مشروعه مقدما نقده الذاتي(2) و رغم ذلك فانه لم يسمح له بالعودة الى تونس التي سيغادرها نهائيا في جانفي 1929.

ان التردد الذي ميز موقف باك و عدم عودته الى تونس ستكون لها عواقب وخيمة على الجامعة الشيوعية بتونس اذ انها ستدخل بداية من جانفي 1929 مرحلة تشتت و انقراض تام و لم يبق اي مظهر لمجموعة منظمة فاللجنة الاستعمارية ستتاثر - كما راينا - بالصعوبات التي مر بها الحزب الفرنسي سنة 1929 لذا لن يكون لها اي صلة بتونس كذلك فان المجموعة الشيوعية التي تركها باك كانت عاجزة عن القيام باي دور حقيقي فبالاضافة لتواضع عددها و انعدام التجربة لديها فقد شهدت تفاقم الخلافات

---

(1) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 الشؤون الاسلامية رسالة موجهة من الحزب الشيوعي الفرنسي الى الشيوعيين بتونس في اواخر سنة 1928.

(2) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 المصدر السابق ...، قام باك بتحرير تقرير ثاني موجه الى الاممية الشيوعية في شهر فيفري 1929 تضمن التقرير تراجعا في المشروع و اعتبرو ان الارضية السياسية لمجموعة تونس خاطئة.

الذاتية بينها و من ابرز مظاهرها مغادرة فيكتور زانا (مصطفى) التنظيم و التحاقه بالجيش الفرنسي(1.)

اما البشير العوني و المختار الكامل اللذان كانا قد عادا في تلك السنة من موسكو بعد فترة من الدارسة في مدرسة الاممية فلم يتفاعلا مع الظروف الصعبة و لم يكن لهما اي دور يذكر.

لقد انعدم اي مظهر للنشاط الشيوعي بتونس خلال السنوات 1929 / 1932 باستثناء بعض المحاولات الفردية المتفرقة كالتي شهدها شهر ماي 1930 و ذلك من خلال التحركات الشعبية التي شهدتها العاصمة بمناسبة انعقاد المؤتمر الافخارستي.

فقد استغل الشيوعيون تلك المناسبة لتوزيع منشور يدعون في الشعب التونسي للتظاهر ضد المؤتمر الافخارستي يوم 7 ماي 1930. الذي اعتبروه عملا اراده الاستعمار ليتظاهر بقوته و بطشه...

---

(1) المجموعة التي بقيت اثر رجوع باك الى فرنسا كانت متكونة من عاطلين عن العمل يقضون معظم وقتهم في التسكع في المقاهي دون اي تاطير او توجيه وهو ما ادى لحدوث خلافات ذاتية بينهم سببها التسابق بين افراد المجموعة للفوز بصداقة بولات مارتين المراة الشيوعية الوحيدة التي كانت معهم و التي تزوجها فيما بعد المختار كامل (حديث مع ليون زانا 1983.9.9).

و المؤتمر الافخارستي حرب يوجهها الاستعمار - تحت ستار الدين - لمقاومة كل حركة ترمي الى التحرير ،، (1)

و الملاحظ ان المنشور لا يحتوي على اي اشارة الى الدستور او للمبادرات الاخرى التي سيتم القيام بها لمواجهة هذه التظاهرة المسيحية بل هناك مواصلة في عملية التشهير بالبرجوازية التونسية التي قبلت ،، المشاركة ،، في هذه الاحتفالات.

و هكذا فقد انهت الجامعة الشيوعية بتونس عشريتها الاولى. و لم تؤد مجهوداتها لابراز اشعاع كبير او لترسيخ ركائز نواة قادرة على تنظيم و تعبئة حركة جماهيرية عند بروزها ، فالمحاولات التي تمت كما راينا كانت وسط اطار وطني عام تميز - في النصف الثاني من العشرينات - بالتراجع و الخمول.

لكن بالاضافة لحالة الركود العام فان الجامعة تاثرت بانعكاسات عوامل خاصة بالحركة الشيوعية من ابرزها انتهاج الاممية لسياسة انعزالية تجاه الاحزاب الوطنية و القوى الاجتماعية التي يمثلها نتج عنه مبالغة في امكانية ودور الاحزاب الشيوعية في المستعمرات التي لم تتوفر لها آنذاك الشروط الدنيا لبعث حقيقي.

---

(1) ارشيف و.خ.ف سلسلة 10 افريقيا تقرير من المقيم العام الى وزير الخارجية بتاريخ 24 ماي 1930 يذكر التقرير اهم مظاهر النشاط التي قام بها الشيوعيون خلال شهر ماي من تلك السنة و قد تمثلت في توزيع منشور بمناسبة غرة ماي و منشور حول مائوية احتلال الجزائر و منشور حول المؤتمر الافخارستي. كما يفيد التقرير ان تحركات الشيوعيين الاخيرة هي من عمل كل من الطيب الدباب و علي جراد.

فالمعوقات كانت جدية . ضعف عددي و عدم تبلور لوعي طبقي و لا لطبقة عاملة تركيبة قومية و دينية متعددة . كلها عوامل لم تكن لتسمح ببروز حزب شيوعي تونسي مستقل رغم الارادة و النوايا الحسنة لروبار باك و رفاقه .

كيف سيتم مواجهة هذا الانهيار التام للحركة الشيوعية بتونس في العشرية الجديدة ؟. و هل ستتوفر شروط تونستها في الثلاثينات بعد ان فشلت مساعي جيل العشرينات ؟.

القسم الاول

بدايات الحركة الشيوعية
في تونس

الحيثيات المحلية و العالمية
لولادتها (1919 / 1926)

تقديم : اهم مميزات الوضع التونسي غداة الحرب الاولى

تزامن الاعلان عن نهاية الحرب العالمية الاولى في شهر نوفمبر 1918، مع عودة قوية لتنفيذ البرامج الاستعمارية من طرف السلط الفرنسية بتونس
لقد تميزت فترة الحرب بتوقف عمليات انتزاع الاراضي التونسية اذ كانت كل انظار الحكومة الفرنسية مشدودة الى جبهات القتال مع المانيا. و هذا ما ادّى الى تحسن الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للتونسيين.

ان من ابرز عوامل هذا التحسن،تراجع عمليات الاستحواذ على الاراضي من طرف المعمرين الخواص و الشركات الراسمالية، كما ان انهيار الانتاج الصناعي و الفلاحي في اوروبا من جراء المعارك التي شهدتها مختلف المحاور و خاصة الاراضي الفرنسية جعل الانتاج التونسي يتخلص بدرجة كبيرة من المزاحمة الاجنبية.

ادّى هذا التحسن النسبي للاوضاع الاقتصادية الى تقلص عدد العاطلين، فبالاضافة الى توقف قدوم اليد العاملة الاوروبية الى تونس مدة الحرب ، فان الطلب ازداد على العمال التونسيين للعمل في تونس او في المصانع الفرنسية ، لتعويض العمال الذين وجهوا نحو الجبهات (1).

ان اعلان الهدنة و توقف المعارك في نهاية 1918 ، سيحدث خللا في التوازنات التي شهدتها الايالة خلال فترة الحرب

---

(1) وقع ارسال حوالي 56.000 تونسي الى فرنسا للعمل في المصانع و للقتال و قد مات منهم 12.000 (معدل انطلاقا من التقارير المختلفة التي حررت اثر الحرب.)

لقد رجعت السلط الاستعمارية بتونس لممارسة ،،صلوحياتها،، بقوة، و ذلك قصد استغلال و توظيف موارد البلاد التونسية - و غيرها من المستعمرات - لمواجهة الاضرار البشرية و الاقتصادية و الاجتماعية التي خلفتها الحرب في فرنسا (1).

لذلك فان تلبية احتياجات فرنسا بالمواد الفلاحية و المنجمية ستشكل الهدف الاساسي للسياسة الاستعمارية في تونس غداة الاعلان عن الهدنة. (2)

و لضمان تزويد فرنسا بالمواد الغذائية عاد الاستعمار الفلاحي بقوة على حساب اراضي العروش و اراضي الاحباس العامة و الخاصة (3).
احدث هذا المشروع تململا بين التونسيين خاصة في الارياف و شمل الغضب ايضا الملاكين الكبار التونسيين الذين كانوا يتصرفون في جزء من تلك الاراضي و كذلك المشرفين على الزوايا و اتباعهم. (4)

---

(1) خسرت فرنسا 20./. من مجموع الرجال العاملين، و انهار الانتاج المنجمي و الصناعي و الفلاحي مقارنة مع ما كان عليه سنة 1913 (96./. الفحم الحجري، 95./. الفولاذ 57./. الحديد، 1/3 للانتاج الفلاحي) بالاضافة الى ان تكاليف الحرب وصلت الى 1/3 الميزانية سنويا.

(2) Ali MAHJOUBI, les origines du mouvement national en Tunisie (1904 - 1934) Publication de l'Université de Tunis 1982, P 166.

(3) تم تحضير تحت اشراف المقيم العام فلاندان FLANDIN مشروعا للاستصلاح حوالي 3،5 ملايين هكتار من الاراضي الملك بدون عقد و الموات و الاحباس الخاصة و العامة ، هذا بالاضافة للامتلاك المعمرين الفرنسيين سنة 1921 لحوالي 554.000 هكتار و الايطاليين لـ 60.400 هكتار، و المالطيين لـ 15.000 هكتار.

(4) علي المحجوبي ، جذور الحركة الوطنية ، المصدر السابق ص 168.

و سينتج عن ذلك تحول عدد من اهالي تلك المناطق الى عمال فلاحيين في الضيعات الاستعمارية ، بينما انعكفت البقية على استغلال ما ترك لها من اراضي فقيرة في انتظار اول انهيار للمحاصيل يجبرهم على النزوح نحو المدن الساحلية .

ان الاختلال في التوازنات الاجتماعية شمل ايضا المدينة حيث عادت البضائع الفرنسية المصنعة لتملأ الاسواق، فبعد ان شهد الحرفيون التونسيون انتعاشا اثناء الحرب اصبحوا اثرها يعانون ازمات نتيجة استعادة توريد المواد المصنعة (1). ان الغضب الذي سيعمّ اوساط الصناعة التونسية سيساعد على بروز الحركة السياسية والاجتماعية فلا غرابة ان تكون اسواق العاصمة و دكاكينها احدى الميادين الرئيسية التي ستنتشر فيها حركة المعارضة للسياسة الاستعمارية بتعبيراتها المختلفة : القومية (2)، و الطبقية و المطلبية، كما اهتم المقيم العام فلاندان بتقوية الحضور البشري الفرنسي في تونس، اذ كانت السلطات الفرنسية منشغلة بتفوق الجالية الايطالية على الفرنسية.(3)

و قصد تلافي الاخطار التي يمكن ان تنجر عن التفوق الايطالي عمدت السلط الى تشجيع الفرنسيين على القدوم و العمل بتونس لتدعيم نفوذ بلادهم.

---

(1) ارتفعت قيمة الواردات الى تونس من 207 مليون فرنك سنة 1918 الى 722 مليون فرنك سنة 1921. انظر علي المحجوبي المصدر السابق ص 170 ، عن الاحصائيات العامة للبلاد التونسية 1921 . ص 259.

(2) ترجمة للكلمة الفرنسيّة : (Nationaliste)

(3) حسب احصاء 1921، بلغ عدد افراد الجاليات الاجنبية كالاتي الفرنسيون 54.476 الايطاليون 84.799، و المالطيون 13.500.

و للتحصل على نتائج ملموسة رفعت في اجور الفرنسيين بنسبة 33٪. و ذلك بمقتضى الميثاق الذي اصدره المقيم العام فلاندان سنة 1919 (1) جعل هذا الاجراء الموظفين و كذلك العمال التونسيين ينقمون على هذا الميز العنصري لذلك ستكون المطالبة بتساوي الاجر عند التساوي في العمل احدى الشعارات الاساسية للحركة الوطنية و النقابية.

الا ان الجاليات الاوروبية المتواجدة بتونس و ان كانت في وضع مادي احسن من التونسيين – وهو ما سيساهم في دعم الحس الوطني لدى المحليين – فانها لم تكن كلها في وضع تحسد عليه من حيث ظروف العيش و العمل و كانت تعاني بدورها من استغلال الشركات الاستعمارية.

ان العمال الايطاليين و المالطيين كانوا يعانون درجة كبيرة من الاستغلال لذلك ستنتشر في اوساطهم حركة المطالبة و سيكونون احدى الدعائم الاساسية للمنظمات النقابية و الاحزاب اليسارية و من ضمنها الحزب الشيوعي.

ان النواة الشيوعية الاولى التي ستتطور في بداية العشرينات ستكون احدى التعبيرات السياسية عن احتداد التناقضات الوطنية و الطبقية التي احدثها الرجوع القوي لتنفيذ البرامج الاستعمارية في تونس اثر الحرب.

---

(1) لم ينجر عن هذا الاجراء ارتفاع سريع في قدوم الفرنسيين لذلك ستعمد السلط سنة 1923 الى تعميمه الى كل الذين يقبلون اكتساب الجنسية الفرنسية و سيكون التجنيس وسيلة اضافية لتقوية العنصر الفرنسي بالبلاد التونسية.

سيعمل الشيوعيون للتعبير عن مطامح مختلف ضحايا الاستغلال الاستعماري، فمن ناحية الاهالي التونسيين الذين يحركهم بالخصوص الدافع الوطني امام التواجد الاجنبي بشتى مظاهره و من ناحية اخرى العمال الاجانب الذين يعانون من الاستغلال الراسمالي لذلك سيتحمسون بالخصوص لكل المعارك التي يرجى من ورائها تحسين لوضعهم الاجتماعي.

ان الجمع بين هاتين المهمتين لن يكون بالامر الهين ، خاصة و ان المعطيات الموضوعية ترجح اولوية النضال الوطني في حين ان جزءا من قاعدة الحزب الشيوعي - الاجنبية بالخصوص - ستبقى مشدودة للنضال الطبقي الاجتماعي ، وهو ماسيسهل ظهور عدة انحرافات في عمل الحزب كما سنرى ذلك لاحقا. والى جانب تاثرها بالمعطيات الجديدة للواقع التونسي ، فان الحركة الاشتراكية بتونس ستتفاعل مع التحولات التي ستشهدها جماعة الشباب التونسي اثر الحرب و ما سيطرأ على برامجها ووسائل عملها من تجذر. في نفس الوقت فان التغييرات التي طرات في اوروبا و خاصة اخبار ثورة اكتوبر في روسيا و ما نتج عنها من نقاشات في الحركة العمالية العالمية بالاضافة لبعث الاممية الشيوعية في مارس 1919 سيكون لها صدى لدى الاشتراكين بتونس

الفـــــــصل الاول

مـن الجامعـــة الاشتـراكيـــة الـــى الجامعة

الشيوعيـــة بـتونـس (1919/ 1921)

* * * * * * * * * * * * *

ان النواة الشيوعية التي ظهرت في اواخر 1920 هي امتداد للتيارات الاشتراكية التي نشطت في تونس قبل الحرب الاولى خاصة في صلب الجامعة الاشتراكية التي وقع بعثها سنة 1908 ، ثم انضمت للفرع الفرنسي للاممية العمالية (S.F.I.O) سنة 1912 (1).

و كان بعث الجامعة الاشتراكية بتونس سنة 1908 تتويجا لسلسلة من التطورات عرفتها المنظمات الفرنسية ذات التوجه الجمهوري التي تكونت في الفترة الممتدة بين 1901 و 1906، مثل رابطة التعليم، رابطة حقوق الانسان، حلقات الجمهوريين، بالاضافة الى مجموعات البنائين الاحرار التي يعود بعثها لنهاية القرن الماضي.(2)

و قد عقدت هذه المجموعات مؤتمرا في شهر افريل 1906 ضم 154 مندوبا جمهوريا و راديكاليا و اشتراكيا (3). ورغم ان الميزة الطاغية على شعارات هذه المجموعات هي اللائكية، و الدفاع عن الجمهورية فقد تاثرت ايضا بالواقع التونسي، فالى جانب الدفاع عن العمال الذين قاموا بحركة اضرابية سنة 1904، فانهم نادوا بتطبيق اصلاحات اجتماعية تحرر الاهالي من سيطرة الارستقراطية، و بتعميم التعليم الذي يحرر العقول.(4)

---

(1) - HAUPT (G) et Roberioux (M) la II Internationale et l'Orient éditions CUJAS 1967, P 147.
يوجد في هذا الكتاب نص الرسالة التي وجهها DUCOS DE LA HAILLE عضو الهيئة الادارية للحزب الاشتراكي الفرنسي، الى رفاقه بتونس يعلمهم فيها بقبول الجامعة التونسية ضمن الفرع الفرنسي للاممية العمالية. بعد ان ظل يطرح هذه المسالة مرارا عديدة منذ سنة 1908 (تاريخ زيارته لتونس)

(2) - Claude Liauzu, aux origines du socialisme en Tunisie, la Presse démocratique Française in A. Afrique du Nord. Publications du CNRS Paris 1971, P. 943.

(3) ليوزي المصدر السابق ص 946 .

(4) نفس المصدرو الصفحة.

.../...

كما ان هذه المجموعات تعـــاطفت مع التونسيين و فتحت صحفـها للمثقفيـن منهم مثل عبد الجليل الزاوش و على باش حانبة زعيم حركة الشباب التونسي (1) .

لكن هذا الاهتمام بالقضايا التونسية لم يتجاوز الموقف العـام الذي اتخـذته الاممية العمالية الثانية من قضايا الاستعمار قبل الحرب العالمية الاولى، التي كانت تضـع في مقدمـة مشاغلهـا النضال ضـد خـطر الحرب (2).

لم يكن للامميـة الثانيـة موقفـا موحـدا وقارا من الاستعـمار ، باستثناء التيار الذي تزعمـه جـون جوراس الذي تبنّـى بصفـة متواصلـة فكـرة السياسة الاستعمارية "الايجابيـة". (3)

و يبـدو واضحـا مـن خـلال المطالب التي حـددتهـا المجموعات الاشتراكية بتونس منـذ 1906 مثل ضـرورة سن قوانيـن تحمي الاهالي مـن الاستغلال و اقرار نـظام ديمقراطـي ، و فضح رجال الاعمال الذين يبتزون خيرات البلاد و مطالبتـهم ادخال و نشـر التعليم الذي يحـرر العقول، يظهـر من خلال ذلك ان الجامعـة الاشتراكية بتونس كانت متاثرة بموقـف جوراس من المسالة الاستعمارية. وهـذا الموقف ياخـذ جـذوره في تقاليد الثورة الفرنسية لسنة 1789 و التيارات التي ساندتهـا التي كانت ترى ان من مهـام الحكومة الفرنسيـة نشـر الافكار الحرة و تخليص الشعوب الاخرى من الاقـطاع و التخلـف لذا ساندت حملات نابليون في اوروبا و الشـرق.

---

(1) المصدر السابق. عنوان الصحيفة Courrier de Tunisie و كان يشرف عليها Auguste Destrées.

(2) الاممية الثانية و مسالة الشرق، المصدر السابق ص 17 يقسم المؤلفون تاريخ الاممية الثانية الى ثلاث فترات. الاولى تمتد من التاسيس سنة 1889 حتى مؤتمر امستردام 1904 و تميزت بالتحسس بين النزاعات، الثانية قصيرة من 1906 الى 1908 ظهر فيها بعض الاهتمام بالقضايا الاستعمارية ، اما الثالثة فهي من سنة 1908 و خاصة 1910 فقد سيطر فيها النضال ضد الحرب.

(3) - Ageron (Charles Robert) Politiques coloniales au Maghreb P.U.F 1972, P. 151.

سنشير لهذا المؤلف ب ،،اجرون،، السياسات الاستعمارية في المغرب

فهــذا الاتجــاه الذي كان يريــد الزام السلـطات بالقيام بواجبات عديدة تجاه الشعـوب المستعمـرة - و الذي كان اكثـر المواقف تجـذرا داخـل الحركة الاشتراكيـة الفرنسيـة - هل سيبقـى في مستوى المتغيرات التي ستشهـدها الساحـة التونسية و العالميـة اثـر الحـرب الاولى؟

اولا / الاشتراكيــون بتونــس غــداة الحرب الاولــى /

استعــادت الجامعــة الاشتراكية نشاطهــا في بداية 1919 في نفس الوقت تــم بعث الشبيبــة الاشتراكية التي كانت تـضم بالخـصوص تـلاميـذ السنوات النهائيـة بمعهـد كارنــو(1).

كان اغلب منخـرطي الجامعــة من الفرنسييـن الا انــها شهدت اقبال عدد قليل من المثقفيـن التونسييـن(3 محاميــن و معلما) (2).

اصـدرت الجامـعة بدايــة من19 مــارس 1919 صحيفـة L'Avenir social(3) و كان عليهـــا ان تطور سياستهـــا و تجـابه اوضاعا جديدة على المستوى المحلي و العالمــي.

فعلى المستوى المحلي ستــعود مجموعة الشباب التونسي للنشاط بعد الحرب و ستشهــد عــدة تحـولات في برامجـهـا و هيكلتهـا.

و على المستوى الخارجي فان من اهم الاحــداث التي سيكون لها تاثير على تطور الجامعة الاشتراكية بتونس هي بروز اول دولة اشتراكية اثر ثورة اكتوبر في روسيا و ما سينتج عنها من بعث الاممية الشيوعيـــة.

---

(1) - Ben Miled (Ahmed) Mohamed Ali, la naissance du mouvement ouvrier tunisien. ed. salammbo. Tunis 1984.

سنشير لهذا المؤلف باحمد بن ميلاد ، محمد علي... يذكر بن ميلاد في صفحة 19 ،، انخرطت في الشبيبة الاشتراكية مع محمد بدرة و موريس رامبو و كانت تضم 12 منخرطا اغلبهم تلاميذ معهد كارنو، و كانت اجتماعاتنا تتم يوم الاحد صباحا في مقر عمال السكك الحديدية (ساحة المنجي بالي حاليا...)

(2) احمد بن ميلاد... نفس المصدر.ص 115 من بينهم محمد النعمان و حسان القلاتي.

(3) سنشير اليها بالعربية ب ،، المستقبل الاجتماعي،،

أ) تطور حركة الشباب التونسي /

كان،،الشباب التونسي،، ابرز مجموعة سعت للتعبير عن مطالب التونسيين قبل الحرب الاولى، و تكونت بالخصوص من النخبة المثقفة التي زاولت دراستها العالية بفرنسا، و قد تركز نشاطها على الجانب الفكري حيث كانت وراء تاسيس جمعيات ثقافية كالخلدونية لتزويد طلبة الجامع الاعظم بالعلوم العصرية و كذلك جمعية قدماء المدرسة الصادقية وهي مبادرات تهدف الى رفع مستوى التونسيين و جعلهم في مرتبة تمكنهم من جميع الحقوق التي كان يتمتع بها الفرنسيون.

و قد تم اول مرة الاعلان عن البرنامج الاصلاحي للمجموعة يوم 24 مارس 1906 عندما القى البشير صفر خطابا خلال حفل تدشين،، التكية،، بحضور المقيم العام بيشون.

و في السنة الموالية اصدرت الجماعة صحيفة،، التونسي،، الناطقة بالفرنسية، و انضم للمجموعة سنة 1909 الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي زاول تعلمه بجامع الزيتونة و اصبح يحرر القسم العربي من الجريدة.

و كان على المجموعة ان تتفاعل شيئا فشيئا مع الوضع الذي يعيشه التونسيون و تسعى للتعبير عن السخط الذي بدا ينتشر بينهم تجاه السياسة الاستعمارية ، ذلك السخط الذي لم تعد تشعر به النخبة المثقفة وحدها.

كانت ،، معركة الزلاج،، يوم 7 نوفمبر 1911 بين اهالي الحاضرة الذين خرجوا في حماس شديد لمنع اعوان البلدية من تسجيل اراضي المقبرة، اول معركة يصطدم فيها التونسيون مع الجنود

.../...

الفرنسيين، و قد سقط فيها العديد من الضحايا (1).

ان الحس الوطني الذي ساهم ،، الشباب التونسي،، في ابرازه لدى اهالي العاصمة و التعبير عنه في جريدتهم سيجد مناسبة جديدة للظهور يوم 9 فيفري 1912، اثر مقتل طفل تونسي في حادث تسبب فيه سائق الترامواي الايطالي.

و قد اغتنمت جماهير العاصمة هذا الحادث لاعلان مقاطعة الترامواي.

ان هذا الاقتحام العنيف للشارع من طرف التونسيين مرتين في فترة وجيزة ، جعل السلط الفرنسية ترد الفعل بقوة فبعد اعلان حالة الحصار في نوفمبر 1911، قامت بنفي زعماء جماعة الشباب التونسي (2) الذين واصلوا نشاطهم بالخارج في كل من مصر و تركيا و سويسرا (3).

---

(1) شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير : القوميات الاسلامية و السيادة الفرنسية، الدار التونسية للنشر تونس،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1976، ص90 - يذكر انه قتل 8 من الفرنسيين و الايطاليين في انه لم يعرف عدد القتلى من التونسيين.

(2) امرت السلطات بنفي علي باش حانبة و عبدالعزيز الثعالبيو المحاميان حسان القلاتي و محمد نعمان.

(3) كان ابرز عمل قام به التونسيون في المهجر هو اصدار،،مجلة المغرب،، الشهرية باعانة مادية و معنوية لكل من المانيا و تركيا، و قد صدرت فيما بين 1916 و 1918، انظر Béchir Tlili, le groupement de la Revue du Maghreb in les cahiers de Tünisie n° 101-102.

../...

اما في الداخل فقد بقيت الحركة سرية يغلب عليها طابع الانتظارية.(1)

دفعت المواجهة العنيفة التي قابلت بها السلط الفرنسية احتجاج التونسيين، قادة الشباب التونسي خاصة الذين بقوا في الخارج الى مراجعة مطالبهم.
فمن فكرة الاصلاحات التي نادت بها المجموعة قبل الحرب اصبحت مجلة المغرب تطالب في مطلع سنة 1918 باستقلال تونس (2).
اثر انتهاء الحرب و توضح نتائجها عاد الشباب التونسي للنشاط في الداخل ، خاصة بعد الصعوبات التي اصبح يلقاها مناضلوهم في المنفى اثر توقف الاعانات المادية التركية والالمانية.(3)

---

(1) توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء الاول ص 74...،،قالوا و تلك فلسفتهم في تلك الايام، اتركوا الحرب تمر و تنتهي فاذا ما انتصر الفرنسيون و الانكليز ذكرناهم بحسن سلوكنا... و طالبناهم عندئذ بحقوقنا. اما اذا انتصر الالمانيون و العثمانيون بكينا لهم و ذكرنالهم ما كنا نقاسيه من مذلة وهوان...،،

(2) علي المحجوبي ، المصدر السابق ص 146 يذكر ان مجموعة المجلة انضمت في الحقيقة للموقف الذي تبناه منذ بداية الحرب كلا من صالح الشريف و اسماعيل الصفايحي و محمد الخضر حسن، الذين طرحوا الاستقلال و لكن في اطار الامبراطورية العثمانية ، اما مجموعة المجلة فقد نادت بالاستقلال في اطار مبادئ و لسن.

(3) علي المحجوبي، المصدر السابق ص 198، اخر عدد من مجلة المغرب صدر في سبتمبر - ديسمبر 1918 كما ان اخر مبادرة قام بها المنفيون تمثلت في ارسال برقية الى الرئيس ولسن بتاريخ 2 جانفي 1919 طالبوه فيها بالتدخل لتمكين مندوبين عن الشعبين التونسي و الجزائري لحضور مؤتمر الصلح بفرساي ، و لم يكن لهذه المبادرة اي نتيجة.

رغم الانتظارية التي طبعت موقف الشباب التونسي في الداخل كما وصفها احمد توفيق المدني في مذكراته ، فانهم كانوا في موقع احسن من سواهم الذين عاشوا في المنفى و اتهمتهم فرنسا بالتواطؤ مع اعدائها.

لقد شهدت سنة 1919 نشاطا حثيثا قام به الشباب التونسي حيث تعددت الاجتماعات ، من ابرزها الاجتماع الذي التأم في مارس1919 برئاسة خير الله بن مصطفى بحضور 30 تونسي يهودي و30 تونسي مسلم. (1) و قد اسفرت هذه الاجتماعات على بروز مجموعة ـ كلها من العناصر التونسية المسلمة ـ بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي، اقرت العزم ،، على تحوير نظام الحماية و الوصول في يوم ما لتحرير البلاد،،.

هذه المجموعة ستطلق على نفسها اسم الحزب التونسي و ستشرع في القيام بعدة مبادرات في اتجاه السلط الفرنسية ، ففي شهر افريل 1919 تم ارسال المحامي احمد السقا الى باريس للاتصال بالمنظمات الانسانية و الاحزاب و الصحف للتعريف بالمطالب التونسية . و في شهر جويلية التحق به الشيخ عبد العزيز الثعالبي، و في خريف 1919 اصدر الحزب التونسي كتاب ،، تونس الشهيدة ،، باللغة الفرنسية في باريس (2)

و هكذا فان سنة 1919 شهدت الخطوات الاولى لبلورة برنامج الوطنيين واشكالا جديدة في التحرك وهو ما سيفرض على الجامعة الاشتراكية تحديد موقفها من هذه التحركات.

---

(1) - Khairallah Chedly, le mouvement national tunisien 1904/ 1932 (Notes et documents), Le mouvement pré-destourien et l'action du Parti Mars 1919, Mars 1920 (CDN Dossier B. 3.2)

(2) صدر الكتاب في باريس باللغة الفرنسية دون ان يحمل امضاء مؤلف وهو عمل جماعي لاعضاء الحزب التونسي و ان كانت صياغته بالفرنسية من عمل احمد السقا.

- La Tunisie Martyre, ses revendictions. Paris Jouve 1920. 212P.

ب) الاشتراكيون بتونس و مطالب الحزب التونسي /

لم يكن اعضاء الجامعة الاشتراكية بتونس بعيدين عن النقاشات التي دارت بين الشباب التونسي منذ مطلع 1919 و كذلك عن مختلف المبادرات التي قاموا بها ذلك انه كان يوجد من بين الوطنيين من كان منخرطا في نفس الوقت ضمن الجامعة و في صلب الحزب التونسي مثل حسان القلاتي و محمد نعمان...

لقد مثلت الجامعة بالنسبة لهم ملجا احتموا به اثر ملاحقة جماعة الشباب التونسي بعد احداث 1912، وهم الذين سينقلون اخبار النقاشات الدائرة بين الوطنيين الى اعضاء الجامعة و سيساهمون في دفعها لاخذ موقف من مطالب الشباب التونسي خاصة اثر صدور تونس الشهيدة.

ان توضيح موقف الجامعة من المسالة التونسية سيتم خلال مؤتمرها المنعقد في 30 نوفمبر 1919، حيث صادق الاشتراكيون على لائحة جاء فيها بالخصوص :

1) ان تونس هي واقعا ، بلد تحت هيمنة فرنسا، فلا التدخل و لا الاحتلال يخلقان حقوق بل يحتمان واجبات.

2) على فرنسا تبرير وجودها و ذلك بالقيام بمهمتها التاريخية.

3) ان المهمة التاريخية لفرنسا تتمثل في تطوير الشعوب و في تحرير الانسانية.

4) ان وجود نخبة في العمل و في الفكر، من الذين ينخرطون في المدرسة و النقابة يدل على امكانية التطور عند الشعب التونسي.

5) ان الشعب التونسي يجب ان يصبح شعباء المواطنون فيه احرار و متساوون في الحقوق.

6) ان الحزب الاشتراكي يلتزم بتكريس كل طاقاته وقوته الدعائية و نفوذه السياسي من اجل اليوم الذي يصبح فيه بتونس شعب راشد يعيش بدون اي تفريق جنسي قومي - ديني - سيدا لحقوقه و لمصيره ،،(1)

ان بروز هذا الموقف يبدو مرتبطا بصدور كتاب تونس الشهيدة الذي تمت بلورة محتوياته من قبل الوطنيين خلال سنة 1919 و التي كان اعضاء الجامعة على اطلاع عليها قبل صدور الكتاب (2).

فهذه اللائحة ارادت تسجيل تباينها مع ،،تونس الشهيدة ،، ذلك انها ترى ان الشعب التونسي لم يوجد بعد و ان بروزه سوف يصبح ،،حقيقة ،، بعد اكتمال ،، المهمة الحضارية لفرنسا بتونس، في حين ان الكتاب المذكور احتوى على تعريف مفصل لمعنى التونسي، حيث تضمنت المطالب فصلا في هذا الخصوص جاء فيه ،، سيعتبر تونسيا و سيتمتع بحقوق و واجبات المواطن التونسي اذا رغب في ذلك، كل شخص يولد بالبلاد التونسية

---

(1) اورد هذه اللائحة مصطفى كريم في كتابه
- Kraiem (Mustapha) . Nationalisme et Syndicalisme en Tunisie 1918/1919, imprimerie de l'UGTT 1976 P. 325
و قد قمنا بترجمتها عن اللغة الفرنسية

(2) صدرت ترجمة لتونس الشهيدة عن دار القدس بيروت 1975 قام بها سامي الجندي كما صدرت ترجمة اكثر وفاء للنص الفرنسي قام بها حمادي الساحلي و راجعها محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي .لبنان 391 صفحة، الطبعة الاولى، سنة 1984.

او يقيم بهـا دون انقطاع و بمحـض ارادته مـدة عشر سنوات ....،، (1)
و هكذا فان الجامعة الاشتراكية بقيت وفية لتراث جوراس و متمسكـة بمبدا ،، السياسة الاستعمارية الايجابيـة ،، التي وقـع تبنيـها من طـرف الحركة الاشتراكية الفرنسيـة في فترة ما قبل الـحرب الاولى.
اما الدافع الثاني لاصدار هـذا البيان هـو اخـذ موقف في الخلاف الذي ظهـر في صـفوف اعضـاء الحزب التونسي اثـر نشـر ،، تونس الشهيدة ،، بين الذين التزموا بالمطالب الواردة في الكتاب و من نعتوهـا بالتطرف(2) فلا غرابـة ان نلاحـظ ان تحرير اللائحـة التي سيصادق عليهـا مؤتمر الجامعة كان من طرف 3 فرنسيين الـى جانب 3 تونسيين، ينتمون الى الشق المعتدل الذي عارض مطالب الثعالبي، والى جانب تاكيده على موقف الاشتراكيين من المسالة التونسية، كان لبيان نوفمبـر 1919 هـدفا مباشرا هو الضغـط على اعضـاء الحزب التونسي لحملهم على التخلي على المطالب ،، المتصلبـة ،، التـي احتوتهـا ،، تـونس الشهيدة ،، (3)

و فعـلا فـان عديد المقالات ستصـدر في جريدة ،، المستقبل الاجتماعي،، لانتقاد الافكار التي وردت في هذا الكتاب، كما يبدو ان الجامعة قد قامت بمجهودات عديدة لاعانة الجناح المعتدل ضد جناح الثعالبي.

---

(1) تونس الشهيدة... المصدر السابق... ترجمة الساحلي ص 293، و من بين المطالب الاخرى التي تضمنها الكتاب و التي تقر وجـود شعب تونسي في نظر الدستوريين، مطالبتهم بجعل السلطة التنفيذية وراثية في العائلة المالكة انذاك، وجعل السلطة التشريعية بايدي مجلس اكبر يتركب من 60 عـضوا من المواطنين التونسيين، و جعل التعليم الابتدائي اجباريا بالنسبة للذكور و باللغة العربية..

(2) تزعم التيار ،، المعتدل،، كلا من المحامي حسن القلاتي و محمد نعمان اللذان سينشقان عن الحزب الحر الدستوري فيما بعد و يكونان الحزب الاصلاحي سنة 1921.

(3) - Tlili (Béchir) la Fédération socialiste et la Tunisie martyre. Cahiers de la Tunisie 99. 100, 1977.

و الـى جانب تفاعلهـا مـع محيطـها المباشر - في تونس - كان على الجامعة الاشتراكية متابعـة التطورات التي عرفتهـا الحركة الاشتراكية في العالم خـلال سنوات الحرب و المتمثلـة في نجاح الثورة في روسيـا في اكتوبر 1917 و ما رافقهـا من بروز اول دولة اشتراكية في العالم ثم الانعكسات التي ستكون لهـذا الحـدث في مختلـف الاحـزاب الاوروبيـة .

ففي مـارس 1919 تـم بـعث الامميـة الشيوعيـة الشئ الذي سيترتـب عنه نقاش واسع داخـل الحركة الاشتراكية الفرنسية تمحور حول مسالـة الانضمـام للمنظمـة العالميـة الجديدة، كما شمـل النقاش اساليب و مواقف المولود الجديد من القضايا الاساسيـة المطروحـة امام الدول الاوروبيـة و بصفـة ثانوية موقفـه من المسائـل المتعلقـة بالشعوب المستعمرة . فما هو الصدى الذي سيكون لثورة اكتوبر و لتاسيس الامميـة الشيوعيـة عنـد الاشتراكيين بتونس ؟

ثانيـا / ثورة اكتوبـر و تاسيس الامميـة الشيوعيـة و صداها لدى اعضاء الجامعة الاشتراكية بتونـس /

أ) ثورة اكتوبرفي روسيـا ، تاسيس الامميـة الشيوعية و موقفهـا من المسالة الوطنية (1919 / 1921)

في شهـر اوت 1914 اندلعت الحرب العالمية الاولى و تفجـر معها خلاف حـاد في صلب الحركة الاشتراكية العالمية بين اغلبية وجدت داخـل الاحـزاب الاشتراكيـة الاوروبيـة صوتت على قـروض الحـرب لفائـدة حكومتها واقتنعت ،،بالصبغـة الدفاعية ،، للحـرب و اقليـة داخل نفس هـذه الاحزاب رفضت المشاركة في الحرب و اكدت على طابعـها ،، الامبريـالي،،

و قـد جرت خـلال الحرب عـدة اتصالات بين القـادة الاشتراكيين المعارضين،، لسياسة الوحـدة المقدسـة،، مـع البرجوازية و ذلك بهدف مناقشة

الوضع الجديد و اقرار خطة لمجابهة السياسة الرسمية التي سلكتها احزابهم.

و منذ الندوة الاولى المنعقدة في زيمرفالد (سبتمبر 1915) (سويسرا) طرح لينين - زعيم الديمقراطيين الاشتراكيين الروس، افلاس الاممية الثانية سياسيا و تنظيميا و دعا الى تكوين حركة اشتراكية عالمية جديدة. رغم اجماع المشاركين على نقد سياسة الاممية تجاه الحرب فان اقتراح لينين لم يفرز حوله اغلبية سواء في تلك الندوة او في الندوة الموالية المنعقدة بكينتال (سويسرا) في افريل 1916.

الا ان انتصار الثورة العمالية في روسيا في اكتوبر 1917 سيعطي دفعا كبيرا لهذه الفكرة فبالاضافة الى ان اشد المتحمسين لبعث اممية جديدة هم الذين اصبحوا على راس الدولة الاشتراكية الاولى، فان الشيوعيين الروس كانوا مقتنعين انه لا يمكن المحافظة على الوضع الجديد لفائدتهم الا اذا انتشرت الثورة في البلدان الاوروبية و في المانيا في المقام الاول ، و تم توظيف الحركات التحريرية للشعوب المستعمرة لاضعاف الحكومات البرجوازية و عرقلة تدخلاتها للقضاء على السلطة السوفياتية الناشئة.

و هكذا اصبح للمستعمرات و لكفاحها دور بارز في اطار توازن القوى العالمي الذي ظهر اثر ثورة اكتوبر ، فالى جانب تخلي الدول الراسمالية لاول مرة في التاريخ عن التحكم بمفردها في مصير العالم ، فان الحركة الشيوعية ستسعى لمساعدة الشعوب المستعمرة في نضالها من اجل التحرير الوطني و توظيف في نفس الوقت هذه القوة الهائلة ضد الدول الراسمالية التي كانت تحاصر الثورة و تريد القضاء عليها.

و من الصعب التوصل الى ابراز مراحل واضحة في سياسة الاممية الشيوعية تجاه القضية الاستعمارية فمظاهر الاستمرارية في الموقف متوفرة الى جانب حدوث تغيرات خلال التطورات التاريخية التي شهدتها الاممية منذ بعثها في مارس 1919 الى ان وقع حلها في ماي 1943. (1)

و حتى المحاولات التي وقعت لتقسيم تاريخ الاممية الشيوعية الى فترات اعتمدت كلها كمقياس ، موقف هذه الاخيرة من قضايا و مهمات الحركة العمالية في اوروبا (2).

لذا فاننا سنتتبع تطور مواقفها من المسالة الوطنية عبر طرحها في المؤتمرات العالمية و اجتماعات الهيئات العليا.

---

(1) وقع حل الاممية في خضم الحرب العالمية الثانية في شهر ماي 1943 و اجابة على سؤال المندوب الصحفي لوكالة رويتر في موسكو قدم ستالين الاسباب التالية لحلها (تسهيل القيام بحملة جماعيه لجميع الامم ضد العدو المشترك، تكذيب الدعاية الالمانية القائلة بان موسكو تريد التدخل في الشؤون الداخلية للدول ، تسهيل عمل الانصار في كل بلد ضد الفاشية...) المصدر : خطب ستالين نشر جمعية فرنسا ـ الاتحاد السوفياتي. الجزائر 1943 (بالفرنسية).

(2) جرت العادة على تقسيم تاريخ الاممية الى فترتين ، الاولى تمتد حتى صعود هتلر (1919 / 1933) و الثانية فترة الجبهة المعادية للفاشية (1935 / 1943).

المؤتمر التاسيسي
للامميـة الشيوعيـة (مارس 1919)

شهدت الثلاثة اشهر الاولى التي سبقت المؤتمر الاول من سنة 1919 بداية او تواصل عدة انتفاضات وطنية في كل من الهند و الصين و تركيا و مصر و تحركات للنخبة الوطنية في تونس كما راينا بهدف المشاركة في مؤتمر الصلح الذي افتتح اشغاله في قصر فرساي في جانفي 1919.

لكننا لا نجد صدى خاصا لهذه النضالات في المؤتمر الاول للاممية الشيوعية المنعقد بموسكو من 2 الى 6 مارس 1919. فالمسائل الاستعمارية لم يقع تناولها كنقطة منفردة في جدول الاعمال و حتى المناقاشات العامة لم تتناول مسالة المستعمرات الا بصفة غير مباشرة.

تعرض زينو فياف في تقريره لدور عصبة الامم التي اعتبرها مؤسسة راسمالية لا يمكن لها حل القضايا الاستعمارية و اقترح رفع شعار ،، الموت للاستعمار ،، (1).
اما تروتسكي فقد ذهب في تقريره الى ان ،، المستعمرات لا يمكن لها التوصل للاستقلال الحقيقي الا عن طريق الارتباط بالمركز الاوروبي ،،... (2)

كما وقع تناول المسالة في اطروحات و بيانات المؤتمر، اذ اعتبر ميثاق الاممية ،، ان التعطش للارباح يدفع الراسمالية العالمية الى الصراع من اجل تملك اسواق جديدة و مصادر جديدة للمواد الخام

(1) Enrica Colloti Pischel Chiara Robert tazzi l'internationale communiste et les problèmes coloniaux (1919 - 1935), éditions Moutons Paris 1968, P.24
سنشير لهذا المؤلف بانريكا، الاممية الشيوعية و قضايا الاستعمار...

(2) انريكا الاممية... نفس المصدر . ص 24

و يد عاملة رخيصة من العبيد المستعمرين ،، (1)
اما البيان الختامي للمؤتمر الاول فقد تعرض للوسائل التي يمكن للشعوب المستعمرة توخيها في كفاحها التحريري فبعد استعراض النضالات التي كانت تخوضها شعوب الهند و ايرلندا و مدغشقر يذكر البيان ،، ان المسالة الكولونيالية تطرح بكل اتساعها ليس فقط على البساط الاخضر لمؤتمر الديبلوماسيين في باريس بل في المستعمرات نفسها . ان هدف برنامج ولسن في احسن تقدير هو تغيير اسم الاستعباد الكولونيالي، ان تحرير المستعمرات لا يمكن تصوره الا اذا تم تحرر الطبقة العاملة في الدول المستعمرة (بالكسر). (2)

و هكذا فان المؤتمر الاول للاممية الشيوعية و ان ابدى اهتماما بما يجري في المستعمرات من اضطهاد و كفاحات فانه طرح مسالة تحرر شعوبها بالارتباط مع الهدف الاساسي الموضوع على جدول اعمال الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية المتطورة.

كانت الاممية تعتقد ان الاستيلاء على السلطة السياسية لا يزال امرا واردا خاصة في البلدان المنهزمة ، و ذلك رغم فشل المحاولات التي تمت في كل من المانيا شهري نوفمبر - ديسمبر 1918و كذلك المجر. (3)

لقد ربط المؤتمر الاول تحرر المستعمرات بانتصار الطبقة العاملة و تمكنها من السلطة في الدول الاوروبية.

---

(1) بيانات و موضوعات الاممية الشيوعية المؤتمران الاول و الثاني (1919 1920) النصوص الكاملة ترجمة طلال الحسيني. دار الطليعة بيروت 1972 الطبعة الاولى ص 87.

(2) بيانات موضوعات المصدر السابق. ص 85

(3) تم اعلان الجمهورية السوفياتية بالمجر في شهر مارس 1919.

و هـذا الموقف (1)ـ رغم التعديلات التي سيدخلها عليه لينين و مندوبو المستعمرات في المؤتمرات الاحقة ـ سيبقى عالقا في اذهان العديد من قادة احزاب شيوعية اوروبية ، وهو ينطلق من اعطاء الاولوية للمهمات التي تنتظر الطبقة العاملة في البلدان الصناعية و يوظف القضايا الاستعمارية لفائدة نضال الشيوعيين في المركز (METROPOLE) الا ان المؤتمر الثاني سيعطي اهمية اكثر لهذه المسالة و سيقع تدقيق الموقف منها خاصة في شروط الانخراط للاممية .

---

(1) يرى ماهر الشريف انه يمكن تبرير هذا الموقف نظرا لان الحركة التحريرية في المستعمرات و شبه المستعمرات لم تكن تظهر و كانها قادرة على لعب دور مهم في اطار العملية الثورية العالمية الهادفة الى القضاء على سلطة البورجوازية الاستعمارية . ماهر الشريف ، الاممية الشيوعية و فلسطين (1919 / 1928) ابن خلدون، بيروت 1980، الطبعة الاولى ص 27 .

المـؤتمـر الثـانـي

تجـذر طـرح المسالة الوطنـيـة

في المـؤتمـر الثاني للاممية الشيوعـيـة الذي انعقـد بيـن 17 جويليـة و 7 اوت 1920 وقـع تنـاول المسالة تحت عنـوان ،، القضيـة القوميـة و الاستعمارية ،،كنقطـة مستقلـة في جـدول الاعمال، و تمت مناقشـتهـا يومـي 25 و 28 جويليـة 1920.

شهـد المؤتمـر حـضور مندوبيـن من بلدان مستعـمرة بعيـدة نسبيـا عـن روسيـا ، فبالاضافـة لممثلي فارس و ارمينيـا و تركيـا و الصيـن الذين حضروا منـذ المؤتمـر الاول فقد حضر منـدوب عـن المكسيك و خـاصة منـدوب الهنـد م.ن.روا (M. N. ROY) (1) الذي سيكـون له مساهمة خـاصة فيما يتعلق بمسالة المستعمرات.

تعرض لينيـن في تقريره امام المؤتمـر (يوم 26 جويلية) الـى طبيعة القـوى الاجتماعية و الحركات السياسـيـة التي تنـاهـض الاستعمار و اكـد على ضـرورة تصنيفـهـا الـى قسميـن ،، الحركات الديمقراطيـة البرجـوازيـة ، و الحـركات الوطنيـة الثوريـة ، حيـث يتحتم على الشيوعيـن مسانـدة الوطنييـن الثوريـيـن شريطة ان لا يجـابهوا الشيوعيـة و ان لا يعـارضوا تنظيـم الفلاحيـن حـسب خـطة ثورية ،، (2)

---

(1) (M. N. ROY) ولد في البنغال سنة 1891 من عائلةميسورة ، تلقى دراسته العالية في علم الرياضيات، كان شديد المعارضة للحضور البريطاني في الهند ، لذلك قرر الهجرة للولايات المتحدة سنة 1915 ثم الى المكسيك كان له دور هام في الاممية الشيوعيـة من 1920 الـى 1928 حـيث تخـصص في متابعـة المسائل الاستعمارية قبل ان يغادر الحـركة الشيوعية نهائيـا .

(2) انريكا ، الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 31

لم يوافق روا على جزء من تقرير لينين و راى في تشديد هذا الاخير على ضرورة التثبت في طبيعة القوى الوطنية و امكانياتها نوعا من الاستنقاص لدورها ، لذلك اقترح مجموعة من الاطروحات المكملة دعى فيها الى توضيح العلاقة بين الحركة العمالية العالمية من جهة و الحركات الثورية في البلدان المستعمرة من جهة اخرى. كما اعتبر ان المرابيح التي تستخرجها البرجوازية من المستعمرات تلعب دورا هاما في المحافظة على النظام الراسمالي في المركز لذا يصعب استيلاء البروليتاريا على السلطة اذا ما بقيت الهيكلة الاستعمارية على حالتها. (1)

و في خاتمة اطروحاته ينتهي روا الى نتيجة معاكسة تماما لما ذهب اليه تروتسكي في المؤتمر الاول، و يؤكد على ،، ان انهيار الهيمنة الاستعمارية و الثورة العمالية في المركز يؤديان للقضاء على النظام الرسمالي في اوروبا ،، (2)

---

(1) انريكا ، الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 31

(2) نفس المصدر و الصفحة.
اورد ماهر الشريف فيكتابة الاممية الشيوعية و فلسطين، المصدر السابق ص 33 فكرة روا بشكل اوضح دون ان يذكر المصدر حيث يذهب الى ان المندوب الهندي صرح ،، ان مستقبل الثورة في الغرب مشروط فقط بدرجة تطور قوى الحركة الثورية في البلدان المستعمرة ،،

ان هـذا الطـرح العالم ثالثي (Tiers Mondiste) المبكر الذي يربط الثورة العمالية التي ،، كانت على الابواب، بنضال الشعوب المستعمرة التي كانت تشهد اولى مراحلها، ستعتبر نشازا امام ممثلي الاحزاب الشيوعية الاوروبية الذين كانوا يعتقدون ان الاستيلاء على السلطة امرا وشيك الوقوع و ان كل الظروف الذاتية و بالخصوص الموضوعية متوفرة لذلك (1)

و رغم محاولة لينين لاخذ بعين الاعتبار ما جاء في تدخلات المندوب الهندي، الا ان المهمة المركزية بقيتالحفاظ على الثورة المنتصرة في روسيا و الاستيلاء على السلطة في البلدان الراسمالية حيث تؤكد النقطة الخامسة ،، الموضوعات حول المسالة الاستعمارية،، ان الوضع السياسي العالمي الراهن يطرح ديكتاتورية البرولتياريا على جدول الاعمال(2)

و قد تم في المؤتمر الثاني صياغة شروط الانضمام للاممية الشيوعية حيث تم تخصيص النقطة الثامنة لقضية المستعمرات وهي تضع حدا لكل تردد فيما يتعلق بدور المستعمرات و شرعية كفاح شعوبها الذي ابداه ممثل الاشتراكيين الايطاليين سيراتي(3)

---

(1) اثارت اطروحات المندوب الهندي ردودا مختلفة حيث اعتبرها مندوب فارس سلطان زداه مثالية، اما مارينغ (ممثل الهند الهولندية) فقد ذكر انه لا يوجد تناقض بين اطروحات لينين و روا. (انريكا : الاممية المصدر السابق ص33) و قد تصدى لينين لوجهات نظر روا و اعتبر ان هذا الاخير ذهب بعيدا جدا في تحليله، (ماهر الشريف، المصدر السابق ص 33).

(2) بيانات مقررات موضوعات الاممية. المصدر السابق. ص206.

(3) سيراتي هو احد زعماء الحركة الاشتراكية الايطالية منذ مطلع القرن الحالي اعتبر ان الاطروحات التي قدمها كل من لينين و روا، وسطية انتهازية،، و اكد على ان التحرر الحقيقي للشعوب المضطهدة لن يتحقق الا بعد انتصار الثورة البرولتيارية في اوروبا و اضاف انه لا يمكن للطبقة العاملة ان تدعم حركات التحرر خوفا من ان تفقد مواقعها و توجهاتها الطبقية. انريكا ، الاممية الشيوعية .ص 132و كذلك ماهر الشريف المصدر السابق ص 37.

تؤكد النقطة الثامنة ،، في مسالة المستعمرات و القوميات المضطهدة ،على الاحزاب في البلدان التي تمتلك فيها البرجوازية مستعمرات او تضطهد قوميات اخرى ان تمتلك خط عمل واضح و نقي بشكل خاص، و على كل حزب منتم الى الاممية الثالثة واجب الفضح دون شفقة لاعمال امبريالي بلاده في المستعمرات و الدعم بالفعل و ليس بالكلام لكل نضال في المستعمرات و طرد الامبرياليين من المستعمرات و تغذية المشاعر الاخوية في قلوب شغيلة البلاد ازاء السكان الكادحين في المستعمرات و القوميات المضطهدة و القيام بين جنود البلاد الامبريالية بتحريض مستمر ضد كل اضطهاد للشعوب المستعمرة ،، (1)

و قد اعلن زينوفياف باسم المكتب التنفيذي للاممية عن مشروع عقد مؤتمر لممثلين عن الشعوب المضطهدة في شهر سبتمبر 1920 في مدينة باكو.

---

(1) بيانات و موضوعات الاممية ... المصدر السابق ص 106،
شروط قبول الاحزاب في الاممية الشيوعية المصادق عليها من طرف المؤتمر الثاني للاممية .

المؤتمر الاول لشعوب الشرق

باكو 1 / 8 سبتمبر 1920

حضر المؤتمر 1891 مندوبا اغلبهم من الفرس و الافغان و الاتراك و الصينيين و خاصة مندبين عن مستعمرات روسيا في العهد القيصري و لم يحضره الا ثلاث عرب.
كان المكتب التنفيذي للاممية الشيوعية قد اصدر في بداية شهر جويلية 1920 نداء للدعوة لعقد المؤتمر (1)، تمحور حول العلاقات بين الثورة العمالية و النضال المعادي للاستعمار و تراس اشغاله زينوفياف امين عام الاممية ، و صادق المشاركون على بيان موجه لاستنهاض الشعوب المستعمرة للنضال ضد الاستعمار و تقرير مصيرها.

سعى البيان الختامي لاستعمال المفهوم الديني للحرب المقدسة وهو يبدو موجها بالخصوص للشعوب الاسلامية. ،، ... يا شعوب الشرق، لقد سمعتم من حكامكم الدعوة للحرب المقدسة ، لقد سرتم وراء راية الرسول الخضراء... و لكن هذه الحروب المقدسة لم ينتفع بها الا حكامكم... الان ندعوكم للحرب المقدسة الحقيقية وراء الراية الحمراء للاممية الشيوعية... انهضوا ايها العرب و الافغان التائهين في الصحاري و المقطوعين عن العالم من طرف الانقليز. انها الحرب المقدسة لتحرير شعوب الشرق حتى لا تكون

---

(1) - Maxime Rodinson, Marxisme et monde musulman aux Editions du Seuil. Paris 1972 P. 471.

جاء في النداء بالخصوص ،، ... يا عمال و فلاحي الشرق اذا ما تنظمتم اذا ما تسلحتم مع الجيش الاحمر و فلاحي روسيا ، ستستطيعون مواجهة الراسماليين الانقليز و الفرنسيين و تتمكنوا من التخلص منهم....،،

الانسانية منقسمة بين مضطهدين(بالفتح) و مضطهدين (بالكسر). (1)

كانت انعكاسات هذا المؤتمر متفاوتة حسب البلدان، لا شك انه ساهم في توطيد العلاقة بين الشيوعيين الروس و النخب المستنيرة في المستعمرات السابقة لروسيا القيصرية. اما في البلدان العربية العربية فانه لم يحدث تغييرا يذكر(2) في محتوى او توجهات الحركات الوطنية التي بقيت في معظمها مشدودة الانظار الى نتائج مؤتمر الصلح بفرساي و الوعود التي كانت تلوح بها كل من فرنسا و انقلترا.

و مهما يكن من امر فان المؤتمر كان تجسيدا اوليا للمبادئ الجديدة التي اعلنتها الاممية الشيوعية و المتعلقة بالنضال من أجل التحرر الفعلي للمستعمرات، و سيعمل مؤتمرها العالمي الثالث على تعميق هذا التوجه.

---

(1) رودنسون، الماركسية و العالم الاسلامي، المصدر السابق ص 473.
اورده عن نشرة ،، مؤتمر شعوب الشرق،، الصادرة في تيروغراد 1921. و معلوم ان محاولات توظيف الدين من طرف الماركسيين في العالم الاسلامي ستتعدد و تتخذ اشكالا متنوعة نذكر حرب الريف 1925 ، النضال ضد الفاشية (البطل المسلم عمر المختار) المؤتمر الافخارستي و التجنيس بتونس

(2) ارشيف الحكومة التونسية ، تقرير بتاريخ 10 اكتوبر 1920 يذكر ان الشباب التونسي كانوا يناقشون مقررات مؤتمر باكو و يتابعون اخباره.

المؤتمر الثالث للاممية

الجبهة المعادية للامبريالية

انعقد المؤتمر الثالث بموسكو من 22 جوان الى 12 جويلية 1921 و لاول مرة نلاحظ حضور مندوبين عن البلاد العربية اذ حضر ممثل عن الحزب الشيوعي المصري، و مندوبان عن الحزب الشيوعي الفلسطيني.

لكن المسالة الاستعمارية لم تحظ بمكانة بارزة خلال المؤتمر اذ وقع ادراجها في النقطة الاخيرة من جدول الاعمال ، و تمت مناقشة عامة حولها يوم 12 جويلية - اليوم الاخير - دون ان يسبقها تقرير تمهيدي وهو ما اثار حفيظة المندوب الهندي روا (1).

لقد تركزالاهتمام خلال المؤتمر الثالث على تحليل الاوضاع الجديدة اذ اقرت الموضوعات ،،... ان الموجات الثورية التي عمت كل البلدان لم تستطع قلب الراسمالية العالمية و لا حتى الراسمالية الاوروبية... لذا تتساءل الاممية هل انه تم فعلا الدخول في فترة استقرار و تدعيم للراسمالية بعد فترات من الانتفاضات و الازمات السياسية...،، (2)

---

(1) انريكا، الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 63 رفض روا المشاركة في النقاش العام احتجاجا على عدم تخصيص وقت كافي للمسالة و اعتبر ان موقف المؤتمر اكثر رداءة من مواقف الاممية الثانية، وقد سانده المندوب الفرنسي شارل اندري جوليان بقوله ،،... ان الثورة في الشرق ضرورية لانتصار الثورة العالمية، لذلك يجب التنسيق بين الحركة الشيوعية و الحركات التحريرية في المستعمرات...،،

(2) - Manifestes; thèses et résolutions des quatres premiers congrès de l'internationale communiste (1919- 1923) librairie du travail 1934 réédition en fac.similé, François Maspéro 1975, P. 85.

سنشير لهذا الكتاب ببيانات المؤتمرات الاربع الاولى...

لم يعد مطروحا الاستيلاء مباشرة على السلطة عن طريق ثورات عمالية في اوروبا ، حيث اكد لينين ان الراسمالية قد دخلت في مرحلة ،، الاستقرار المؤقت،، و ان على روسيا ان تتعايش لفترة من الزمن مع بلدان اوروبا الغربية في محيط راسمالي.(1)

ان تغيير سمات الوضع العالمي سيحتم مهمات جديدة في الدول المستعمرة ، ان دعم الاتحاد السوفياتي سيمر ضرورة عن طريق النضال من اجل الاستقلال الوطني و انفصال المستعمرات عن الدول الامبريالية.

رغم ان السنوات 1919 - 1921 تميزت باظطرابات اجتماعية و سياسية في اوروبا ، جعلت الاممية تعتقد في امكانية حدوث تحولات ثورية فان ذلك لم يمنعها من رسم سياسة مغايرة لتلك التي سلكتها الاممية الثانية قبل الحرب فيما يتعلق بمصير المستعمرات اذ طرحت بوضوح حق الشعوب في الاستقلال و الانفصال.

كيف ستتقبل الاحزاب العمالية و الاشتراكية الاوروبية و فروعها في البلدان المستعمرة هذه التغييرات ؟كيف سيتفاعل الاشتراكيون بتونس مع هذا التحول الذي اخذ في التبلور خلال المؤتمرات الثلاثة الاولى للاممية.

---

(1) شهدت الراسمالية في اوروبا بداية من سنة 1921 فترة من الاستقرار بعد الصعوبات التي عقبت الحرب وهو ما جعل الاممية تغير تكتيكها و تركز على تقوية الاحزاب الشيوعية عن طريق ،، البلشفة ،، و اقتراح الجبهات الموحّدة مع الاشتراكيين و ستتواصل هذه السياسة حتى المؤتمر السادس 1928.

.../...

ب) الاشتراكيون بتونس امام ثورة اكتوبر و تاسيس الأممية الشيوعية (1919 / 1921)

كان اصدار بيان 30 نوفمبر 1919 من طرف الجامعة الاشتراكية بتونس و الذي وضحت فيه موقفها من المسالة الاستعمارية نابعا بالاساس كما راينا عن ضغوط داخلية ، ذلك ان موقف الامية في مؤتمرها الاول (مارس 1919) من قضية المستعمرات لم يكن مبلورا بوضوح خاصة و انه ربط ،، تحرر المستعمرات بانتصار الثورة العمالية في اوروبا ،،.

ان النقاشات التي ستدور بين مناضلي الجامعة اثر تاسيس الاممية لن يكون محورها في الفترة (1919 /1921) متعلقا بموقف هاته الاخيرة من المستعمرات و طرق تحررها ، فالخلاف بين اعضاء الجامعة الذي سيطفو على صفحات جريدة ،، المستقبل الاجتماعي ،، خلال كامل سنة 1920 التي ستشهد في اخر ايامها انعقاد ،، المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي بمدينة تور كان متعلقا بالاساس بقضايا مثل البرلمانية و مسالة الانخراط العضوي في الاممية الثالثة او التحالف معها،وكذلك تقييم ثورة اكتوبر و ابعادها.

ان احصاءا اوليا للمقالات الواردة في الصحيفة الاشتراكية تجعل الملاحظ يعتقد و كان الاحداث تدور على ساحة اوروبية ، لكن مع بروز نشاط الحزب الحر الدستوري في النصف الثاني من سنة 1920 و وصول اخبار المؤتمر الثاني للاممية و خاصة شروط الانخراط فيها، فان المسالة الوطنية ستصبح احدى محاور النقاش و التعاطف معها، سيكون واضحا لدى التيار المنادي بالانضمام للاميمية الثالثة.

التحضير لمؤتمر سترازبورغ و بروز التيار المتعاطف مع الاممية الثالثة بتونس

في اواخر شهر فيفري 1920 دعي للانعقاد مؤتمر الحزب الاشتراكي الفرنسي في مدينة سترازبورغ (27 / 29 فيفري 1920) فكان على الجامعة الاشتراكية بتونس بوصفها هيكلا جهويا لهذا الحزب ان ترسل مندوبين عنها للمشاركة في اشغاله.

منذ بداية فيفري اعلنت صحيفة الجامعة (1) عن تاريخ المؤتمر الوطني و كذلك تاريخ انعقاد المؤتمر الجهوي بتونس لانتخاب المندوبين الذين سيمثلون الاشتراكيين بتونس في سترازبورغ، كما نشرت في نفس العدد اللوائح التي ستعرض للمناقشة و التصويت وهي تتعلق بالموقف الواجب اتخاذه تجاه الاممية الشيوعية التي وقع تاسيسها في مارس 1919 (2).

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 5 فيفري 1920.

(2) نفس المصدر ... اللائحة الاولى معتدلة وهي من اعداد لجنة اعادة بناء الاممية (نزعة داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي دعت لترميم الاممية الثانية) نادت اللائحة ببعث كتلة من الاحزاب الاشتراكية الاوروبية تقيم علاقات تحالف مع الاممية الشيوعية دون الانضمام فيها.
اما اللائحة الثانية فهي من اعداد لجنة الاممية الثالثة (نزعة اقصى اليسار آنذاك) تدعو المناضلين للانضمام الفوري في الاممية الثالثة و قد تزعم هذا التيار بوريس سوفارين (Boris Souvarine) الذي ولد في مدينة كييف باكرانيا سنة 1893، انخرط في الحزب الاشتراكي الفرنسي سنة 1916، تحمس للانخراط في الاممية اثر بعثها و كان مديرا ،، للنشرة الشيوعية،،

لم يؤكد المؤتمر الجهوي للجامعة المنعقد يوم 15 فيفري 1920 التكهنات التي اوردتها ،، المستقبل الاجتماعي،، بخصوص حتمية حصول اللائحة المعتدلة على اغلبية الاصوات(1).

لقد اقرت اغلبية المندوبين في المؤتمر الجهوي اللائحة المطالبة بالقطيعة المباشرة مع الاممية الثانية،كما صوت ثلثي المندوبين لفائدة الانضمام الفوري في الاممية الثالثة.(2)

جسد المؤتمر الجهوي بوضوح بروز تيار قوي داخل الاشتراكيين بتونس مناصر للاممية الشيوعية و هذا التيار بدا يعبر عن نفسه منذ مطلع 1920. ففي مقال ،، دروس عن السوفيات،،صدر ،، بالمستقبل الاجتماعي (3)

---

(1) المستقبل الاجتماعي . 12 فيفري 1920، تكهنت الصحيفة ان اغلبية المندوبين في المؤتمر الجهوي سيوافقون بالاجماع على اللائحة المعتدلة.

(2) المستقبل الاجتماعي . 19 فيفري 1920 نشرت الصحيفة نتائج التصويت على اللوائح في المؤتمر الجهوي المنعقد يوم 15 فيفري حيث اقرت النيابات التسعة القطيعة مع الاممية الثانية، و صوتت 6 منها للانضمام الفوري في الاممية الثالثة و دعت 3 نيابات لنقاشات مسبقة مع الاممية.

(3) المستقبل الاجتماعي. 25 – 1 – 1920.

.../...

اشار روبار لوزون (1) الى ان الحزب الاشتراكي الايطالي و.التيار الاشتراكي المستقل في المانيا قد حسما في مؤتمريهما ضد البرلمانية و اقرّا الطريقة السوفياتية (2) و لا بد للحركة الاشتراكية الفرنسية ان تسير في نفس الاتجاه.

ان السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح كيف حصل هذا التحول ضمن اعضاء الجامعة الاشتراكية بتونس و انتقالهم بداية 1920 من المواقف المعتدلة التي تميزوا بها خلال سنة 1919 و قبل الحرب الى التحمس الى الاممية الشيوعية؟ و ما هي المعلومات التي وصلتهم عن الاممية و عن مؤتمرها الاول حتى يقررون التصويت على لائحة الانضمام الفوري منذ فيفري 1920. حتى نهاية 1919 لم تكن لدى الاشتراكيين في فرنسا فكرة

---

(1) روبار لوزون ، ولد سنة 1882 مهندس متخرج من مدرسة المناجم بباريس، قدم الى تونس سنة 1912 رفقة زوجته المريضة بداء المفاصل ، شارك في الحرب الاولى رغم معاداته للحرب. انخرط سنة 1919 في الجامعة الاشتراكية بتونس و تحمس للانضمام للاممية الثالثة. سيصبح ابرز منشط للجامعة الشيوعية اثر بعثها، القى عليه القبض في فيفري 1922 . و بعد قضاء 8 اشهر في السجن اطرد من تونس في اوت 1922 و قد انضم في باريس سنة 1924 الى مجموعة ،، الثورة البرولتيارية ،، . توفي سنة 1976(المصدر احمد بن ميلاد ، محمد علي... المصدر السابق ص 115).

(2) البرلمانية تعني الوصول للسلطة عن طريق التحصل على اغلبية في البرلمان و قد رفضت الاممية الشيوعية في البداية هذه الطريقة و اقترحت طريقة الاستيلاء على السلطة بواسطة المجالس العمالية و الفلاحية.

.../...

واضحة عما كان يجري في روسيا ، و يرجع ذلك لانقطاع الاتصالات بسبب الحرب ثم نتيجة الحرب الاهلية ، فالجريدة الفرنسية الوحيدة التي كانت تنشر بعض الاخبار المتفرقة هي (Le Populaire) (1)

لكن الامر سيتغير في بداية 1920 حيث ستتكون نزعة موالية للاممية الثالثة داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي ستسمي نفسها ،، لجنة الاممية الشيوعية ،، و ستتولى اصدار صحيفة اسبوعية ،، النشرة الشيوعية ،، (2) تحت اشراف بوريس سوفارين، و يبدو ان روبار لوزان كان على اتصال بهذا الاخير و سيتابع خطواته حتى اثر خروج سوفارين من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1924.

منذ جانفي 1920 اصبح الاشتراكيون بتونس على اطلاع على اخبار الثورة في روسيا بواسطة ،، النشرة الشيوعية ،، التي كانت تصدر في باريس اما محتوى هذه الاخبار فهي تتعلق بالخصوص بتعامل زعماء الثورة مع القضايا الداخلية مثل توزيع الارض على الفلاحين الفقراء و الاعتماد على السوفياتات (مجالس العمال و الفلاحين و الجنود) باعتبارها مصدر سلطة الكادحين و محاربتهم للبرجوازية و حتى الموقف الذي صدر عن المؤتمر الاول فيما يتعلق بالمستعمرات لم يكن ليصدمهم فهو يواصل نفس الاتجاه الاورو- مركزي اذ انه يربط - كما راينا - تحرر المستعمرات باستيلاء العمال على السلطة في اوروبا.

---

(1) Le Populaire كانت لسان حال النزعة الوسطية داخل الحزب الاشتراكي الفرنسي و لم تكن شديدة الحماس تجاه الثورة الروسية اذ راى جزء من الاشتراكيين الفرنسيين انها ستضعف الحلفاء خاصة باعلانها الهدنة مع المانيا.

(2) النشرة الشيوعية Bulletin Communiste لسان حال النزعة الموالية للاممية الشيوعية بقيت بمفردها تنشر اخبار الثورة الروسية في النصف الاول من سنة 1920.

ان التيار المتعاطف مع الثورة الروسية سيتزعمه في تونس روبار لوزون الذي سيصبح المدافع المتحمس عنها على اعمدة ،، المستقبل الاجتماعي،، (1)

°

وسيجد لوزون معاضدة خاصة من طرف الشبيبة الاشتراكية التي تكونت في شهر فيفري 1920 (2) و كان اعضاؤها من اشد المتحمسين للاممية الشيوعية اذ سيسعون بسرعة الى تحويلها الى شبيبة شيوعية (3) كل هذه العوامل جعلت مؤتمر الجامعة الاشتراكية بتونس المنعقد في 15 فيفري 1920. يشهد بروز نزعتين احداها موالية للاممية الشيوعية و الاخرى معتدلة تريد ان تكون مواصلة للحركة الاشتراكية قبل الحرب، و سيتواصل التنافس بين التياران بمناسبة التحضير لمؤتمر تور (TOURS) الذي سينعقد في اواخر ديسمبر 1920.

---

(1) في شهر سبتمبر 1920 ، نشرت ،، المستقبل الاجتماعي،، سلسلة من المقالات عن الثورة البلشفية تبرر مختلف المواقف داخل الجامعة مما كان يجري في روسيا. انظر المستقبل الاجتماعي، 1920/9/12 و 1920/9/19 و 1920/9/30 و 1920/10/7 و 1920/10/21.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 8 فيفري 1920 اما احمد بن ميلاد ، المصدر السابق... ص 19 فيذكر ان تاسيسها يرجع الى اواخر 1919.

(3) في بيان صادر في ،، المستقبل الاجتماعي،، بتاريخ 19 اوت 1920 اعلن المكتب التنفيذي للشبيبة الاشتراكية بتونس رفضه الانصياع للهيمنة التي يريد فرضها عليه مكتب الجامعة الاشتراكية و اعلن موافقته على الدعوة لعقد مؤتمر يبت في مسالة الانخراط في الاممية الشيوعية.

اما البيان الصادر في المستقبل الاجتماعي بتاريخ 14 اكتوبر 1920 فيؤكد ان اغلبية الشبيبة الاشتراكية بتونس توافق على وسائل موسكو و تعلن انخراطها في الاممية الشيوعية ، اما احمد بن ميلاد فيذكر ان تحول الشبيبة الى شيوعية يرجع تاريخه الى 20 ماي 1920 (المصدر السابق ص 19)

.../...

التحضير لمؤتمر تور

و تفوق التيار الموالي للاممية الشيوعية

داخل الاشتراكيين بتونس

سيشرع الاشتراكيون بتونس وسط عدة متغيرات سواء كان على الساحة التونسية او العالمية في التحضير لمؤتمر تور.

ان هذه المعطيات الجديدة ستؤثر في النقاشات الدائرة بينهم و المتعلقة بالانخراط في الاممية الشيوعية . فعلى المستوى التونسي شهد شهر فيفري - مارس 1920 ميلاد الحزب الحر الدستوري. الذي شرع في التعريف ببرنامجه و ذلك عن طريق ارسال الوفود سواء كان الى الباي (يوم 15 جوان 1920) او الى السلطات الفرنسية بباريس حيث تم ارسال اول وفد دستوري بعد تكوين الحزب خلال شهر جوان 1920.

و قد كان لهذه التحركات صداها على صفحات ،، المستقبل الاجتماعي،، (1) اذ كتب حسان القلاتي(2) معلقا على سفر الوفد الدستوري الاول الى باريس انه يتحتم على الاشتراكيين الاهتمام بقضايا الاهالي و عدم تركهم لوحدهم بدعوى ان الحزب الدستوري يريد طرد الفرنسيين من تونس

---

(1) المستقبل الاجتماعي،، 17 جوان 1920 مقال حسان القلاتي . الوفد الدستوري في باريس

(2) حسان القلاتي ، محامي من اصل جزائري شارك قبيل الحرب الاولى في نشاط حركة الشباب التونسي، على اثر احداث الترامواي سنة 1912 وقع طرده من الايالة كما كان الشان بالنسبة لبقية قادة الحركة و لكن سرعان ما وقع السماح له بالعودة.
(علي المحجوبي... المصدر السابق ص 278).

و لم ينف القلاتي وجود هذا الاتجاه حيث ذكر انه في كل شعب هناك وطنيون متزمتون و لكنه اكد ان مساعدة الاشتراكيين للدستوريين هي الكفيلة بعزل مثل هذه الاتجاهات.(1)

امه روبار لوزان فقد سجل بدوره نمو الشعور الوطني لدى التونسيين و اعتبر انه من الطبيعي بحثهم عن ،، رمز وطني ،، يتعلقون به خاصة و انهم يتعرضون لهيمنة اجنبية لكنه نصحهم بالتعلق بكل ما هوُ تقدمي في الحضارة الاسلامية و اتخذ مثال ابن رشد كرمز وطني يتحتم على التونسيين السير في طريقه.(2)

كما اغتنم لوزان فرصة محاكمة الثعالبي (3) ليجدد مساندته لهذا المناضل ،، الشجاع، الباحث دوما عن الحقيقة و الذي انتهى الى المطالبة بحق التونسيين في ممارسة حقوقهم السياسية... ،،

---

(1) حضر حسان القلاتي في النقاشات التي دارت في منزل على كاهية في شهر فيفري 1920 و دافع على ضرورة اهتمام الوطنيين بالمسائل التي تتعلق بتسيير الشؤون اليومية للتونسيين و المطالبة بتحسين ظروفهم ، لكن اغلبية الحاضرين رفضوا هذه الفكرة، و معلوم ان القلاتي سيؤسس فيما بعد الحزب الاصلاحي باعانة من الجامعة الاشتراكية.

(2) المستقبل الاجتماعي ،، 15 جويلية 1920 مقال روبار لوزون ،، ابن رشد،،

(3) المستقبل الاجتماعي 14 نوفمبر 1920 مقال روبار لوزون ،، تحية الى الشاتمين،، تم ايقاف الثعالبي في فرنسا في اعقاب اقامة الوفد الدستوري الاول في باريس و ذلك بتهمة التامر ضد امن الدولة. و قد بقي سجينا حتى غرة ماي 1921 تاريخ صدور العفو عليه ،، وفي يوم 21 ماي 1921 انعقد المؤتمر الثالث للحزب الحر الدستوري الذي انتخب الشيخ الثعالبي رئيسا له.

لقد ساهمت التطورات التي شهدتها الساحة التونسية في النصف الاول من سنة 1920 في بلورة النزعتين داخل الحركة الاشتراكية بتونس الا ان صائفة 1920 ستشهد حدثين على المستوى الخارجي سيكون لهما انعكاس بالغ الاهمية على توجهات الاشتراكيين بتونس.

فمن ناحية انعقد المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية فيما بين 17 جويلية و 7 اوت 1920 و الذي تناول كما راينا المسالة الاستعمارية و الموقف الذي يتحتم على المنخرطين في الاممية اتخاذه تجاه المستعمرات(1).

و من ناحية اخرى شهدت الصائفة زيارة كلا من مارسيل كاشان(2) Marcel Cachin وفروسار(FROSSARD.) (3) الى روسيا و اقتناعهما بضرورة الانضمام الى الاممية الشيوعية. (4)

---

(1) تم نشر شروط الانخراط في الاممية الشيوعية على صفحات المستقبل الاجتماعي في ثلاث حلقات كان اولها يوم 31 اكتوبر 1920 ثم 4 نوفمبر و 11 نوفمبر 1920 (بعد حوالي 4 اشهر من صدورها)،،الانسانية ،، نشرتها يوم 8 اكتوبر 1920. اما في الجزائر فوقع نشرها بداية من 18 نوفمبر 1920.

(2) Cachin Gilles Marcel ولد في 20 سبتمبر 1869، استاذ مستشار بلدي في مدينة بوردو (1900 - 1906) عضو في الحزب الاشتراكي الفرنسي منذ بداية القرن انتمى الى هياته القيادية و انتخب مديرا لصحيفته المركزية ،، الانسانية،، منذ 1918.

(3) FROSSARD ولد في 5 ماي 1889،معلم ثم صحافي انتخب امينا عاما للحزب الاشتراكي منذ 1918.

(4) في مؤتمر سترازبورغ (فيفري 1920) اعيد انتخاب فروسار و كاشان كلا في منصبه و كانا ينتميان الى النزعة المعتدلة داخل المنادية باعادة بناء الاممية الثانية،اثر زيارتهما للاتحاد السوفياتي في صائفة 1920، اعلنا انسلاخهما (8 اكتوبر 1920) من تلك النزعة و اصبحت ،، الانسانية ،، تنشر اخبارا عديدة عن روسيا.

.../...

لقد تفاعل الاشتراكيون بتونس مع هذه الاحداث ففي حين عبّر فالنتين عن اختلافه الشديد مع الوسائل المتوخاة من طرف البلاشفة و اعتمادهم على الارهاب و الديكتاتورية كوسائل دائمة للاشتراكية (1) فان الاعداد الموالية من ،، المستقبل الاجتماعي،، تضمنت ردودا عنيفة على ما ذهب اليه فالنتين.

فاعتبر موريس نيكولا (2) ان تكوين البلاشفة لجيش احمر قوي يعد امرا مشروعا للدفاع عن ثورتهم. اما ديكتاتورية البروليتاريا فهي وسيلة ضرورية لتدعيم النظام الجديد الذي يخدم اغلبية الشعب ، لذلك ينهي مقاله بالتاكيد على حتمية الانضمام للاممية الثالثة.

و قد ساهم لوزون بدوره في الرد على فالنتين الذي راى في الثورة الروسية حركة معادية للاقطاع ليس للراسمالية ، و يعني ذلك انه لا يمكن تعميمها او التاثر بها ، فالحضارة الغربية - حسب فالنتين - قد انجزت تلك المهمات منذ زمن بعيد.

دافع لوزون عن البلاشفة مبرزا اهم الانجازات التي قاموا بها على طريق تركيز نظام اشتراكي، كما عرّف القراء بالقوانين المتعلقة بالارض التي اصدرتها الحكومة الثورية. (3)

---

(1) المستقبل الاجتماعي 12 سبتمبر 1920 مقال بقلم بيار فالنتين،، حول البلشفية ،،

(2) المستقبل الاجتماعي 19 سبتمبر 1920 مقال بقلم مورس نيكولا ،، في قلب البلشفية ،،.

(3) المستقبل الاجتماعي 30 سبتمبر 1920 مقال بقلم روبار لوزون ،، افتروا - افتروا ،،.

.../...

و اثر اطلاع الاشتراكيين بتونس على شروط الانخراط في الاممية في اكتوبر 1920 تناول النقاش ايضا الموقف من المستعمرات.
لقد عارض شارل فرانسيس فريبي (1) بشدة النقطة الثامنة الداعية لمساندة الحركات التحررية في المستعمرات، و اعتبر ان هذه النقطة قابلة لجميع التاويلات و من ضمنها مساندة تمرد الاهالي لذلك فهو يرفضها.

كما اكد فريبي ان الجامعة الاشتراكية بتونس كانت سبّاقة (2) للاهتمام بالمسالة الإهلية في وقت لم يكن احد يتحدث عنها في فرنسا وهي لم تنتظر ،، اوامر موسكو،، حتى تقوم بواجباتها المتمثلة في غرس مبادئ الحرية التي ستمكن التونسيين بصفة تدريجية من تسيير امورهم.

لقد شمل النقاش بين النزعتين جميع القضايا المحلية و العالمية وهو ما ساعد على بروز نظرتين على الاقل حاولت تلخيصهما اللوائح التي عرضت على المندوبين في مؤتمر تور و التي تمت مناقشاتهما قبل انعقاد المؤتمر.

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 28 اكتوبر 1920 مقال بقلم شارل فرنسيس فريبي،، الاشتراكية الاستعمارية ،، Socialisme colonial

(2) المقصود هنا هي اللائحة الصادرة عن الجامعة الاشتراكية بتونس في مؤتمرها المنعقد بتاريخ 30 نوفمبر و التي تركز بالخصوص على واجبات فرنسا بتونس وهي تلخص، نظرية الاستعمار الايجابي،، التي دافع حوريس قبل الحرب وهي اكثر النظريات في الحركة الاشتراكية الفرنسية ميلا للاهالي و دفاعا عنهم.

و قصد التحضير لهذا المؤتمر ، انعقد مؤتمر جهوي للجامعة يوم 18 ديسمبر 1920 بمقهى فرنسا (1) عرضت فيه اللوائح الثلاث على التصويت الذي انتهى الى النتائج التالية :

الفروع	لائحة كاشان فروسار (2)	لائحة لونقي (3)	لائحة بلوم (4)
بنزرت	3	2	0
فري – فيل	4	0	0
حلق الوادي	1	3	0
سوسة	4	1	0
تونس	11	7	2
المجموع	23	13	2

و بما ان الحزب الاشتراكي قد حدد عدد نيابات الجامعة في المؤتمر الوطني بـ 9 فقد وقع توزيعها كالاتي : 6 لفائدة لائحة كاشان و 3 للائحة لونقي.

مرة اخرى يسجل انصار الانخراط الفوري في الاممية الشيوعية تفوقا،و قد كان لروبار لوزون دورا متميزا في تحقيق ذلك، بالاضافة لحركية عناصر الشبيبة الاشتراكية التي تحولت الى شيوعية منذ 10 اكتوبر 1920 و قررت

---

(1) المستقبل الاجتماعي 23 ديسمبر 1920.

(2) لائحة كاشان فروسار. كانت تنادي بالانخراط في الاممية الثالثة.

(3) لائحة لونقي، نادت بالانخراط لكن مع التبريث و اجراء نقاش (لونقي ولد في 10 ماي 1876 بلندن، عضو قيادة الحزب الاشتراكي الفرنسي)

(4) لائحة بلوم؛ نادت بالوحدة العمالية ضمن منظمة واحدة و يعني ذلك التمسك بالاممية الثانية و ترميمها . النص الكامل لهذه اللوائح يوجد في :
Le Congrés de Tours. Edition critique réalisée par Jean CHARLES, Jacques GIRAULT,Jean Louis Robert et D. TARTA KOVSKY Paris, Ed, Sociales 1980.

الانضمام للاممية الشيوعية تحت تاثير ابرز منشطيها موريس رامبو.(1)

فوضت الجامعة ممثلين عنها الى مؤتمر تور لتبليغ نتائج التصويت على اللوائح المعروضة هما المحاميان دوران انقليفيال و حسان القلاتي.(2)

---

(1) موريس رامبو ، ولد بتونس سنة 1903 من ابوين ينتميان لسلك التعليم تلميذ بارز في معهد كارنو، من باعثي الشبيبة الاشتراكية ، ثم عمل على تحويلها الى شيوعية قبل انعقاد مؤتمر تور. حوكم سنة 1922 من اجل مقال حول زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية ميلران الى تونس
درس الفلسفة في مدينة ليون حيث اصيب بمرض في الرئة اجبره على العودة الى تونس في اواخر 1924.
رغم المرض الذي الم به ، شارك بقلمه في دعم و مساندة حركة محمد على تحت اسم ،، الموجيك،، توفي في شهر افريل 1925.

(2) قرر المؤتمر الجهوي ارسال حسان القلاتي و كينيو .
(المستقبل الاجتماعي 1920/12/23) لكن لا ندري لماذا تقرر تعويض هذا الاخير بانقليفيال.
صحيح انهما كانا كاشخاص مع لائحة لونقي و لكنهما كانا مكلفان بابلاغ نتائج التصويت الكاملة التي كانت لفائدة الانخراط الفوري و قد قاما بذلك بالفعل رغم معارضتهما الشخصية للانخراط في الاممية الثالثة .

.../...

انعكاسات مؤتمر تور على الحركة الاشتراكية بتونس و بعث الجامعة الشيوعية

صوتت اغلبية المؤتمرين في تور لفائدة الانخراط في الاممية الشيوعية ، و لم يكن ذلك ليفاجع احدا نظرا الى ان التصويت على اللوائح قد تم في المؤتمرات القاعدية للحزب قبل المؤتمر الوطني - كما كان الشان في تونس - وهو ما جعل النتيجة تكون معروفة قبل الوصول الى مدينة تور.

لكن المسالة المعقدة التي بقيت تشد انتباه المؤتمرين هي مصير الحزب الاشتراكي الفرنسي بعد هذا التصويت ، هل سيبقى موحدا ام سينقسم الى حزبين. (1)
حول هذه النقطة تردد المؤتمرون كثيرا و لم يتم الحسم الا بعد قراءة برقية وردت على المؤتمر من طرف زينوفياف نعت فيها لونقي زعيم المعتدلين بانه ،، عون للبرجوازية ،، (2)

و هكذا برز عقب المؤتمر حزبان ، الفرع الفرنسي للاممية العالمية (1398 نيابة في المؤتمر) و الفرع الفرنسي للاممية الشيوعية 3247 نيابة)

Robert (Jean Louis) nouveaux éléments sur les origines du PCF in cahiers(1) d'histoire de l'institut de recherches marxistes Nlle série N°3 , 1980 P.29

يذكر روبار ان يمين الحزب كان مقرا العزم على مغادرته لكن انصار الانضمام للاممية كانوا مقرين العزم على طردهم خاصة و انه كان مع الانضمام و لكن بشروط، ان هذا التردد هو الذي جعل زينوفياف يرسل البرقية للتاثير على المؤتمرين.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 13 جانفي 1921 مقال بقلم دوران انقليفيال ،، حول مؤتمر تور،، تاسف فيه لا على انضمام الاغلبية للاممية الشيوعية و لكن اخطار تقسيم الحزب التي اصبحت واقعا.

اثــــر عودته عـــــبّر انقليفيال عن يقينـــه بان هذا الانقسام لن يكون نهائيا (1) اما Jean Desvignes. فقد كتب ،، ان الذي يجعل التوحد صعبا في الظروف الحالية هو تدخل موسكو في نشاط الاشتراكيين الفرنسييـــن،، لذلك فالهام هو اتجـاه الحزبين نحو العمل و على كل مناضل ان يختار بكل استقلالية الجامعة التي يريد النشاط فيها.

و قد اتخـذ بيار فالنتين ، اتجاها ،، توفيقيا،، حيث اكد على ضـرورة بقاء جريدة ،، المستقبل الاجتماعي ،، بعيدة على الانقسام ،، فمهما كان اختلافنا حول الامية فنحن متفقون على مواصلة العمل الذي بدانــاه في تونس منــذ ثلاث سنوات ،، (3)

سعــى مكتب الجامعـة الاشتراكية للسيـر في الاتجـاه ،،التوفيقي،، الذي اقترحه فالنتين حيث صدر ببيان باسم الكاتب الجهوي يؤكد ان ،، الانقسام الذي حـصل في تــور يمكن تفاديه في تونس فاعـضاء الجامعـة الاشتراكية بتونس يخوضون نضالا يستدعـي تكاثف كل القوى الاشتراكيـــة (4)

الا ان هذا المنحي ،، التوفيقي،، لم ينل موافقة التيار الشيوعي ، حيث عبر لوزون عن اعجابه بتسمية المنظمة الجديدة المنبثقة عن مؤتمر تـور ،، شيوعيـــة،، لان كلمة اشتراكية وقـع الاساءة اليهـا كثيرا حتى ،، تكون اداة تحقق التحامنا بالجيش الثوري،،.(5)

---

(1) المستقبل الاجتماعي، 13/ 1921/1 مقال دوران انقليفيال اثر رجوعه من المؤتمر. المصدر السابق

(2) المستقبل الاجتماعي ،،1921/1/16 مقال ديفينـــي. جامعة شيوعية و جامعة اشتراكية.

(3) المستقبل الاجتماعي ،، 1921/1/20 مقال بيار فلنتيــن،، فلنواصل،،.

(4) المستقبل الاجتماعي، 23 جانفي 1921 بيان صادر عـن مكتب الجامعة الاشتراكية بتونـــس

(5) المستقبل الاجتماعي، 10 فيفري 1921 مقال روبار لوزون بعنوان ،، الاممية الشيوعيـــة.،،

و هكذا يبدو من المقال ان لوزون و مجموعته اتجهوا نحو الحسم ،، و تنقية ،، الجامعة من العناصر التي لا تريد الانضمام للاممية الشيوعية.

و بداية من العدد الصادر يوم 13 فيفري اصبحت افتتاحية ،، المستقبل الاجتماعي ،، تحمل امضاء روبار لوزان (1) كما وقع الاعلان عن مواعيد اجتماعات هيئة التحرير (2) و عن فتح مقر لفرع مدينة تونس (23 نهج انقلترا) (3) تابع للفرع الفرنسي للاممية الشيوعية ، كما وقع الاعلان عن قرب انعقاد مؤتمر للشيوعيين يحضره شارل اندري جوليان(4).

---

(1) المستقبل الاجتماعي،، نفس المصدر كانت افتتاحية الجريدة تمضي باسمها . و يبدو ان تحويل الامضاء باسم لوزون للايحاء بان الجريدة اصبحت تعبر عن التيار ،، الشيوعي.

(2) المستقبل الاجتماعي ،، 13 فيفري 1921 انعقد اجتماع عام لانصار الجريدة قرر تفويض الادارة السياسية للصحيفة الى هيئة تحرير تتكون من 9 اعضاء (4 من اعضاء التيار الشيوعي، 2 من النقابات العمالية، و 3 من الاشتراكيين الغير منتمين لتنظيم اشتراكي) و على اثر هذا القرار اعلن بيار فالنتين انسلاخه من الهيئة، و سينضم فيما بعد ،، لتونس الاشتراكية،،

(3) كان مقر الحزب الدستوري يوجد ايضا في نهج انقلترا

(4) شارل اندري جوليان ، ولد في 2 سبتمبر 1891 بمدينة كان ، قدم للجزائر وهو في الخامسة عشر من عمره . في مؤتمر سترازبورغ (فيفري 1920) عين مسؤولا عن الدعاية في افريقيا الشمالية. في مؤتمر تور ساند الانخراط في الاممية و اصبح مندوب الحزب الشيوعي الفرنسي في افريقيا الشمالية. بقي كامل شهر مارس 1921 في تونس

.../...

و في يوم غـرة مـارس 1921، صـــدر العدد الاول من ،، تونس الاشتراكيـــة ،،(1) و بذلك اصبح الانقســـام بين النزعتيـــن واقعـــا، حيث سينـــعقد يوم 27 مارس 1921 مؤتـــمر الاتجـــاه الشيوعـــي في مدينة فري ـ فيـــل و سينتخـــب مكتبا جهويا سيشـــرف على نشـــاط الجامـــعة الشيوعيـــة بتونـــس

---

(1) تـــونس الاشتراكيـــة ،، صدر العدد الاول يوم 1 مارس 1921 كصحيفة اسبوعية باسم الجامعـــة الاشتراكية . و قد فســـر هـــذا القرار باستحالة مواصلـــة العمل ضمـــن ،، المستقبل الاجتماعي ،، التي اصبحت لسان حـــال ،، حزب لسنا منخرطيـــن فيه ،، مدير الجريدة دوران انقليفيال.

الفصل الثاني

نشاط الجامعة الشيوعية بتونس

(مارس 1921 – جانفي 1926)

المحاولات المبكّرة للتونسة (1)

---

(1) اخذنا عنوان هذا الفصل عن العنوان الذي اعطته لبحثها الجيد الصديقة ليلى بليلي (بن تميم) عن الجامعة الشيوعية بتونس 1921 / 1922.

- Ben Témime Leila, la Fédération Communiste de Tunisie (1921 - 1922) un effort précoce de tunisification, mémoire de maitrise sous la direction Mme ROBERIOUX, Univertisté Paris VIII Octobre (1976) (rénéo typé).

يمكن اعتبار 27 مارس 1921 تاريخ البعث الرسمي للجامعة الشيوعية بتونس، رغم ان التيار الاشتراكي الموالي للاممية الشيوعية قد برز و تدعم في صلب الجامعة الاشتراكية خلال كامل سنة 1920 .

سنتتبع في هذا الفصل نشاط الجامعة منذ تكوينها في مارس 1921 حتى موفي جانفي 1926 تاريخ صدور القرارات الزجرية.

قامت الجامعة خلال هذه السنوات بمجهودات كبيرة للاتصال بالاهالي لنشر الافكار الشيوعية بينهم ، و كذلك حاولت التعبير عن طموحاتهم الوطنية و الطبقية وهو ما جعل قاليسو ينتهي الى استنتاج ان عمل النواة الشيوعية الاولى بتونس يعتبر انموذجا متميزا بالنسبة لعمل الشيوعيين في المستعمرات. (1)

سنركز على مجالين من نشاط الجامعة في تلك الفترة،(2) موقفهما من المسالة الوطنية و علاقتهما بالاحزاب الاهلية ، ثم دور الشيوعيين في التجربة النقابية الاولى التي تزعمها محمد علي الحامي.

هذا النشاط و المجهود المبكر للتونسة و ان كان نتيجة لعمل اعضاء الجامعة - كما سنرى ذلك لاحقا - فهو ينصهر ضمن اطار عالمي.

---

(1) - Galissot (René) sur les débuts du Communisme en Algérie et en Tunisie in Mélanges d'histoire sociale. offerts à Jean Maitron, les éditions ouvrières . Paris 1976

(2) ذلك اننا نعتقد ان اعمال و بحوث كلا من ليلى بن تميم (المصدر السابق) و مصطفى كريم في Nationalisme et syndicalisme en Tunisie (1981/1929) Imprimerie de l'UGTT Tunis 1976.

قد تناولت باطناب الجوانب التنظيمية للجامعة في تلك الفترة انطلاقا خاصة من التقارير الموجودة بارشيف الحكومة التونسية.

.../...

فالمناضلون الشيوعيون في تلك الفترة كانوا مقتنعين
ان عملهم هو جزء من فكرة عالمية ، وان ما يقومون به هو تجسيد
لبرنامج حزب عمالي عالمي : الاممية الشيوعية.
لذلك سنتعرض لاهم التطورات التي شهدتها الاممية الشيوعية
و فرعها الفرنسي في تلك الفترة نظرا لارتباط الجامعة
الشيوعية بتونس العضوي بهاتين المنظمتين.

اولا . الامميـة الشيوعيـة و المستعمرات

(1926 - 1921)

انتهى المؤتمر الثالث للاممية (22 جوان / 12 جويلية 1921) الى استنتاج ان الاستيلاء على السلطة من طرف الاحزاب العمالية في اوروبا لم يعد مطروحا كمهمة عاجلة نتيجة دخول الراسمالية في مرحلة استقرار منذ بداية 1921. و كنتيجة لهذا التحليل ستركز الاممية عملها لاضعاف الدول الامبريالية عن طريق تنظيم نضال الطبقة العاملة في الدول الراسمالية، (1) وعلى تقديم دعم و مساعدة فعلية للشعوب المستعمرة لتحقيق استقلالها و انفصالها عن المركز.

لذلك سعى المكتب التنفيذي للاممية لتوسيع رقعة اهتمامه بالمستعمرات، فالقضية الاستعمارية لم تعد منحصرة في الشرق الاقصى والبلدان المتاخمة لروسيا، بل ستشمل ايضا المستعمرات الفرنسية، و قد بدا ذلك في دورته المنعقدة في اوائل 1922.

---

(1) تركزت اشغال المؤتمر الثالث على القضايا التنظيمية و على توضيح مناهج عمل الاحزاب الشيوعية الاوروبية، كما اقر المؤتمر بعث منظمة نقابية دولية ،، الاممية النقابية الحمراء،، لمحاربة نفوذ نقابة امستردام التي كانت تحت تاثير الاشتراكيين و في نفس الوقت صادق المؤتمر على تكوين اممية للشباب الشيوعي، و نظر في العمل في الاوساط النسائية. (بيانات المؤتمرات الاربع الاولى... المصدر السابق)

أ) دورة المكتب التنفيذي (21 فيفري / 4 مارس 1922)

اكدت اعمال الدورة على ضرورة الاهتمام و دعم نضال جميع المستعمرات و اوصت جميع الاحزاب الشيوعية الاوروبية ، بتقوية فروعها في المستعمرات التي تتبع دولها .

الا ان هذه الدورة لم تخرج بتوصيات عملية و اقتصر تجسيد السياسة الجديدة على التوجه لشعوب المستعمرات بنداءات تدعوها فيها للتحرر من الهيمنة الاجنبية (1)

و في هذا الاتجاه صدر اول نداء توجهت فيه الاممية مباشرة الى العمال الفرنسيين و التونسيين و الجزائريين(2).

جاء في هذا النداء بالخصوص : ،، ان رئيس الجمهورية الفرنسية ، ذلك الرجل الذي بامكانه ان يطمح بكل مشروعية الى لقب اول اشتراكي خائن... قد زار مؤخرا الممتلكات الشاسعة للامبريالية الفرنسية في افريقيا الشمالية... ان هذا الاشتراكي الخائن قد امر بقمع حركة التحرر الاهلية و ملاحقة و سجن الشيوعيان لوزون و الكافي و غيرهم..

ان الامية الشيوعية تحيّ الرفاق الفرنسيين و الاهليين الملاحقين او المعتقلين... وهي تحيّ الجامعة الشيوعية بتونس والحزب الشيوعي الفرنسي اللذان يخوضان نضالا ضد الاضطهاد ... ،،

---

(1) SIVAN (Emmanuel) Communisime et nationalisme en Algérie. Presses de la 1920/1962) fondation nationale des sciences politiques 1976. P 24 -
سنشير لهذا المؤلف بسيفان ، الشيوعية و القومية في الجزائر.

(2) نداء المكتب التنفيذي الموسع للامية الشيوعية تحت عنوان ،، من اجل تحرير الجزائر و تونس، بتاريخ 20 ماي 1922، و قد اوردته ،، المراسلات الدولية ،، عدد 44 لسنة 1922 وهي نشرة اسبوعية تصدر عن الامية باللغة الفرنسية.
كما اورده محي الدين الحضري في ملحق كتابه ص 202
Mohieddine HADHRI l'URSS et le Maghreb de la révolution d'octobre à l'indépendance de l'Algérie (1917/1962) éditions l'Harmattan 1985.

رغم ان النص كان موجها بصفة عامة لشعوب شمال افريقيا المضطهدة من طرف الاستعمار الفرنسي ، فان محتواه ارتبط خاصة بالاحداث التي شهدتها تونس في ربيع 1922 (زيارة الرئيس ميلران و ما سبقها من غليان شعبي و مظاهرات لمساندة الباي على اثر اعتزامه التنازل على العرش يوم 3 فيفري 1922).(1)

و قد جسم صدور هذا النداء خطوة جديدة في توسيع رقعة اهتمام الاممية الشيوعية بالمستعمرات البعيدة عن روسيا ،و رغم محدودية توزيعه فقد اثار حفيظة و سخط الاوساط الاستعمارية في تونس و في باريس (2)
كما ان هذا النداء المساند بكل وضوح لتحرير شعوب تونس و الجزائر قد اثار ردود فعل متناقضة لدى الشيوعيين انفسهم.

اول رد فعل كان مصدره الفرع الشيوعي بسيدي بلعباس (بالجزائر) حيث اصدر لائحته الشهيرة يوم 27 جوان 1922 (3)

---

(1) قرر الباي محمد الناصر التنازل عن العرش احتجاجا عن نشر تصريحات نسبت اليه على صفحات جريدة باريسية ،، LE PETIT JOURNAL ،، الصادرة يوم 22 مارس 1922. وقد ادعت الصحيفة ان الباي عبّر لها عن اختلافه الشديد و معارضته للدستوريين و للشيوعيين ، انظر علي المحجوبي ، اصول الحركة الوطنية... المصدر السابق بداية 280.

(2) وقع التعرض الى هذا النداء في مداولات مجلس النواب الفرنسي حول الاصلاحات المزمع ادخالها بتونس (صائفة 1922) و كذلك على اعمدة الصحف الاستعمارية ، انظر الحضري، الاتحاد السوفياتي و المغرب،... المصدر السابق ص. 28 و 29

(3) تم نشر نداء الاممية في ،، المراسلات الدولية ،، يوم 6 جوان 1922 اول رد فعل صدر عن فرع سيدي بلعباس يوم 27 جوان 1922. انظر سيفان الشيوعية و الوطنية في الجزائر . المصدر السابق ص 25

.../...

التي ،، اعتبرت ان انتفاضة الجموع الاسلامية الجزائرية في الظروف الراهنة ستكون حماقة خطيرة لايمكن للجامعات الشيوعية المشاركة فيها خوفا من محاكمة التاريخ الشيوعي...،، (1)

أما الجامعة الشيوعية التونسية فستعبر عن مساندتها لعمل الاممية و ستفضح هذا،السلوك الاستعماري،، و تحتج على موقف الحزب الشيوعي الفرنسي المتردد و ذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية.

---

(1) ترجمنا النص الفرنسي الذي اورده سيفان .

ب) المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية : الاهتمام بعمل الحزب الشيوعي الفرنسي في المستعمرات.

انعقد المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية بموسكو بين 7 نوفمبر و 5 ديسمبر 1922 و قد وقع تناول المسالة الاستعمارية في النقطة السادسة من جدول الاعمال و تمت مناقشتها يومي 22 و 23 نوفمبر 1922.

شارك في اشغال المؤتمر - و لاول مرة - مندوب عن الجامعة الشيوعية بتونس وهو الطاهر بودمغة ، (1) ضمن الوفد الفرنسي

قدّم روا تقريرا للمناقشة العامة قسم فيه البلدان المستعمرة الى ثلاثة اصناف و ذلك انطلاقا من مدى تطور قوى الانتاج داخلها ، كما تعرض الى خاصيات القوى الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع المستعمر، حيث استنتج الدور المتناقض ، الايجابي و السلبي الذي يمكن ان تلعبه البرجوازية ، و انتهى في تقريره الى حتمية مساندة الشيوعيين للحركات الوطنية المعادية للامبريالية .

تدخل الطاهر بودمغة في المناقشات العامة ، فتعرض ،،للعلاقة بين الاستيلاء على السلطة في المركز الاوروبيو الثورات الوطنية في المستعمرات، و اكد ان الامبرياليين يوظفون عائدات مستعمراتهم لقمع الحركة الثورية في المركز.

---

(1) الطاهر بودمغة ولد في نهاية القرن الماضي، موظف بريد في باب المنارة ، حيث بعث نقابة تابعة للجامعة العامة للشغل سنة 1920. انخرط في الجامعة الشيوعية سنة 1921 ، و حضر في مؤتمر الجامعة الشيوعية بحلق الوادي ديسمبر 1921، اثر عودته من موسكو اطرد من عمله . لن يكون له اي دور يذكر في بعث جامعة عموم العملة التونسية ، و في سنة 1926 تذكر التقارير انه أصبح يتحاشى اي نشاط يمكن ان يجعله عرضة للتعسف.

وقد هاجم بودمغة الاطروحة التي مازال يتبناها بعض قادة الحزب الشيوعي الفرنسي و القائلة بان الثورة العمالية في فرنسا هي وحدها القادرة على تحرير المستعمرات ، ....، انه يتحتم على الحزب الشيوعي الفرنسي تنظيم نشاطه في شمال افريقيا و التخلي عن جميع مظاهر ،، الانتهازية ،، و عن دعم ما يسمون ،، بشيوعي الجزائر ،، ان حركة الجامعة الاسلامية قوة ثورية و لا يمكن تجاهلها ... ،، (1)

ان هذا التدخل يعكس التفكير السائد لدى اعضاء الجامعة بتونس و القناعات التي توصلوا اليها بعد سنتين من التجربة :

- أ. رفض الافكار التي سادت حتى المؤتمر الثالث للاممية (1921) و التي ترى ان تحرر المستعمرات سيكون نتيجة لاستيلاء العمال على السلطة في اوروبا.

- ب. تنديد بتقصير عمل الحزب الشيوعي الفرنسي في المستعمرات و عدم اقتناعه الفعلي باطروحات الاممية فيما يتعلق بطرق تحرر المستعمرات. (2)

---

(1) انريكا ، الاممية الشيوعية و قضايا الاستعمار... المصدر السابق ص 95
و قد اوردتها عن ،، النشرة الشيوعية ،، بتاريخ 1923.1.12 كما اورد محي الدين حضري، الاتحاد السوفياتي و المغرب... المصدر السابق ص 30
مقتطفات من تدخل بودمغة .

(2) كما سنرى ذلك لاحقا فان النشاط الحثيث الذي قامت به الجامعة الشيوعية بتونس كانت بالاساس نتيجة عوامل موضوعية و ذاتية داخلية و ليس نتيجة تعليمات من الحزب الفرنسي الذي لم يحدد بعد سياسة واضحة في هذا المجال.

../...

- ج. رفض لمواقف الشيوعيين في الجزائر و تنديد بالعقلية الاستعمارية السائدة لديهم، وهو نفس الموقف الذي عبّر عنه لوزون حين اعتبر نشر موقف ،، جماعة بلعباس، على صفحات ،، الانسانية،، عارا (1)

- د. ان الجامعة الشيوعية بتونس حاولت تجنيب الاممية اتخاذ موقف انعزالي سلبي تجاه الجامعة الاسلامية، خاصة و ان الحركة الوطنية التونسية و المعادية للاستعمار الفرنسي كانت متاثرة الى حد ما بفكرة الجامعة الاسلامية رغم ان هذه الاخيرة ضعفت اثر الحرب. (2)

ه

ساهم تدخل بودمغة في دفع عمل المؤتمر الذي ركّز جزءا من اشغاله لتقديم توضيح اكثر جراة و تدقيق فيما يتعلق بهدف نضال المستعمرات و المتمثل فالاستقلال السياسي (3)

و من جهة اخرى فان اشارة المندوب التونسي لنقائص عمل الحزب الشيوعي الفرنسي ستساهم ايضا في جعل المؤتمر ينكبّ على وضع خطة عمل و برنامج لهذا الحزب.

---

(1) النشرة الشيوعية ،،عدد جانفي 1923 ، اورد ذلك كلود ليوزي اصول العالم ثالثية ... المصدر السابق ص 17.

(2) على المحجوبي ، اصول الحركة الوطنية ... المصدر السابق ص 190، يذكر ان الشباب التونسي الذي كان في المهجر اثناء و بعد الحرب الاولى كان مرتبطا بحركة الجامعة الاسلامية، و قد كان لهؤلاء تاثيرا قويا على الزعماء في الداخل.

(3) الاربع مؤتمرات الاولى للاممية... المصدر السابق ص 175، حيث تؤكد الموضوعات ،، ... ان هدف الاحزاب الشيوعية في البلدان المستعمرة هو الحل الجذري لقضية الثورة الديمقراطية ، البرجوازية و في مقدمتها التحصل على الاستقلال السياسي دون اهمال المطالب الخصوصية للعمال و الفلاحين ...،،

صادق المؤتمر على لائحة حول المسالة الفرنسية ، وقع التعرض فيها للازمة الداخلية الحادة التي يمر بها الحزب و لفت نظر الشيوعيين الفرنسيين الى اهمية النشاط و الدعاية في المستعمرات و ضرورة التباين مع موقف جماعة بلعباس ،، الذين تحت غطاء جمل ثورية يتبنون مواقف رجعية مساندة للهيمنة الاستعمارية (1)

كما اقر برنامج عمل الحزب الشيوعي الفرنسي، اذ تؤكد النقطة الثامنة المتعلقة بالمستعمرات انه ،، يتحتم على الحزب بعث هيكل مختص تابع للقيادة يعني بمتابعة العمل الشيوعي في المستعمرات الفرنسية . ،،٠(2)

و هكذا بعد سلسلة من التوضيحات اصبحت الاممية الشيوعية تطرح الاستقلال السياسي كهدف لنضال المستعمرات، لكن هذا التوضيح هل سيصبح نافذ المفعول بمجرد صدوره ؟ و هل سيشرع الفرع الفرنسي في تطبيقه مباشرة؟ لذلك سنتعرض لمختلف التطورات التي شهدتها مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي من المسالة الفرنسية منذ تكوينه حتى سنة 1924٠

---

(1) الاربع مؤتمرات للاممية ... المصدر السابق ص 198

(2) نفس المصدر ص 205٠

ثانيا. الحزب الشيوعي الفرنسي

و القضية التونسية (1920 / 1924) اهتمام ثانوي

تركز اهتمام النواب في المؤتمر الثامن عشر للحزب الاشتراكي الموحد بمدينة تور على مسالة الانخراط في الاممية (S F I O) الشيوعية و مصير الحزب الاشتراكي بعد المؤتمر ، لذلك لم تقع اثارة المشكلة الاستعمارية في المناقشات الا من طرف ثلاث نواب وهم بول فيان كوتيري و شارل اندري جوليان و نقويان اي كوك (هو شى منه) و ثلاثتهم سيكون لهم دورا هاما في معاداة الاستعمار في المستقبل (1)

و رغم موافقة نواب الجزائر على الانضمام للاممية الثالثة فانهم سيسارعون الى توضيح موقفهم بعد المؤتمر اذ كلفوا المندوب الدائم شارل اندري جوليان بالتحذير من اخطار انتفاضات الاهالي (2)

و بعد سنتين من مؤتمر تور بقى شيوعيو الجزائر على موقفهم المناهض للنقطة الثامنة من شروط الانخراط حيث اعتبرت اللائحة الصادرة عن المؤتمر الفيديرالي لشيوعي الجزائر يوم 22 سبتمبر 1922 ،، ان الدعوة لاستقلال شمال افريقيا خطوٌ فادح...،، (3)

---

(1) لازلوناجي (LASZLO NAGY) الاممية الشيوعية و المغرب، مداخلة في ملتقى التاريخ حول ،، الاستعمار في العالم العربي،، الذي نظمه مركز الدراسات و الابحاث الاقتصادية و الاجتماعية تونس 3 / 8 اكتوبر 1983 (غير منشور)

(2) الانسانية ،، (L'HMANITE) 1 و 7 جانفي 1921 مقالان لشارل اندري جوليان حول فهم شيوعي الجزائر لتصويتهم على الانضمام للاممية الثالثة

(3) ،، النشرة الشيوعية ،، (Bulletin Communiste) 7 و 14 ديسمبر 1922 انظر كذلك.

ان هذه المواقف تبرز بوضوح ان انضمام الاغلبية في مؤتمر تور الى الاممية الشيوعية لم يكن مبنيا على قناعات عميقة بكل ما جاء في شروط الانخراط، ذلك ان العوامل الداخلية الفرنسية هي التي رجحت بالاساس الكفة لفائدة الانضمام (1) .

ان هذا الوضع سيحتم على الحزب الشيوعي الفرنسي القيام بحملات توضيحية كبيرة لتوعية منخرطيه اولا ، ثم الطبقة العاملة الفرنسية باهداف الاممية فيما يتعلق بمساندة نضال الشعوب المستعمرة .

لذلك ستتميز سنتي 1921 و 1922 ببروز مواقف متناقضة و لن تاخذ مواقف الحزب طريقها نحو الوضوح الا اثر تكوين لجنة الدراسات الاستعمارية .

لجنة الدراسات الاستعمارية (1921 / 1924)

لم يكن بعث لجنة الدارسات الاستعمارية المرة الاولى التي سؤسس فيها هيكل من هذا النوع ، اذ سبق ان وقع تكوين ،، لجنة قضايا الاستعمار ،، تابعة للحزب الاشتراكي الفرنسي

---

(1) Robert (Jean Louis) nouveaux éléments sur les origines du PCF cahiers d'hitoire de l'IRM N° 3. 1980 -

يتعرض روبار الى اطروحة قريقل حول اصول الشيوعية في فرنسا التي اكدت فيها ان اهم العوامل التي تفسر تصويت الاغلبية في المؤتمر على لائحة الانضمام للاممية هي : (فشل الحركة العمالية الفرنسية في انتخابات نوفمبر 1919، فشل اضرابات ماي 1920، تواصل حالة غليان ثوري في النصف الثاني من سنة 1920 في المستوى الاوروبي و هذا ما جعل الاشتراكية الفرنسية توجه انظارها نحو الاممية الشيوعية كهيئة ثورية خارجية بامكانها مساعدتها على حل مشاكلها الداخلية .) .

بداية من 1918 لكن لم يكن لها اي دور يذكر و لم تساهم في تحضير مؤتمر تور عن طريق تقديم مشاريع لوائح تتعلق بالمسالة الاستعمارية (1)

منْ ابرز منشطي اللجنة الجديدة (2) شارل اندري جوليان و بول فايان كوتيري اللذان كانا ضمن الوفد الفرنسي للمؤتمر الثالث للاممية المنعقد بموسكو في جوان - جويلية 1921 وقد سبق ان راينا كيف تدخل ش.أ. جوليان لمساندة المندوب الهندي روا الذي احتج على عدم تخصيص نقطة مستقلة تتعلق بالمستعمرات في جدول الاعمال.

لم يكن لهذه اللجنة في البداية نشاطا كبيرا اذاقتصر عملها على المبادرات الفردية للمنشطين (3) و قد قدمت تقريرا للمؤتمر الاول للحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في مرسيليا بين 26 و 31 ديسمبر 1921 لم تقع حتى مناقشته (4).

---

(1) ناجي ، الاممية و المغرب. المصدر الشابق.

(2) تم تنظيم اللجنة بداية من شهر اوت 1921 اثر عودة الوفد الفرنسي من موسكو ، انظر اجرون . السياسات ، المصدر السابق ص 201

(3) قام شارل اندري جوليان بزيارة الى تونس خلال شهر مارس 1921 اختتمها بالاشراف على مؤتمر الجامعة الشيوعية يوم 27 مارس 1921 كما انجز عملية سبر اراء لدى شيوعي الجزائر حول المسالة الاستعمارية ليقدمه للمؤتمر الثالث للاممية الشيوعية.

(4) طالب هوشي منه في تدخله في المؤتمر يوم 29 ديسمبر 1921 بان يحدد الحزب سياسته فيما يتعلق بالمستعمرات.. اجرون (ش ر) المصدر السابق ... ص 201.

و لتلافي هذا التقصير اصدر الحزب ،، نداءا لاخواننا الاهالي ،، يوم 2 جانفي 1922 ، سار في الاتجاه العام لتحليل الاممية الشيوعية في فترتها الاولى الذي يرى ان تحرر المستعمرات سيكون نتيجة حتمية للاستيلاء الطبقة العاملة على السلطة في المركز اذ اكد النداء انه ،،.... في اليوم الذي بفضل نجاح التغيير الكبير الذي نحن بصدد تحضيره، و الذي سنصبح بمقتضاه احرارا، سينتهي بؤسكم، و تعاستكم ، ستستطيعون تسيير اموركم بانفسكم... ان علاقاتنا بكم ستصبح علاقات تضامن و تاخي....،، (1)

و لتجسيد هذا النداء، قام بول فايان كوتيري، بجولات توضيحية و دعائية في كل من الجزائر و تونس في شهر مارس - افريل 1922.(2)

كانت نتائج هذه الزيارة متفاوتة ، ففي تونس ستساهم في توضيح مواقف الشيوعيين، كما سنرى ذلك، اما في الجزائر فسيتلوها صدور بيان فرع سيدي بلعباس الذي سبق ان تعرضنا اليه.

---

(1) ارشيف وزارة المستعمرات (III/ 2 Slotfom) اورده كلود ليوزي اصول العالم ثالثية... المصدر السابق ص 15

(2) حول زيارة Paul Vaillant Couturier المستقبل الاجتماعي 17 ماي 1922، و ارشيف الحكومة التونسية، (كارتون 7 الحركة الوطنية) تقرير حول خطابه يوم 26. 3. 1922 حيث ركز على ضرورة اعدام النظام الراسمالي.

ان تواصل هذا ،، السلوك الاستعماري،، لدى بعض الشيوعيين جعل المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في باريس بداية من 15 اكتوبر 1922 يشهد عدة احتجاجات من طرف بلنكور(1) و نقويان اي كوك (هوشي منه) على تقصير الحزب الذي سمح لا فقط ،، بثورة جماعة سيدي بلعباس،. ولكن خاصة ممارسة صحيفة ،، الانسانية،، الرقابة على النداء الذي اصدرته الاممية لاجل تحرير تونس و الجزائر يوم 20 ماي 1922 (2).
و كمارأينا فقد احتج لوزون على هذا السلوك في عدد جانفي 1923 من،،النشرة الشيوعية،، معتبرا موقف جماعة بلعباس ،، عارا،،

و قد تواصلت هذه الاحتجاجات على تقصير الحزب الشيوعي الفرنسي خلال المؤتمر الرابع للاممية الشيوعية المنعقد في شهر ديسمبر 1922 مثلما سبق التعرض لذلك وهو ما يفسر صدور لوئح مختلفة تتعلق بنشاط الحزب الفرنسي.

و لتلافي هذا التقصير انكب المجلس الوطني للحزب الفرنسي المنعقد في جانفي 1923 على دراسة تجسيد اللوائح المتعلقة بنشاطه و المصادق عليها من طرف المؤتمر الرابع للاممية ، حيث تم اتخاذ مجموعة من الاجراءات فيما يتعلق بالمستعمرات :

---

(1) بلنكور، محامي استقر بفرنسا وهو اصيل جزر الانتي (Les Antilles) عضو نشيط في لجنة الدراسات الاستعمارية التابعة للحزب الشيوعية الفرنسي منذ بعثها.

(2) كلود ليوزي ، اصول العالم ثالثية، المصدر السابق ص 16

(3) ،، النشرة الشيوعية،، عدد جانفي 1923 اورد ذلك كلود ليوزي اصول العالم ثالثية ، المصدر السابق ص 17

.../...

- اعادة تنظيم اللجنة الاستعمارية
- اعادة فتح ركن ،، الانسانية،، في المستعمرات
- مقاومة الافكار العنصرية و الاستعمارية في صفوف الشيوعيين
- العمل في اتجاه المهاجرين الجزائريين(1)

و قد تواصلت عملية التوضيح في المؤتمر الثالث للحزب المنعقد بليون بين 20 و 24 جانفي 1924 اذ وقع التاكيد على ضرورة الاتصال بالاهالي و بث الدعاية الشيوعية و المعادية للاستعمار،، حتى يصبح الاهالي فاعلا ثوريا،، كما اتخذ المؤتمر قرارا يقضي بتحويل لجنة الدراسات الى ،، لجنة للمستعمرات،،(2)

و هكذا فان الفترة التي اشرفت فيها ،، لجنة الدارسات الاستعمارية،، على توجيه عمل الحزب الشيوعي في المستعمرات الفرنسية و التي تواصلت من 1921 الى 1924 تميزت بتقصير كبير ونقص في المبادرات من جانب المركز الى جانب تواصل العقليات،، الاستعمارية،، لدى بعض الشيوعيين كما كان الشان في سيدي بلعباس.

ان اسباب هذا التقصير في اهتمام الحزب الشيوعي بالمستعمرات ترجع الى الظروف التي حفت بتكوين الحزب نفسه و هيمنة العوامل الداخلية الفرنسية على قرار

---

(1) كلود ليوزي ، اصول العالم ثالثية. المصدر السابق ص 17

(2) ارشيف معهد الدراسات الماركسية
Institut de Recherches Marxistis
(Bobines 7 série 70)
تقرير حول تاريخ العمل الشيوعي في المستعمرات حرر في 1925.1.3

اغلبية الاشتراكيين بالانضمام للاممية الثالثة.

فرغم انضمامه للاممية فان الحزب الفرنسي لم يوضح سياسته من كل القضايا نتيجة قلة الانسجام بين اعضاء قيادته التي بقيت تتجاذبها النزاعات التي ميزت الحركة الاشتراكية قبل الحرب و خاصة فيما يتعلق بالمسائل الخارجية.

ان انهماك الحزب في مشاكله الداخلية سيحد فرص التدخل لتوجيه عمل الفروع خاصة تلك التي تقع في المستعمرات.

كيف سينعكس هذا الوضع الصعب الذي عاشه الحزب الشيوعي الفرنسي في بداياته على الجامعة الشيوعية بتونس التي تعتبر احدى هياكله الجهوية ؟ في كامل تلك الفترة لم يزر تونس الا ثلاثة مبعوثين عن الحزب وهم شارل اندري جوليان (مارس 1921) و فايان كوتيري (مارس/ افريل 1922) و المحامي برتون (نوفمبر 1925) الذي قدم للدفاع على النقابيين.

كيف ستواجه الجامعة المهام العديدة التي ستطرح امامها في فترة مليئة بالاحداث و التحركات الوطنية و الطبيقة لذلك سنتابع نشاط الجامعة و مميزات عملها في الساحة التونسية خلال الخمس سنوات الاولى من العشرينات.

ثالثا: نشاط الجامعة الشيوعية (1921 / 1926)

مبادرات مبكرة في اتجاه التونسة

اثر مؤتمرها المنعقد يوم 27 مارس 1921، تحت اشراف شارل اندري جوليان شرعت الجامعة الشيوعية في القيام بحملاتها الدعائية و تركيز فروع لها داخل البلاد.

كان المؤتمر تتويجا لسلسلة من المحاضرات الدعائية و التثقيفية القاها شارل اندري جوليان خلال شهر مارس في اهم المدن التونسية (1).

و قد انعقد المؤتمر التاسيسي للجامعة بمدينة فري ـ فيل (2) بحضور نواب عن فروع بنزرت، فري فيل، تونس و سوسة، و تم انتخاب مكتب تنفيذي للجامعة تركب من :

- بواتار (BOITARD) كاتب عام
- محمد نعمان و موريس نيكولا (مساعدان) (3)

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 6 مارس 1921 اعلنت الصحيفة عن برنامج المحاضرات و تواريخها بنزرت (5 مارس) فري فيل (6 مارس) تونس (7 مارس) سوسة (9 مارس) صفاقس (16 مارس) و تمحورت الاجتماعات حول الوضع العالمي، الاممية الشيوعية و الثورة البلشفية.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 31 مارس 1921

(3) لا نملك معلومات كثيرة عن هؤلاء الاشخاص. فمحمد نعمان عنصر نشط في حركة الشباب التونسي قبل الحرب، ففي يوم 13 مارس 1912 تم وقع العفو عليه، شارك في الحزب التونسي اثر الحرب، و كذلك في الجامعة الاشتراكية. اثر مؤتمر تور انضم للتيار الشيوعي في حين انتمى صديقه القلاتي الى التيار الاشتراكي لن يمكث طويلا مع الشيوعيين اذ سيؤسس صحبة القلاتي في خريف 1921 الحزب الاصلاحي.

- السيدة رامبو امينة مال (1)

شكل المؤتمر الحدث الثاني الهام في نشاط الجامعة الشيوعية بعد تحول ،، المستقبل الاجتماعي،، بداية من 13 فيفري 1921 كصحيفة ناطقة باسمها.

و بالرغم من ان العناصر المؤسسة كانت فرنسية فان الجامعة ستسعى منذ البداية للتاقلم مع الاوضاع المحلية.

ان هذا التوجه سيقع تجسيمه عند اختيار مقرات الجامعة بتونس العاصمة، فالمطبعة التي ستتولى اصدار صحف و نشريات الجامعة ستتخذ مقرا لها في 50 نهج سوقي بلخير في قلب الحلفاوين ذلك الحي الشعبي الذي يمثل احدى الروافد الاساسية للحركة الوطنية التونسية.

ان الاهتمام بالعنصر التونسي سيتجلى كذلك في تكوين هياكل التنظيم، ففي المؤتمر التاسيسي تم اقحام محمد النعمان و اثر انسحاب هذا الاخير تم تعيين محمد بورقيبة في المؤتمر الاول المنعقد بحلق الوادي (2)

---

(1) اما السيدة رامبو فهي معلمة تحمست كثيرا للاممية الشيوعية اثرت كثيرا في ابنها موريس باعث و منشط الشبيبة الشيوعية بتونس
اما بوتار فهو معلم، من مؤسسي نقابات التعليم مع السيدة رامبو توفي سنة 1929.

(2) المستقبل الاجتماعي،، 25 ديسمبر 1921، انعقد المؤتمر الاول بضاحية حلق الوادي يوم 18 ديسمبر 1921 و قد تم تعيين روبار لوزون في الكتابة العامة. يساعده كلا من محمد بورقيبة و جوبار.

كما ان الجامعة الشيوعية ستتميز عن التنظيمات السياسية - ذات الاصل الاوروبي - بالسعي للتمركز في الاوساط التونسية، فالى جانب الدعاية في المراكز العمالية الفرنسية (بنزرت ، فري فيل، سوسة...) ستقوم بمحاولات للتمركز في كل من القيروان(1) و في المنستير ، و جربة و نفطة و مكنين(2) وهي مناطق لم تشهد استقرار مكثفا للجاليات الاجنبية.

و قصد التحصل على نتائج فعلية ، وجب على الجامعة الاهتمام بعدة قضايا تخص شكل الدعاية (اللغة) و محتواها (الفهم الصحيح للمسالة الوطنية).

---

(1) ارشيف الحكومة التونسية سلسلة الحركة الوطنية تقرير بوليسي بتاريخ 16 جانفي 1922.

(2) ارشيف الحكومة التونسية سلسلة E (اوردت ذلك ليلى بن تميم المصدر السابق ... ص 5)

أ) . الصحف و النشريات الشيوعية باللغة العربية

الى جانب ،، المستقبل الاجتماعي ،، الناطقة بالفرنسية ، قررت الجامعة اصدار صحيفة ناطقة بالعربية فكان بروز ،، حبيب الامة ،،يوم 23 اكتوبر 1921 (1)

كان الهدف هو ربط الصلة بالاهالي و تبسيط الافكار الشيوعية وجعلها في متناولهم و ،، افهام الشعب التونسي ،، و خاصة العمال ان تحررهم لن يكون الا ثمرة لمجهودهم الخاص(2)

منذ البداية ستتفطن السلط الاستعمارية الى ان السماح للشيوعيين بالاتصال بالتونسيين لن يساعدها على تحقيق مشاريعها لذلك ستعمل على مضايقة هذه الصحافة في انتظار اصدار قوانين حازمة . لقد كانت الثلاثة اشهر الاخيرة من سنة 1921 مسرحا لصراع بين السلط الشيوعيين من اجل الابقاء على صحيفة ناطقة بالعربية وهو ما يبرزه الجدول التالي : (3)

---

(1) ،،المستقبل الاجتماعي،، 16 اكتوبر 1921 فسر روبار لوزون الدواعي التي جعلت الجامعة تقرر اصدار صحيفة باللغة العربية ، وذكر ان نفس العنوان قد وقع استعماله من طرف صحيفة صدرت قبل الحرب و نالت اعجاب التونسيين.

(2) نفس المصدر.

(3) ارشيف الحكومة التونسية (سلسلة الحركة الوطنية كارتون 16)

.../...

العنوان	المدير المسؤول	ملاحظات
،حبيب الامة،	مختار بن الحاج بلقاسم العياري	. مطلب موجه بتاريخ 1921.10.14 . ترخيص سلم في 1921.10.22 . منع بقرار صدر في 1921.11.8
،،حبيب الامة،،	مختار بن الحاج بلقاسم العياري	. مطلب موجه في 1921.11.11 . ترخيص سلم في 1921.11.14 . منع بقرار 1921.11.16
،،البصير،،	حسن بعيون	. مطلب مقدم في 1921.11.23 . صدر عدد واحد يوم 1921.12.19 و منع في نفس اليوم.
،، المظلوم ،،	مختار بن الحاج بلقاسم العياري	. مطلب بتاريخ 1921.12.19 . صدر عدد واحد يوم 1921.12.27
،، الخبير ،،	الطاهر بن علي عجم	. مطلب بتاريخ 1921.12.24 . صدر عدد واحد في 1921.12.31
،، المظلوم،،	حسن بعيون	. مطلب بتاريخ 1921.12.27 . صدر عدد واحذ يوم 1922.1.2 ومنعت الجريدة يوم 1922.1.3

بالاضافة للصحف سيقع توظيف الشعر الشعبي لتبسيط اهم الافكار التي تدعو اليها الجامعة الشيوعية ، وقد برز في هذا المجال الشاعر عبد الرحمان الكافي الذي اشتهر بقصيدتين دعائيتين :

.../...

ملـــزومـــة شيوعيـــة و مسدســة شيوعيـــة (1)
تحاول هذه القصائـــد في اسلوب سهـــل وصف معاناة الضعفاء من جرّاء استغلال الاغنياء وتقارن بيـــن وضعية كـــلا الطبقتـــين وهي تستعـــمل في ذلك مفاهـــيم اخـــلاقيـــة و دينيـــة لتشـــويه الاعمـــال التي يقوم بها اصحاب الامـــوال الطائـــلة و تعبئـــة السامعيـــن و حثـــهم لمقاومـــة الاستغلال و الظلـــم.

كمـــا لـــن تكتفي الجامعـــة بالتعريف بمقتـــطفات من نظريتهـــا لذلك سينكبـــب فريق من المنـــاضلين على تحـــرير البـــرنـــامج الكامـــل للجـــامعـــة و ما يقترحـــونـــه من حـــلول للبـــلاد التونسيـــة.

النشرية الحمـــراء ـ نسبـــة للون الغـــلاف ـ بهذه التسميـــة كثيرا ما وقعـــت الاشارة لبرنامج الشيوعيـــين من طـــرف مصالح الامن(2)

العنوان الكامل لهذه النشرية المحـــررة بالعربيـــة ،، المسالة التونسية وحـــلهـــا بواسطـــة الشيوعيـة ،، تقرير قام بتحـــريره بطلـــب من الشعبـــة الشيوعيـــة التونسية نـــفر من انـــصار الافكـــار الحـــرة تحت رعـــايـــة الكـــاتب العام للشعبـــة الشيوعية الاستاذ الدكتور روبير لوزون (3)

---

(1) تم نشر القصيدتين في بداية 1922 وقد طبعتا في مطبعة لوزون 50 نهج سوقي بلخير، بقلم شاعر الملحون عبد الرحمان الكافي فتمت احالته على المحكمة التي قضت بحبســـه 8 اشهر.

(2) ،، الوزير،، 13 فيفري 1922 نقلت خبرا اوردته الصحيفة الناطقة بالفرنسية ،، لا ديبيش، بتاريخ 12 فـيفري1922 يفيد بان المحافظة حجزت يوم 9 فيفري عدة لفات من رسالة وقع طبعها تحت رعاية الحزب الشيوعي حيث لم يقع توجيه نسختين منها للحكومة حسب ما يقتضيه القانون. انظر كذلك ،، المستقبل الاجتماعي،، 19 فيفري 1922

(3) عثرنا على نسخة اصلية واحدة محفوظة بالمركز القومي للتوثيق

يحتوي الكتيب على 44 صفحة صاحب الفكرة هو لوزون لكن تم تحرير اغلب الاجزاء من طرف محمود بورقيبة و محمد بلحسين(1). و قد تم طبعها بمطبعة لوزون في 3000 نسخة (2)
ما يلفت الانتباه عند قراءة الكتاب، تاثره باسلوب كتاب تونس الشهيدة و بمحتواه.

و في التقديم تم التعرض للفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي التي وقع تقيمها ايجابيا ،، فرغم ما كانت عليه (البلاد) من نقصان العلم وضعف وسائل الانتاج و انتشار الكسل الناشئ من فقدان الامن... فقد كان التونسيين من هذه الوجهة ايسر حالا و اريح بالا مما هم عليه الان... فكانت الثروات موزعة على الافراد على درجة اقرب ما تقرب للنظام الشيوعي،،(3)

هل يعكس هذا التقييم الايجابي للفترة السابقة للاحتلال تحولا في افكار الشيوعيين، ام هي محاولة لمجاراة الشعور العام الرافض للحضور الفرنسي و المدفوع للتعلق بالماضي في عملية البحث عن الهوية..؟(4)

---

(1) هذا ما صرح به شاهد عيان - جون بون فينودوري - في حديث لليلى بن تميم المصدر السابق . ص33

(2) ،، تونس الفرنسية،، 3 سبتمبر 1923 بن تميم . نفس المصدر و الصفحة.

(3) المسالة التونسية ، المصدر السابق. ص 10

(4) ،، المستقبل الاجتماعي،، 15 جويلية 1920 في مقال تحت عنوان ،،ابن رشد،، اعتبر انه من الخطا الاعتقاد في الاسطورة القائلة بان تونس كانت سعيدة و تعيش في رفاهية تحت نظام البايات قبل معادة باردو.

.../...

بعد التقديم السريع، وقع التعرض باطناب للوضع الذي الت اليه البلاد اثر انتصاب الحماية من اغتصاب للاراضي و منع لنشر التعليم في اوساط التونسيين، و تردّي الوضع الصحي للاهالي، كما تم انتقاد بشدة السياسة المالية و مساندة السلط لاصحاب رؤوس الاموال.

ان البلد المثالي الذي يقدمه الكتاب هي روسيا التي ،، لا يوجد بها تبذير و التي يقوم فيها رئيسها بجميع الاعمال(1)

و قد شهرت المجلة بسياسة التمييز في الاجور،، فكيف بهم اليوم بعد ما تحملوه من غصص في ضعف الاجور و اهانة و اعتلاء فريق من زملائهم عليهم... لمحض كون جنسيتهم كانت اكثر شرفا و اقوى شوكة...،، (2)

في الخاتمة نجد الحلول التي يقترحها الشيوعيون، فقد دعوا التونسيين الى التنظيم و الاتحاد و عدم التعويل على الوعود الحكومية ،، فالحكومة الجائرة اذا تقدم اليها ملهوف بطريق الاسترحام فان باسها يتضاعف بخلاف ما اذا عمدنا اليها بشهامة و عزة نفس.. و اقمنا لها الدليل... اننا اهل لان نتصرف في ذلك الحق المغصوب...،،(3)

---

(1) المسالة التونسية، المصدر السابق ص 12

(2) نفس المصدر ص 22

(3) المسالة التونسية ... امصدر السابق ص 41

و تتمثل النقطة الثانية من البرنامج في نشر التعليم و توعية الاميين و ،، ايقاظهم من غفلاتهم،، و نلاحظ هنا نقدا غير مباشر لتحركات الحزب الدستوري و ارساله الوفود الى فرنسا ،، فتحضير الافكار اولى من اقتحام الاسفار و توجيه الارساليات التعليمية الى داخل الايالة افضل من توجيهها الى ما وراء البحار، الى حكومة لا تعين الا الفسقة و الفجار...،، (1)

و يبدو محررو النشرية متفائلين جدّا حول حظوظ نجاح الدعاية الشيوعية بتونس ذلك ،، ان تعاليمها سهلة الالقاء و سهلة التناول في بلاد يتالم اهلها من وطأة الاحتلال الاجنبي ....،، (2)

تعتبر هذه النشرية اول محاولة شاملة يقوم بها الشيوعيون في تونس للتعريف ببرنامجهم كاملا، و القارئ يلاحظ مجهودا كبيرا للتبسيط عن طريق الاستشهاد بمظاهر حيّة من اوضاع التونسيين. كما انها تبدو مستوعبة لخصوصيات البلاد . فكان التركيز على معاناة الشعب التونسي من الاضطهاد الاستعماري و ضرورة تجميع قواه لمقاومة الاحتلال.

لقد طغى على تحليل النشرية الاتجاه ،، القومي،،(3)و هو ما جعل صحيفة ،، الديبيش، القريبة من الاقامة العامة تتهم مؤلفي النشرية ،، بنقل ما جاء في كتاب تونس الشهيدة مع تشديد اللهجة....،،(4)

---

(1) نفس المصدر ص 42

(2) نفس المصدر ص 43

(3) وقع التركيز في اغلب فقرات النشرية على انعكاسات الهيمنة الاجنبية على التونسيين بكل طبقاتهم، في حين انه جرت العادة ان تهتم الادبيات الشيوعية بالفوارق الطبيقية و كذلك بالتناقضات حتى داخل المجتمع التونسي.

(4) Dépèche Tunisienne 12 فيفري 1922

.../...

و في الحقيقة فـان صـدور هذه الكتابات كان تتويجا لسلسلة من التوضيحات قام بها الشيوعيون خلال كامل سنة 1921 حول فهمهم للمسالة الوطنية و المهمات المطروحة على الاحزاب الوطنية في تونس كما سعوا الى تحديد علاقاتهم بهذه الاحزاب.

ب) فهم اوضح للمسالة الوطنية وسعي للتحالف مع الاحزاب التونسية

لا شك انه كان للنقطة الثامنة من شروط الانخراط في الاممية الشيوعية و المتعلق بمساندة نضال المستعمرات دورا حاسما في توضيح تعامل الشيوعيين في تونس مع المسالة الوطنية ، لكنه كا عليهم ان يجتهدوا لفهم الحركة الوطنية التي تطورت اثر الحرب في تونس
في مرحلة اولى ، عرفوا بموقف الحركة الشيوعية تجاه الامم المضطهدة (1) كما اكدوا ان مهمة الطبقة العاملة الغربية هي اعانة العمال في الشرق(2).

و في مرحلة ثانية ، سعى الشيوعيون لتجسيد شعاراتهم بالنسبة للوضع التونسي، فعبروا عن تضامنهم مع النضال الذي تخوضه الاهالي من اجل التحصل على دستور(3) معتبرين ان هذه المعركة هي معركة كل التونسيين مهما كان موقعهم الطبقي ،، فنحن نسادهم حتى اذا كانوا من البجوازية ،،(4)

الى جانب المساندة ، يشرح لوزون منشط الجامعة موقفه من الطرق المطروحة للكفاح من اجل التحصل على هذه الحقوق.

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 31 مارس 1921 تم نشر في ذلك العدد خطاب زينوفياف رئيس الاممية الشيوعية امام مؤتمر باكو.

(2) ،، المستقبل الاحتماعي،، 22 ماي 1921.

(3) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 26 ماي 1921 مقال بقلم روبار لوزون.

فهو يرى ان الطريق الاولى سياسية وهي تهدف لتعويض رؤوس الاموال الفرنسية المسيطرة على البلاد باخرين عرب .
اما الطريق الثانية - و التي يساندها الشيوعيون - فتتمثل في التحرر السياسي و كذلك في تغيير الهيكلة الاقطاعية للمجتمع (1).
و رغم الاقرار بترابط المهمتين ، يعترف لوزون ان الاستقلال السياسي هي المقدمة الضرورية لصراع الطبقات. (2)

ان هذه المحاولات لربط الصلة بالاهالي و نشر الافكار الشيوعية بينهم لن تثير فقط تخوفات السلط الاستعمارية بل و كذلك بعض الاوساط التونسية التي ستلجأ لتوظيف الدين ، فاثر صدور صحيفة ،، حبيب الامة ،، في خريف 1921، برزت عدة مقالات في الصحف العربية و خاصة ،، المنير ،، لانتقاد هذه النظرية و دعوة الاهالي لامتناع عن اي اتصال بالحزب الشيوعي لاختلافه مع تعاليم الدين الاسلامي. في عدة قضايا جوهرية كمنعهم الارث ، و تحريمهم لحق الملكية بالاضافة للالحاد و الاباحية (3). و قد اجابت صحف الجامعة بعدة مقالات مبرزة عدم تعارض الدين مع النظرية الشيوعية ،، فالجامعة الشيوعية التي قوت صفوفها بعدد كبير من العلماء و المفكرين المسلمين قد بينوا عدم التعارض بين مبادئ الحزب القائمة على تحرر الضعفاء من تسلط الاقوياء مؤكدين ان الدين يحث على ذلك. (4)

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 1921.6.23

(2) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 1921.5.23 مقال بقلم روبار لوزون.

(3) ،، المنير ،، 1922.1.22 و 5 مارس 1922
مقتطفات من هذه الصحيفة اوردتها ليلى بن تميم ...
المصدر السابق ص 116

(4) ،، المهضوم ،، صدر عدد واحد بتاريخ 1922.1.2

ان محاولات التوفيق بين الاسلام و الشيوعية و ابراز امكانية التكامل بينهما لمقاومة الاستعمار، لم تكن تعني مهادنة الافكار السلفية .

لقد سعت الجامعة الى فضح رجال الدين الذين يساندون الاستغلال مبدية انحيازها للذين اجتهدوا في فهم الاسلام و تطويره. اذ قامت ،، المستقبل الاجتماعي،، بنشر على 4 حلقات مجموعة نصوص كان قد كتبها عبد العزيز الثعالبي قبل الحرب الاولى حول،، الفكر الحر في القرآن،،. (1)

و قد فسر لوزون الهدف من نشر هذه الدراسة معتبرا ،، ان نهضة شعب يخضع لوصاية شعب آخر تستوجب النضال ضد قوى الاستبداد و مقاومة الجمود الذي يمنع التنفس و التحرك الحرّ. لذلك يتحتم اكتساب حرية العمل و التفكير . ان مقالات الفكر الحر في القرآن هي بداية جريئة في هذا الاتجاه، لذا تتشرف الجريدة بنشرها،، (2)

هل هو مجهود صادق للتوفيق بين النظرتين ام مجرّد توظيف للدين لتفادي تألب الاوساط الدينية ضد الجامعة و عرقلة نشاطها؟ و ما هو مدى تاثير الحجج المقدمة من طرف الشيوعيين في الاوساط التونسية؟. الواضح ان الشيوعيين تعاملوا في العشرينات مع الظاهرة الدينية كجزء اساسي من مقومات الذاتية الوطنية، و اقتنعوا ان الهيمنة الاجنبية زادت في تاكيد التعلق بها لابراز تباينهم مع المستعمر.

---

(1) اعداد ،، المستقبل الاجتماعي،، التي نشرت بها المقالات 23 و 30 اكتوبر 1921 - 6 و 13 نوفمبر 1921.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 23 اكتوبر 1921 مقال لوزون.

هذا الموقف المتفهم تجاه التعبيرات المحلية الذي اتخذه الشيوعيون يتجلى بوضوح اكثر في نوعية العلاقات التي ارادوا ربطها مع الاحزاب الوطنية و خاصة مع الحزب الحر الدستوري.
لقد راينا ان الجامعة الاشتراكية كانت انتقائية في تعاملها مع الشباب التونسي و كيف انها كانت تدعم العناصر الذين تعتقد انهم اقرب اليها.

فعلى العكس من ذلك سعت الجامعة الشيوعية الى تقوية الحزب الوطني و دعم مطالبه حيث اكدت انها تناصر منح التونسيين ميثاقا دستوريا.

و رغم ان الشيوعيين كانوا يعتبرون ان الدستور لا يمثل الهدف النهائي لعملهم، الا انهم اكدوا ان اشياء عديدة توحدهم مع الرفاق الاهالي الذين تحركهم رغبة عميقة لتحرير الشعب(1)
ان هذا التقييم الايجابي لدور الحزب الحر الدستوري جعل الشيوعيين يمتنعون عن التدخل في الخلافات التي ظهرت في صفوف هذا التنظيم.

فاثر انشقاق جماعة القلاتي و محمد نعمان في شهر افريل 1921، و تاسيسهم للحزب الاصلاحي(2) ثم اصدارهم لبرنامج في صحيفتهم ،، البرهان،، يوم 19 سبتمبر 1921، امسكت الجامعة عن الاصداع بكل ما من

---

(1) المستقبل الاجتماعي ،، 1921.9.4 مقال بقلم الزوهردي(ZOHARDI) وهو الاسم الصحفي لزهير العيادي المولود سنة 1905،درس في المعهد الصادقي،سيغادر الجامعة الشيوعية سنة 1925 ليشتغل في صحيفة ،،النهضة،، (ليلى بن تميم المصدر السابق ص 145)

(2) اثر اعتقال الثعالبي في صائفة 1920 و فشل الوفد الدستوري الاول المرسل الى باريس برز اتجاه معتدل في صفوف الحزب اعتبر ان المطالب غير واقعية؛ المحجوبي... المصدر السابق.. ص 277.

شأنـــه ان يعـــمّق الخـلا ف (1)

و بعد فترة من التريث اصدرت الجامعة موقفهـــا حـــيث دعـــت كل التونسيين بقطـــع النـــظر عن الطبقات التي ينتمون اليهـــا الـــى تكويـــن جبهـــة موحـــدة للتحـــصل على الاستقـــلال الوطـــني.

و اعتبـــرت ،، ان كـل انقسام فى صفوف الذين يناضلون من اجـــل التحـصل على هذه الحقوق لن تستفيـــد منه الا الحكومة و من اجـل ضمان نجـاح هذا الكفاح، فان الجامعـة الشيوعيـة تدعو كـل اعضائهـا للامتنـاع عـن اخـذ موقـف في الخـلاف القـائم بين جماعة الثعـالبي و جماعة القلاتي وهـــي في نفـــس الوقت تدعوهم لـبذل كل ما في وسعهـــم للتخفيف من حـدة هذا الاخلاف ،، (2)

و هكذا يمكـن القول ان ثلاثة مميزات طبعت عمـل الشيوعيـــين سنتـــي 1921 و 1922 وهـي الاصرار على الاتصال مباشرة بـالاهالي.و الاخـــذ بعين الاعتبار الخصوصيـــات القوميـــة و الدينيـــة و المحاولات الجريئـــة للتعامل الايجـــابي مـــع التعبيرات الوطنيـــة .

ان هـــذا المجـــهود سيعتريـــه بـعض الخـــلل في النـــصف الثـــاني من سنة 1922 و في سنة 1923 خاصة اثر محاكمة و طرد العـــديد من قـادة

---

(1) ،،المستقبل الاجتماعي 18.9.1921، ذكرت الصحيفة ان الجامعة لم تتخـذ بعد موقفا من هذا الخـلاف لذلك فانهـا لن تنشر موّقتـا اي من المقالات التي وصلتها (تذكر انا تسلمت رايان من طرف زوهاردي و جدير).

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 9 اكتوبر 1921 بيان حول الخلافات في صفوف الوطنيـــين.

.../...

الجامعة في ربيع و صائفة 1922 (1) لكنه سيجد مجالا للتواصل بمناسبة اندلاع اضرابات 1924 و تكوين جامعة عموم العملة التونسية.

(1) يوم 17 ماي 1922 صدر قرار يقضي بحل الجامعة الشيوعية ، انظر ،، المستقبل الاجتماعي،، بتاريخ 22 ماي 1922 و قبل ذلك تم ايقاف العديد من الشيوعيين فبعد لوزون و الكافي (فيفري 1922) موريس رامبو (12 افريل 1922) .
لنشره مقالا في صحيفة الجامعة يوم 16 افريل، كما تم اعتقال عبد العزيز محجوب، محمد بن جعفر، العيادي الزاني...ويوم 2 ماي 1922 تم اعتقال المختار العياري و توجيه تهمة التآمر على امن الدولة ضدّه. كما تم وضع فينُودوري الموظف بالبلدية على ذمة الادارة الفرنسية، انظر ،، المستقبل الاجتماعي ،، 28 ماي 1922

ج. دعم الحركة النقابية التونسية

(1926 / 1919)

لم يكن بروز جامعة العملة التونسية في ديسمبر 1924 اول مظهر للعمل النقابي بتونس، فالاحتجاجات الاولى ترجع الى مطلع القرن وهي مرتبطة بظهور الشركات الاستعمارية و رافق ذلك من قدوم لالاف. العمال الفرنسيين و الايطاليين الذين مارسوا او سمعوا في بلدانهم بالاشكال التي يتوخاها العمال للدفاع عن مصالحهم المادية و المعنوية.

اول اضراب هام سجّل بتونس كان يوم 2 ماي 1904 و قد اتخذ صبغة الاضراب العام حيث شارك فيه عمال ينتمون لحرف مختلفة (عمال البناء المعادن ، المخابز و الرصيف). و قد تواصل الاضراب 8 ايام و شارك فيه 12.000 عامل (1). وقد تبعت الاضراب عدة محاولات لايجاد منظمات او جمعيات عمالية تؤطر العمال لكنها فشلت بسبب الخلافات التي كانت تشق الاوساط العمالية الفرنسية و الايطالية و كذلك دور السلط الاستعمارية: التي رفضت الاعتراف القانوني بالعمل النقابي ، و تطبيق القانون الفرنسي الصادر سنة 1884 و المتعلق بتنظيم النشاط النقابي(2)

و في شهر مارس 1909 اضرب عمال السكة الحديدية لمدة 12 يوما للمطالبة بالترفيع في الاجور و المنح العائلية و تواصلت حركتهم من يوم 18 الى 30 مارس (3)

---

(1) اندلع الاضراب اثر محاضرة القاها الدكتور كونفرتي (CONVERTI) يوم غرة ماي 1904 حول الحركة النقابية. انظر ،، المستقبل الاجتماعي،، 1 ماي1924 و الدكتور كونفرتي ايطالي الاصل ولد في منطقة كالابريا سنة 1858 تعرض لعدة مضايقات في ايطاليا نتيجة نشاطه ضمن المجموعات الفوضوية. اضطر للهجرة الى تونس سنة 1887 حيث استقر بها الى ان توفي سنة 1939 كان نشيطا في صلب الجالية الايطالية بتونس و اصدر عدة صحف ذات توجه اشتراكي مثل ،،العامل،، و صوت العامل،، جوليات بسيس المؤسسون... المصدر السابق ص 7

(2) مصطفى كريم ، الحركة الوطنية و النقابية. المصدر السابق ص 407

(3) نفس المصدر ص 406

و لقد لقي الاضراب مساندة من طرف اعوان البريد و شركات البناء و تحصل عمال السكة الحديدية على المطالب التي كانوا اضربوا من اجلها. تميزت الحركات الاحتجاجية بعدم تواصلها فطغى عليها الطابع الظرفي نتيجة انعدام هيكل نقابي يؤطرها، لكن منذ الاضراب الاول كانت الحركة متاثرة بالافكار الاشتراكية التي بدات تاخذ طريقها بتونس عن طريق المهاجرين السياسيين و خاصة اثر تكوين الجامعة الاشتراكية بتونس سنة 1908.

و قد مهدت مختلف هذه التجارب لبعث اول هيكل نقابي في تونس اثر الحرب العالمية الاولى وهو اتحاد النقابات ،،

الشيوعيون و العمل النقابي

قبل تجربة محمد علي (1919 /1924)

كان اتحاد النقابات امتدادا تنظيميا للمركزية النقابية الفرنسية ،، الكنفيدرالية العامة للشغل،،.

عقد الاتحاد اول مؤتمر له يوم 21 مارس 1920 و حضر اشغاله مندوبون عن 17 نقابة من جملة 20 نقابة منضوية في المنظمة (1)

كان المنخرطون ينتمون الى جنسيات و اديان مختلفة فمنهم الايطالي و الفرنسي و التونسي المسلم و اليهودي ، الى جانب الوضعيات المهنية المختلفة حتى اذا تساوت الكفاءات ، ذلك ان الفرنسيين كانوا يتحصلون على منح و امتيازات بمقتضى اصلاحات المقيم العام فلاندان المتمثلة خاصة في اسناد الثلث الاستعماري.
و رغم انخراط التونسيين في هذا الاتحاد فان دورهم في اخذ القرار سيكون منعدما (2) و يمكن تفسير ذلك بحداثة تجربتهم، و تواضع مستواهم الثقافي ذلك ان اغلب النقاشات كانت تدور في لغة اجنبية (الفرنسية او الايطالية).

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 25 مارس 1920

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، المصدر السابق تذكر ان النقاشات سيطر عليها كلا من زاري، باريس دورال ، جولي و كلها اسماء فرنسية او ايطالية و يعني ذلك دور التونسيين في مستوى اخذ القرار و التسيير كان منعدما.

.../...

و اسفر المؤتمر الاول على تعيين هيئة عامة تتولى تسيير الاتحاد و تشرف على العمل النقابي و من ابرز اعضائها الاشتراكي دورال (1)

سيتاثر اتحاد النقابات بتونس بالتطورات التي ستشهدها المنظمة الامبفرنسا خاصة اثر قرار الانضمام للاممية الشيوعية الذي اتخذته اغلبية نواب المؤتمر الثامن عشر للحزب الاشتراكي الفرنسي في ديسمبر 1920 ، فانقسام الحركة الاشتراكية الفرنسية سيكون له امتداد في المستوى النقابي. فقد اعلن المكتب الوطني لل. س ج. ت الذي بقي تحت تاثير الاشتراكيين بعد مؤتمر تور ان كل هيكل نقابي يبدي موافقته على الانضمام للفرع النقابي التابع للاممية الشيوعية يضع نفسه خارج المنظمة ولن يستطيع حضور مؤتمراتها (2).

ان صدور هذا البلاغ سيضع النقابيين الموالين للاممية الشيوعية في موقف حرج خاصة و انهم اتخذوا قرار البقاء داخل المنظمة النقابية و تكوين داخلها تيار ،، نقابي ثوري،، (3)

---

(1) Durel (Joachim) ولد في مدينة تولوز سنة 1878 قدم الى تونس سنة 1898 استاذ في معهد كارنو من مسسي الجامعة الاشتراكية بتونس سنة 1908 و من باعثي اتحاد النقابات سنة 1919. رفض الانضمام للاممية الثالثة كما سيعارض بشدة بعث جامعة عموم العملة التونسية سنة 1924.
بقي مسيرا للاتحاد النقابات حتى سنة 1934حين شملته اجراءات بيروطون التعسفية فتم ارجاعه الى فرنسا سيعود الى تونس سنة 1937 ليموت في قرطاج في اكتوبر 1939(المصدر جوليوت بسيس المؤسسون.. المصدر السابق ص 66)

(2) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 20 فيفري 1921.

(3) ،،المستقبل الاجتماعي،، 20 فيفري1921 التيار النقابي الثوري كان يقدم نفسه بديلا للتيار المهيمن على الحركة النقابية آنذاك و الذي نعت با،،لاصلاحية ،،.

و فعــلا فـان الخلاف كان على اشده بين جنـاحـي الحركة الاشتراكية العالمية في المجالات السياسيـة و الاجتماعيـة ، وهو ما سيؤدي الـى استحالة التعايـش داخل منظمات نقابيـة موحـدة.

بداية من شهر جويليـة 1921 سيصبح انقـسام الحركة النقابيـة الفرنسية امـرا واقعـا. فالنقابـة الام (س ج.ت) سـتـضم بالخصوص التيار الاشتراكـي. و ستنضم الـى ،، الفيدراليـة النقابيـة العالميـة ،،(1) اما التيار النقابي الشيوعـي فسينسلـخ مـن هذه المنظمـة و يكون ،، الكنفيدراليـة العامة للشغـل المـوحّـد،، التي ستنتمـي بدورهـا الـى الاممـية النقابيـة الحمراء،، التـي تاسسـت في موسكو في شهـر جويليـة 1921 (2)

ان هذا الانقسام سينعكس في تونس ، حيث سيبرز الاتجاهان النقابيـان، لكـن،، الس. ج. ت ،، كانت اكثر وزنـا و تـاثيـرا من النقابات الموحـدة.

---

(1) وكثيرا ما تسمى ،،اممية امستردام التي عادت للنشاط اثر الحرب و عارضت ثورة اكتوبر في روسيـا و كانت تضم النقابات في اوروبا المصنعة (النقابات الالمانية و الانقليزية و جزءا من الحركة النقابية الفرنسية الممثلة في الس. ج. ت.) وهي ذات توجه اشتراكي.

(2) قررت الاممية الشيوعية بعث هذه المنظمة لمواجهة تاثير نقابة امستردام و تعرف النقابات الحمراء بانهـا طبقية و تعلن صراحة محاربتها لراس المال. و قد نتج عـن ذلك انقسام الحركة النقابية الفرنسية في المؤتمـر المنعقد بمدينة ليل LILLE في اواخر جويلية 1921.

ففي الوقت الذي سيواصل فيه اتحاد النقابات ،، نشاطه باشراف الاشتراكي دوريل ، ستظهر بعض ،، النقابات الموحدة ،، التي سيسيرها غالبا مناضلون شيوعيون ، و لكنها لن تستطيع مزاحمة اتحاد النقابات الا في ترسخانة فري ـ فيل.

ان ضعف الشيوعيين داخل الحركة النقابية سيفرض عليهم سلوك سياسة مرنة و التكيّف مع الظروف النقابية .
فاذا كانت المؤسسة تضم عددا كبيرا من العمال المنخرطين في اتحاد النقابات، فان النقابيين الشيوعيين ينضمون لتلك النقابة و يسعون لدفعها نحو مواقفهم و يمهدون بذلك السبيل لانسلاخها و انضمامها للنقابات الموحدة وهو ما حصل لنقابات الترامينو (1)

اما في القطاعات التي لم يكن فيها تنظيم نقابي يعمل الشيوعيون على تكوين نقابات مرتبطة مباشرة بالنقابات الموحدة وهو ما تم بالنسبة لترسخانة فري ـ فيل، و لاعوان التجارة (2) و لنقابة السراجين (3)

---

(1) انضمت نقابة الترامينو الى النقابات الموحدة خلال مؤتمرها المنعقد اواخر جوان 1922، الذي جدد انتخاب مختار العياري في المكتب رغم طرده من طرف الادارة في شهر مارس 1921. (المستقبل الاجتماعي 1 جويلية 1922)

(2) ارشيف الحكومة التونسية ، سلسلة الحركة الوطنية تقرير بتاريخ 1922.1.13 يذكر ان الشيوعي جوبار سيكون على راس نقابة اعوان التجارة ، اما الشيوعي كوستا فهو بالدعاية لتكوين نقابة اعوان البنوك.

(3) ،، الطريق الجديد،، عدد 72، 1983.2.26، كلمة الدكتور احمد بن ميلاد في احياء الذكرى العشرين لوفاة حسن السعداوي حيث يذكر،،... كونت مع حسن السعداوي او نقابة للسراجين سنة 1923 و كنت آنذاك مناضلا في الحزب الشيوعي...،،

.../...

و هكذا فان الشيوعيين استطاعوا ارساء حركة نقابية متواضعة خارج اتحاد النقابات سعت الى الاقتراب من العنصر المحلي في الاسواق و تبنت مطالب العمال التونسيين الذين طالبوا بتساويهم في الاجر مع زملائهم الفرنسيين، كما حصل في اضراب الترامينو في فيفري 1921(1) لكن هذه الحركة و ان اخذت بعين الاعتبار مطالب العمال التونسيين و دافعت على ضرورة المساواة بينهم و بين زملائهم الاوروبيين فانها لم تطرح على نفسها بناء نقابة تونسية مستقلة تنظيميا عن النقابة الام الفرنسية، لذلك فان اضرابات عمال الرصيف بتونس العاصمة في صائفة 1924 و ما تبعها من نقاشات حول بعث منظمة جديدة مستقلة عن النقابات ذات التوجه الاشتراكي او الشيوعي ستطرح على الشيوعيين اشكالية لن تكون الاجابة عنها سهلة، وهو ما سيجعلهم يترددون بعض الوقت قبل الانضمام للمشروع الجديد الذي سيتزعمه محمد علي الحامي.

---

(1) تواصل الاضراب 19 يوما و انتهى يوم 24 فيفري 1921 تحت شعار ،، تساوي الاجل عند تساوي العمل،، حيث طالب المضربون بتوحيد منح غلاء المعيشة لكل الاعوان بقطع النظر عن حبسياتهم، و تم حل الاضراب اثر وعد من المقيم العام بتوحيد المنح لكل الاعوان باستثناء منحة ينفرد بها العمال الفرنسيون ،، انظر ،، المستقبل الاجتماعي ،، 13 و 20 و 27 فيفري 1921.

.../...

ب) انضمام الشيوعيين لمشروع محمد علي

و تكوين جامعة عموم العملة التونسية

(1924 / 1925)

تابع النقابيون الشيوعيون اضراب عمال الرصيف و عملوا مع غيرهم من المناضلين السياسيين لتأطير الاضراب و ارشاد العمال خاصة انه لم تكن لهم منظمة نقابية تقوم بهذا الدور.

لقد تكونت لذلك الغرض لجنة ضمت محمد علي الحامي و احمد المدني و احمد بن ميلاد و المختار العياري و رجال من عملة الرصيف المحنكين يراقبون سير الاعتصاب(1) كما انتخب العمال كلا من البشير بودمغة و البشير الفالح لقيادة الاضراب(2).

و معلوم ان الاضراب كان له صدى كبير في مراكز عمالية اخرى خاصة في بنزرت حيث شهدت عدة معامل حركة احتجاجية و اضرابات بلغت اوجها يوم 11 سبتمبر 1924 اذ تصادم المضربون مع رجال الامن الذين قتلوا اثنين من المتظاهرين. (3)

ان هذه الحركة الاضرابية تمت في اغلبها في مؤسسات يتكون معظم عمالها من العنصر المحلي و لم يكن بها تنظيمات نقابية لذلك كان من الطبيعي ان تتسابق القوى النقابية الموجودة على الساحة التونسية لدعوة هؤلاء

---

(1) الطاهر الحداد ، العمال التونسيون و ظهور الحركة النقابية ، طبع الدار التونسية للنشر(الطبعة الثالثة) سنة 1972 ص61 اعضاء اللجنة كانوا من غير العمال احمد بن ميلادو العياري من الحزب الشيوعي ، احمد توفيق المدني عضو الهيئة التنفيذية للحزب الدستوري، و محمد علي شاب عائد من المانيا كان يدعو اخذاك لتكوين تعاونيات

(2) الطاهر الحداد، المصدر السابق ص 64

(3) المصدر السابق ص 93

العمال الـى الانضمام اليهـا.

فبعد ثلاثة ايـام من اندلاع الاضـراب اعلنـت صحيفـة ،، تونـس الاشتراكيـة ،، ان الاعتـصاب مستمـر و العمـلة عازمـون على الاستمرار في المقاومـة الـى الحصول على النتيجـة و ان انخـراط العمال في جامعـة عموم العملة (الـ ج. ت) سيقـع قريبـا. (1)

اما محمـد على الحامي الذي كان يقوم بمساعي حثيثـة لتاسيـس جمعية التـعاون الاقتـصادي التونسي و عقـد لذلك الغـرض عـدة اجتماعات تمهيديـة، فقد قـرر ارجـاء مشـروع جمعيـة التعاون ريثمـا يـتـم هـذا الحادث. (2).

في نـفس الوقـت عمل الشيوعيـون من جهتهـم على جـلـب هذه القوة العمـالية الـى مشروعـهم النقابي الثوري و تقويـة النـوات النقابيـة التابع لهـم و الموجودة آنـذاك. (3).

كما اهتـم الحزب الدستوري بالحركة الاضرابيـة حيث كان احمد توفيق المدني عـضوا في لجنة المساندة للاضراب و شارك في النقاشات التي ستـؤدي لبعـث جامعة عـموم العملة التونسيـة.

---

(1) الطاهر الحداد ، العمـال... المصدر السابق ص 81، اورد مقال صدر بتونس الاشتراكية بتاريخ 16 اوت 1924.

(2) نفس المصدر ص 61

(3) يذكر الطاهر الحداد ص 142 ،، ان الشيوعيين قد طمعوا اولا في ابتلاع مؤسسة العمال التونسيين فكما كان لحزب العمال الذي على راسه م.جوهو في فرنسا و م.دوريل في تونس.. كذلك كان للشيوعيين...،، و يعني ذلك ان الشيوعيين ارادوا ادخال العمال في صلب النقابات الموحدة التي يشرفون عليها.

.../...

انتهت الحركة الاضرابية في النصف الاول من شهر سبتمبر 1924 و تلتها نقاشات طويلة بين كل الاطراف التي اهتمت بها حول مستقبل هذه الحركة و كيفية تنظيمها. في نفس الوقت تم بعث نقابات اساسية في المؤسسات التي شهدت اضرابات و قد تركزت النقابات الجديدة خاصة في العاصمة و في جهة بنزرت.

تواصلت النقاشات طيلة شهرين (اكتوبر - نوفمبر 1924) قبل ان يقع الاعلان رسميا عن تكوين جامعة عموم العملة التونسية يوم 3 ديسمبر 1924.

ان الموضوع الذي شدّ انتباه الاطراف المتحاورة هو الاطار التنظيمي الذي سيجمع النقابات التي ظهرت مؤخرا ، هل انها ستنظم للهياكل الموجودة التي تمثل امتداد للنقابات الام في فرنسا ام ستكون النواتات الاولى لمنظمة نقابية وطنية تونسية ؟.

من الطبيعي ان تسعى المنظمات النقابية الموجودة الى تدعيم نفسها بواسطة النقابات الناشئة و اول من قام بهذا العمل اتحاد النقابات الذي ،، اراد التدخل لفائدة المعتصبين على معنى ضمهم اليه حتى لا تتكون قوّة منفصلة عنه ،، (1)

---

(1) الطاهر الحداد، العمال ... المصدر السابق ص 125.

.../...

و لما بدات تظهر فكرة تاسيس نقابة مستقلة اعترض الاتحاد بشدة على ذلك معتبرا ان ذلك ،، يقسّم العملة الى شطرين امام قوة المال المتحدة....،(1)

لقد اعطى اتحاد النقابات الاولوية للقضية الطبقية فالمهم بالنسبة اليه هو اتحاد العمال في منظمة واحدة خاصة و ان فوارق الاديان و الاجناس معدومة في المبادىء النقابية (2).

ان هذا الموقف يعكس في الحقيقة الموقف العام الذي كان يتبناه الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي كان يرفض وجود امة تونسية مكتملة المكونات و يعتبر ان ذلك سيكون نتيجة للمهمة الحضارية التي ينبغي على فرنسا القيام بها في تونس و من هذا المنطق راى اتحاد النقابات ان بروز اتحاد مستقل سيكون عملا سابقا لاوانه سيطغى عليه التعصب الديني و الملي على حساب المصلحة الطبيقية للعمال.

بعد التحذير من نتائج المشروع الجديد انتقل اتحاد النقابات الى مرحلة التشهير معتبرا اياه عملا سيئا من انجاز الوطنيين و الشيوعيين(3) و في محاولة اخيرة لاقناع اصحاب المشروع بضرورة التراجع سيقوم جوهوامين عام السـ. ج. ت بزيارة الى تونس بداية من 24 اكتوبر1924.

---

(1) الطاهر الحداد . العمال... المصدر السابق ص 125.

(2) نفس المصدر 125

(3) ،، تونس الاشتراكية ،، 18 اكتوبر 1924، بيان صادر عن اتحاد النقابات بتونس ، اورده الطاهر الحداد في كتاب العمال . المصدر السابق ص 208.

لن ينفرد اتحاد النقابات الاشتراكي النزعة بالحذر من المشروع الجديد فقد عبّر الشيوعيون عن نفس التخوفات مقدمين نفس الحجج . لقد خطب المختار العياري محذرا العمال بقوله ،، ان انفصالكم عن الاتحادية ، يحرمكم من اعانة 25 مليون من العمال... ان مبادىء العملة اممية و لا يمكن انفرادكم بالعمل... ان الذي يدعوكم لتاسيس نقابة غير منظمة للاتحادية انما يدعكوم الى الانقسام الذي يهلك قوة العمال...،، (1)

نرى ان الشيوعيين قد استعملوا تقريبا نفس الكلمات و الحجج التي استعملها الاشتراكيون لرفض فكرة تاسيس النقابة الجديدة و هذا ما يؤكد انهم لم يكونوا من المبادرين بل سينضمون الى دعاة المشروع الجديد وهي مجموعة المثقفين المتكونة بالخصوص من محمد على الحامي و الطاهر الحداد (2).

من الصعب ان نحدد بدقة تاريخ هذا التحول في موقف الشيوعيين و تخليهم عن موقف الحذر من المشروع للالتحاق به و التحمس له. الا انه يمكن الحزم ان مدة التردد لم تتواصل و ان الانحياز لفكرة محمد علي و اصدقائه كان نهائيا في منتصف شهر اكتوبر 1924 و يمكن دعم هذا الراي بعاملين :

---

(1) الطاهر الحداد. العمال... المصدر السابق ص 127

(2) احمد الدرعي. دفاعا عن الحداد تقديم وتحقيق محمد انور بوسنينة. تونس 1976. يذكر ان مشروع تكوين النقابات كان عرضيا و ان الاصل كان بعث برنامج تعاوني و ان اتجاه محمد علي الى التاسيس فرضته اعتصابات الرصيف و اتصال مجموعة من المضربين به ، عند ذلك فكر في تسبيق العمل النقابي على العمل التعاوني و اضافة للصعوبات التي طرحت امامه في هذا الميدان.

فمن ناحية يشير البيان الذي اصدره اتحاد النقابات في صحيفة ،، تونس الاشتراكية ،، بتاريخ 18 اكتوبر 1924 ان الذي يقف وراء المشروع الجديد هم الوطنيون و الشيوعيون.

و من ناحية اخرى فان قرار الطرد الذي اتخذته الجامعة الشيوعية ضد احمد بن ميلاد الذي ندد بعملية تأسيس النقابات قد وقع نشره يوم 26 اكتوبر 1924 .(1)

لقد اعتبرت الجامعة الشيوعية ان موقف بن ميلاد يتعارض تماما مع سياستها لذلك قررت رفضه من صفوفها لكن السؤال الذي يبقى مطروحا ما هي العوامل التي كانت وراء تغيير موقف الجامعة من الحذر و التردد الى التحمس و المساندة الكاملة للمنظمة الجديدة.

نعتقد ان هذا التحول الذي حدث في موقف الشيوعيين لم يتطلب منهم مجهودا كبيرا فقد راينا ان الجامعة الشيوعية قد سعت منذ البداية الى ربط اوثق الصلات بالعنصر المحلي و ساندت المطالب الوطنية بما فيها الاستقلال السياسي و الانفصال عن

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 26 اكتوبر 1924.
احمد بن ميلاد سبق ان ذكرنا انه انضم للشبيبة الاشتراكية ثم الشيوعية منذ سنة 1919 و كان مناضلا نشيطا في الميدان النقابي و الصحفي فقد قام بتغطية اضرابات صائفة 1924 و تم اعتقاله في بنزرت يوم 11 سبتمبر 1924 لما كان سجينا بلغته اخبار بعث المنظمة الجديدة و انضمام رفاقه الشيوعيين للمشروع فارسل رسالة نشرتها صحيفة ،، تونس الاشتراكية ،، يوم 20 اكتوبر 1924 ساند فيها الاشتراكيين الذين كانوا قد عارضوا النقابات الجديدة و اعلن ان المستقبل سيكون للتجمع الامي و انه يوبخ كل الذين يوجهون الطبقة العاملة في طريق التقسيم و الحقد...،،

.../...

فرنسا و يرجع ذلك الى الاطار النظري و السياسي الذي تنتمي اليه الجامعةو المتمثل في مبادئ و برنامج الاممية الشيوعية (1).

من عوامل هذا التحول وجود مناضلين حركيين مجربين في صفوف الجامعة الشيوعية مثل النقابي المختار العياري و فينودوري و موريس رامبو و كلهم عرفوا روبار لوزون و تاثروا بشدة تحمسه لمساندة المطالب التونسية.

الى جانب العوامل المحلية يمكن ذكر دور الحزب الشيوعي الفرنسي و خاصة اللجنة الاستعمارية التابعة له التي ساندت بعث المنظمة الجديدة و رفضت التخوفات التي عبرت الكنفيدرالية العامة للشغل الموحد من نتائج تكوين نقابة تونسية مستقلة (2)

و من العوامل الاخرى التي سهلت اتخاذ هذا الموقف انه لم يكن للشيوعيين في تونس تاثيرا قويا داخل الحركة النقابية مقارنة مع التاثير الذي كان للاشتراكيين داخل اتحاد النقابات. لقد راينا انه عند اندلاع اضرابات صائفة 1924 لم يكن للشيوعيين تاثيرا الا في عدد

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 22 مارس 1925 مقال بقلم الموجيك يرى ان الشيوعيين لا يعترفون بمعاهدة باردو فاذا كانت تونس الرسمية تقع تحت وصاية الدولة الفرنسية فان ذلك لا يعني بالنسبة لنا ان تمارس الطبقة العاملة الفرنسية اي نوع من الوصاية على العمال التونسيين... اننا نساند استقلال الشعب التونسي و نساند استقلال منظماته العمالية....،،

(2) ارشيف معهد الدراسات الماركسية شريط رقم 7. سلسلة 70 تقرير حول العمل في المستعمرات بتاريخ 1925.1.3 مرسل من الحزب الشيوعي الفرنسي الى الاممية الشيوعية، يتعرض الى النقاشات التي وقعت بين لجنة المستعمرات التابعة للحزب و المركزية النقابية ذات التوجه الشيوعي حول جامعة عموم العملة التونسية.

قليل من النقابات فنجاح المشروع الجديد يمكن ان يساهم في تقليص نفوذ السـ ج.ت. (الاشتراكية) كل هذه العوامل التكتيكية و المبدية جعلت الجامعة الشيوعية تقف الى جانب جامعة عموم العملة التونسية حيث وضعت على ذمتها صحيفة ،، المستقبل الاجتماعي،، التي كانت تنشر البيانات النقابية و تدافع عن المشروع الجديد و تشرح اهدافه و تشهر باعدائه.

كذلك فان اغلب مناشير الجامعة النقابية تم سحبها في مطبعة لوزون بنهج سوقي بلخير . كما ان جون بول فينودوري مسؤول الجامعة آنذاك قد شوهد مع محمد علي في عدة اضرابات و خاصة في اضرابات حمام الانف و برج السدرية.

و قد تحصلت المنظمة النقابية الجديدة على دعم مالي من الجامعة النقابية الفرنسية ذات التوجه الشيوعي. (1)
ان السلط الفرنسية لن تغفر للشيوعيين موقفهم من الحركة النقابية التونسية لذلك سينال ابرز عناصرهم اقسى العقوبات خلال محاكمة النقابيين في نوفمبر 1925.

لقد تميز عمل الجامعة الشيوعية بتونس منذ تكوينها في فيفري / مارس 1921 حتى نهاية 1925 بمجهودات كبرى للاتصال بالاهالي و بث الفكرة الشيوعية بينهم و اتسمت مبادراتها بمرونة قصوى خاصة عند التعامل مع المجموعات التونسية التي سعت الى تشكيل احزاب سياسية او الى بعث منظمة نقابية.

---

(1) Finodori (J.P) Batailles ouvrières , la C.G.T Tunisienne et les impérialistes français des années 20 textes et documents de Robert Louzon. 1981.

يذكر فينودوري في مقدمة هذا الكتاب انه ذهب شخصيا لمقابلة قاستون مونمصو بنهج القرانج (مقر الجامعة النقابية الفرنسية بباريس) الذي قدم له مساعدة مالية تقدر بـ 1000 فرنك لفائدة المنظمة النقابية التونسية.

ارادت الجامعة الانصهار في الواقع التونسي لتكوين احدى تعبيراته الاساسية و البروز كجزء من مكوناته .
صحيح ان النتائج التي تحصلت عليها بعد 5 سنوات من النشاط كانت متواضعة جداً (1) و ذلك بالمقارنة مع المجهودات و التضحيات المبذولة الا انه من المفيد ان نتساءل عن دوافع هذه الحركية المبكرة و هذا الاصرار على التحول بسرعة الى تنظيم تونسي.

لا شك ان ذلك راجع الى ان الجامعة الشيوعية - كما سبق ان راينا - كانت جزءا من الاممية الشيوعية التي الزمت كل منخرطيها بالعمل على نشر الفكرة الشيوعية (النقطة الرابعة من شروط الانخراط) بالاضافة للنقطة الثامنة التي تفرض على الشيوعيين المساندة الفعلية للشعوب المستعمرة .(بالفتح).

ان الاطار الفكري و التنظيمي الذي انتمت اليه الجامعة الشيوعية - على اهميته - لا يمكن لوحده ان يفسر هذا التوجه العنيد نحو التونسة .

ففي الجزائر مثلا، كانت هياكل الحزب الشيوعي في نفس الفترة المدروسة هنا، اكثر عددا و صلابة و تنظيما لكنها لم تركز عملها في اتجاه الاهالي كما كان الشان في تونس بل على العكس فقد اعتبر بعضها - كما راينا ذلك - ان التوجه نحو العنصر المحلي ستنجر عنه عدة اخطار.

---

(1) لا نملك معلومات دقيقة عن عدد المنخرطين بالجامعة الشيوعية ففي حين نلاحظ مبالغة في الارقام الواردة الى اللجنة الاستعمارية (80 عضوا في ديسمبر 1926 حسب ارشيف م.د.م) اما احصئيات البوليس فهي تتجه الى التقليل.

ان اتجاه الجامعة المبكر للتاقلم مع الظروف التونسية يرجع في نظرنا الى مجموعة من العوامل :

1. احتداد التناقضات الوطنية و الاجتماعية التي افرزتها العودة القوية لتطبيق البرامج الاستعمارية من طرف السلط الفرنسية غداة الحرب العالمية الاولى، فالجامعة الشيوعية ستسعى لتكون احدى التعبيرات السياسية للوعي الوطني و الطبقي الذي شهد انتشارا اوسع لدى فئات اجتماعية جديدة تضررت من انعكاسات السياسة الاستعمارية .

2. في بداية العشرينات كان اهتمام المنظمة الام التي تنتمي اليها الجامعة وهي الحزب الشيوعي الفرنسي ثانويا بالقضايا الاستعمارية عامة و بالمسالة التونسية خاصة وهو ما فرض على المناضلين المحليين القيام بمجهودات متواصلة للتاقلم مع المحيط الذي يتحركون داخله .

و في هذا الاطار كان لمجموعة من الافراد دورا متميزا في تجسيد هذا المجهود من ابرزهم روبار لوزون باعث الحركة الذي سخر امكانياته المادية و طاقته الفكرية لتوفير وسائل دعاية (الصحف و المطبعة و المقرات) و لربط صلات بالعناصر الوطنية و بالمثقفين المحليين وهو ما جعله يحظى باحترام كبير لدى المناضلين و سيواصل ذلك حتى بعد مغادرته البلاد (1)

(1) ينهي عبد الرحمان الكافي قصيدته ملزومة شيوعية بهذا البيت مادحا روبار لوزون :

تعيش الاخوة و تحيو الشيوعيين و المنجل و المطرقة تعيش يا لوزون

اما التقرير المقدم الى اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي بتاريخ 1927.1.7 فيشير الى ان التاثير الشخصي لروبار لوزون لا يزال باقيا لدى العناصر الشيوعية بتونس وهم يعتبرون انفسهم في حزب لوزون (ارشيف م.د.م شريط 35 سلسلة 24)

.../...

استعان لوزون في عمله بمجموعة من الافراد الذين امتازوا باندفاعهم و حيوتهم مثل رامبو الذي استطاع ان يقنع كامل اعضاء الشبيبة الاشتراكية بالانخراط في الاممية الشيوعية و ذلك قبل البعث الرسمي للجامعة الشيوعية. و قد كان الشباب العنصر النشيط و الحركي الذي سيتحمل مسؤولية نشر الافكار و تنظيم الاجتماعات و اصدار الجريدة و توزيعها.

كذلك نجح لوزون في احاطة الجامعة بمجموعة من المثقفين المحليين الذين انتموا او تعاملوا مع الجامعة لفترات اختلفت في طولها مثل محمد نعمان و محمد بورقيبة و محمد بلحسين و الشاعر عبد الرحمان الكافي الذي وظف الشعر الشعبي لاغراض الدعاية الشيوعية.

اما في الميدان النقابي فقد كان للمختار العياري دورا كبيرا في نشاط جامعة عموم العملة التونسية.

3. اضافة لتاثير الاشخاص و اشعاعهم ووضوح افكارهم، هناك عامل اخر ساهم في توجيه عمل الجامعة نحو الاهتمام بالقضايا التونسية وهي حالة ،، النضج الوطني،، التي اصبحت عليها البلاد التونسية غداة الحرب الاولى، هذا النضج الذي تجسد بوضوح في بعث حزب وطني طالب بتحرير البلاد من الحضور الاجنبي.

و هذا ،،النضج ،، هو نتاج لمختلف الحركات الاصلاحية و التحديثية التي عرفتها تونس قبل انتصاب الاستعمار و اثر ذلك، وهو تعبير على مرحلة من مراحل الوعي الوطني، الذي سياخذ اشكالا اكثر نضجا و ترسخا في الثلاثينات و الاربعينات. ان ،، النضج الوطني،، سيشكل حافزا لتوجيه عمل الشيوعيين في اتجاه الاهالي و المساهمة في تعميق انخراطهم في العمل

السياسي . هذا بالاضافة لدور الاممية الشيوعية و لتعليماتها الملزمة لجميع الاعضاء . لكن هذه البلورة المبكرة للوعي الوطني في تونس ستشكل في نفس الوقت عقبة تاريخية امام توسيع تاثير الحركة الشيوعية رغم المجهودات الكبيرة التي سيبذلها عناصرها . ذلك ان الحركة الشيوعية في تونس لن تبرز لتسد فراغا بل وجدت امامها على الساحة تيارا فكريا و سياسيا اصلاحيا متبلورا. وهو وثيق الصلة بالتراث الحضاري و الثقافي للاغلبية الساحقة من الشعب.

ان هذا الواقع فرض على النواة الشيوعية العمل في مستويين ، المستوى الاول تمثل في دعم و مساندة الحزب الدستوري و التعبير عن مطالبه لكن بصفة اوضح و ذلك في اطار السعي للتحالف مع هذا الحزب و ربط قنوات اتصال عن طريقه بالجماهير التونسية.

اما المستوى الثاني فتمثل في العمل على كسب مساحة خاصة يؤثر فيها و تتاثر به بصفة متميزة فكان توجه الجامعة نحو المراكز العمالية و اهتمامها بالنقابات و بتوسيع اشعاعها داخلها.

و هكذا فقد توضحت بالنسبة للجامعة الشيوعية منذ سنواتها الاولى ابرز الاولويات و ميادين التاثير ، لكن هل ستستطيع في الفترات اللاحقة الاستجابة لكل الضغوطات الاجتماعية و الوطنية التي ستطرح امامها؟.

القسم الرابع

الشيوعيون بتونس من الجبهة الشعبية

المعادلة الصعبة بين النضال ضد الفاشية

و المسالة الوطنية

(ماي 1936/اوت 1939)

بداية من شهر افريل 1936 دخلت تونس مرحلة جديدة و ذلك على اثر اقالة المقيم بيروطو و تعويضه بارمان فيون. (1)

فقد افتتح المقيم الجديد عهده بمجموعة من الاجراءات لتهدئة الخواطر و التي سيدعمها انتصار قائمات الجبهة الشعبية في الانتخابات العامة الفرنسية في شهر ماي 1936 (2)

ان الظروف الجديدة ستعطي امكانيات عمل و نشاط علني للحزب الشيوعي بعد فترة صبعة تواصلت منذ نهاية 1925، لكن هذا العمل سيتم في اطار عالمي جديد تمثل في صعود انظمة ديكتاتورية فاشية اصبحت تهدد العالم وهو ما فرض على الحركة الشيوعية العالمية ادخال تعديلات على خطتها التي اقرتها منذ المؤتمر السادس في 1928 و اقرار سياسة جديدة في ميدان التحالفات وفق المهمات المطروحة.

لذا سيطرح على الحزب الشيوعي التونسي التوفيق الصعب بين اولويات النضال على المستوى العالمي و مواصلة الكفاح الوطني الى جانب الاحزاب ،، القومية الاخرى

---

(1) عشية قدومه الى تونس ادلى المقيم العام الجديد بتصريح قدم فيه عدة تظمينات للراي العام و عزمه توخي سياسة جديدة ،، الديبيش التونسية ،، 15 افريل 1936.

(2) بد ان سلسلة الاجراءات الجديدة يوم 23 افريل 1936 حيث قام بالافراج عن الطلبة المعتقلين و السماح لصحيفة ،، تونس الاشتراكية ،، بالصدور من جديد و في 25 افريل الغى المحتشدات و تم تحويل المبعدين الى كل من قابس و جربة و في يوم 12 ماي 1936 تقابل المقيم مع المبعدين الدستوريين في قابس
و في 22 ماي 1936 تم السماح لهم بالرجوع الى منازلهم.

الفصل الاول

اولوية النضال ضد الفاشية و مساعي الشيوعيين لتوظيف المسالة الوطنية ضمن هذه المهمة المركزية.

(ماي 1936 / افريل 1938)

اولا / المسالة الاستعمارية في اطار سياسة معاداة الفاشية / المؤتمر السابع للاممية الشيوعية.

ان صعود هتلر للحكم في جانفي 1933، و التطورات الداخلية التي شهدتها فرنسا خاصة في فيفري 1934 ، و بروز تيار جماهيري معادي للفاشية فرضت على الاممية الشيوعية اجراء عدة تعديلات على سياستها في اتجاه بناء تحالفات واسعة مع كل القوى المعادية للفاشية.

ان السياسة الجديدة سيتم اقراها رسميا في المؤتمر السابع للاممية المنعقد من 25 جويلية الى 30 اوت 1935 . رغم انه قد سبق مكتب التنفيذي ان تناول مسالة الفاشية عدة مرات منذ اواخر 1933 ، كما دعم الجهود التي كان يبذلها الحزب الشيوعي الفرنسي من اجل اقامة جبهة معادية للفاشية. و ساند التظاهرات العديدة التي تمت في فرنسا لبلورة هذا التيار المعادي للفاشية (1).

---

(1) ظهرت في فرنسا سنتي 1933 و 1934 عدة جمعيات ضمت خاصة الكتاب و المثقفين و قامت بتنظيم عدة تظاهرات معادية للفاشية، كما برزت حركة شعبية انطلقت من النقابات و ساهمت في توحيد الحركة النقابية الفرنسية ثم في تكوين جبهة عمل بين الحزبين الاشتراكي و الشيوعي . انظر خاصة
-Jacques Droz, histoire de l'antifaz

طغت مسالة الحرب و مواجهة خطر الفاشية على اشغال و منقاشات المؤتمر السابع للاممية . و رغم ان المسالة الاستعمارية لم تحظ بنقطة خاصة في جدول الاعمال فقد وقع التعرض اليها خلال المنقاشات و في التقرير العام.

و قد خصصت الوثائق التمهيدية للمؤتمر قسما خاصا لاوضاع المستعمرات الفرنسية في شمال افريقيا و لاحظت ان الحركة الشيوعية في تونس و الجزائر لا تزال منعزلة و ان الاغلبية الساحقة من سكان هذه البلدان لا تزال تحت تاثر الاحزاب الوطنية ،، الاصلاحية،.(1).

اما التقرير العام للمؤتمر الذي قدمه جورج ديمتروف (2) تحت عنوان ،، هجوم الفاشية و مهمات الاممية الشيوعية في النضال من اجل وحدة الطبقة العاملة ضد الفاشية،، (3).

---

(1) انريكا ، الاممية الشيوعية... المصدر السابق ص 547. 555. الوثائق التحضيرية للمؤتمر السابع للاممية الشيوعية.

(2) جورج ديمتروف بلغاري ولد سنة 1882 اصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي البلغاري سنة 1909 .هاجر من بلغاريا اثر فشل الانتفاضة المعادية للفاشية سنة 1923. وفي سنة 1929 عين رئيسا للمكتب الاوروبي الغربي للاممية الشيوعية و مقره برلين و في 9 مارس 1933 القي عليه القبض من طرف البوليس الالماني و وجهت اليه تهمة احراق الرايشتاق. و حوكم في مدينة ليبزيغ و اطلق سراحه اثر حملة مساندة عالمية و اصبح بداية 1934 امينا عاما للاممية حتى حلها في 1943 بعد الحرب سيكون اول رئيس لجمهورية بلغاريا .

(3) جورج ديمتروف ، الاعمال الكاملة في ثلاثة اجزاء (بالفرنسية) يحتوي الجزء الثالث على التقرير الذي القاه ديمتروف امام المؤتمر السابع .
نشر وكالة صوفيا للانباء 1982.
كذلك نجد النص الكامل للتقرير في ،، المراسلات الدولية ،، (بالفرنسية) بتاريخ 15 سبتمبر 1935 عدد 82.

اما بالنسبة للمستعمرات فقد دعى التقرير الى ضرورة ،، اقامة الجبهة الموحدة المعادية للامبريالية ،، و يعني ذلك عمليا التخلي عن السياسات الانعزالية التي مورست في السابق تجاه الاحزاب الوطنية و العمل لاقامة تحالفات معها.

لقد اكد ديمتروف انه ،، ينبغي على الشيوعيين - في المستعمرات - ان يتولوا دعم الحملات الجماهيرية المناهضة للامبريالية و توسيعها و من ضمنها تلك التي يراسها الوطنيون - الاصلاحيون. ،، (1).

وباستثناء الهند و البرازيل و الصين حيث اعطى ديمتروف ،، تعليمات ،، مدققة تخص تصور الاممية فيما يتعلق بالجبهة المعادية للامبريالية فانه اكتفى بجمل عامة، داعيا الى اعتبار ،، تنوع الظروف التي يخاض فيها نضال الجماهير المعادي للامبريالية و مراعاة اختلاف درجة نضج حركة التحرير الوطني و دور البروليتاريا فيها و تاثير الحزب الشيوعي على الجماهير الواسعة.،، (2)

اما عن هدف هذه ،، الجبهة المعادية للامبريالية ،، فان تقرير ديمتروف يقف عند عبارات عامة، لا تعكس البلورة و الوضوح الذي وصلت اليه الاممية من خلال تجربتها الطويلة ، حيث كان مطروحا بصفة متواصلة حتى المؤتمر السادس دعم حق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها و الانفصال عن المركز ، و ان كان ذلك ضمن تكتيكات مختلفة و متناقضة كما راينا.

---

(1) جورج ديمتروف، الاعمال الكاملة... المصدر السابق ص 67

(2) جورج ديمتروف ، نفس المصدر... ص 68 لم يقع توضيح هدف الجبهة المعادية للامبريالية الا بالنسبة للصين... ،، نحن نؤكد للشعب الصيني عزمنا الراسخ على دعم نضاله من اجل تخلصه الشامل من سائر الوحوش الامبرياليين و عملائهم الصينيين....،،

فما هو المضمون الذي سيعطي للجبهة المعادية للامبريالية في تونس ؟

ان تدخل المندوب التونسي ،، كولتار،،(اوجين بسيس)(1) كان عاما ولم يعط فكرة عن تصور الشيوعيين في تونس لطريقة تجسيد هذا الشعار و ما هو المضمون الذي سياخذه بالارتباط مع الاوضاع المحلية السائدة هناك.

لقد اكتفى بسيس باستعراض الحالة البائسة التي تعيشها الطبقة العاملة و ما تتعرض له من استغلال و بطالة وهو ما ادى الى تجذر حركة المطالبة حيث تم تنظيم عدة مظاهرات من اجل اطلاق سراح المبعدين و في نفس الوقت اعترف ،، بضعف الحزب الشيوعي في تونس و ضعف اطاراته و النقص في اتصاله بالجماهير وهو ما يتطلب اعادة هيكلته و ذلك عن طريق بعث حزب شيوعي تونسي مستقل ،، (عن الحزب الفرنسي (2)

ان ضعف تكوين تواضع تجربة الشيوعيين بتونس من ناحية و الملاحقة و الابعاد اللتين كانوا عرضة لهما سنة 1935 لم تكن لتسمح لهم بالمساهمة باقتراحات في تحديد مضمون دقيق لمحتوى الجبهة المعادية للامبريالية هذا بالاضافة الى ان التنظيم لا يزال حتى صائفة 1935 فرعا من فروع الحزب الشيوعي الفرنسي، فسياسة الشيوعيين في تونس كانت تحدد طبقا لمعطيات خارجية والتي باتي في مقدمتها الدفاع عن الدولة الاشتراكية (الاتحاد السوفياتي) ،والطبقة العاملة الفرنسية.

---

(1) اوجين بسيس من اصل يهودي انخرط في الحزب الشيوعي سنة 1932 كانت بداياته في نقابة الاعوان التابعة للنقابات الموحدة الشيوعية كما شارك في اصدار صحيفة ،،لنطالب،، النقابية – الشيوعية. اثر اعتقالات ستمبر 1934 سيلعب دورا بارزا داخل الحزب و سيمثله في المؤتمر السابع للاممية و سيتم اعتقاله يوم 7 فيفري 1936 و يتم ابعاده للجنوب. غادر البلاد التونسية نهائيا في جويلية 1936. ليناضل في صفوف الحزب الفرنسي وهو يعيش في باريس (حوار اجريناه معه في 83.9.13)

(2) ،، المراسلات الدولية ،، عدد خاص رقم 100 بتاريخ 27 اكتوبر 1935. يحتوي هذا العدد على النص الكامل لتدخل بسيس في المؤتمر السابع.

لذا فان برنامج الشيوعيين في تونس زمن النضال ضد الفاشية ستتحد اهدافه الرئيسية في هيئات الحزب الشيوعي الفرنسي.

ثانيا / الحزب الشيوعي الفرنسي و المسالة التونسية زمن النضال / ضد الفاشية (1934 / افريل 1938)

اسفرت الانتخابات التشريعية الفرنسية ليوم 3 ماي 1936 ، عن فوز قائمات الجبهة الشعبية التي مثلت تحالف الاشتراكيين و الشيوعين و الراديكاليين ضد الخطرالفاشي الذي بقي شبحا مخيفا يهدد الحياة السياسية الفرنسية منذ الاستعراض الذي قامت به الروابط الفاشية يوم 6 فيفري 1934 (1).

و لتجسيم هذا الانتصار تم تكوين حكومة تراسها الاشتاركي ليون بلوم و ساهم فيها وزراء راديكاليون في حين اكتفى الحزب الشيوعي بمساندتها.

و لم يكن من السهل على هذا التحالف الذي فرضته اخطار صعود الفاشية التوصل لموقف موحد من المسالة الاستعمارية ، نظرا لتباين سياسات هذه الاحزاب من هذه النقطة .

لذلك لم يحتو برنامج التجمع الشعبي الفرنسي الذي تمت المصادقة عليه يوم 11 جانفي 1936. اضافة للعفو العام على كافة المعتقلين في المستعمرات الا على ،، تكوين لجنة بحث برلمانية حول الوضع السياسي و الاقتصادي و المعنوي للاراضي الفرنسية لما وراء البحار و خاصة في افريقيا الشمالية

---

(1) دروز جاك تاريخ معادة الفاشية في اوروبا... المصدر السابق 177و 178 حول جذور معاداة الفاشية في فرنسا حيث يؤكد ان العوامل الداخلية (استعراض الروابط الفاشية يوم 6 فيفري 1934)كان لها دورا اساسي في بروز تيار معادي للفاشية ، في حين ان معاداة الفاشية قبل ذلك التاريخ كان من عمل المثقفين و ناتجا عن تاثير عوامل خارجية (صعود هتلر للحكم في المانيا في 30 جانفي 1933)

.../...

و الهند الصينية....، (1)

و اذا عدت هذه النتيجة تطورا بالنسبة لموقف الراديكاليين و امرا منطيقيا بالنسبة للاشتراكيين فهي تعتبر تراجعا في سياسة الشيوعيين تجاه المسالة الاستعمارية و في مطلب الاستقلال لفائدة المستعمرات.

ان هذا التحول في موقف الشيوعيين الفرنسيين فرضته - و لا شك - اولويات النضال ضد الفاشية في فرنسا، و محاولة كسب اكثر ما يمكن من الانصار للدفاع عن الحريات الديمقراطية بقطع النظر عن انتمائهم الطبقي، و هذا يعني التوجه ايضا للبرجوازية الفرنسية التي كانت لها مصالح في المستعمرات و ضمان مساندتها لبرنامج الجبهة الشعبية على حساب البرنامج الفاشي (2) وهو ما فرض عدم مضايقتها و لو مؤقتا فيما يخص المستعمرات.

و هذا التغيير سيبرز ايضا في مجال العلاقات الدولية، اذ انه لاول مرة سيعبر الاتحاد السوفياتي عن تفهمه لسياسة تسلح حكومة برجوازية (3) وهو ما يجلى وضوح في التصريح الذي صدر عقب المباحثات التي جرت في موسكو بين لافال و ستالين حيث عبر هذا الاخير عن تفهمه

---

(1) ،،كراسات البلشفية،، عدد 4 و 5 ٠ 20 ماي 1937 مقال روبار دولوش ،المسؤول عن عمل الحزب الشيوعي الفرنسي في المستعمرات زمن حكم الجبهة الشعبية.

(2) علي المحجوبي. الحركة الوطنية التونسية بين الحربين. منشورات الجامعة التونسية 1986. ص 131

(3) ان هذا التصريح يعني ان الاتحاد السوفياتي لم يعد ير في تسلح دولة مثل فرنسا خطرا مباشرا عليه بل عملا ضروريا لمجابهة الخطر الالماني و منذ ذلك التاريخ سيساند الحزب الشيوعي الفرنسي سياسة التسلح التي ستسلكها الحكومة الفرنسية.

و مساندته الكاملة لسياسة فرنسا في مجال الدفاع الوطني و ذلك من اجل ان تكون قوتها العسكرية قادرة على المحافظة على امنها....،،(1)

كان من الطبيعي ان ينعكس هذا التوجه الجديد في سياسة الشوعيين وفي تكتيكهم في المستعمرات، فالوضع العالمي الجديد سيفرض عليهم مساندة قوة فرنسا العسكرية ووحدتها الترابية و يعني ذلك اعتبار المستعمرات الفرنسية داخلة ضمن الامبراطورية حتى يتم مجابهة الخطر الفاشيي و حماية فرنسا.

و قد جسد الشيوعيون موقفهم هذا من خلال حملة الاحتجاج ضد الهجوم الايطالي على الحبشة في سبتمبر 1935 و ذلك ضد الاطماع الايطلية في شمال افريقيا حيث اعتبروا ان المهمة الاولى تتمثل في ابقاء هذه المنطقة بعيدة عن التاثير الفاشي(2)

انطلاقا من هذا الموقف سيعتبر الشيوعيون الفرنسيون ان مشكل الدفاع عن تونس هو جزء من الدفاع عن فرنسا. وهو ما يعني عمليا ضرورة بقائها تابعة لفرنسا.

و لكنهم في نفس الوقت اكدوا ان هذا الموقف قد املته ظروف النضال ضد الفاشية باعتبارها المهمة الاساسية المطروحة على الساحة الفرنسية و العالمية

---

(1) تصريح لافال ستالين. بتاريخ 15 ماي 1935 اورده - Jacob Monéta. le PCD et la question coloniale (1920-1962) éditions françois Maspéro. Paris 1977 P. 104

(2) نشر النائب الشيوعي قابريال بيري مجموعة من المقالات في صحيفة ،،الانسانية ،، خلال شهري اكتوبر و نوفمبر 1937 تمحورت حول تتبع المساعي الفاشية للتسرب في شمال افريقيا و قد تم تجميع هذه المقالات في كتاب يحمل عنوان :
Gabriel Péri, Ombres du fascisme sur l'Afrique du Nord, Collection d'archives parus dans "L'HUMANITE" après une enquete en Afrique du Nord X.XI 1937 éditions du Comité populaire de Propagande.

وهذا لا يعني تخليهم عن حق الشعوب في تقرير مصيرهـــا. (1)

فمباشرة اثر الاعلان عن فوز قائمات الجبهة الشعبية اوضح موريس طوريز ان الشيوعيين ،، يعارضون اضطهاد الشعوب المستعمرة سواء كان ذلك صادرا عن انقلترا او فرنسا او من طرف ايطاليـــا، نحن مع سياسة تحرر الشعوب المستعمرة....،، (2)

نلاحظ غياب التشديد على مطلب الاستقلال و حق المستعمرات في الانفصال الذي كان يميز كل بيانات الحزب الشيوعي الفرنسي عند الحديث عن المستعمرات. و فعلا سيعمل الحزب على بلورة سياسة وطنية تركز على المهمات المطروحة امام ،،الامة الفرنسية،،و في هذا الاطار تم الاعلان عن المصالحة بين ،، العلم الاحمر،، شعار العمال و ،، العلم المثلث،، وهو شعار الثورة الفرنسية و النظام البرجوازي الذي نتج عنها ، و كان ذلك بمناسبة الاحتفال بذكرى 14 جويلية (3).

كما وقع التاكيد على ان الحريات الديمقراطية مهددة من طرف القوى الفاشية في فرنسا و مستعمراتها و ذلك بهدف منع تطبيق برنامج الجبهة

---

(1) استند الشيوعيون عند القيام بهذا التغيير التكتيكي فيما يتعلق بالمسالة الاستعمارية على مقولة اوردها لينين في كتابه، ضد التيار (الجزء الثاني في المؤلفات الكاملة) حيث يقول،، ان المطالب الديمقراطية المختلفة بما فيها حق الامم في تقرير مصيرها ليست مطلقة ، انها جزءمن مجموع الحركة الديمقراطية العالمية. و في بعض الحالات الملموسة يمكن للجزء ان يعارض الكل . عندئذ يجب رفضه....،،

(2) ،، كراسات البلشفية،، عدد 8 و 9 - 15 ماي 1936. نص الندوة الصحفية التي عقدها موريس طوريز يوم 6 ماي 1936.حيثاعلن ايضا لتدعيم رايه ان المرشح الشيوعي تنازل في الدور الثاني للانتخابات بالجزائر لفائدة المرشح الجمهوري الاشتراكي فيوري عندماقبل هذا الاخير النضال مع الشيوعيين من اجل الغاء قانون الاهالي (Code de l'indigenat)

(3) ،، الانسانيـــة،، السبت 11 جويلية 1936.

الشعبيـــة و ادخـال اصـلاحات على وضـع المستعمرات (1).

و من هذا المنطق دعـا الشيوعـيون الاحـزاب الوطنية و من بينهـا الحـزب الدستوري لمراعاة هـذا الوضع و التحالف مـع القوى الديمقراطية الفرنسية.

كان ذلك بمناسبة اللقاء الذي جمع ممثلين عن التجمع الشعبي الفرنسي بالزعيم بورقيبة في باريس يوم 1 مارس 1937 حيث صرّح موريس طوريز : ،،

اقول بصراحة ما قدم في هذا الموضوع من مطـالـب ترمي الـى قطـع خطوة فعلية نحو التعاون وهـي التخفيف كذلك من المجـهود المفروض على الصغـار و الى الحصول على معونة من البلـد الام لمواجـهة كـل النفقات التي لا تعزى بوجـه خاصالـى الدفاع عن تونـس لا تهم الدفاع عـن الغازى و حقوقه و لكن تهمنا نحـن.

و لهذا اشكر صديقنا على عرضـه الصريح لمشكل الدفاع عن تونس انه الان جزء من الدفاع عـن فرنســا.

انا شيوعي و اطـرح القضية على هذا النحو لانـي اعلم جـيدا اننـا في وضـع عالمي يجرنا الـى طرح هذه القضيـة علىهذا المنوال.

ثـم طرحتم القضية الهامة جـدا و المتعلقة بتسـرب الفاشية الموسولينية الـى تونس.. انهـا حـقا مسالة ذات بـال.

و قد انحى على نفسه بـاللائمة، اذا ظـن فينا ذات يوم و خاصـة انتم اصدقـاؤنـا في المستعمرات انـنا اصبحـنا مستعمـرين ذوي غـايات نفعية في بلدان شمال افريقيا. الامر لـيس كذلــك اطـــلاقــا

(1) ملحق،، الانسانية،،بتاريخ 1937.1.25 تقرير موريس طوريز امام المجلس الوطنيللحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد يوم 1937.1.22 بمنتري MONTREUIL وهو يحمل عنوان ،،الكل من اجل الجبهة الشعبية الكل بواسطة الجبهة الشعبية.

.../...

انــنــا لاتزال مصمــمــين على مناصرة الاستقـــلال الكامل التام لشعـوب المستعمرات بدون ادنـى تحـفظ.. لكن يسـرنـا عند ما يطرحـــون بـانفسهم القضية على هذا النحـو و عندما يعتقـدون و يشعـرون بـارتبـاطهم بمصائرنـا نحن الذيـــن غيرنـا بعد كل حـسب شيئـا ما في بلادنـــا ، بـانتصارنـا في الجبهة الشعبيـة ممـا يسمح لـنا مضاعفـة العمـل لصالحهم و لصالحنا في بلادنـــا....،، (1)

ان هذه الدعوة لضرورة التوفيق بين متطلبـــات النضـال ضد الفـاشية و المطالب الوطنية ستتجـدد بمناسبـة المؤتمر الوطني التاسع للحـزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في ديسمبر 1937 حيث سيذكر طوريز بجملـــة لينين،، ان حــق الطـلاق لا يعني وجــوب الطــلاق.،، و يؤكـــد ،، انــه لما كانت المهمــة الاساسيـــة هي النـضال ضـــد الفـاشيـة فان مصلحــة الشعـوب تكمن في اتحادهم مـــع الشعب الفرنسي و ليس في موقف بـامكانه مساندة المشاريع الفـاشية ووضع كل من تونـــس و الجزائر و المغـرب تحت نيـر هتلـر او مـوسولينـي،،.(2).

اما اللائحـة المخصصـة للمستعمرات التي اصدرها المؤتمر فقد عددت مجموعة من الاصلاحـــات المتعلقـة بالحريـــات الديمقراطية و اقامـــة الحضائـــر للعاطليـــين و تقديم اعانـات للفلاحيـــن ... في نفس الوقت ذكرت ان الحـــزب الشيوعـــي الفرنسي لم يتخـل ابـــدا عـن مبدىء حـــق الشعـوب في الاستقـــلال ، لكنه يرى انه - في الظروف الحالية المتميزة بتصاعـــد الخطر الفـاشي - ليس هنـاك حـــل بالنسبة للشعـوب المستعمرة خارج تحالفهـا مـع القوى الديمقراطيـة الفرنسية...(3).

---

(1) الدستور الجـديد و الجبهـة الشعبية بفرنسا (1936 / 1938) الجزء الاول الحوار . قدم له محمد الصياح. نشر دار العمل 1979. ص 276 - 277 (بالعربية).

(2) تقرير موريس طوريز في المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الفرنسي . المنعقد بمدينة ارل 25 /29 ديسمبر 1937 انظـر.

-La France du Front populaire et les peuples coloniaux IX congrès du PCF Arles 25/29 Décembre 1937 éditions du Comité populaire de propagande 47P.

(3) وثائق المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفرنسي... المصدر السابق

ذلك هو الاطار النظري و السياسي الذي سيتحرك ضمنه الشيوعيون في تونس في الفترة الممتدة بين صائفة 1936 و افريل 1938 ، لكن كيف سيجسدون عمليا هذا التكتيك بالارتباط مع الاوضاع التي مرت بها البلاد التونسية و ردود فعل الاحزاب ،، القومية ،، (1) و نشاط احزاب و منظمات اليسار الفرنسي في تونس ؟.

هل سيستطيعون اعطاء مضمون خصوصي لشعار الجبهة المعادية للامبريالية كما دعاهم الى ذلك تقرير ديمتروف في المؤتمر السابع للاممية ، ام انهم سيقفون في اجتهادهم عند الحدود و الاهداف التي اقرها الحزب الشيوعي الفرنسي في اطار دفاعه عن ،، الوطن،، المهدد داخليا و خارجيا من طرف القوى الفاشية .؟

ثالثا / النشاط الشيوعي بتونس بين جوان 1936 و افريل 1938 :

(البعث الرسمي للحزب الشيوعي التونسي و الفشل في توظيف المسالة الوطنية و النقابية في نطاق النضال ضد الفاشية)

راينا انه سمح لاخر فوج من المبعدين بالعودة يوم 22 ماي 1936 لذا فان مباشرة الشيوعيين و الوطنيين لنشاطاتهم ستتم في بداية جوان 1936.

كان الظرف ملائما و امكانيات العمل متوفرة ، فاليسار الفرنسي و من ضمنه الحزب الشيوعي الفرنسي هوالذي كان يقود مصير فرنسا .

---

(1) ان التغيير الذي حدث في سياسة الشيوعيين و تخليهم عن المطالبة بالاستقلال للشعوب المستعمرة لم يحدث في البداية اي تناقض مع مطالب الوطنيين فالحزب الدستوري الجديد حافظ على برنامجه الذي تبناه مؤتمر نهج الجبل في ماي 1933 باعتبار ميثاق الحزب و لم تطالب لائحة المجلس المحلي الصادرة يوم 10 جوان 36 ،، الا بالرفع من المستوى المادي و الادبي للشعوب المستعمرة و حتى يتدرج شيئا فشيئا الى تحررها. و رغم ذلك فانه لن يحدث الالتقاء بين اليسار الفرنسي و الحركة الوطنية و ذلك لتباين المشاغل و الاهتمامات فاعتدال مطالب الوطنيين لم تكن تعني تفهمهم للاوضاع الجديدة وتصاعد الخطرالفاشي كماكان الامر بالنسبة للشيوعيين.

لكن الشيوعـيين بتونس خرجوا منهوكي القوى من فترة القمع البيروطوني فالى جانب ضعف العديد من المناضلين اثر اجراءات القمع و الابعاد(1) فان حركة الانخراطات توقفت كليا رغم النشاط الذي بذل و المشاركة في المظاهرات الدستورية و توزيع المناشير.

في شهر جوان 1936 لم يكن التنظيم يعد اكثر من 30 فردا(2) نصفهم في تونس و البقية في بنزرت و فري فيل ، فكان على هذه المجموعة الصغيرة انجاز مهام كبيرة تتجاوز طاقتها.

لذا نراها تلهث في صائفة 1936 للمشاركة في مختلف التظاهرات التي نظمتها القوى اليسارية في نطاق ،، التجمع الشعبي بتونس،،.

كما سعت هذه المجموعة لربط علاقات مع الحزب الدستوري و الاحزاب الوطنية الاخرى في محاولة لتحسيسها باهمية النضال ضد الفاشية .

و كذلك التاثير على الحركة النقابية و المشاركة في الحركة الاضرابية التي عمت البلاد في تلك الصائفة.

في نفس الوقت ستعمل هذه المجموعة على اعادة هيكلة التنظيم وفق الظروف الجديدة و احاطة الحزب بمنظمات شبابية و طلابية و نسائية.

---

(1) ارشيف الخارجية الفرنسية . سلسلة افريقيا 1918 / 1940 تقرير بتاريخ 27 فيفري 1936 (اعترافات الشيوعي سفاز امام الكابيتان ماتيو) ، حيث ان خلايا باكملها توقفت عن النشاط مثل خلية ترنجة و خلية القيروان ومنزل جميل و حدوث خلافات في فري فيل بين اعضاء الخلية.

(2) كلود ليوزي، الحركة العمالية... المصدر السابق ص 69
يذكر انه في شهر جوان 1936 لم يبق سوى 9 منخرطين بتونس العاصمة و 20 موزعين في الداخل.

أ) بعث الحزب الشيوعي التونسي على اسس قانونية و محدودياته :

راينا ان قضية بعث حزب شيوعي تونسي مستقل سبق ان طرحت عدة مرات منذ سنة 1928 تاريخ انعقاد المؤتمر السادس للاممية الشيوعية الذي امر الحزب الشيوعي الفرنسي،بتعريب ،، فروعه في شمال افريقيا.

و قد راينا اصواتا عديدة ارتفعت بين المناضلين الشيوعيين للدعوة ،، لتونسة ،، الحزب و كان ذلك في سنة 1929 عندما اعلن روبار باك و مجموعته قطع كل صلة بالحزب الفرنسي ، كما تجدد ذلك في الثلاثينات قبيل انطلاق التعسف البيروطوني (1) و قد اكد هذا المطلب اوجين بسيس في كلمته امام المشاركين في المؤتمر السابع للاممية الشيوعية عندما نادى بتحقيق الاستقلالية التنظيمية للحزب.

و من ناحية اخرى فان النشاط الشيوعي ، كان خلال كامل الفترة 1922 / 1936 ممنوعا بمقتضى قرار حل الجامعة الشيوعية الصادر في ماي 1922 .

فكان على الشيوعيين منذ صائفة 1936 ارسال الحزب الشيوعي على اسس قانونية و قطع اشواط في ،، التونسة ،، (2)

---

(1) راينا في فصل سابق انه وقع ارسال وفد متكون من الجيلاني الجريدي و العربي غزيل و مندوب الحزب الشيوعي الفرنسي (ريفيار) الى باريس في صائفة 1934 للمطالبة بالاستقلال التنظيمي للحزب الشيوعي التونسي.

(2) ،، التونسة ،، تعني ان يصبح الحزب مستقلا في تنظيمه عن الحزب الشيوعي الفرنسي و ان تكون له هيئات قيادية تسيره و تشرف عليه موجودة بتونس و لكن مع تواصل التفاعل مع سياسته الاممية الشيوعية و الحزب الفرنسي.

لا نملك معلومات مدققة عن ظروف اتخاذ قرار بعث الحزب الشيوعي التونسي على اسس قانونية.

اذ يجمع المناضلون الذين حاورناهم انه في بداية شهر جوان 1936 التام اجتماع ضم الاعضاء الذين صمدوا اثناء فترة التعسف و اتخذ فيه قرار التفاعل مع الظروف الجديدة و تم تعيين خلال الاجتماع اعضاء الهيئات القيادية للحزب(1). وهي اول مرة في تاريخ الحركة الشيوعية بتونس يتم فيها الاعلان عن هيئات مسيرة (كتابة - مكتب سياسي - لجنة مركزية) فقبل ذلك التاريخ كثيرا ما وقع استعمال لفظ (قيادة) او (مكتب) للاشارة للهيئة المسيرة للعمل الشيوعي.

و منذ صدورها في شهر نوفمبر 1936 ستخبر،، المستقبل الاجتماعي،، عن انعقاد عدة دورات اللجنة المركزية للحزب(2)

و رغم ملاءمة الظروف الجديدة فان تاثير الحزب على المستوى الجماهيري بقي محدودا اذ لم يتمكن من عقد اول اجتماع عام بمفرده الا يوم 31 ماي 1937 و ذلك للاحتفال بالذكرى الاولى لبعث الحزب على اسس قانونية (3).

---

(1) لم نعثر على اية وثيقة مكتوبة تحتوي على قائمة اعضاء مختلف الهيئات القيادية الا ان الاسماء التي يجمع عليها اغلب من حاورناهم هي الاتية (علي جراد ، حسن السعداوي، جورج شمامة ، اوغست فور، الهادي الغربي، جورج عدة عبد الرحمان عطية ، مصطفى المؤدب..)

(2) ،، المستقبل الاجتماعي ،، اهم تواريخ دورات اللجنة المركزية التي تم الاعلان عنها (1936/11/21) و (1937/5/29).

(3) الطليعة ،،20 جوان 1937 كتبت تحت عنوان غرة جوان عيد الحزب الشيوعي التونسي ، قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في اجتماعها الاخير ان تجعل من غرة جوان عيدا تحتفل فيه بمرور سنة على تاسيس الحزب على اسس قانونية... و قد بررت ،، الطليعة،، اختيار هذا التاريخ باعتباره مثل نقطة تحول بالنسبة لحرية العمل النقابي و لتنظيم الاجتماعات السياسية و ذلك اثر نجاح الجبهة الشعبية.

الا اننا نراه يقوم بعدة مجهودات لتركيز خلايا شيوعية في تونس العاصمة و في داخل الايالة ، كما اننا سنشاهد محاولات لتركيز منظمات مختصة مثل : الشبيبة الشيوعية و حلقة للطلبة و جمعية نسائية و التاثير في حركة المضائف.

٠1)- الخلايا الشيوعية في العاصمة و في الداخل

ان النشاط الذي بذله الحزب منذ 1933/1934 مكنه كما، راينا من التمركز في بعض المناطق و القطاعات و استطاعت بعض الخلايا المحافظة على حد ادنى من الحيوية رغم تردد وضعف بعض اعضائها او ابعادهم.

فالى موفى جانفي 1936 يمكن احصاء مجموعة من الخلايا في تونس التي كان لها شكل من اشكال النشاط وهي خلية الطلبة و السكك الحديدة و اعوان التجارة و خلية العرب و خلية نهج ترنجة و خلية الايطاليين.

اما داخل الايالة فاهم المدن التي يوجد بها خلايا شيوعية هي بنزرت، فري فيل ، سوسة ، المنستير ، القيروان و منزل جميل.(1)

و قد سبق ان راينا ان التعسف البيروطوني اثر تاثيرا شديدا في هذه التنظيمات القاعدية مما ادى الى تجميد نشاط معظمها الى درجة انه لم تبق سوى مجموعة محدودة من الشيوعيين في بداية جوان 1936.

---

(1) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية ، سلسلة افريقيا تقرير ماتيو بتاريخ 27 فيفري 1936. و قد تم اعداده انطلاقا من اعترافات موريس سفاز.

و بعد سنة من النشاط العلني (جوان 1936 / جوان 1937) لم نلاحظ توسعا للتاثير الشيوعي سواء في العاصمة او في الداخل.

فعدد الخلايا التي امكن احصاؤها من خلال الاخبار الواردة على صفحات ،، المستقبل الاجتماعي ،، او في بعض التقارير ، 9 بالنسبة للعاصمة و 8 بالنسبة لداخل البلاد (1).

تنقسم خلايا العاصمة الى ثلاث انواع حسب تركيبتها .

* خلايا متكونة فقط من التونسيين المسلمين، و نجد مثالا وحيدا وهي خلية باب الجديد (2).
* خلايا معظم منخرطوها من اليهود التونسيين مثل خلية الحارة و خلية اعوان التجارة.
* خلايا منخرطيها من الفرنسيين مثل خلية السكك الحديدية و خلية موريس طورين.
* خلية الايطاليين، نظرا لتواجد عدد من العمال الشيوعيين الايطاليين ، تم بعث هذه الخلية في اواخر 1934 و في سنة 1935 وقع ضم المسؤول عن هذه الخلية وهو ميخائيل روسي الى قيادة الحزب. (3)

و هذا الاهتمام بالايطاليين سيتجدد في فترة الجبهة الشعبية

---

(1) حسب المعلومات الواردة في ،، المستقبل الاجتماعي،، و في التقارير البوليسية يمكن احصاء 9 خلايا في العاصمة (باب الجديد، الحارة، طوريز. السكة الحديدة التبغ ، الاجر، الترامواي، الاعوان...) اما في الداخل فنجد 8 (بنزرت فري فيل، صفاقس، قعفور، باجة ، بن عروس ، حمام الانف، سوسة ،القيروان و نابل...)

(2) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 17 افريل 1937 نظمت هذه الخلية اجتماعا في احدى مقاهي باب الجديد حضره 250 تونسي مسلم و خطب فيه كل من السعداوي ، الغربي المؤدب علي جراد.

(3) ارشيف و.خ.ف سلسلة افريقية تقرير بتاريخ 36.2.27 و كذلك جوليات بسيس المتوسط الفاشي... المصدر السابق ص184

خاصة و انه سيصبح النضال ضد الفاشية الايطالية في مقدمة الاولويات. ففي جوان 1937 (1).

سيتم تكوين المجموعة الايطالية داخل الحزب الشيوعي التونسي (2) و سينضم الى قيادته لوريس قاليكو و موريزيو فالنزي ثم في سنة 1939 فيليوسبانو. الذي سيكون القائد الفعلي للحزب في فترة الحرب الثانية كما سنرى ذلك لاحقا.

اما داخل الايالة فان التاثير الشيوعي بقي محصورا في المدن الكبرى الساحلية التي يتواجد بها عدد من العناصر الاوروبية وهم غالبا الذين يتولون تسييرها و كذلك في بعض المراكز الاستعمارية (باجة و قعفور) الا اننا نلاحظ استثناء وحيدا وهي خلية القيروان التي تكونت منذ فترة بيروطون و اعضاؤها تونسيون مسلمون و قد تعرضت لمضايقات عديدة حتى في عهد الجبهة الشعبية . كان نشاط هذه الخلايا متقطعا و ابرز تحرك قامت به تم بمناسبة الذكرى الاولى لتاسيس الحزب(3)

ان حصيلة هذا النشاط ستكون متواضعة و العدد الجملي لاعضاء الحزب الشيوعي الذي تقدمه المصادر البوليسية يبدو مبالغا فيه فهي تقدر عددهم بين 550 و 800 (4).

---

(1) ،،المستقبل الاجتماعي،، 3 جويلية 1937.كما اخبرت الصحيفة عن اعتزام الشيوعيين اصدار جريدة ناطقة بالايطالية ،، الايطالي التونسي،، و كذلك جوليات بسيس، المتوسط الفاشي... المصدر السابق ص 185

(2) هذا التنظيم حسب الجنس رغم انه كان منافيا لتعليمات الاممية فقد فرضه وجود عدد من الايطاليين الذين لم يكن ممكنا التخاطب معهم الا بلغتهم.

(3) ،، المستقبل الاجتماعي،،8 ماي 1937 اخبرت عن تنظيم خلية حمام الانف لاجتماع عام حضره 300 شخص و خطب فيهم اوغست فور و جورج عدة. (بالفرنسية) و علي جراد و عبد الرحمان عطية (بالعربية) وقد سجل انخراط اثنين من الحاضرين في الحزب، كما تم عقد اجتماع عام في مدينة بنزرت، المستقبل الاجتماعي، 19 جوان 1937

(4) ارشيف الحكومة التونسية، سلسلة الحركة الوطنية (غير منظمة) تقرير مؤرخ في فيفري 1938 يعطي للحزب الشيوعي 800 منخرط و للدستور الجديد 70.000 و للقديم 9.000

فالعدد الاقرب للواقع انطلاقا من الصحف و التقارير والمناضلين الذين عاشوا تلك الفترة لم يكن يتجاوز 100 شيوعي : 40 فرنسي و 35 تونسي مسلم و 23 يهودي(1)
ان تواضع حصيلة العمل المباشر ستحث الشيوعيين على بعث منظمات ،، جماهيرية ،، قريبة من الحزب تساعده على نشر ارائه.

2.) المنظمات ،، القريبة ،، من الحزب الشيوعي

حتى سنة 1936 اقتصرت مبادرات الشيوعيين في هذا المجال كما راينا على بعث فرع الاسعاف الاحمر الدولي و جمعية اصدقاء الاتحاد السوفياتي.

ان الاتجاه الرئيسي الذي تم التركيز عليه في فترة الجبهة الشعبية هو الشباب و خاصة المثقف منه . فمنذ شهر نوفمبر 1936 تم بعث الجمعية العامية للطلبة التي ارادت ان تكون مفتوحة لجميع تلاميذ الاقسام النهائية من التعليم الثانوي.
وقد حددت لنفسها اهدافا عامة مثل تحقيق مجانية التعليم و حق الشغل لحاملي الشهائد...(2)

و في الحقيقة فان معظم منشطي هذه الجمعية كانوا ينتمون الى خلية الطلبة التي وقع بعثها كما راينا سنة 1935 و كانت تضم بالخصوص العناصر الشابة و المثقفة اليهودية.(3).

---

(1) كلود ليوزي، الحركة العمالية... المصدر السابق ص 69 . ويوافق اغلب المناضلين الذين عاشوا تلك الفترة على الرقم المقدم من طرف ليوزي.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،، 14 نوفمبر 1936 و كذلك الحوار الذي اجريناه من بول صباغ وهو من منشطي هذه الجمعية (باريس 1985/9/6)

(3) من ابرز منشطي الجمعية ، روبار ميمون ، ايلي كوهين، الحبيب الدلاجي. جورج عطال الدو بسيس المجبري وهو طلب بجامع الزيتونة (حوار مع بول صباغ).

و قامت هذه الجمعية بربط علاقات مع منظمة الشبيبة المدرسية التي كان يتراسها الامين الشابي (1).

الا ان المنظمة التي ستعني بالشباب و ستكون لها اهداف سياسية واضحة هي جامعة الشباب الشيوعي بتونس و التي سيتولى تسييرها جورج عدة (2) و رغم محاولاتها البروز كمنظمة مستقلة عن الحزب الشيوعي فان شعاراتها و اهدافها كانت مماثلة له حيث انها ركزت على النضال ضد الفاشية و الحرب (3)

اما تاثيرها فسيكون محدودا، فاغلب اعضائها سيكونون من اليهود التونسيين الذين هم بصدد الدراسة ، اما الفروع التي تتكون منها الجامعة فنجدها بالخصوص في المناطق التي يتواجد فيها الحزب الشيوعي و ستمثل مدرسة للتدرب على العمل السياسي و الاجتماعي للعديد من اطارات الحزب الشيوعي و المنظمات النقابية ذات التوجه الطبقي او الوطني(4).

و سيشمل هذا الاهتمام بالشباب الميدان النسائي حيث سيتم بعث منظمة للفتيات الشيوعيات لكنها ستكون فرعا لمنظمة الفتيات الشيوعيات

---

(1) كانت هذه الجمعية قريبة من الاوساط الوطنية و تضم تلاميذ المعاهد الثانوية (الصادقية و العلوية خاصة ...)

(2) جورج عدة. ولد يوم 1916/9/23 بتونس انضم للحركة الشيوعية سنة 1933. اشرف على طبع المناشير خلال فترة التعسف البيروطوني كما كانت له علاقات بالدستوريين و خاصة الهادي السعيدي. تم ايقافه يوم 1935/9/24 و حكم عليه يوم 1936/2/24 بـ8 اشهر سجنا. في جوان 1936 عين كاتبا عاما للشبيبة الشيوعية و بصفته تلك انضم الى قيادة الحزب الشيوعي. غادر تونس الى باريس يوم 1938/2/19 و اطرد من فرنسا يوم 20 مارس 1940 لنشاطه السياسي . وفي تونس سيتم ابعاده الى زغوان بمقتضى قرار الباي الصادر في 1 سبتمبر 1939.

(3) ،،المستقبل الاجتماعي،، 1936/12/12. نداء صادر عن ندوة الشباب الشيوعي المنعقدة يوم 28 نوفمبر 1936 و توجهت بالنداء الى الشبيبة الدستورية و الشبيبة الاشتراكية.

(4) من بين الذين سينتمون لهذه المنظمة روبار ميمون. الحبيب الدلاجي.عثمان علية ليصبح دستوريا فيما بعد)والنوري البودالي(من قادة الاتحاد العام التونسي للشغل...)

.../...

بفرنسا (1) وكذلك منظمة مضائف الشباب (2)

ان هذه المحاولات لتقوية اشعاع الحزب و تاثيره عن طريق بعث منظمات قريبة منه ستكون لها حصيلة متواضعة.

فهي في الغالب لن تضم الا الموافقين على برنامج الحزب الشيوعي و اهدافه و لن تستطيع الظهور كمنظمات ذات طابع جماهيري قادرة على استيعاب شباب ذي حساسيات و ميولات متنوعة.
كما اننا نلاحظ ان هذه المساعي كانت سجينة لتصور الشيوعيين في فرنسا و حتى نوعية الانشطة المقدمة لا نعتقد انها قادرة على جلب اهتمام معظم الشباب التونسي في الثلاثينات باستثناء الاقلية التي استطاعت الالتحاق بالمعاهد العصرية (3).

الا ان محدودية تاثير الحزب الشيوعي التونسي و المنظمات القريبة منه في فترة الجبهة الشعبية لا يمكن تفسيرها الا بالرجوع لمحتوى البرنامج الذي عمل من اجل تحقيقه فيما يخص المسالة الوطنية و نوعية العلاقات التي اراد ربطها مع الاحزاب الوطنية و مع الحركة النقابية

---

(1) ،،المستقبل الاجتماعي،، 27 فيفري 1937 نداء الى الفتيات.

(2) حوار اجريناه مع جاك بلعيش (تونسي من اصل يهودي من مواليد 1913) كانت بداياته ضمن منظمة المضائف التي وقع تكوينها سنة 1937 و مقرها بنهج زرقون و سيقع فتح العديد من المراكز التابعة لها بكل من الحمامات، سيدي بوسعيد. الجديدة و سيصبح بلعيش اثر الحرب احد قادة الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي وحوار معه في باريس 1985/9/10)

(3) من بين الانشطة المعلنة الحفلات الراقصة المختلطة التي نعتقد انها ستستهوي خاصة الشباب الفرنسي و بعض ابناء الجالية اليهودية المتاثرين بالتقاليد الاوروبية في ذلك الوقت..

ب - الفشل في جلب الدستور الى التجمع الشعبي بتونس أو استحالة التوفيق بين النضال الوطني و النضال ضد الفاشية

أحدثت الاجراءات التي اتخذها المقيم الجديد و التغييرات التي حصلت في فرنسا في 1936 أملا لدى جميع القوى السياسية . فمنذ 17 ماي 1936 عادت ''تونس الاشتراكية'' للبروز بعد فترة من الايقاف و ابعاد أبرز محرريها كما وقع السماح للصحف اليسارية القادمة من فرنسا بالدخول من جديد الى الايالة (1).

و كما رأينا فانّ الحزب الشيوعي التونسي سيدخل في مرحلة جديدة و يطرح مجموعة من المطالب الاستعجالية في اطار نظام الحماية (2) . و قد تفاعل الحزب الدستوري الجديد بصفة ايجابية مع الظروف الجديدة حيث منح مجلسه الملي المنعقد يوم 10 جوان 1936 ''حسن الظنّ''(3) لحكومة الجبهة الشعبية التي وجّه لها برنامج الحدّ الأدنى من المطالب العاجلة (4) .

و قبل انعقاد هذا المجلس ،كان بورقيبة قد وجه رسالة الى الكاتب العام للجامعة الاشتراكية بتونس عبّر فيها عن ثقته بأنّ ''الأحزاب اليسارية التي تكوّن الجبهة الشعبية و التي ستتولى أمر فرنسا و تتحكم في مصيرها لن يفوتها أن تتعرض الى مشكلة أساسية هي مشكلة العلاقات التونسية الفرنسية و أن تراجع الطرق و المذاهب على ضوء الأحداث......و تلائم بين حاجات هذا الشعب و مطامحه

---

(1) : أرشيف الخارجية الفرنسية ،سلسة تونس (1917-1940) برقية من المقيم الى وزير الخارجية يعلمه فيها بالغاء القرارات القاضية بمنع توزيع صحيفتي ''تي بوبوبيلار'' و ''الانسانية'' ،برقية بتاريخ 7 ماي 1936.

(2) ''المستقبل الاجتماعي'' 7 نوفمبر 1936 في مقدمة المطالب العاجلة نجد المطالب السياسية (العفو العام ،الحريات العامة ،الضمانات الدستورية ،حلّ المجلس الكبير ،تطبيق القوانين الاجتماعية الصادرة في فرنسا ،تطهير المؤسسات ...) و رغم عدم تضمنه مطلب الاستقلال فهو يقترب جدّا من المطالب المعلنة من طرف الدستوريين في مجلسهم الملي المنعقد في 10 جوان و الذي لم يذكر مطلب الاستقلال .

(3) تاريخ الحركة الوطنية التونسية ،الدستور الجديد و الجبهة الشعبية ... المصدر السابق ص8

(4) نفس المصدر ص 33 ،قدّم المجلس الملي مطالب عاجلة للتطبيق في اطار الحماية ومنح الشعب التونسي ضمانات شرعية ترمي الى المحافظة على حقوقه في الميدان الاقتصادي (الميزانية) و الميدان التشريعي ،العفو على كلّ المعتقلين السياسيين ،الغاء القوانين الاستثنائية ،منح التونسيين الحريات العمومية ،تهذيب الحياة العمومية.........

و بين مصالح الدولة الحاميـــة....(1)

- فرحة و حماس لدى الأحزاب اليسارية و حسن ظنّ الحزب الدستوري الجديد هل بامكانها توفير أرضية ملائمة لبعث اطار مشرك شبيه بالمؤتمر الاسلامي الجزائري الذي قام بأوّل اجتماع له بعاصمة الجزائر يوم 7 جوان 1936 (2)

لم يظهر كوهين حضرية (كاتب عام الجامعة الاشتراكية) تسرّعا خاصا في ردّه على رسالة بورقيبة خيث صرّح بأنّه لن يستطيع ''الاجابة عمّا فيها من مقترحات قبل عرضها على مؤتمر فيدرالي للحزب سينعقد في 21 جوان 1936 ''(3)

فالأحزاب اليسارية كانت منشغلة قبل كلّ شئ بالتعبير عن فرحتهـــا بالعهد الجديد ،و فعلا فانّ الجامعة الاشتراكية هي التي ستبادر بتنظيم تظاهرة شعبيـــــة احتفاء بصعود الجبهة الشعبية للحكم .

و لضمان أوفر الظروف لنجاح هذا الاحتفال ،قرّر الاشتراكيون دعوة كلّ المنظمات بتونس و التي تساند الجبهة الشعبية ،لذا تمّ بعث هيئة لاعداد الاجتماع المقرّر عقده يوم 14 جوان 1936 (4) .

و في الحقيقة فانّ الجامعة الاشتراكية كانت مهيئة أكثر من غيرها لأخذ هذه المبادرة فرئيس الحكومة الفرنسية كان اشتراكيا (ليون بلوم) بالاضافة الى أنّ هذا التجمع لم تلحقه أضرار كبيرة من جرّاء التعسّـــف البيروطوني كالتي لحقت بالدستوريين أو الشيوعيين و هكذا تمكنوا بسرعة من اصدار صحيفة يومية منذ يوم 17 ماى 1936 .

---

(1) الدستور الجديد و الجبهة الشعبية....المصدر السابق ص 25 و 26 رسالة الحبيب بورقيبة الى كوهين حضرية بتاريخ 1 جوان 1936 ،و يذكر فيها أنّه يضع نفســه تحت طلـــب مخاطبه لاجراء اتصال مع كلّ الأحزاب المكوّنـــة للجبهـــة الشعبية بغية ضبط قائمـــة المطالب الممكن تحقيقها عاجـــلا .

(2) المؤتمـــر الاسلامي الجزائري تكوّن في بداية 1936 و ضمّ الحـــزب الشيوعي الجـــزائري و جمعية العلماء بزعامة الشيخ عبد الحميـــد بن باديس و المنتضمين بزعامة فرحات عباس

(3) جواب الدكتور كوهين حضرية الى بورقيبـــة بتاريخ 4 جـــوان 1936 - أنظر الدستور و الجبهة الشعبية....المصدر السابق ص 27

(4) ''تونس الاشتراكيـــة''بتاريـــخ 3 جوان 1936

تـرأسـت الاجتماع الذي انعقـد في الهـواء الطلـق بحديقـة قمبطـا ايفا فيشت و حضرته جـمـوع غفـيـرة بين 10 و 15 الف من ضمنهـم عـددا كثيرا من التونسيين المسلميـن (حسب ما أوردتـه صحيفـة تونس الاشتراكيـة) .

لقد تناول الكلمـة عديد الخطباء هرمان (اتحاد النقابات) ،روبارت بيجاوي (رابطة النساء من أجـل الحرية و السلم) ،حسن السعداوي (الحزب الشيوعي التونسي)، بنجمان ليفي (الحزب الراديكالي الاشتراكي) و دوران انقليفيال عن الجامعة الاشتراكية ...(1)

و ان سجل الاجتماع نجـاحـا كبيرا فانّـه تميّـز بحدثين سنكون لهما أبعاد كبرى في مجـال العلاقـات بين الأحـزاب المكـوّنة للجبهـة الشعبية و الأحـزاب الوطنيـة التونسيـة .

فمن ناحية لم تشـارك الأحـزاب الدستوريـة (القديم و الجديد) في هذا الاجتمـاع ،و هذا يعني ،اذا ما تواصل الغيـاب ،أنّ كلّ طرف سيكـون لـه تصـوّره الخاص للظروف الجديدة و لامكانياتهـا و يجسّـد تباينـا فـي المشاغل و الاهتمـامـات .

و من نـاحيـة أخرى ،فانّ الاجتماع شهـد وقوع حادث تمثـل في أخـذ علي القـروي ،أحد رفاق محمد علي الحـامي في التجربـة النقابيـة الأولـى و العائد من المنفى ،الكلمـة ليعلن عـن عزمه احيـاء جامعة عمـوم العملـة التونسية من جديد .

لقد صدم منظمو الاجتمـاع بهذا التصريح و افتكّوا من القروي المصدح خاصـة و أنّهـم اعتقدوا أنّ المسألة النقابيـة قد حلّت بعد توحيد العمل النقابي فـي صلـب السـ.جـ.ت.

و هكذا فقد أكـد الاجتماع بوضوح ضرورة الأخـذ بعين الاعتبار مطالب الوطنيين و العمل من أجـل ايجاد أرضية مشتركة بين هذا الغائب الكبير (الأحزاب الوطنية) و القوى السياسية و الاجتماعيـة الممثلة للجبهـة الشعبية بتونـس .

انّ المبادرات الأولـى للأحزاب اليسارية بتونس و من ضمنها الحزب الشيوعي التونسي تجاه المسألة الوطنيـة ، ستكون محتشمة ،فهي ملزمة بالبرنـامـج العام للجبهة الذي لم ينصّ ،كما رأينـا فيما يخصّ المستعمرات ، الاّ على بعث لجنـة تحقيق برلمـانيـة للنظـر في الأوضـاع المـاديـة و المعنويـة لشعـوب هذه البلدان .

---

(1) تونس الاشتراكيـة : 15 جوان 1936 ،قامت بتغطية هذه التظاهرة و لخصت الكلمات التي ألقيت فيهـا كما أخبرت عن تنظيم المشاركين لمظاهرة انطلقت من حديقـة قمبطا و عبرت شارع جول فيري الى مستوى نهج مرسيليـا .

انّ أسباب محدودية هذا البرنامج لم تكن لتخفى على رجل مثل بورقيبة (1) لذا فانه طلب من ممثلي الجبهة الشعبية بتونس و خاصة الاشتراكيين و الشيوعيين حتى يعينوا الحزب الدستوري الجديد في عمله من''أجل اقناع الحكومة الفرنسية بحتمية و ضرورة الاستجابة للمطالب العاجلة ''(1)

الى أيّ مدى سيتمكن تجمع القوى اليسارية بتونس من تلبية هذه الطلبات و التوفيق بين النضال ضدّ الفاشية و مطالب الوطنيين ؟

كان من الصعب انجاز ذلك العمل في الأشهر الأولى التي تلت فوز الجبهة الشعبية ،فبلورة برنامج خصوصي للبلاد التونسية يتطلب مشاورات بين أطراف كان اتفاقها الأساسي هو التصدّي للخطر الفاشي .

في انتظار ذلك ،تمّ الاعلان رسميا عن بعث اطار يجمع القوى اليسارية المساندة للجبهة الشعبية أطلق عليه ''التجمع الشعبي بتونس''(2) دون أن يرافقه برنامج مطلبي محدد .

كما أنّ قائمة المنظمات المكوّنة لهذا التجمع لم تحتو على أي حزب أو جمعية أهلية (3) ،و في هذا الصدد يخبرنا كوهين حضرية أنّ الشيوعيين اقترحوا استدعاء الدستوريين للمشاركة في هذا الاطار ،و أنّ الاشتراكيين لم يعارضوا ذلك في حين أنّ مجموعات أخرى كانت محترزة (4) .

على كلّ ،فانّ الدستوريين لم يبدوا تسرّعا خاصا حتى يقع تشريكهم ،ذلك أنّهم كانوا ينتظرون اجراءات و مواقف ملموسة .

---

(1) العمل التونسي 16 ديسمبر 1936 ،المصدر السابق ،مقال بورقيبة

(2) تمّ بعث تجمع شعبي في فرنسا في شهر جانفي 1936 ،وهو الاطار الذي يظمّ كل المنظمات و الأحزاب و النقابات و القوى المعادية للفاشية و مهمّته ستكون تحقيق انتصار قائمات الجبهة الشعبية في الانتخابات ثمّ دعم حكومة بلوم و تكوين تيار شعبي مساند لها .

(3) تونس الاشتراكية ،5 جويليا 1936 المنظمات المكونة هي : رابطة حقوق الانسان و المواطن ،اتحاد النقابات (س.ج.ت.) ،رابطة النساء من أجل السلم و الحرية رابطة مكافحة معاداة السامية ،الشبيبة الاشتراكية ،الشبيبة الشيوعية ،جمعية أصدقاء الاتحاد السوفياتي ،الحزب الشيوعي التونسي ،الحزب الراديكالي الاشتراكي و الحزب الاشتراكي .

(4) كوهين حضرية : مذكرات شاهد عيان ... المصدر السابق ص 124

و فعلا ،فانّ المشاورات بين الأحزاب المكونة للتجمع ستأخذ وقتا طويلا (حوالي سبعة أشهر) قبل أن تفرز برنامجا متواضعا جدّا .

و في الواقع ،فانّ لا شيء يبرز أنّ الأحزاب و المنظمات المكونة للتجمع الشعبي بتونس كانت مشدودة الانتباه الى للاتخاذ موقف واضح فيما يتعلق بالمسألة الوطنية .

لقد كان التجمع نشيطا و مبادرا ،في أشهره الأولى ،في جميع الاتجاهات باستثناء ذلك المحور .

لذا نراه يتحرّك للتنديد بمظاهر معاداة السامية التي جدّت في المغرب و الجزائر في مطلع جويليا 1936 (1) كما أدلى بتصريح و نظم احتفالا بذكرى 14 جويليا (2) كذلك كان المنشط لتنظيم المساندة و الدفاع عن الجمهورية الاسبانية .

فبهذه المناسبة نظم اجتماع مساندة يوم 14 أوت 1936 و قد تمّت دعوة الدستور الجديد الذي كان ممثلا في شخصي صالح بن يوسف و الطاهر صفر (3)

و قد تمّ بعث لجنة للدفاع عن الجمهورية الاسبانية التي لقيت مساندة بالاضافة للتجمّع من الدستور الجديد و الشبيبة الدستورية و الجمعية الاسبانية الاسلامية التي يترأسها الطاهر صفر (4)

و سيهتمّ التجمع ـ كما سنرى ذلك لاحقا ـ بالمحور الاجتماعي حيث سيساند المطالب العمالية و الحركة الاضرابية التي ستشهدها البلاد في صائفة 1936 .

و سيعتني بملف الحريات العامة ،حيث ستتخذ السلط قرارات جريئة بالمقارنة مع الوضع الذي كانت عليه من قبل .

---

(1) : تونس الاشتراكية ـ 5 جويليا 1936

(2) : نفس المصدر

(3) تونس الاشتراكية : 15 جوان 1936

(4) : تونس الاشتراكية : 11 أوت 1936

و فعلا فقد تضمن الرائد الرسمي الصادر يوم 11 أوت 1936 عدّة اجراءات تخصّ حرية الاجتماع و الصحافة (1) كما تمّ رفع الأقفال التي كانت موضوعة على مقرّات الدستور الجديد يوم 20 أوت 1936 ،و في يوم 11 سبتمبر سيتمكن من عقد أوّل اجتماع علني في حديقة قمبطا .

الاّ أنّ هذه الحصيلة على أهميتها لم تكن لتحجب المسألة الهامة الا وهي مصير الحماية و مستقبل العلاقات التونسية الفرنسية . و في هذا المجال نلاحظ اجماعا مبدئيا على ضرورة احداث تغيير لكن بقي الاشكال قائما في مستوى مضمونه و اطاره (داخل الحماية أو خارجها) (2) .

بالنسبة للدستور الجديد كلّ اصلاح يمرّ باعطاء الضمانات الدستورية للشعب التونسي (اقرار سيادته) في مجال الميزانية و الميدان التشريعي ،و لكن نلاحظ أنّ هذا الحزب لن يحدّد موقفه بوضوح من المجلس الكبير و تركيبته الاّ بعد سحب ثقته من حكومة الجبهة الشعبية عندما سيطالب ببرلمان تونسي في أفريل 1938 .

بالنسبة للاشتراكيين ،يتعلّق الأمر ''باصلاح المجلس الكبير الذي يجب أن يتمّ انتخاب قسميه الفرنسي و التونسي انتخابا مباشرا من طرف ناخبين يعرفون الكتابة و القراءة بالعربية أو الفرنسية''(3)

أمّا الشيوعيون الذين تضمن برنامجهم الاستعجالي المطالبة بالضمانات الدستورية فيرون أنّها تعني ''حلّ المجلس الكبير و تعويضه بمجلس شعبي منتخب بصفة ديمقراطية بواسطة الاقتراع العام و يحدد هذا المجلس جدول أعماله بكلّ سيادة ''(4)

---

(1) أرشيف الخارجية الفرنسية ،سلسلة 1 تونس 1917-1940 ،وقع تبادل عدّة مراسلات بين المقيم و وزير الخارجية في هذا الشأن و آخرها رسالة بتاريخ 30 جويليا المتضمنة للنصوص النهائية لمشاريع القوانين المقرّة لحرية الصحافة و الاجتماع .

(2) بطبيعة الحال فانّ الأحزاب اليسارية (الشيوعي و الاشتراكي) ترى أنّ هذه الاصلاحات ستقع ضمن الحماية نظرا و أن الفترة تحتم قبل كلّ شيء النضال ضدّ الخطر الفاشي أمّا بالنسبة للدستور فقد أعلن الدكتور الماطري في جوان 1936 ''أنّه و أصدقاءه لم يطالبوا أبدا بالاستقلال و انّما يؤكدون على ضرورة احترام ما نصّت عليه معاهدة باردو ''انظر صحيفة لابراس 5 و 10 جوان 1936 .

(3) تونس الاشتراكية 17 ماي 1936

(4) المستقبل الاجتماعي : 7 نوفمبر 1936 - البرنامج المطلبي الاستعجالي للحزب الشيوعي التونسي .

كان على الأحزاب و القوى المنضوية في التجمع الشعبي البحث عن خلاصة تؤلف بين كل هذه التفسيرات و تكون قادرة في نفس الوقت على طمأنة جزء هام من الجالية الفرنسية - التي تمثل القاعدة الأساسية للتجمع - و التي تتأثر بسرعة بحملات المتفوقين و غلاة الاستعمار و كذلك كسب ثقة الوطنيين الذين ما زالوا يرون في التجمع ائتلافا لقوى و أحزاب أجنبية (1)

دام البحث عن صيغة ترضي الجميع طيلة عدّة أشهر وهو ما جعل التجمع يدخل مرحلة جمود بعد فترة من الحيوية التي عرفها في بدايته (2)

لقد كان الخلاف عميقا بين أطراف التجمع وهو ما جعل الشيوعيين يخيرون عدم ادراج أي مطلب في هذه النقاط على ''استعمال صيغ تنقصها الدقة يمكن للسلط أن تعطيها تفسيرات لا ترضي أحدا عند تطبيقها''(3)

و فعلا فانّه لن يتمّ الاتفاق على برنامج التجمع و امضائه الاّ يوم 22 جانفي 1937 (4) .

لم يتضمن البرنامج مقترحات جريئة فيما يخصّ الضمانات الدستورية و مستقبل العلاقات بين التونسيين و الفرنسيين . صحيح أنّه طالب بحل المجلس الكبير و تعويضه بمجلس وحيد لكنّه يوضح أنّ هذا المجلس يتكوّن من قسمين يقع لنتخابهما من الفرنسيين و التونسيين كل على حدة ،كما يؤكد أنّ مبادرات المجلس فيما يتعلق بالميزانية لا يمكن أن تكون نهائية الاّ بعد الموافقة عليها من طرف الحكومة الفرنسية (5)

---

(1) المستقبل الاجتماعي 31 جانفي 1937 - ردّا على سؤال طرحه على صالح بن يوسف أحد الشيوعيين - فانتوريني بفري فيل - في اجتماع نظمه الحزب الدستوري الجديد ''انّ عدم انضمام حزبه للتجمّع الشعبي راجع لكون هذا الأخير تجمع لفروع أحزاب فرنسية لها برنامج يركز على المسائل الفرنسية و لم يوضح الى الآن موقفه من مسألة الضمانات الدستورية...''

(2) المستقبل الاجتماعي 14 نوفمبر 1936 أشارت الى أنّ هيئة التجمع دخلت منذ مدّة في فترة عطلة لا فائدة من ورائها .

(3) المستقبل الاجتماعي 14 و 21 نوفمبر 1936

(4) تونس الاشتراكية : 29 جانفي 1937 ،و اسمه برنامج المطالب العامة للتجمع الشعبي بتونس

(5) نفس المصدر...انّ جعل صلوحيات المجلس فيما يتعلق بالمجلس رهينة موقف الحكومة الفرنسية ،يعني رفض أن يكون المجلس صاحب سيادة كاملة في قراراته و يعطيه صبغة استشارية وهو ما يعكس تصور اليسار الفرنسي آنذاك الذي كان يؤكد أنّ المستعمرات هي جزء من الامبراطورية الفرنسية وجب المحافظة عليها من الأطماع الفاشية .

و هكذا فانّه وقع التضحية بالمسألة الأساسية القادرة على جعل التونسيين و الأحزاب الوطنية تهتمّ بالتجمع ،فهذا المجلس الجديد زعم التغييرات التي سيقع ادخالها لن يمارس السيادة الفعلية التي ستبقى رهينة موافقة الحكومة الفرنسية . فالبرنامج لا يتجاوز الحدود التي وضعتها الأحزاب الأمّ في فرنسا ،فهو يهدف بالخصوص ''لانجاز خطوة فعلية في طريق التعاون الحرّ و يريد التخفيف من العبء المفروض على الضعفاء''(1)

كما أنّه لم يخرج عن اطار المخاوف التي حتمتها ضغوطات الوضع العالمي التي ميزت بالخصوص النصف الثاني من عشرية الثلاثينات حيث أنّ كلّ انفصال (استقلال) أصبح مرادفا لارادة اضعاف فرنسا أمام القوى الفاشية التي تريد الاستحواذ على تونس .

انّ صدور هذا البرنامج لم يحدث أي تحمّس في الأوساط الوطنية خاصة و انّه تزامن مع الحملة الشرسة التي كانت تشنّها الأوساط الاستعمارية و صحفها و في مقدمتها زعيم المعمرين فينيك على التونسيين (2) . بل على العكس فانّ بعض الصحف القريبة من الوطنيين مثل ''النهضة'' أو ''تونس'' قد هاجمته و لم تر فيه أي عنصر جديد (3)

و قد دافع الشيوعيون عن هذا البرنامج مؤكدين ''أنّه مصاغ في اطار الحماية و يهدف الى تمكين الشعب التونسي من بعض المكاسب التي يمكن التحصل عليها بصفة عاجلة''(4)

و في نفس ذلك الاتجاه دعوا التونسيين الى تقييم مشروع بلوم - فيوليت(5) ايجابيا اذ رأت فيه ''المستقبل الاجتماعي''أوّل اجراء عملي صادر من الحكومة

---

(1) الانسانية 19 مارس 1937 ،من خطاب موريس طوريز أمام بورقيبة في اللقاء الذي نظمه التجمع الشعبي في باريس يوم 1937/3/1

(2) نظمت هذه الحملة خاصة صحيفتا ''تونس الفرنسية''و ''المعمر الفرنسي''الاستعماريتان و الأوساط الرجعية في الادارة التي ترد بعنف و تسيل الدماء خاصة في الاضرابات التي ينظمها العمال التونسيون المعلمون (المتلوي ،الرديف ،الجريصة) ، انظر لاحقا.

(3) المستقبل الاجتماعي : 13-2-1937 هي التي أوردت هذه الانتقادات

(4)المستقبل الاجتماعي : نفس المصدر

(5) مشروع Blum Violette الذي يمنح حق الانتخاب لـ 20.000 جزائري ،و قد قاومته بشدّة جمعية النجم الشمال الافريقي التي يتزعمها مصالي الحاج في حين سانده المؤتمر الاسلامي الذي كان يضم كما رأينا الشيوعيين و العلماء و المنتخبين .

لفائدة الشعوب المستعمرة (1)

و بالاضافة لعدم تحمس الوطنيين لبرنامج التجمع الشعبي فانّ أجواء انعدام الثقة و التنافس ستسيطر على العلاقات بين الطرفين و سيتدعم الاحتراز اثر الاجراءات المتخذة ضد الوطنيين في كلّ من الجزائر و المغرب (2) و خاصة اثر سقوط حكومة بلوم الأولى في جوان 1937 و تعويضها بحكومة الراديكالي شوطن .

و هكذا سيسير التجمع الشعبي و الأحزاب الوطنية و خاصة الدستور الجديد في طرق موازية و سيتأكد - مع الأيام - بالنسبة لكلّ طرف صعوبة الالتقاء . بل انّ التباين سيتحوّل في مناسبات عديدة الى تبادل للهجومات و التهم .

كان ذلك في الرد العنيف الذي قام به بورقيبة على تصريح بوزنكي لصحيفة تونس المسائية حول أحداث الرحبة (3) و قد أدّى ذلك لفتور العلاقات بين الاشتراكيين و الدستوريين .

كما أنّ الخصومات الكلامية ستميز كذلك العلاقات بين الشيوعيين و الدستوريين بداية من شهر جوان 1937 ،فقد انتقد بورقيبة ،في اجتماع له بالقيروان ،الشيوعيين الفرنسيين و ''اتهمهم بخيانة

---

(1) المستقبل الاجتماعي : 24 فيفري 1937

(2) تمّ في يوم 26 جانفي 1937 حلّ جمعية نجم الشمال الافريقي و في يوم 11 مارس 1937 قام مصالي الحاج بتكوين حزب الشعب الجزائري الاّ أنّه سيتمّ القاء القبض عليه يوم 27 أوت 1937 ،و قد كتب الدكتور سليمان بن سليمان في العمل التونسي بتاريخ 1937/2/7 أنّ هذا الاجراء لا يشرف حكومة الجبهة الشعبية...

(3) أدلى بوزنكاي (كاتب عام اتحاد النقابات س.ح.ت.) بتصريح لصحيفة تونس المسائية يوم 18 جوان 1937 حول حوادث الرحبة و قد ردّ عليه بورقيبة بمقال صدر في العمل التونسي بتاريخ 25 جوان 1937 عنوانه ''نحن و جامعة عموم العملة التونسية''

الشيوعية لارضاء الاشتراكيين''(1)

و قد ردّ علي جراد على ذلك الخطاب بمقال حماسي على أعمدة ''الطليعة'' ذكر فيه بتمسك الشيوعيين في فرنسا و تونس بمبدأ التحرّر السياسي والاقتصادي للشعوب المغلوبة على أمرها''(2) و أكد أنّ النضال من أجل الاستقلال يمرّ اليوم عبر مقاومة الفاشيزم ''(3)

انّ هذا الاختلاف سيبرز أيضا بمناسبة دور بعض الشخصيات العربية ، ففي حين اعتبر الحبيب بورقيبة في مقال له لجريدة العمل التونسي ''شكيب أرسلان رائدا قديما من روّاد النضال ضد الاستعمار (4) فانّ المستقبل الاجتماعي تردّ بعد أسبوعين بمقال تحت عنوان ''شكيب أرسلان عميد الفاشيستية '' (5) نظرا للعلاقات التي كانت تربطه بموسوليني .

منذ صائفة 1937 ستبدأ ثقة الوطنيين في الحكومة الفرنسية في التقلص خاصة اثر سقوط حكومة بلوم . أمّا أحزاب التجمع فانّها واصلت مساندتها رغم تسجيلها للبطء الذي وقع به تطبيق برنامج الجبهة الشعبية في تونس (6) .

---

(1) الطليعة : 27 جوان 1937 مقال علي جراد : نحن و المسألة الوطنية

(2) نفس المصدر.....

(3) نفس المصدر

(4) العمل التونسي 3 جوان 1937 : مقال بقلم الحبيب بورقيبة ،و شكيب أرسلان هو من مواليد 1886 بلبنان ،شغل عدّة خطط في اطار الادارة العثمانية ،قاوم المحاولات الفرنسية للاستحواذ على سوريا ،و قد أسّس بجينيف اللجنة السورية الفلسطينية ...

(5) الطليعة 20 جوان 1937 : شكيب أرسلان عميد الفاشستية

(6) الطليعة 27 جوان 1936 : تصريح التجمع الشعبي اثر سقوط حكومة بلوم و تعويضها بحكومة شوطون

و في شهر أوت 1937 سيردّ علي جراد على ما جاء على لسان صالح بن يوسف في اجتماع عقده بالملاسين حيث ذكر هذا الأخير أنّ الصراع الطبقي منعدم في تونس لأنّ كل التونسيين يمثلون طبقة واحدة و أنّ هذه النظرة يروّجها في تونس حزب أجنبي (1)

و بصفة عامة فانّ اهتمامات الشيوعيين ستتركز أكثر فأكثر بداية من خريف 1937 على مسألة النضال ضدّ الفاشية و القضايا المرتبطة بذلك و ستحدّد التحالفات السياسية و الاجتماعية بالارتباط بتلك المهمّة .

لذلك ستتجه أنظارهم للمشاركة في نشر الدعاية المضادة للفاشية في صفوف الجالية الايطالية حيث قرّروا بعث مجموعة ايطالية داخلية (2) ستتولى نشر مقالات في صحيفة الايطالي التونسي باللغة الايطالية ،و في شهر سبتمبر 1937 سينظم الحزب الشيوعي موكب دفن كبير و ذلك اثر اغتيال الايطالي ميتشلي من طرف رجال المخابرات الايطالية ''الأوفرا'' (3)

و الى جانب المقالات العديدة التي تفضح النوايا التوسعية لايطاليا في تونس (4) فانّ الشيوعيين كانوا يحذرون الوطنيين

---

(1) المستقبل الاجتماعي : 7 أوت 1937 ،مقال علي جراد بعنوان لخبطة بعض قادة الدستور .

(2) رأينا أعلاه أنّه تمّ بعث خلية للايطاليين داخل الحزب الشيوعي في اطار المجهودات لمقاومة التأثير الفاشي داخل الجالية الايطالية الموجودة بتونس .

(3) ميتشلي (قوسيب) ولد بتونس حوالي 1905 (من أصل ايطالي) كان يشتغل نجارا وهو عضو نقابة البناء و بالرابطة الايطالية لحقوق الانسان ،تمّ اغتياله من طرف مجموعة من الشباب الفاشي الايطالي الذي نزل من باخرة حربية للاستراحة بتونس . و قد حضر لتشييع جنازته 20.000 شخص يوم 22 سبتمبر 1937 (حسب الصحافة الشيوعية)

(4) انظر المستقبل الاجتماعي 21 أوت 1937 ، 7 فيفري 1938 و 18 مارس 1938 و خاصة 1 أفريل 1938.

من أخطار توظيف تحركاتهم من طرف السلط الايطالية و ضرورة مراعاة التطوّرات التي كانت تشهدها العلاقات الدولية.

و في هذا الاطار انتقد الشيوعيون عدم اهتمام المؤتمر الثاني للحزب الدستوري الجديد بالأوضاع العالمية (1)

و هكذا فانّ مواقف الشيوعيين بتونس ستكون محددة بالحيثيات و الأولويات التي رسمتها الحركة الشيوعية العالمية منذ المؤتمر السابع للأممية الذي وضع مسألة النضال ضدّ الفاشية في مقدّمة الاهتمامات. و لم ينجحوا في التوفيق بين مقتضيات هذا النضال ضدّ الفاشية الذي طرح على كلّ القوى الديمقراطية في العالم و المهمّة الخصوصية التي تحمّس لها التونسيون و أحزابهم الوطنية المتمثلة في مقاومة الاستعمار.

- انّ هذا التطبيق المبسط للتحليل العام للحركة الشيوعية سيؤدي الى انعزال الحزب الشيوعي عن مطالب الحركة الوطنية و الى اعتبار تحرّكات التونسيين من أجل تحقيق مطالبهم الوطنية تساعد موضوعيا المطامع الايطالية في تونس،ذلك انهم اعتقدوا أنّ انفصال البلاد عن فرنسا في تلك الظروف لن يؤدي الاّ لوقوعها فريسة في يد موسوليني.

انّ هذا الفشل في ايجاد أرضية مشتركة مع الحركة الوطنية و ربط علاقات مع أحزابها سيشمل أيضا المجال الاجتماعي حيث سيحدّد الشيوعيون سياستهم في الحركة النقابية حسب متطلبات النضال ضدّ الفاشية و جلب العمال الى حضيرة هذا النضال ممّا سيؤدي بهم الى التضحية مرّة أخرى بالطموحات الوطنية و التخلي عن جامعة عموم العملة التونسية الثانية

---

(1) المستقبل الاجتماعي 6 نوفمبر 1937 ،مقال حول نتائج المؤتمر الثاني للحزب الدستوري الجديد المنعقد في أواخر أكتوبر 1937 و بداية نوفمبر و الذي تمّ خلاله رفع ''حسن الظن'' الذي منح للحكومة الفرنسية منذ 10 جوان 1936 مع ابقائه بالنسبة للمقيم

ج) الشيوعيون و الحركة النقابية في تونس

(1936 / 1938) انضمام لاتحاد النقابات

(السـ ج.ت) و تخلي عن جامعة عموم العملة التونسية الثانية.

شهدت صائفة 1936 انطلاقة جديدة للحركة النقابية في تونس في اطار، اتحاد النقابات ،، وهو الاتحاد الجهوي للجامعة العامة للشغل الفرنسية (س ج.ت) و كذلك في اطار جامعة عموم العملة التونسية الثالثة التي سيتزعمها علي القروي ثم بلقاسم القناوي.

ان هذه العودة القوية للنشاط النقابي بابعاده الوطنية و الطبقية تعود للاوضاع الصعبة التي كانت تمر بها الطبقة العاملة بفرعيها العصري و التقليدي و ذلك نتيجة لتاثيرات الازمة الاقتصادية العالمية التي لا تزال ماثلة حتى سنة 1936.

كما ان النشاط النقابي سيحظى لاول مرة بمعطيات ملائمة من حيث الاطار القانوني و السياسي ، فبعد الاعتراف بحق التنظيم النقابي الذي نص عليه مرسوم الباي في نوفمبر 1932 ، فان قدوم مقيم عام جديد و صعود اليسار للحكم في فرنسا تعتبر عوامل مشجعة و مساعدة على دفع الحركة النقابية في تونس

الا ان مواقف الشيوعيين في المجال النقابي ستكون متاثرة ايضا بالاولويات الجديدة و المتمثلة في تعبئة كل القوى للنضال ضد الفاشية.

.../...

.1) عودة النشاط النقابي في تونس بداية من صائفة 1936 /

* توحيد الحركة النقابية الفرنسية بتونس و بروز اتحاد النقابات :

انعقد يوم 6 مارس 1936 بمدينة تولوز المؤتمر التوحيدي (1) للمركزيتين النقابيتين الفرنسيتين اللتين كانتا تتقاسمان الطبقة العاملة الفرنسية منذ اندلاع الخلاف بين الاشتراكيين و الشيوعيين اثر تاسيس الاممية الشيوعية.

و قد سبق الاعلان الرسمي عن هذه الوحدة في صلب الس ج. ت
و رجوع النقابيين الشيوعيين للمنظمة الام.
انعقاد مؤتمرات قاعدية لتوحيد النزاعات النقابية.

و في ذلك الاطار انعقد المؤتمر التوحيدي الجهوي بتونس يوم 16 فيفري 1936. كان الحضور محتشما في هذا الاجتماع 13 نقابة تجمع بين 2000 و 3000 منخرطا (2).

اسفر المؤتمر عن انتخاب هيئة ادارية موحدة ضمت نقابتين شيوعيتين من جملة 18 عضوا اغلبهم اشتراكيون و لم تسمح ظروف التعسف البيروطوني التي لا تزال تعيش تحت وطاتها البلاد بعودة النشاط النقابي بالرغم من تدهور

---

(1) سبق المؤتمر التوحيدي عدة مبادرات و نشاطات مشتركة بين المركزية ذات النزعة الاشتراكية و المركزية ذات النزعة الشيوعية. فبالاضافة للاضراب العام المشترك للنضال ضد الفاشية الذي تم يوم 12 فيفري 1934 فقد انضمت النقابتان للتجمع الشعبي المعادي للفاشية الذي تم تكوينه يوم 14 جويلية 1935 و في سبتمبر 1935 تم الاتفاق المبدئي على الوحدة النقابية انظر.
-Jean Bruhat et Mare Piolot, Esquisse d'une histoire de la C.G.T(1895-1965) éditions de la CGT 1976. P 125 - 126

(2) هذه الاحصئيات حسب ما اوردته ،، نشرية لجنة افريقيا الفرنسية ،، (الموالية للاستعمار) سنة 1936. و قد ذكرها كلود ليوزي في كتابه الحركة العمالية في تونس ازمات و تحولات.. المصدر السابق ص 60.

.../...

الاوضـــاع الاجتماعيـة و تفاقـــم البطالة (1) و نزوح الاف الريفيـــين في اتجـاه المـدن الكبرى.

ان عودة النشاط النقـــابي ستكون بطيئة في ربيع 1936 الا انهـا ستشهـد دفعـا قويا اثر فـوز اليـــسار في ماي 1936 و السماح بالنشاط النقابي و السياسي في الايالـة.(2).

واول مظهـر لنشاط اتحـاد النقابـات تمثل في المشاركة في الاحتفالات التي نظمتهـا المنظمات اليساريـــة بتونس بمناسبة فوز الجبهـة الشعبية (3).

و سرعان ما عرف الاتحـاد حركية كبيرة و اقبالا من طـرف العمال بجميـــع اصنافهـم للتنظيم داخل نقابات اساسيـــة و تحرير مطالبهـم الخصوصية كل حسب قطاعـه و تجدر الاشارة الـــى ان هذه الحيوية النقابيـة ستكون امتدادا لما شهدته فرنسا من حركة الاضرابات التي عقبت نجاح الجبهـة الشعبية (اواخـر ماي و بداية جوان 1936) والتي توجت بامـــضاء اتفـاقيات ماتينيون بيـن ممثلي النقابات و ممثلي الاعـراف (4)

---

(1) ذكر مندوب الحزب الشيوعي التونسي امام المؤتمر السابع للاممية الشيوعية ان نصف الطبقة العاملة هي في حالة بطالة.

(2) ،، تـونس الاشتراكيـة ،، 17 جوان 1936 ذكرت ان النقابيين في تونس من النزعتين ساروا على خطى رفاقهم في فرنسا و قاموا خلال الاشهـر الاخيرة بتوحيد الحركة النقابية في صلب اتحاد النقابات.

(3) نظمت الاحزاب و المنظمات المساندة للجبهـة الشعبية بتونس اجتماعا يوم 14 جوان 1936 بحديقة قمبطا حضره 10.000 شخص. و تكلم باسم اتحاد النقابات هرمان ،، تونس الاشتراكية ،، 15 جوان 1936 و في يوم 14 جويلية تم بعث كما راينا ،، التجمع الشعبي بتونس، و كان اتحاد النقابات من بين اعضائه ،، تونس الاشتراكية ،، 5 جويلية 1936 .

(4) تم امضاء اتفاقيات ماتينيون (قصر الحكومة) يوم 7 جوان 1936 نصت بالخصوص على اقامة العقود المشتركة للعمل، رفع الاجور بين 7 و 15./. . انتخاب نواب للعمال في المصانع التي بها اكثر من 10 عمال. و في المقابل دعت النقابات العمال للرجوع الى عملهم. و في الايام الموالية سيصادق البرلمان على اسبوع 40 ساعة ويوم العطلة الاسبوعي. و العطلة السنوية الخالصة الاجر. المصدر السابق تاريخ الس.ج.ت ص 145 و 146.

.../...

ان انتشار خبر امضاء هذه الاتفاقية هو الذي سيكون المحرك الاساسي للحكرة الاضرابية و تكوين النقابات في تونس حيث سيسارع العمال في القطاعات العصرية والذين لهم ارتباط قطاعي بفرنسا للمطالبة بان تشملهم الاجراءات الجديدة.

ان الحركة المطلبية التي ستهم في تونس في صائفة 1936 ستكون نتيجة لصدور قوانين و ليس للمطالبة باصدارها كما كان الشان في فرنسا (1) ذلك انه قبل ان يتبلور عمل اتحاد النقابات عبرت السلط عن استعدادها لاعلان اجراءات لفائدة العمال و ذلك يوم 24 جوان 1936. (2)

ففي يوم 2 جويلية 1936 تم الاعلان عن ،، اتفاقيات القصبة ،، على غرار ما وقع في فرنسا (3) الا ان تطبيقها العملي و نشرها في ،، الرائد الرسمي التونسي ،، لن يتم الا يوم 7 اوت 1936 عندما عمت الحركة الاضرابية اغلب القاطاعات و ذلك خلال كامل شهر جويلية. (4)

لقد تزامنت حركة الاضرابات و المطالبة بتطبيق الاجراءات الاجتماعية مع حركة بعث النقابات التي ستشهد انتشارا سريعا بين شهري جويلية و سبتمبر 1936 و سيبلغ عددها 84 نقابة

---

(1) مصطفي كريم، الحركة الاجتماعية في تونس في الثلاثينات (بالفرنسية) نشر مركز الدراسات و الابحاث الاقتصادية و الاجتماعية . تونس 1984 ص 106.

(2) نفس المصدر. ص 113

(3) كلود ليوزي، الحركة العمالية ... المصدر السابق ص 74

(4) كلود ليوزي ، ابمصدر السابق ص 77 يحصى عدد الاضرابات حسب القطاعات كالاتي و ذلك في المدة الفاصلة بين جويلية و سبتمبر

ـ عمال البناء و النشاطات المشابهة	9 اضرابات
ـ عمال المعادن و الميكانيك	3 ،،
ـ عمال التغذية	3 ،،
ـ عمال المطاحن	2 ،،
ـ عمال المغازات الكبرى	2 ،،
ـ عمال الفلاحة ببرج السدرية	2 ،،
ـ عمال الصناعات الكيميائية	1 ،،

في حـــين ان عـدد النقابات التي وقع تمثيلهـــا في المؤتمر التوحيدي المنعقد في فيفري 1936 لم يتجـاوز 13 (1).

و لا شك ان ،، تفهم السلط الجديدة ،، كان بدوره احدى العوامل المشجعة للحركة المطلبية التي كانت تنطلق في شكل اضراب عفوي او احتجاج ينتهي في اغلب الاحيان باعلان المضربيـــن عن تكوين نقابـــة في مؤسستهـــم و انضمامهم لاتحـاد النقـــابات.

لقد كان على هذه المنظمةوبعدد قليل جدا من الاطارات مواجـــهة رغائب و طلبات عديدة في نفس الوقـــت (تنظيم الاضرابات و تاطيرها، بعث النقابات تحديد المطالب و تحرير اللوائح ، المفاوضات مع السلط... (2)

كما ان هذه الحركة لم تقتصـــر على العاصمة بل شملت المدن الكبرى و المراكز العمالية مثل بنزرت ، سوسة ، صفاقس و كذلك مناجم الجنوب الغربي التي سيدخلهـــا العمل النقابي المنظم لاول مرة في تلك الفـترة .

لقد ضم اتحـــاد النقابات كل العناصرالتي تتكون منهـــا الطبقـــة العاملـــة في تونس (التونسيـــون المسلمون و اليـــهود، الفرنسيون ، الايطاليون و المالطيون... وهو ما يتجلى من خلال تقرير عثرت عليه جوليات بسيس (3) في ارشيف الخارجية الايطالية موجه بتاريخ 26 اوت 1936 - في خضم الحركة الاضرابية و تكوين النقابات - من طرف القنصلية الايطالية بتونس
و رغم ان الهدف الاصلي مـــن التقرير هـو احاطـــــة الســـلـــط في رومـــــا

---

(1) كلود ليوزي، الحركة العمالية... المصدر السابق ص 77

(2) حدثنا عن تلك الفترة ليون زانا (حوار اجريناه معه في باريس 1983.9.13) الذي كان شاهد عيان حيث كان عضوا شيوعيـــا في الهيئة الادارية للاتحاد النقابات الى جانب حسن السعداوي و اوغست فور.و ليون زانا هوتونسي يهودي انخرط في الحزب الشيوعي سنة 1929. اطرد من البنك سنة 1933 نظرا لنشاطه النقابي و في سبتمبر 1934 شمله الابعاد للجنوب . ساهم في اعادة احياء الحركة النقابية في صائفـة 1936 و كان له من العمر انذاك 23 سنة (حماس و قلة تجربة) كما يذكر هو بنفسه

(3) - BESSIS Juliette. La Mediterranee fasiciste .l'Italie Mussolinienne et la Tunisie Karthala. Paris 1981. P 188

عملا بتحركات و درو العمال الايطاليين في الحركة النقابية التي كانت بصدد التكوين ، فانه يمثل عينة يمكن ان تبرز لنا اهم خصائص العمل النقابي الذي اشرف على تسييره اتحاد النقابات .

- الترامينو 200 منخرطا تقريبا
- عمال المناجم و المقاطع :1.200 منخرطا
- المعادن 500 منخرطا
- اعوان و عمال النفط و مشتقاته : 400 منخرطا (عدد الايطاليين قليل)
- اعوان وعمال مطاحن : 800 منخرطا. قيادة النقابة لدى اليهود التونسيين.
- نقابة عمال المقاهي و المطاعم :200 منخرطا من ضمنهم 100 تونسي مسلم و البقية ايطاليون و يهود تونسيون
- نقابة الصبابطية : 200 منخرطا تونسيون يهود و مسلمون
- اعوان التجارة : 1.500 منخرطا خصوصا من اليهود التونسيين.
- عمال البناء : 200 منخرطا من بينهم عدد كبير من الايطاليين.

يبرز هذا التقرير الانتشار القطاعي للعمل النقابي بعد شهرين فقط من عودة النشاط النقابي بتونس كما نلاحظ النسبة المرتفعة للانخراطات النقابية مقارنة مع العدد الجملي للعمال في المؤسسة.، و يظهر بوضوح ان اتحاد النقابات استطاع ان يهيمن بسرعة على القطاعات، العصرية،، التي يخضع عمالها و اعوانها لتنظيم اجتماعية تشبه ما هو موجود بفرنسا (الترامينو، المعادن ، اعوان النفط، المطاحن...)
لذا سيعمل اتحاد النقابات في الاشهر الموالية على تلافي النقص في تاثيره

في القطاعات التقليدية،، (1) خاصة وان الساحة النقابية ستشهد محاولة لاحياء جامعة عموم العملة التونسية التي ستعتمد خاصة على الصناعات المحلية مثل النسيج و الشاشية و البلاغجية و المطاحن...

* تاسيس جامعة عموم العملة التونسية الثانية

(1937 / 1936)

نفس العوامل التي كانت وراء دفع نشاط اتحاد النقابات سيجعل بعض رفاق محمد علي العائدين من المنفى يفكرون في اعادة احياء جامعة عموم العملة التونسية.

فقد اغتنم علي القروي فرصة الاجتماع العام الذي عقدته المنظمات اليسارية يوم 14 جوان 1936 بحديقة قمبطا ليعلن عن نيته في اعادة بعث جامعة عموم العملة التونسية و قد كان محفوفا بمجموعة من عملة الرصيف(2)

---

(1) اول اجتماع عقده اتحاد النقابات بعمال و صنايعية القطاع التقليدي الذي يعتمد على هياكل انتاج ما قبل راسمالية كان يوم 17 جانفي 1936 برحبة الغنم و تراوح عدد الحاضرين حسب المصادر من 1500 (البوليس) الى 8000 (حسب المنظمين). ومن ابرز ممثلي النقابات الذين تناولوا الكلمة، محمد الاطرش (نقابة الجزارين في المسالخ). الحاج منجي السماتي (نقابة النسيج الميكانيكي)، مصطفى المؤدب (عمال الشاشية) علي بوحوالة (البرانسية). مختار المقراني (البلاغجية)... ومن ابرز المطالب التي تضمنتها اللائحة الصادرة عن الاجتماع هو ان يقع توزيع الاعانات عن طريق النقابات و لا عن طريق شيخ المدينة.
انظر ارشيف الحكومة التونسية :سلسلة الحركة الوطنية تقرير بتاريخ
و كذلك ،، المستقبل الاجتماعي،، بتاريخ 24 جانفي 1937.

(2) كوهين حضرية. مذكرات شاهد عيان اشتراكي.. المصدر السابق ص 122، يذكر ان علي القروي تقدم الى رئيسة الاجتماع ايفا فيشت طلب اخد الكلمة بعد ان تعهد باحترام نظام الاجتماع و لكنه منذ الجمل الاولى اتخذ كلامه طابعا استفزازيا (كذا) و قد حاولت الجماعة التي كانت تناصره افتكاك التجمع لفائدتها (15 او 20 فردا) ، لكن سرعان ما تم اقصائهم عن المنصة.

.../...

ويوم 17 جوان 1936 اكد في حديث لصحيفة ،، البتي ماتان،،وجود مشروع لبعث الجامعة من جديد و انها ستضم العمال التونسيين و انها ستكون مستقلة عن المنظمات المحلية و ستنخرط مباشرة في الجامعة العامة للشغل بفرنسا و في الاممية الثانية (1).

و في يوم 21 جويلية 1936 اسس علي القروي مع مجموعة من رفاقه القدامى الذين كانوا مع محمد علي سنتي 1924 و 1925 في التجربة النقابية الوطنية الاولى هيئة وقتية (2) و تمضي اكثر من 5 اشهر دون ان يسجل نشاط يذكر لهذه الهيئة الوقتية بل نلاحظ انه تم اعلان عن تاسيس هيئة وقتية جديدة يوم 16 مارس 1937 تولى المسؤولية الاولى فيها بلقاسم القناوي عضو الحزب الدستوري الجديد و الذي عرف المنفى في عهد بيرطون ، اما علي القروي فتولى خطة كاتب مساعد.

و يظهر ان الهيئة الجديدة قد وقع تقاسمها بين رفاق محمد علي (القروي ، طاهر بن سالم و محمد الغنوشي ...) و مجموعة ثانية تنتمي للحزب الدستوري الجديد و في مقدمتها بلقاسم القناوي.

و سرعان ما دب خلاف بين المجموعتين و ذلك بمناسبة اضراب حمالة الحبوب التونسيين الذي نشب في جوان 1937، اثر نزاعهم مع نظرائهم الجزائريين حيث عبر ، علي القروي و جماعته عن عدم مساندته لهذا الاضراب.

---

(1) اورد هذا الحديث مصطفى كريم في كتابة الحركة الاجتماعية في تونس في الثلاثينات المصدر السابق ص 200 و قد نقله كريم بدوره من اطروحة علي نور الدين ،،التطور الاقتصادي ، التحولات الاجتماعية و النضالات السياسية،، ص 188 و 189.

(2) علي المحجوبي ، الحركة الوطنية بين الحربين... المصدر السابق ص 129

لذا فانه سيتم اقصاء القروي من مكتب الجامعة في مؤتمرها التاسيسي المنعقد يوم جوان 1937(1).

حضر اشغال هذا المؤتمر ممثلون عن 45 نقابة (2) و يظهر ان هذا العدد لم يقع تجاوزه بكثير ذلك ان الوجود الفعلي لهذه المنظمة سيتواصل حتى المؤتمر الموالي الذي انعقد يوم 29 جانفي 1938.

و قد امتد تاثير الجامعة خاصة للمؤسسات التي تشغل المسلمين مثل العمال الفلاحيين، و المسالخ ، و المخابز ، و المناجم، و النساجة، و عمال الرصيف و بائعي الخضر في السوق المركزية.(3).

---

(1) مصطفي كريم ، الحركة الاجتماعية في الثلاثينات... المصدر السابق ص 202. يورد في القائمة الكاملة لمكتب الجامعة:

- الكاتب العام	بلقاسم القناوي
- الكاتب العام المساعد	محمد باش طبجي
- امين المال	محمد مقطوف
- امين المال المساعد	صادق التكالي
- المراقبون	المكي بن سالم، محمد الصيد
- الاعضاء	الطيب الصغير، محمد الغنوشي ، محمد بن عمر . حاج الهادي الساسي، عمر السراي، محمد بنور. التهامي بن جراد ، جيلاني التركي البشير الزواوي.

نلاحظ بقاء محمد الصيد و محمد الغنوشي لكن دون ان تكون لهما مسؤوليات هامة.

(2) كلود ليوزي، الحركة العمالية في تونس المصدر السابق... ص 92

(3) كلود ليوزي المصدر السابق. الملحق رقم 3. ص 172 . حيث قام باعداد قائمة قطاعية و جغرافية لانتشار جامعة عموم العملة التونسية.

(4) نفس المصدر. ص 174

اما الامتـــداد الجغرافــي للمنـظمـة فقد تركــز بالخـصوص في الشمال كبنزرت ، مــاطر تونس العاصمة و الوطـــن القـبلي و مناجم الجنوب (1).

لقد استطاعت جامعة عموم العملة الثانية خلال المدة القصيرة لوجودها (8 اشهر) ان تضم مجموعة هامة من النقابات و ان تعبر عن الوعي النقابي للتونسيـيـن المتضرريـــن من الازمـة الاقتــصادية خاصة ذات الطابع التقليدي(2).

و معلوم ان هذه الفئات تمثل وزنا هاما في النسيج الاجتماعي للمجتمعات التي تتعرض للهيمنة الاستعماريـة الراسماليـة فهي سريعـة التاثر بازمات النـمط الصناعي العصري نتيجـة اغداق السوق المحلية للبضائــع المجلوبة من المركز الاستعماي و باثمان منخفضــة مما يؤدي الـــى افلاس الصناعات المحلية و تــضـــرر اصحابها وهو ما يجعل هذه الفئات الاجتماعيـة دائمـا على استعداد للمساهمة في النـــضال الوطني.

انْ اهمية الدور الذي يمكن ان يكون لهذه الجامعـــة ، جعلت الحزب الشيوعي التونســي يهتم بهـا و يسعـــى لاقناع قادتها بضـــرورة توحيدها مع اتحـاد النقابات.

---

(1) نفـــس المصدر ص 174

(2) ارينا سابقا كيف يقسم علي المحجوبي الازمــة الاقتصادية في البلدان المستعمرة الـى نوعيـن ، نوع عصري ناتج توقــف حركة التصدير . اما النوع الثاني فهو ناتج عن قدم قدرة القـطاع المحلي الصناعـــي عن المنافســة امام اعـــداق الســوق بالبضائع المصنعــة المجلوبـــة من المركز .

2. الحزب الشيوعي التونسي و جامعة العملة التونسية الثانية

سبق ان راينا الدعم و المساندة التي ابداها الشيوعيون تجاه التجربة النقابية الاولى في العشرينات و قد راينا ايضا ان الاهتمام كان يهدف في ذلك الوقت لتعبئة كل القوى لتحطيم القوة الاستعمارية لفرنسا.

اما في الثلاثينات و مع تغير الظروف و الاولويات فان اهتمام الشيوعيين سيتركز في اتجاه صهر الحركة النقابية التونسية في النضال ضد الفاشية.

ان ما يمكن ملاحظته ان انضمام النقابيين الشيوعين لاتحاد النقابات منذ فيفري 1936 كان بالاساس انسجاما مع قرار اتخذ في فرنسا و لم يكن نتيجة حركية و دفع وحدوي قاعدي شهدته البلاد التونسية كما كان الشان في فرنسا التي عرفت تحركات شعبية مشتركة للنضال ضد الفاشية منذ فيفري 1934.

لقد تم تطبيق هذا القرار تماشيا مع الاولويات التي حددها التكتيك الجديد و القائمة على تجمع كل القوى المعادية للفاشية و كان على الشيوعيين الذين عادوا من المنافي في اواخر شهر ماي 1936،، الامتثال،، لمقرارات الهيئات العليا الشيوعية العالمية و للشكل الذي اختاره الحزب الشيوعي الفرنسي لتجسيد هذا الشعار في المستعمرات الفرنسية.

.../...

ان هذا الانضباط المطلق من طرف الشيوعيين في تونس للشكل الذي ،، ارتضاه ،، لهم الحزب الشيوعي الفرنسي سيجعلهم يتخذون مواقف معاكسة لتلك التي بادروا بها في العشرينات و اجتهدوا لاقناع الشيوعيين في فرنسا بصحتها و صوابها (1).

فاثر الحادث الذي ميز اجتماع 14 جوان 1936 و المتمثل في اخذ علي القروي الكلمة لاعلان عزمه عن بعث جامعة عموم العملة من جديد سارع منظمو الاجتماع و من ضمنهم الشيوعيين لاصدار بلاغ شديد اللهجة للتنديد بكلام القروي(2).

و رغم انهم سيدخلون بعض التعديل في الاشهر الموالية على طريقة نقدهم لاصحاب مشروع الجامعة النقابية التونسية . فان ذلك سيشمل بالخصوص الشكل و ليس المضمون .

ففي اعدادها الاولي نشرت ،، المستقبل الاجتماعي،، صورة لمحمد علي و ذكرت انه منذ 11 سنة خلت (ديسمبر 1924) تكونت جامعة عموم العملة التونسية و ان قائدها محمد علي لقي مسانده من طرف الشيوعيين و من ضمنهم المختار العياري الذي انهى عقوبته في مصر و لكن السلط ترفض السماح له بالعودة الى تونس (3)

---

(1) راينا في الجزء الذي تناولنا فيه بعث جامعة عموم العملة التونسية كيف تردد الشيوعيون في فرنسا في البداية امام مشروع محمد علي قبل ان يقبلوا دعمه و مساندته

(2) كوهين حضرية .. المصدر السابق. ص 122. يذكر انه في اليوم الموالي للاجتماع اصدر ممثلو الاحزاب اليسارية بيانا حادا ضد القروي و كان للشيوعيين مساهمة نشيطة في تحريره وهو ما بين له قطيعتهم مع رفاق محمد علي.

(3) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 12 ديسمبر 1936 ، عنوان المقال الموجود بالصفحة الاولى منذ احدى عشرة سنة ،،.

و في شهر فيفري 1937 سيستغل السعداوي اعلان عمال نقابة الرصيف المستقلة اندماجهم مع النقابة التابعة للاتحاد النقابات (1) بتوجيه نقد غير مباشر لاصحاب مشروع بعث جامعة عموم العملة التونسية، و ليؤكد ان الطريق لصد ،، هجمات الاعراف ... و اعتداءاتهم المتكررة يوميا على الحق النقابي....، لا يكون ،، بالاتحاد،،.

ان هذا ،، الاتحاد،، حسب السعداوي يجب ان يتم بالالتحاق بصفوف اتحاد النقابات كما فعل عملة الرصيف عندما اعلنوا اندماجهم في النقابة التابعة له،، و حتى ان بقيت خلافات نظرية او فكرية فيجب حلها داخل،، الاتحاد المحلي بصفة ترضي كل النقابيين،،(2)

و لما تاكد عزم النقابيين التونسيين على تجسيد مشروعهم خاصة اثر نشر بلاغ صحفي يوم 28 فيفري 1937 من طرف بلقاسم القناوي الكاتب العام لنقابة الكرارطية وجه فيه الدعوة لكل النقابات،، الاهلية،، للحضور في اجتماع لتبادل الاراء لتاسيس جامعة تونسية ، فان ،، المستقبل الاجتماعي،، فتحت اعمدتها لمقال من تحرير محمد الاطرش الكاتب العام المساعد للاتحاد المحلي بتونس العاصمة التابع لاتحاد النقابات (3) حاول الاطرش ان يبين ان الاسباب التي جعلت محمد علي يفكر في انشاء جامعة تونسية سنة 1924 لم تعد موجودة

---

(1) تم يوم 15 فيفري 1937 اجتماع ضم عمال الرصيف بالعاصمة الذين كانوا منضوين في في نقابة مستقلة تكونت بزعامة علي شراد اثر صدور مرسوم نوفمبر 1932 الضامن للحق النقابي ، و قد اعلن العمال انضمامهم للنقابة التابعة للاتحاد النقابات.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي،،20 فيفري 1937 حسن السعداوي مقال بعنوان ، النقابات التونسية في طريق الاتحاد،،

(3) ،،تونس الاشتراكية،، 15 فيفري 1937 تم تكوين مكتب الاتحاد المحلي بتونس العاصمة التابع للاتحاد النقابات يوم 14 فيفري 1937 و قد ضم : - روبارت بيجاوي (التعليم الثانوي) كاتبة عامة. - محمد الاطرش(المسالخ) كاتب عام مساعد - كتاب :جاكينو التعليم الابتدائي) و قويران (المواني) - امين مال : الفيطوسي(المطاحن) - امين مساعد : عثمان (النقل) - حافظ الارشيف : قاري (البريد).

ذلك ان الظرف السياسي قد شهد تغيرا و ان مواقف النقابات الفرنسية قد تطورت بعد ان توحدت نزعاتها.،، و تحسنت خطتها و منهجها،، (1)

و قد اتخذ الجزء الثاني من مقال الاطرش طابعا هجوميا شديد اللهجة حيث خاطب اصحاب مشروع تاسيس الجامعة بقوله :

،، فلو كان محمد علي حيا لما وجد سببا في الوقت الحاضر و في الظروف الحاضرة لتكوين الجامعة التونسية لان الظروف الحاضرة خطرة يجب فيها على العملة التحذر من كل اسباب التفرقة و الخصام.
و الاشخاص الذين يدعون الان لتاسيس جامعة عموم العملة التونسية باسم محمد علي لا يفهمون من الجامعة الا الاسم لكنهم يجهلون غاياتها و مراميها وتاريخ تاسيسها....،، (2)

و نلاحظ ان نفس التهم التي وجهها الاشتراكيون لمحمد علي في العشرينات يقع استعمالها من جديد في الثلاثينات وهي بث ،، التقسيم،، و ،، التفرقة،، في صفوف الطبقة العاملة و عزلها عن كافة العمال في العالم.

و مع ان الشيوعيين كانوا يتبنون هذه المآخذ ضد الجامعة التونسية فان مواقفهم تجاهها ستتميز بالمرونة سيقومون بعدة مبادرات ،،لاقناع،، اصحابها لقبول الوحدة مع اتحاد النقابات.

من ذلك ان ،، المستقبل الاجتماعي ،،فتحت صفحاتها لبلاغات بلقاسم

---

(1) ،،المستقبل الاجتماعي،،13 مارس 1937، مقال محمد الاطرش بعنوان ،،اتحاد العملة قبل كل شيء،، يعترف ان السي ج.ت في سنة 1924 لم تكن راغبة في القضاء على سياسة الميز و الحيف التي ركزها الاستعمار بين العمال و ذلك بتفريق الطبقة العاملة لكنه يضيف انه بعد اتحاد النقابات الحمراء مع النقابات التابعة لامستردام اصبح الجميع يطالب اليوم بمبدا المساواة في الاجر عند المساواة في الشغل.

(2) نفس المصدر..

.../...

القناوي (1) احد اقطاب الجامعة الجديدة و ساندت المطالب التي تضمنها نداؤه.

كما انهم سيوضحون انهم لا يعارضون هذه الفكرة من حيث المبدأ، حيث يؤكد فور (2) ،، ان البلاد التونسية رغم انها محمية فرنسية لها سيادتها و لها طبقة عاملة رغم حداثة نشاطها لكن لها مميزاتها الخاصة و هي تتطور في ظروف محددة... لذا فان بعث جامعة وطنية هو امر يتماشى و المثل العمالية العالمية...،، (3)

لكنه يعتبر ان الوحدة النقابية في تونس يحتمها الظرف و المرحلة اذ ،، لا يخفى عليهم (النقابيون التونسيون) . ان الفاشية عاقدة العزم اكثر من اي وقت مضىعلى اتخاذ شمال افريقيا قاعدة لانتفاضتها.،، (4)

يقدم فور السبب الاساسي لرفض الشيوعيين لبروز الجامعة التونسية وهو الخطر الفاشي الذي يجب توظيف كل الطاقات من اجل مواجهته.

لقد راى الشيوعيون ان التكتيك الجديد يحتم جعل القضايا الاخرى بما فيها - المسألة الوطنية - في مرتبة ثانية بالنسبة للمهمة الملحة وهي النضال ضد الفاشية.

---

(1) ،،المستقبل الاجتماعي،، 17 افريل 1937 مقال تحت عنوان ،، الهزؤ بالاوامر،، بقلم بلقاسم القناوي الكاتب العام لنقابة الكرارطية يندد فيه بسلوك حامد عكاشة (احد الاعراف التونسيين) تجاه صناعه لانهم انخرطوا في العمل النقابي ، وهو ما يدل ان اجراءات الجبهة الشعبية لفائدة العمال ستجد ايضا معارضة من طرف الاعراف التونسيين.

(2) اوغست فور ، ولد في غرونوبل في اواخر القرن الماضي. انخرط في الحزب الشيوعي منذ العشرينات و كان عضوا نشيطا في نقابة السكك الحديدية . كان لعدة سنوات عضوا في قيادة الحركة الشيوعية بتونس قبل و بعد 1936

(3) ،،المستقبل الاجتماعي،، 19 جوان 1937 مقال اوغست فور من اجل وحدة البروليتاريا في تونس.

(4) نفس المصدر...

فبعث نقابة مطلبية و ذات بعد وطني يمكن ان يشل - حسب رايهم - المجهودات من اجل بناء جبهة لانصار الحريات الديمقراطية ، كما ان مساندة الشيوعيين الفرنسيين لمشروع كهذا قد يؤدي الى فقدان ثقة الاوساط البرجوازية الليبيرالية الفرنسية التي اهتمت بالنضال ضد الفاشية مع مناصرتها للنظام الاستعماري و المحافظة على الامبراطورية الفرنسية.

لقد اصبح الهاجس الاول لسياسة الشيوعيين هو العمل على كسب اكثر ما يمكن من الانصار للحريات الديمقراطية في جميع الفئات الاجتماعية (1) وهو ما سيؤدي بالتضحية بالمسائل الاخرى و من بينها المسالة الوطنية . كما ان طبيعة القاعدة الاجتماعية التي كان يتعامل معها الشيوعيون في النقابات لم تكن لتساند طرح القضية الوطنية . فاغلب المنضوين في اتحاد النقابات كانوا ينتمون كما راينا للقطاع العصري الذي سرعان ما استفاد من الاجراءات الاجتماعية الجديدة المتخذة في فرنسا و لم يكن يرى فائدة في مؤازرة مشروع ،، قومي ،، يمكن ان تترتب عنه بعض الاخطار عليهم وعلى فرنسا صاحبة الاجراءات الجديدة (2). و في اطار هذا الموقف العام المركز على اولوية النضال ضد الفاشية سنلاحظ وجود حساسيات مختلفة داخل الحزب الشيوعي التونسي فيما يخص تجسيد هذا الشعار على المسالة النقابية.

فقد اشتهر مثلا اوغست فور بتحمسه ضد تكوين جامعة

---

(1) علي المحجوبي، الحركة الوطنية بين الحربين... المصدر السابق ص 131

(2) ان الظروف الجديدة جعلت تفكير الشيوعيين منكبا على ضرورة الدفاع عن فرنسا و يرشحون عوامل،، الوحدة القومية،، على عوامل التنافر و الصراع الطبقي ، فالاولوية هي حماية فرنسا من الاخطار التي تهددها من المانيا خاصة التي كانت تريد الانتقام من الاهانة التي لحقتها في الحرب العالمية الاولى.

.../...

عموم العملة التونسية الثانية و تركيزه على النضال ضد الفاشية دون ايلاء المسالة الوطنية اي اهتمام.(1)

في نفس الوقت نلاحظ ان بعض المناضلين و خاصة من بين التونسيين سيكونون اكثر تفهما تجاه الجامعة، و قد عبروا عن ذلك مثلا بمناسبة حوادث الرحبة (2). فراوا ان غضب الحمالة التونسيين - الذي يسانده جماعة القناوي - له ما يبرره (3) خاصة و ان هؤلاء الحمالة فقدوا شغلهم نتيجة مزاحمة غير شريفة من طرف السوافة (الجزائريين) و في نفس القوت حذروا من السقوط في مظاهر العنصرية (4). و اثر الاعلام عن نتائج مؤتمر الجامعة و اقصاء علي القروي من مكتبهاعبر علي جراد عن تخوفه من ان ذلك سيزيد في تقسيم العمال بتونس.(5)

---

(1) جوليات بسيس، المؤسسون ... المصدر السابق ص 76 تذكر ان فور سيرفض دائما فكرة قطع الصلة بين نقابة السكك الحديدية في تونس وجامعة النقل في فرنسا، و انه سينسحب من قيادة الحزب الشيوعي سنة 1938 و يطرد منه في مؤتمر اريانة سنة 1939.

(2) حوادث الرحبة اندلعت بين الحمالة التونسيين و الجزائريين حيث يتعمد الاعراف تفضيل هؤلاء الاخيرين لقبولهم اجورا منخفضة و قد ساند اتحاد النقابات الحمالة الجزائريين فيما ساندت جامعة عموم العملة التونسية الحمالة التونسيين، باستثناء على القروي و سيكون ذلك سببا لاقصائه.

(3) ،، المستقبل الاجتماعي،، 19 جوان 1937، و هنا نشير الى وجود فرق بين موقف اتحاد النقابات الذي ركز على انتقاد من طالبوا بطرد العمال الجزائريين في حين ان المستقبل الاجتماعي ركزت على مشروعية غضب الحمالة التونسيين.

(4) ،، المستقبل الاجتماعي ،، نفس المصدر ...

(5) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 3 جويلية 1937 افتتاحية بقلم على جراد، من اجل وحدة العمل بين اتحاد النقابات (س ج.ت) و جامعة عموم العملة التونسية (س ج.ت.ت)

.../...

و قد سعى علي جراد بنفسه لتقريب وجهات نظر قادة كل من اتحاد النقابات و جامعة عموم العملة التونسية حيث اتصل بهم للتعرف على مواقفهم من الوحدة النقابية و تشجيعهم على تحاوز الخلافات القائمة بينهم (1)، و ان تعذر التوحيد الكامل يتحتم على النقابيين التنسيق فيما بينهم و القيام بتحركات مشتركة .(2)

الا ان قضية توحيد النقابيين ستصبح ثانوية بداية من خريف 1937 حيث كان على الجامعة التونسية توضيح علاقتها مع الحزب الحر الدستوري الجديد الذي لم يقبل النزعة الاستقلالية التي اظهرهازعماؤها خاصة عندما رفضوا المشاركة في اضراب 20 نوفمبر 1937، الذي اقره المؤتمر الثاني لهذا الحزب(3)

ان الخلافاتستبرز بوضوح بمناسبة الاحداث التي عرفتها مدينة بنزرت يوم 6 جانفي 1938 حيث نظمت الشعبة الدستورية و النقابة مظاهرة للاحتجاج على قرار السلط طرد المناضل الدستوري و النقابي حسن النوري الى الجزائر و سقط في هذه المظاهرة 6 قتلى و عديد الجرحى ، الا ان بلقاسم القناوي تبرأ من هذه الاعمال مؤكدا انه لم يعد لجامعته اي علاقة بنقابيي بنزرت، (4).

ان هذا التصرف الذي سلكه القناوي سيجعل الحزب الحر الدستوري يقرر وضع يده بالقوة على هذه المنظمة و ذلك بمناسبة انعقاد مؤتمرها يوم 29 جانفي 1938،

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 10 جويلية 1937، مقال،، ماذا يفكر قادة النقابتين حول الوحدة.،، بقلم علي جراد ، الذي حاور يحيى الدالي(اتحاد النقابات) فنفى ان يكون لمنظمته اي مسؤولية في تقسيم الحركة. اما بلقاسم القناوي فقد ابدى موافقته على التفاهم الظرفي لكنه لا يرى وجوبا لاتفاق دائم.

(2) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 3 جويلية 1937 نادى علي جراد الى تعايش النقابتين و ارساء العمل المشترك بينهما.

(3) اضراب اقره المؤتمر الثاني للحزب الدستوري و لم تقع مساندته من طرف احزاب اليسار و لا اتحاد النقابات لان هذا الحزب سحب ثقته من الجبهة الشعبية .

(4) ترجع القطيعة بين جامعة عموم العملة التونسية و نقابي بنزرت الى اضراب المتلين في جويلية 1937 و الذي لم يحظ بموافقة الجامعة.

حيث هاجم قاعة الاجتماع مجموعة من نقابي بنزرت و من اعضاء و قادة الحزب الدستوري من بينهم صالح بن يوسف و الهادي نويرة و المنجي سليم.

امام اجتياح القاعة من طرف عناصر ،، غريبة ،، عن جامعته قام بلقاسم القناوي برفع الاجتماع و مغادرة المكان لاعلام الامن بما وقع ، الا ان الجماعة الدستورية واصلت اجتماعها و انتخبت الهادي نويرة كاتبا عاما جديدا للمنظمة.

و قد عبر الشيوعيون بهذه المناسبة عن تعاطفهم مع القناوي و اعتبروا ان ما قام به الدستور ،، يكشف عن عدائه للحركة النقابية و هذا من شانه ان يجعل الشغالين المنخرطين في جامعة عموم العملة التونسية يدركون ان الوقت حان لتحقيق الوحدة النقابية مع عمال الس.ج.ت الكبرى،، (1) و فعلا فان هذه الخلافات ستضعف الجامعة بالاضافة للتغيير الذي سيشهده الوضع السياسي اثر احداث افريل 1938. وهو ما سيجعل القناوي و انصاره يقررون الاندماج في اتحاد النقابات بداية من شهر اوت 1938 و بذلك انتهت التجربة النقابية الثانية.

ان تشبث الشيوعيين في تونس باولوية النضال ضد الفاشية و عدم تمكنهم - رغم بعض الاجتهادات التي وقعت - من ملاءمة هذا الشعار بصفة خلاقة على الواقع التونسي جعلتهم يقفون موقفا سلبيا من التجربة النقابية الوطنية الثانية و ينعزلون عن هذه الطاقة النقابية الهامة.

الا ان انضمامهم لاتحاد النقابات و تحالفهم ،، السياسي،، مع الاشتراكيين لمواجهة الخطر الفاشي، لن يتواصل بدوره كثيرا، و ذلك ان العلاقات بين النقابيين الشيوعيين و رفاقهم الاشتراكيين لن تكون مستقرة بل ستحدث بينهم عدة خلافات ستؤدي الى عزلة الشيوعيين داخل النقابات ايضا.

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي ،، 7 فيفري 1938.

3 .) الخلافات بين الاشتراكيين و الشيوعيين داخل اتحاد النقابات

بأن توحيد الاتجاهات النقابية المتواجدة بتونس في صلب اتحاد النقابات كما سبق ان راينا كان نسجا على ما وقع في فرنسا في اطار توحيد الطبقة العاملة لمواجهة الخطر الفاشي و ليس تتويجا لحركة اجتماعية شهدتها البلاد. لذا فان الاختلافات و الحساسيات القديمة بين الاشتراكيين و الشيوعيين ستبرز في عدة مناسبات. و سيسعى كل منهما لاعطاء العمل النقابي بتونس الخاصيات التي توافق تصوره و كثيرا ما سيكون وزن الحزازات التي ميزت العلاقات بين الطرفين مؤثرا في تعاملهم اليومي .

فكما راينا فان الاتجاه الاشتراكي هو الذي هيمن على الحركة النقابية في تونس حتى التوحيد النقابي في 1936، و قد شعر الاشتراكيون عقب ذلك بنوع من ،، الضيق،، من تواجد الشيوعيين معهم في الهيئات المسؤولة.(1) خاصة و ان هؤلاء الاخيرين سيعمدون في عديد المناسبات الى القيام بالمشادات الكلامية مع النقابيين الاشتراكيين.(2)

---

(1) نص اتفاق التوحيد النقابي بين الاشتراكيين و الشيوعيين على حصول الاولين على ثلثي مقاعد الهيئات المسؤولة. في حين ان الثلث الباقي يكون من نصيب الشيوعيين والثلاثة اعضاء شيوعيين الذين كانوا اعضاء في الهيئة الادارية سنة 1936 هم حسن السعداوي ، ليون زانا و فور.

(2) ذكر لنا ليون زانا انه كثيرا ما وقعت مشادات كلامية بينهم و بين بوزنكي و في احدى المرات تم اقصاء السعداوي من مكتب الاجتماع.

.../...

اول مظهر لهذه الخلافات نلاحظه في الاجتماعات التي انعقدت في شهر اكتوبر 1936. لتقييم حصيلة الحركة الاضرابية و المطلبية التي قام بها اتحاد النقابات خلال صائفة 1936 .

نادى الاشتراكيون بضرورة ،، الاستراحة النقابية ،، حتى تتفرغ النقابة لتكوين العمال، كما راوا ان المزيد من الاضرابات من شانه ان يؤدي الى ،، احراج الحكومة ،، و يضعفها امام اعدائها . (1) .

اما الشيوعيون فقد اكدوا على ضرورة مواصلة ،، التعبئة النقابية ،، خلال شهر اكتوبر 1936 و عقد اجتماعات كبرى في حديقة قمبطا لاظهار قوة العمال امام الاعراف الذين بدأ البعض منهم يتراجع في الاتفاقيات التي امضاها في الصائفة .

هذا التململ في العلاقات بين الشيوعيين و الاشتراكيين سيبرز من جديد اثر الاحداث التي عاشتها مناجم المتلوي و المظيلة يومي 3 و 4 مارس 1937. حيث تدخلت قوات الامن لقمع العمال المضربين ، فقتل حوالي 20 عاملا و جرح عدد كبير .

اراد قادة ،، اتحاد النقابات ،، محاصرة هذا الحادث و عدم القيام برد فعل قوي خاصة و ان المقيم العام كان غائبا عن البلاد ، كما انه لم يمض على مغادرة فيانو تونس (2) سوى يومان بعد ان قدم وعودا كثيرة و ابدى تفهما تجاه المطالب التي قدمت اليه بالاضافة الى ان الضحايا كانوا من الاهالي فقط .

---

(1) ارشيف الحكومة التونسية (السلسلة التاريخية) ، مداولات الهيئة الادارية لاتحاد النقابات بتاريخ 12 اكتوبر 1936. من بين الحاضرين : بوزنكي ، السيد بيجاوي هرمان، السعداوي ، زانا و قد عبّر عن الموقف الشيوعي المؤكد على مواصلة الاجتماعات بزنينو (يهودي تونسي كاتب عام نقابة التارزية) .

(2) ادى بيار فيانو كاتب الدولة لدى وزير الخارجية الفرنسي المكلف بشؤون المغرب و تونس زيارة الى تونس في اواخر شهر فيفري 1937 و بعد القيام بعديد الاتصالات مع جميع الاطراف قام بتصريح يوم 1 مارس في اذاعة تونس

لذا فان الهيئة الادارية المنعقدة يوم 5 مارس 1937 ركزت كلامها نحو العمال حيث حذرتهم من ،، الاعمال الارادية (الغير مدروسة) التي بامكانها ضرب مطالبهم و المس من نجاحاتهم كما طالبتهم بالاحترام الكامل للانضباط النقابي،،(1) و في هذا الاطار نلاحظ ان رد فعل الجماعي لاتحاد النقابات لم يتم الا يوم 21 مارس (بعد 18 يوما من الاحداث)عن طريق تنظيم اجتماع احتجاجي (2). كما ان مقالات ،، تونس الاشتراكية ،، المعلقة على احداث المناجم كانت تسعى للتقليل من خطوراتها و ابعادها، داعية للرجوع للعمل ، و مشيرة الى امكانية وجود بعض التجاوزات من طرف بعض العناصر العديمة التكوين و التي اندست في صفوف المضربين و هم من غير العمال. (3).

اما لدى الشيوعيين فنلاحظ بعض الاختلاف في تقييم الحدث و يبرز ذلك بالخصوص في مقال علي جراد ،، اتساع المؤامرة ،، (4). حين يؤكد على ضرورة الرد على مثل هذه الاعمال لانها سلسلة متكاملة من الحركات صادرة عن اوساط في الادارة معارضة للسياسة الجديدة و ان هدفها هو الاطاحة بحكومة الجبهة الشعبية (5)

---

(1) ،، تونس الاشتراكية ،، 6 مارس 1937.

(2) ،، تونس الاشتراكية ،، 22 مارس 1937 ، قدمت ملخصا عن الاجتماع الذي نظمه اتحاد النقابات لمساندة عمال المناجم ، وحضره حسب الصحيفة 10.000 عامل و تراس الاجتماع كلا من دورال و محمود الرباعي، و طلبت اللائحة بمعاقبة المسؤولين و تطهير الادارة و اطلاق سراح المعتقلين و تتبع الصحافة التي نشرت اخبارا استفزازية حول ما جد بالمتلوي.

(3) ،،تونس الاشتراكية،، 6 مارس 1937 اقرت بوجود عناصر استفزازية في صفوف العمال و هم واعون بالدور الذي يريدون القيام به . و استشهدت بان عددا من الذين قتلوا ليسوا عمالا .

(4) ،، المستقبل الاجتماعي ،،13 مارس 1937 يعدد فيه المحاولات التي تمت في هذا الاطار مثل رسالة روبار فينيك رئيس المعمرين الفرنسيين التي وجهها للمقيم يتهمة فيها بالتخاذل امام التونسيين . انظر ،، المعمر الفرنسي 23 جانفي 1937،، و كذلك التشويهات التي قامت بها الصحافة الاستعمارية ، لتصريحات بورقيبة الذي كان يزور باريس انذاك .

(5) ،، المستقبل الاجتماعي،، نفس المصدر.

كما وجهت ،، المستقبل الاجتماعي ،، نقدا لما اسمته بالسلوك العنصري الموجود في بعض النقابات و حتى ،، لدى بعض القادة ،، و الذين ،، يعتبرون ان الطبقة العاملة التونسية ليست واعية و غير قادرة على النضال المتواصل.(1)

و رغم ان الاختلافات بين الطرفين لن تبرز بوضوح في المؤتمر العاشر للاتحاد النقابات في شهر افريل 1937 (2) فان النقابيين الشيوعيين سيستغلون تلك الفرصة لابراز تصورهم ،، الخاص، للعمل النقابي، حيث اكدوا على ضرورة تحمس الاتحاد للعمل من ،، اجل تطبيق مبدا المساواة في الاجر عند التساوي في العمل، و تجاوز الخلافات الداخلية و خصوصا القيام بجميع المجهودات لجلب العمال العرب لاتحاد النقابات و ضمان خاصة بقاءهم داخله . (3)

و سيشهد خريف 1937 احتداد الخلافات بين الطرفين حيث سيكون للتطورات السياسية التي عرفتها الساحة الفرنسية امتدادا داخل البلاد و النقابات.

ففي يوم 21 جوان 1937 سقطت حكومة ليون بلوم (الاشتراكي) و تكونت حكومة جديدة برئاسة كامي شوطان (الراديكالي) التي ستكون اكثر تفهما تجاه الاعراف ، اما في المجال الاجتماعي و قبل سقوط حكومة بلوم ، تم اعلان سياسة ،، الاستراحة،، (4) التي و ان تم انتقادها من طرف بوزنكي الكاتب العام

---

(1) المصر ذاته.

(2) انعقد هذا المؤتمر يومي 24 و 25 افريل 1937 ببورصة الشغل بالعاصمة، و حضره نواب عن 102 نقابة تضم اكثر من 40.000 منخرط و قد دار المؤتمر في جو حماسي فهو الاول الذي ينعقد في الظروف الجديدة و تم انتخاب هيئة ادارية تضم 21 عضو انظر ،، تونس الاشتراكية،، 1937.4.26.

(3) ،،المستقبل الاجتماعي،، 6 مارس 1937 مقال موريس سيتبون (كاتب عام نقابة اعوان التجارة

(4) تم اعلان فترة استراحة من طرف الحكومة الفرنسية في شهر مارس 1937 حيث تم دعوة الاطراف الاجتماعية لتعميم الاتفاقات المشتركة و التجديد الالي للاتفاقيات التي تم توقيعها في صائفة 1936 و في المجال النقابي كان ذلك يعني تفادي الحركة الاضرابية لمساعدة الاقتصاد.

للاتحاد النقابات (1) فانه سيكون مجبرا على اتباعها و فقا للخط الذي سار فيه حزبه (الاشتراكي).

اما المعارضة لهذه الخطة فسيكون مصدرها النقابات التي يسيرها شيوعيون و التي ستشن عدة اضرابات في معامل صناعة الكتاب (2) و المعادن و مغازات مونوبري. (3)

في هذا الاطار من التوتر الاجتماعي الناتج عن هذه الاضرابات و احتداد الخلاف بين النقابيين من النزعتين ووسط جو من تبادل التهم (4) قررت اغلبية اعضاء الهيئة الادارية لاتحاد النقابات و في مقدمتهم بوزنكي تقديم استقالتهم بهدف دعوة مؤتمر استثنائي للحسم في الخلاف القائم. (5)

---

(1) مصطفى كريم ، الحركة الاجتماعية في الثلاثينات.. المصدر السابق ص 183 يذكر ان بوزنكي وجه بعض الانتقادات لهذه السياسة و ذلك في خطابه بمناسبة غرة ماي 1937 .لكن النقد الرسمي لهذه السياسة لن يقع من طرف الاشتراكيين الا في شهر اوت ١938.

(2) ارشيف الحكومة التونسية (سلسلة الحركة الوطنية) تقرير بوليسي عن الاضرابات في الفترة بين 15 و 31 ديسمبر 1937 ، يذكر ان اضراب مطابع الكتاب انطلق يوم 21 ديسمبر في 3 من اكبر المطابع.

(3) نفس المصدر ... انطلق اضراب اعوان مغازة مونوبري يوم 23 ديسمبر و تمت خلاله عدة مشادات بين المضربين و العناصر التي جلبتهم الادارة لتكسير الاضراب.

(4) مصطفى كريم ،الحركة الاجتماعية ... ص 284، ،اتهم ،،الشيوعيون بالمزايدة ودعوة اعوان مونوبري لعدم قبول قرار التحكيم. اما الاشتراكيون فنعتوا ،، بالاعتدال،، و التعاون مع الحكومة...

(5) ،، العامل التونسي ،، (اللسان العربي لاتحاد النقابات) 5 جانفي 1938 و قد تمت الاستقالة يوم 3 جانفي الذين لم يستقيلوا هم (هرمان. السعداوي. زانا المؤدب. فوشي.)

وقد تم التحضير للمؤتمر الاستثنائي للاتحاد وسط جو من عدم الاستقرار السياسي الذي عقب استقالة حكومة شوطن الاولى(1) حيث تمكنت النزعة الاشتراكية من اثبات هيمنتها على اتحاد النقابات مستغلة بالخصوص اصوات الفئات الوسطية (الموظفين) الذين كانوا يرفضون ،، التطرف و المزايدة،، الشيوعية.

لقد تحصلت القائمة الاشتراكية في المؤتمر المنعقد ببورصة الشغل يوم 23 جانفي 1938 على الاغلبية (تراوحت الاصوات بين 215 و 280 في حين تحصلت القائمة الشيوعية من 85 الى 112 صوتا) (2).

و هكذا تمكن بورنكي و رفاقه من وضع حد للمحاولات التي كان يقوم بها الشيوعيون للهيمنة على اتحاد النقابات فمنذ جانفي 1938 سينفرد الاشتراكيون بقيادة اتحاد النقابات ويضيفون للشيوعيين هزيمة جديدة في المجال النقابي بعد فشلهم في اقناع الجامعة النقابية التونسية حتى تنضم للاتحاد النقابات.

لقد كانت حصيلة عمل الشيوعيين في النقابات في سنوات الجبهة الشعبية هزيلة بالرغم من المكاسب العديدة التي تحصل عليها العمال في تونس في مستوى تحسين الاجور و تحديد ساعات العمل و العطل الاسبوعية و السنوية،ذلك ان السياسة التي سلوكها ستؤدي الى عزلتهم بالنسبة للعمل النقابي الوطني و داخل النقابات الفرنسية المطلبية.

فمن ناحية راينا ان الطريقة التي طبقوا بها شعار النضال ضد الفاشية ادت بهم الى الانعزال عن جامعة عموم العملة التونسية الثانية و اهمال الرصيد الذي اكتسبوه لدى النقابيين الوطنيين نتيجة لمساندتهم و وقوفهم

---

(1) تواصلت هذه الحكومة من جوان 1937 الى جانفي 1938 ، عقبتها حكومة شوطن الثانية (جانفي /مارس 1938) ثم حكومة بلوم الثانية (مارس/افريل 1938)

(2) كلود ليوزي، الحركة العمالية ... المصدر السابق ص 109.

مع تجربة محمد علي. و من ناحية اخرى فان محاكاة العلاقات القائمة بين الاشتراكيين و الشيوعيين في فرنسا ستؤدي بهم الى فقدان المواقع التي تحصلوا عليها في قيادة اتحاد النقابات. لكن رغم هذه السلبيات شهد العمل الشيوعي داخل النقابات في فترة (1936 /1938) امتدادا جغرافيا، فالى جانب المناطق التقليدية (بنزرت ، فري فيل ، تونس) ربطوا علاقات مع مناجم الجنوب و مناطق داخلية مثل سوسة و صفاقس ، كما ستمثل هذه الفترة ميدانا لاختبار العديد من العناصر النقابية التي سيكون لها دور هام في فترة ما بعد الحرب و في مقدمتها نجد حسن السعداوي، علي التليلي ، بوروبان، ازباردي كما سينخرط في خضم نضالاتها عناصر ستبرز في فترات لاحقة مثل محمد شتوكي ، الحبيب الدلاجي، جاك بلعيش، روبار ميمون...

و عموما فان تواضع حصيلة عمل الشيوعيين في النقابات و تباين المشاغل بينهم و بين الحركة الوطنية ستجعلهم خارج الاحداث الكبرى التي ستشهدها البلاد في افريل 1938.

الفصل الثاني :

من احداث افريل 1938 الى اندلاع الحرب العالمية الثانية :

تعمق عزلة الحزب الشيوعي التونسي

ان اعطاء الحزب الشيوعي التونسي الاولوية للنضال ضد الفاشية وتوخيه سياسة تنطلق بالخصوص من مبادىء الدفاع عن قوة فرنسا و عدم اضعافها امام اعدائها ستجعله يفشل في ايجاد أرضية التقاء مع الاحزاب الوطنية التونسية و مع الحركة النقابية التي تزعمها بلقاسم القناوي.

و لا شك ان الاصرار على تطبيق هذه الخطة كان يعبر من ناحية عن مدى التزام الحزب بالخط العام الذي رسمته الاممية الشيوعية و لكن في نفس الوقت يعبر عن تجاوب جزء من منخرطيه الاجانب - الفرنسيين خاصة - مع هذه السياسة التي تهدف للدفاع عن فرنسا و بقاء تاثيرها في تونس، كما يدل على محدودية تبلور خط سياسي وطني داخل الحزب يعمل على الانطلاق من المعطيات المحلية .

ان هذا التوجه سيؤدي الى عزلة الحزب عن الاحداث التي ستشهدها البلاد في افريل 1938، كما ان الموقف الذي سيتخذه في جوان من نفس السنة سيجعله ينعزل وسط القوى اليسارية الفرنسية بتونس ، لذا فانه سيعقد مؤتمره الاول في ماي 1939 وسط جو من اللامبالاة و التهميش قبل ان يقع حله في شهر اكتوبر 1939.

اولا / موقف الحزب الشيوعي التونسي من احداث افريل 1938 و انعزاله تجاه الحركة الوطنية :

مثلت المظاهرة التي شهدتها العاصمة يوم 8 افريل و الانتفاضة في اليوم الموالي(1). تتويجا للتحركات و عمليات التعبئة التي شرع في القيام بها الحزب الدستوري منذ مؤتمره الثاني و خاصة بعد المجلس الملي المنعقد يومي 13 و 14 مارس 1938. الذي شهد ارتفاع عدة اصوات منادية بتنظيم المظاهرات و الحث عن الامتناع على دفع الضرائب و كذلك عن الخدمة العسكرية (2). و في الحقيقة فان هذا التصعيد يعكس خيبة امل الوطنيين في حكومات الجبهة الشعبية المتتالية التى تطور تحفظها تجاه المطالب الوطنية التونسية، مع اشتداد ضغط الدول الفاشية (المانيا و ايطاليا). من اجل التحصل على اراضي خارج ترابها (المجال الحيوي) ، (3). كما ان تهديدات هتلر ستشمل ايضا فرنسا نفسها.

و في هذا الاطار ستدعو احزاب الجبهة الشعبية الوطنيين الى تفهم دقة الوضع العالمي بل و حذرت من القيام باي عمل يمكن ان يمثل ذريعة لتدخل ايطاليا في البلاد التونسية او يساهم في اضعاف فرنسا امام اعدائها.

---

(1) انظر تفاصيل احداث افريل في: - Fakhfakh Moncef. les évenementsd'Avril 1938 et la réalité tunisienne, mémoire pour le CAR sous la Direction de ALI MAHJOUBI Université de Tunis 1979 - 1980

(2) علي المحجوبي ، الحركة الوطنية... المصدر السابق... ص 112.

(3) قام هتلر بضم النمسا يوم 11 مارس 1938 اي قبل يومين من انعقاد المجلس الملي للحزب الدستوري الذي سيقرر الدخول في مواجهة مع السلط الفرنسية بتونس ان هذا التقارب في التواريخ سيرسم تباعدا في الاهتمامات و الاولويات بين اليسار الفرنسي و الحركة الوطنية.

و في هذا المنحى سار الحزب الشيوعي التونسي ، اذ رفض المشاركة في المظاهرة التي قرر القيام بها الحزب الدستوري يوم الجمعة 8 افريل، فقد اعتبر البلاغ الصادر عن اجتماع المكتب السياسي المنعقد مساء يوم الخميس 7 افريل ،، ... ان التحريض على العصيان المدني و عدم المشاركة في الجندية و الامتناع عن دفع الاداءات التي اتهم بها بعض قادة الدستور الجديد تمثل مظاهر دعم مساندة للتحركات الفاشية لذا فهو يرى ان هذا الدعم المقدم من طرف هؤلاء القادة للقوى الفاشية التي تهدد بغزو البلاد عسكريا يمثل خيانة ،، (1)

لذا امتنع الحزب الشيوعي عن المشاركة في مظاهرة 8 افريل ، الا ان نجاح المظاهرة و مشاركة الاف التونسيين فيها سيحدث تململا في قواعد الحزب خاصة في اوساط الشباب حيث دعى بعضهم قادة الحزب للالتحاق بالانتفاضة التي وقعت عشية يوم السبت 9 افريل .(2).
كما ان منظمة الشبيبة الشيوعية عبرت عن تعاطفها مع الضحايا و دعت منخريطها للامتناع عن تنظيم اي تظاهرة ذات صبغة احتفالية احتراما للاموات.(3)

ان اعتبارات النضال ضد الفاشية التي جعلت الحزب الشيوعي ينعزل عن الحركة الوطنية خلال احداث افريل 1938، ستحدد ايضا موقفه من قرارات جوان 1938.

---

(1) ،، المستقبل الاجتماعي،، 9 افريل 1938 لائحة المكتب السياسي للحزب الشيوعي التونسي الصادرة عن اجتماعه المنعقد يوم 7 افريل.

(2) ذكر لنا محمد جراد ان من ابرز الشبان الذين تحمسوا للانتفاضة و دعوا علي جراد (كاتب الحزب) لاخذ موقف ايجابي منها هو عثمان علية الذي سيلتحق فيما بعد بالحزب الدستوري الجديد.

(3) المنصف فخفاخ احداث افريل 1938... المصدر السابق ص 146 اعتمد في ذلك على تقرير بوليسي مؤرخ في 10 افريل 1938.

ثانيا / قبول الحزب الشيوعي لقرارات جوان 1938

و انعزاله وسط اليسار الفرنسي

اثر انتفاضة 9 افريل اتخذت السلط مجموعة من الاجراءات القمعية شملت بالخصوص مناضلي و قادة الحزب الدستوري - الجديد الذين حملتهم مسؤولية الاحداث التي شهدتها العاصمة و عدة مدن و قرى داخل البلاد .

و في محاولة لمنع عودة النشاط الوطني اتخذ المقيم العام يوم 28 جوان 1938 مجموعة من الاجراءات القانونية للحد من حرية الصحافة و الاجتماع التي اقرتها النصوص الصادرة في صائفة 1936 التي تعتبر متسامحة و ،، ليبيرالية ،، .

فالقرارات الجديدة تفرض مجموعة من القيود على الاحزاب و بالخصوص تلزمها بالتعهد ،، باحترام معاهدة باردو 1881 و حقوق الدولة الحامية ،،(1) وهو ما يعني عمليا عدم المطالبة بالاستقلال او الحديث عن مستقبل العلاقات بين تونس و فرنسا .

ماذا سيكون موقف الحزب الشيوعي من هذه المضايقات الجديدة ؟

لا نملك معلومات عن فحوى النقاشات الداخلية حول هذه المسالة ، الا ان المنشور الداخلي الذي ارسلته قيادة الحزب الى المنخرطين في شهر اوت تضمن ،، المبررات الرسمية ،، التي حددت موقف الحزب القاضي بقبول القرارات رغم استنكاره لطابعها الزجري.

---

(1) خزينة الوثائق التونسية (خ.و.ت) السلسلة التاريخية E كارتون 27/500 منشور داخلي صادر عن قيادة الحزب الشيوعي التونسي في شهر اوت 1938.

يكتسي ،، التبرير الاول ،، صبغة داخلية فهو يتعلق بالوضع القانوني للحزب، فقد اعتبرت القيادة ان عدم الامتثال ،، للتضييقات،، ستفرض على الحزب الدخول في العمل السري مما سيعرض المناضلين الى مخاطر الملاحقات ، و التعسف في صورة قيامهم باي نشاط و سيحرمهم من الاتصال بالجماهير و من عقد الاجتماعات في المقر (1)

اما ،، التبرير الثاني ،، وهو الاهم في اعتقادنا وهو يرتبط مرة اخرى بتقييم الشيوعيين للمرحلة و لاهدافها ، فالمطالبة بالانفصال و الاستقلال لم تعد في مقدمة الاولويات بالنسبة اليهم، فقد اعتبروا ان المسالة الوطنية اصبحت مرتبطة بمهام النضال ضد القوى و الدول الفاشية التي طرحتها الاممية الشيوعية منذ 1935.(2)

و هكذا فان الالتزام ،، المبسط ،، بقرارات الاممية الشيوعية سيدفع الشيوعيين في تونس الى تنازل مبدئي امام السلط حول نقطة تعتبر حجر الزاوية ، في مهام تنظيم سياسي يعمل في بلد مستعمر في وقت رفضت فيه حتى الجامعة الاشتراكية الانصياع للسلط، رغم ان هذه الاخيرة لم تضع ابدا في برامجها و بوضوح مسالة الاستقلال.

ان قبول القيادة الشيوعية ،،الامتثال،، للاجراءات التي اعلنتها السلط في جوان 1938 كان استجابة جديدة لاعتبارات خارجية ، ذلك ان المهم قبل كل شيء هو استغلال كل الامكانيات المتاحة لفضح الفاشية و الدفاع عن فرنسا. الا انه بالاضافة لذلك يمكن ذكر عوامل اخرى.

---

(1) خزينة الوثائق التونسية. السلسلة التاريخية E ... المصدر السابق

(2) نفس المصدر ، اعتبرت قيادة الحزب الشيوعي ،، ان المهمة الراهنة (الملحة) تتمثل في النضال اجل الحريات الديمقراطية، ضد الفاشية و الحرب و تحقيق برنامج الجبهة الشعبية، لذلك فان الصيغة المفروضة من طرف السلط مع انها تمثل تدخلا سافرا استنكرته بشدة الا انه لا يمكنها عرقلة نشاطنا اليومي القائم على معارضة الفاشية ....،،

يتعلق العامل الاول بتقييم الشيوعيين لنشاط الوطنيين و خاصة الحزب الدستوري الجديد فقد راوا ان قادته ،، اصبحوا منذ مارس 1938 حلفاء للقوى الفاشية ،،.(1) و المقصود هنا ان اعلان الدستوريين التصعيد منذ انعقاد المجلس الملي قد وضعهم ،، موضوعيا ،، في موقع المتحالفين مع اعداء فرنسا.

اما العامل الثاني فيتعلق بالتركيبة الجنسية للحزب الشيوعي التونسي ، فاغلبية عناصر المكتب السياسي و جزء هام من قواعده اصبحت منذ اواخر 1937 متكونة من غير التونسيين بعد انضمام عناصر شيوعية ايطالية كانت مشدودة بالخصوص الى قضايا النضال ضد الفاشية و الحد من تاثيرها في اوساط الجالية الايطالية بتونس (2).

و رغم موافقة الشيوعيين على ،، الاضافة ،، التي فرضتها الاقامة فان ذلك لم يجعلهم في مأمن من احترازات السلط التي اصبحت شديدة الحذر من كل نشاط سياسي. (3).

---

(1) خزينة الوثائق التونسية . السلسلة التاريخية (E) كارتون 27/550.المنشور الداخلي المصدر السابق يذكر في خصوص دور الحزب الدستوري - الجديد ،،... لكن منذ شهر مارس الاخير ،اصبح قادة الدستور الجديد حلفاء للفاشية وبدوّوا حملة تهييج ادت الى احداث 9 افريل الاليمة. فما لم يستطع الرجعيون النجاح فيه بمفردهم، تمكن من تحقيقه النشاط المنسق بينهم و بين الدستوريين...،، وفي الحقيقة فان هذه التهم التي لم يكن بمقدور الشيوعيين اثباتها تعكس تباين المشاغل بين الطرفين فالشيوعيون كانوا مشدودين للاحداث الدائرة في اوروبا اكثر من اهتمامهم بمتطلبات النضال على الساحة الوطنية.

(2) سيتعاظم دور الشيوعيين الايطاليين في قيادة الحزب الشيوعي التونسي منذ نهاية 1937 حيث سينضم اليها لوريس قاليكو ثم موريزيو فالنزي و اخيرا فيليو سبانو 1939 الذي سيكون المسير الفعلي للحزب خلال فترة الحرب كما سنرى ذلك لاحقا.

(3) خزينة الوثائق التونسية السلسلة التاريخية (E) كارتون 27/550 اصبحت السلط الاستعمارية تحتاط من كل نشاط سياسي، ففي شهر سبتمبر 1938 رفضت مطلبا تقدمت به الشعبة الشيوعية بحلق الوادي لعقد اجتماع خاص يوم 11 سبتمبر 1938 وموضوع الاجتماع كان الحزب الشيوعي و الوضع الراهن.

.../...

فالمحافظة على الوضع العلني في جو عام تميز بالقمع و الملاحقات لم تعط للحزب الشيوعي التونسي حظوظا اوفر لمواصلة نشاطه فمنذ شهر ماي 1938 توقفت جريدة ،، المستقبل الاجتماعي،، عن الصدور كما ان الاجتماعات الداخلية التي نظمها بعد احداث افريل كانت تضم بالخصوص العناصر الاوروبية التي كانت تتابع باهتمام بالغ تطورات الاحداث على الساحة الاوروبية (1).

اما العناصر القليلة التونسية المسلمة التي بقيت في صفوف الحزب فقد كانت غير متحمسة لخطته المتشددة مع الحركة الوطنية و سنرى بعض رموزها تدخل في قطيعة مع القيادة بعد حل الحزب الشيوعي في اكتوبر 1939 اثر اندلاع الحرب العالمية الثانية.

و في الحقيقة فان تركيز الحزب الشيوعي على المسالة الفاشية كانت له مبررات ،، محلية ،، بالاضافة لكونه يتماشى مع الخط الذي رسمته الاممية الشيوعية.

فالمطامع الايطالية تجاه تونس قديمة و تدعمت اثر تولي الحركة الفاشية السلطة في روما و خاصة بعد التقارب بين المانيا و ايطاليا (2).

---

(1) عقد الحزب الشيوعي اجتماعا يوم 22 سبتمبر 1938 حضره 70 اوروبي و يهودي خصص للتضامن مع تشيكوسلوفاكيا.

(2) كانت الدعاية الفاشية في اتجاه تونس منسقة مباشرة من طرف مصالح رئاسة الوزراء في روما و تنفذها بتونس القنصلية الايطالية التي كانت تتحرك عن طريق عدة مؤسسات تابعة لها، ففي الميدان الصحفي كانت جريدة ،،لونيوني ،، تصدر يوميا. و كان للقنصلية مركزا ثقافيا نشيطا و مكتبات وسط العاصمة و عدة مدارس ابتدائية بالاضافة لتاثير الاذاعة باري الناطقة بالعربية التي شارك في حصصها الزعيم العربي شكيب ارسلان.
نجد تفاصيل كبيرة عن هذه الدعاية في اتجاه تونس في اطروحة جوليات بسيس.. المصدر السابق.

الا ان الامر لا يطرح بنفس الصيغة لدى عامة التونسيين ،
فالشيوعيين ميزوا بين الاستعمار الناتج عن سياسة حكومة برجوازية مثل فرنسا و التوسع الناتج عن نظام فاشي و اعتبروا ان الاول اقل خطورة من الثاني و ذلك لاختلاف السياسة. اما بالنسبة لعامة التونسيين فالقضية وطنية و تتعلق بمواجهة الدولة التي تمارس هيمنتها المباشرة عليهم.
ان هذا الاختلاف في المشاغل سيجعل الشيوعيين يعملون على ،، اقناع،، الوطنيين بان ايطاليا دولة اخطر من فرنسا و انه يتحتم عليهم التحالف مع هذه الاخيرة رغم انها كانت تستعمرهم. (1).

و في اطار ذلك المجهود الصعب لاقناع مواطنيه بجدوى التحالف مع القوى الديمقراطية اصدر علي جراد في مطلع 1939 كتابا حاول فيه تبسيط اسباب دعوة حزبه لمعارضة الفاشية (2).

ثالثا / مجهودات الشيوعيين المتواصلة

لفضح الخطر الفاشي و الحد من تاثيره على التونسيين

يعتبر كتاب ،، الشعوب العربية لا تغتر بالفاشيزم و العنصرية ،، محاولة من طرف الشيوعيين بتونس للتعريف في لغة مبسطة بالخطر الفاشي في وقت اصبحت فيه الدعاية الايطالية تلقى بعض التجاوب في الاوساط التونسية خاصة اثر التصلب و التعسف الذي واجهت به السلط الفرنسية المطالب الوطنية في شهر افريل.

---

(1) في مذكراته يذكر هنري كوريال مؤسس الحزب الشيوعي المصري. انه اقتنع من خلال نقاشاته مع الوطنيين المصريين عندما كان معتقلا معهم استحالة قبولهم لاي تقارب مع الانقليز (الدولة التي تستعمرهم) قصد دمر القوى الفاشية. انظر الكتاب الرائع المخصص لحياة كوريال
- Gilles Perrault, un homme à part qui était Henri Curiel Livre de poche 1984 tomme I . p 144

(2) تم تقديم كتاب علي جراد ،،الشعوب العربية لا تغتر بالفاشيزم،، الايداع القانوني يوم 1939.1.9 و تم الاعلان عن سحب 2000 نسخة من الكتاب.

.../...

و قد تم تحريره في خريف 1938 حيث تم التعريف بالفاشية و موقفها من اهم القضايا مثل النقابات و العمال و علاقاتها بالوطن و الدين ، كما تم التركيز على مظاهر من السياسة الايطالية في طرابلس و ما لقيه الشعب الليبي من تعسف و قمع من الاستعمار الايطالي حتى ان صورة الغلاف تحمل صورة عمر المختار. و تم اعتبار نضاله ضد الاستعمار الاجنبي نضالا ضد الفاشية قبل كل شئ اخر.

و يعد هذا الكتاب المحاولة الثانية للتعريف بسياسة الشيوعيين في تونس بعد النشرية الشيوعية التي حررها روبار لوزون سنة 1922 و التي تعرضنا لمحتواها في القسم الاول من هذا العمل.

الا ان الجديد هو ان مؤلفه من ابناء البلاد التونسية ، حاول ان يتصدى لظاهرة الفاشية و تاثيرها في العالمين العربي و الاسلامي (1) .
فالبرنامج الشيوعي يبدو هنا موجها الى كافة الشعوب العربية. كما يعلن تضامنه مع انتفاضة الشعب الفلسطيني (2).

لكن هذا المجهود للتوجه لكافة الشعوب العربية و التركيز على رابطة اللغة و التاريخ المشترك و الرابطة الدينية بقي ثانويا في سلسلة الدوافع التي ذكرها الكاتب لتوجيه العرب و المسلمين ضد الدعاية الفاشية

---

(1) علي جراد ، الشعوب العربية لا تغتر بالفاشيزم ... المصدر السابق... يذكر في المقدمة ...،، فالفاشستية سواء كانت بالمانيا او ايطاليا او فرنسا او اسبانيا تتقرب للعرب و تريد استمالتهم اليها بشتى الاساليب(مثل ما فعله فرانكو حيث استاجر باخرة لنقل المغربة الى الحج و موسوليني حيث رمم بعض المساجد بطرابلس) و تقربها هذا لا غاية منه الا تغليط العرب و جعلهم الة بين ايدي الفاشستية...،،

(2) علي جراد... المصدر السابق... ص 72 يقول،، ان احسن خدمة و احبها تقديما لاخواننا الفلسطينيين هي اعانتهم على ظالميهم و مضطهديهم بتوحيد كل الشعوب العربية مع الشعوب الاوروبية الديمقراطية ضد الرجعية و الفاشيزم و العنصرية لحفظ السلم و للتحصيل على الحرية و السعادة.،،

.../...

ذلك ان الكاتب كثيرا ما يستنجد في فضحه للفاشية بحجج استعملت في اوروبا و لها حساسية لدى الراي العام الاوروبي مثل العامل الطبقي (معاداة الفاشية للعمال و الطبقات الوسطى) او العنصرية (تركيز النازية على تفوق الجنس الاري) او الاضطهاد ضد اليهود (1) فكل هذه المظاهر على اهميتها لا يمكن ان يكون لها واقع خاص في مجتمعات كانت تعاني من اضطهاد الدول التي اعتبرها الكاتب ،، ديمقراطية ،، و تتصدى للفاشية مثل انقلترا ، و فرنسا.

لذا فاننا لا نعتقد انه كان لهذا الكتاب تاثير على الراي العام الداخلي خاصة و انه اتى متاخرا بالنسبة للاحداث التي شهدتها البلاد التونسية في ربيع تلك السنة.

و هكذا فان مساهمة الشيوعيين في تونس في تبسيط النضال ضد الفاشية لدى مواطنيهم كانت متواضعة . كما ان تعسف السلط الفرنسية لم يساعد على ،، اقناعهم ،، بان مصلحتهم تكمن في التحالف مع هذه الدولة ضد خطر اكبر يهدد العالم وهو الخطر الفاشي كما كان يؤكد الشيوعيون.

ان انعدام تجاوب التونسيين مع الشعار المركزي الذي طرحه الحزب الشيوعي التونسي و المتمثل في النضال ضد الفاشية و التحالف مع فرنسا بالاضافة لموقفه من احداث افريل ان هذه العوامل ستساهم في عزلته و تهميشه عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية و هكذا تقلصت كل الامكانيات التي ظهرت لديه في صائفة 1936 في الميدان الاجتماعي و السياسي باعتباره احدى الفصائل المكونة للجبهة الشعبية المنتصرة انذاك في الانتخابات.

---

(1) علي جراد ، الشعوب العربية... المصدر السابق ص 71 لقد حذر الكاتب من محاولات الفاشيين استمالة العرب، و استغلال شعورهم نحو المجاهدين الفلسطينيين حيث يحاولون اجتذاب عواطف العرب و قلوبهم نحو الفاشستية بتظاهر هاته الاخيرة بالعطف على المسالة الفلسطينية و بالظهور بمظهر المنتقم للعرب باضطهاد اليهود ببلادها. فحذار ايها القارئ من الوقوع في خطأ مثل هذا. فلو ارادت ايطاليا الخير للعرب لما اضطهدت الطرابلسيين بتلك الصورة....،،

.../...

لذا نراه في النصف الاول من سنة 1939 منعكسا على تحضير مؤتمره الاول وسط جو من العزلة و الفتور العام.

رابعا / المؤتمر الاول للحزب الشيوعي التونسي

اريانة 20 و 21 ماي 1939

ان الوثائق و التقارير التي تمكنا من الاطلاع عليها لا تعطي فكرة واضحة على الجانب التنظيمي للمؤتمر و عن الخلايا التي مثلت فيه والهيئات التي انبثقت عنه.

كل ما نعلمه ان الحزب الشيوعي عقد ندوة لتحضير المؤتمر يوم 8 جانفي 1939 شهدت غياب ممثلين عن عدة خلايا (1)

و قد تم تلاوة تقريرين على الحاضرين الاول سياسي و الثاني مالي.

انتقد التقرير السياسي بشدة السياسة الخارجية الفرنسية التي واصلت السير في طريق مونيخ (2). اما فيما يتعلق بسياسة الحزب فقد اكد على ضرورة توجيه الدعاية في اتجاه الجماهير التونسية المسلمة، حيث

---

(1) خزينة الوثائق التونسية . السلسلة التاريخية (E) كارتون 550/27 تقرير بتاريخ 11 جانفي 1939 يفيد بانعقاد هذه الندوة بحضور 60 شخصا مع تغيب ممثلين عن خلايا فري فيل ، سوسة و صفاقس

(2) بمقتضى الاتفاق الممضى في مدينة مونيخ يوم 29 سبتمبر 1938 وافقت كل من ايطاليا و بريطانيا و فرنسا على قرار هتلر بضم مقاطعة السوُدات التشيكية (ذات الاغلبية الالمانية) لفائدة المانيا و ذلك ابتداء من يوم 1 اكتوبر 1938 و تخلت بذلك فرنسا عن حليفتها تشيكوسلوفاكيا و عن مشاوراتها مع الاتحاد السوفياتي و قد اعتبرت الاوساط التقدمية و الشيوعية ذلك تنازلا امام هتلر فعرفت بخيانة مونيخ .

.../...

يجب بعث صحيفة اسبوعية ناطقة بالعربية ، و تروج سياسة الحزب باللغة العربية ،، (1).

اما التقرير المالي المقدم من طرف جاك ميمون (كذا) (2) فقد ابرز بدوره ضعف الحزب و العجز المالي الكبير الذي يعانيه ذلك ان اغلب المنخرطين لا يدفعون اشتراكاتهم (3).

يبدو ان الهدف من هذا الاجتماع كان استنهاض طاقات الحزب و تلافي مظاهر ضعفه خاصة في مستوى الاوساط التونسية المسلمة ، الا ان نتائجه كانت متواضعة فخلال المدة الفاصلة بين الاجتماع و انعقاد المؤتمر لن يتم انجاز اي هدف من الاهداف التي حددها التقرير السياسي و نفس نقاط الضعف سيتم التاكيد عليها من جديد خلال المؤتمر الذي سينعقد في اريانة في شهر ماي 1939.

دارت اشغال المؤتمر الاول للحزب الشيوعي التونسي في ضاحية اريانة في مقهى على ملك احد اليهود التونسيين يومي 20 و 21 ماي 1939 ، تحت اشراف هنري لوزراي (4) مسؤول اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي.

---

(1) خزينة الوثائق التونسية السلسلة التاريخية (E) ، المصدر السابق تقرير مؤرخ في 11 جانفي 1939.

(2) جاك ميمون ، يتعلق الامر بروبار ميمون الذي كان يشغل خطة سكريتير جهة تونس و هذا الاخير هو من مواليد 1915 بتونس العاصمة (تونسي من اصل يهودي) انخرط في الحزب الشيوعي سنة 1935 نشط في البداية في خلية الطلبة ثم اصبح سنة 1939 مسؤولا على جهة تونس و في 1941 سيصبح عضوا في قيادة الحزب السرية.

(3) خزينة الوثائق التونسية. السلسلة التاريخية E نفس المصدر...

(4) هنري لوزراي ولد يوم 17 ماي 1898 اشتغل في الطباعة اين انخرط في العمل النقابي ثم في العمل السياسي ضمن الحزب الاشتراكي . اثر الحرب الاولى تحمس لثورة اكتوبر و للانخراط في الاممية الثالثة . بعد بعث الحزب الشيوعي الفرنسي كلف بمتابعة نضال المستعمرات . انتخب نائبا في انتخابات 1936 و قد تم ايقافه يوم 8 اكتوبر 1939 مع باقي النواب الشيوعيين و حكم عليه 5 سنوات سجن . مات يوم 14 جويلية 1952.

حضر اشغال المؤتمر 70 نائبا و 100 من المدعوين (1) و ابرز ما احتفظت به الارشيفات عن هذا المؤتمر هو التقرير الذي قدمه علي جراد و الذي استعرض فيه سياسة الحزب الشيوعي تجاه الحركة الوطنية و موقفه من احداث افريل 1938 و من الدستور الجديد منتهيا بتقديم اهم مطالب الحزب.

الملفت للانتباه ، انه رغم مرور اكثر من سنة على احداث افريل 1938 و رغم التقلبات التي عرفتها السياسة الفرنسية و خاصة اثر تنازلها امام هتلر في سبتمبر 1938 فان تحاليل الحزب الشيوعي بقيت صامدة و لم يطرأ عليها اي تطوير .
لقد اكد علي جراد من جديد على ضرورة ،، التحالف مع الديمقراطية الفرنسية،، معتبرا ذلك الشرط الاساسي لتحقيق خطوة نحو التحرير الوطني والاجتماعي للمستعمرات ... من الخطر الفاشي. (2)

نلاحظ ان الحزب الشيوعي واصل خلال مؤتمره الاول تبني نفس التحليل بالنسبة للوضع في تونس و في العالم وطرح نفس الاولويات القائمة على ضرورة الدفاع على قوة فرنسا و التنديد بكل المحاولات التي يمكن ان تؤدي حسب رايه الى اضعاف هاته الدولة ،، الديمقراطية،، امام اعدائها ،، الفاشيين،،.

ان التشبث بهذا التحليل سيجعل الشيوعيين في موقف متباين مع مطالب الحركة الوطنية و لا يرون في الحزب الدستوري الجديد سوى معبر ،، عن مصالح البرجوازية الكبرى... و ان حديث هذا الحزب عن الاستقلال الهدف منه

---

(1) -Ahmed Khaled, Documents secrets du 2ème bureau Tunisie-Maghreb dans la conjoncture de pré-guerre (1937-1940) STD 1983. P533/ 534.

(2) مقتطفات من تقرير علي جراد امام المؤتمر الاول اوردها كلود ليوزي في كتابه الحركة العمالية في الثلاثينات. المصدر السابق ص 167 . 172

هو تلهيـــة الشعب عن مراميه الحقيقية ، وهي التفاهـم....،، (1)

ولن يكتفي الشيوعيون بتسجيل هذا التباين في الموقف بينهم و بين الوطنيـــين بل سيؤكـد المؤتمر ،، على ضرورة منع هذا الحزب من قيادة الحركة الوطنية الـى اتجاه خاطـئ....،، (2) و في المقابـل فانه حـدد مجموعـة من المطالب العاجلة التي تهدف ،، لازالة الحواجز امام تحالف فرنسي - تونسي حقيقي،، (3)

لذا نـرى بوضوح ان المؤتمر لم يدخل اي تعديل على سياسة الحزب السابقة و لم يقم باي استخلاص من الاحداث التي شهدتها البلاد في افريل 1938 و التي عبرت بوضوح عن مدى تمسك التونسيين بتحقيق مطالبهم الوطنية بقطع النظر عن حيثيات العلاقات الدولية و التوازنات بين الدول الاوروبية. ان تمسك الحزب الشيوعي بتلك الاعتبارات الخارجية سيهمشه عن الراي العام الوطني و سيمثل عقبة امام اقبال التونسيين على الانخراط فيه.

---

(1) تقرير علي جراد امام المؤتمر الاول... كلود ليوزي المصدر السابق... ص170.
المقصود هنا ان طرح الاستقلال من طرف الدستوريين كان الهدف منه هو الظهور بمظهر المتجذر في معاداة الاستعمار حتى يفوز بثقة الجماهير ثم القيام بعد ذلك بتنازلات بالارتباط مع المصالح الطبقية للبرجوازية. التي يرى الشيوعيون انه كان المعبر عنها.

(2) نفس المصدر السابق و الصفحة.

(3) اهم المطالب التي تضمنها تقرير علي جراد هي (حل المجلس الكبير و تعويضه بمجلس موحد منتخب بصفة ديمقراطية و يضم التونسيين المسلمين و اليهود و الفرنسيين تطوير التعليم باللغة العربية و استعمالها بنفس الدرجة و اللغة الفرنسية في الادارات و المؤسسات ، اصلاح التعليم بجامع الزيتونة و تحسين ظروف الدراسة و الاقامة لطلبته...) وهي تقريبا نفس المطالب الاستعجالية التي وردت في العدد الاول من ،، المستقبل الاجتماعي،، اثر عودتها في نوفمبر 1936 . فالمطالب لم تراع التحولات التي شهدتها الحركة الوطنية و مناداتها ببرلمان تونسي و حكومة وطنيـة.

و من الواضح ان تواضع عدد التونسيين كان شديد البروز في المؤتمر وهو ما جعل لوزراي يشدد في كلمته الختامية على الضعف الكبير الذي وجد عليه الحزب الشيوعي و يدعو المؤتمرين للاقبال على نشر المبادئ الشيوعية بين الاهالي المسلمين ...(1).

و في نهاية اشغال المؤتمر تم انتخاب لجنة مركزية متركبة من 19 عضوا لم نعثر على قائمتهم الكاملة و كل ما تذكره الوثائق انه تم تعيين علي جراد كاتبا عاما (2)

الا ان الاحداث ستتسارع بداية من صائفة 1939 خاصة بعد امضاء معاهدة عدم الاعتداء المتبادل بين الاتحاد السوفياتي و المانيا يوم 23 اوت 1939 ، ذلك ان السلط ستستغل موافقة الشيوعيين على هذه المعاهدة لمنع الحزب الشيوعي الفرنسي يوم 26 سبتمبر 1939 و هذا القرار سيشمل الحزب الشيوعي التونسي يوم 6 اكتوبر 1939.

و هكذا سيدخل الشيوعوين في تونس في دوامة الحرب العالمية الثانية منهوكي القوى دون اي استعداد ذاتي للمرحلة الجديدة. ذلك ان السنوات 1936 / 1939 التي شهدت البروز القانوني و العلني للحزب الشيوعي التونسي لم يؤد الى تدعيم صفوفه باعداد وافرة من المناضلين او الى تقوية اشعاعه.

---

(1) احمد خالد ، وثائق المكتب الثاني السرية المنصدر السابق ص .533 و 534

(2) خزينة الوثائق التونسية السلسلة التاريخية (E) كارتون 550/27 تقرير بوليسي بتاريخ 1939/6/13 يعلم فيه ان مسؤولي الحزب الشيوعي قاموا بالايداع القانوني لسحب ،، نشرية داخلية للمستقبل الاجتماعي،، و هذه النشرية موجهة فقط للمنخرطين في الحزب وهي تضم تلخيصا اعمال المؤتمر و لوائحه المصادق عليها لكن الملاحظ ان هذه النشرية لا تضم قائمة اعضاء اللجنة المركزية . و اما الاسماء التي ذكرها لنا شهودالعيان فاغلبها فرنسية او يهودية تونسية او ايطالية بوزار. جورج فالنزي سبانو ،) وهو ما يؤكد وجود توتر داخل الحزب فلم ترد اسماء خميس الكعبي، الغربي، السعداوي...

فنجاح الجبهة الشعبية في فرنسا الذي خلق امالا عريضة لدى جميع القوى السياسية بتونس من الوطنيين الى الشيوعيين ، هذا الواقع الجديد سيفرض في نفس الوقت ضرورة مراعاة الضغوط و التوازنات الفرنسية و الاوروبية.

لقد راينا ان الحركة الوطنية عملت في البداية على الاخذ بعين الاعتبار نسبية التحول الذي وقع في فرنسا فلم تطرح الا مطالب معتدلة و بعض الاجراءات التدريجية التي تضمنتها لائحة المجلس الملي المنعقد في 10 جوان 1936.

و لكن على اثر التناقضات التي شهدتها السياسة الفرنسية خاصة في سنة 1937 و تواصل تاثير مخلفات الازمة الاقتصادية على التونسيين فانه سرعان ما سيبرز جناح ،، متصلب،، داخل الوطنيين و في قيادة الحزب الدستوري الجديد نفسه سينادي بضرورة تصعيد المواجهة مع فرنسا وهو ما عبر عنه المؤتمر الثاني لهذا الحزب المنعقد في بداية نوفمبر 1937 و خاصة المجلس الملي المنعقد في 14 مارس 1938.

اما الحزب الشيوعي التونسي فانه سيواصل التزامه بالدفاع عن حكومة الجبهة الشعبية و تبرير تواضع ،، الاصلاحات ،، التي ارادت ادخالها في تونس ذلك انه رغم تحوله الى حزب مستقل تنظيميا عن الحزب الشيوعي الفرنسي فان الاعتبارات و المنطلقات التي ستحدد برامجه و سياسته ستبقى بالاساس خارجية (مساندة الدول الديمقراطية في صراعها ضد الدول الفاشية الدفاع عن الاتحاد السوفياتي..) وهي اهتمامات رغم صحتها فانها لم تكن لتجد صدى عند عامة التونسيين المشدودين للانعكاسات المباشرة للسياسة الاستعمارية عليهم.

كما ان الترويج لهذه الاعتبارات كان يتم من طرف حزب كان يضم خليطا

بشريا من فرنسيين و ايطاليين و تونسيين يهود لن تساهم الاحداث التي شهدتها فلسطين في ذلك الوقت الا في تعميق الحزازات المتوارثة بينهم و بين التونسيين المسلمين.

كما ان احتواء الحزب الشيوعي على عمال فرنسيين ينتمون الى ،، الارستقراطية العمالية،، المحظوظة نسبيا مقارنة مع بقية العمال التونسيين لن يساعده على التفاعل الايجابي مع الحركة النقابية التونسية التي بعثها بلقاسم القناوي.

ان مجموعة هذه العوامل ستتظافر لتمثل حاجزا امام تطور تاثير الحزب الشيوعي التونسي في سنوات الجبهة الشعبية . كما انها ستفرز تبنيه لسياسة تختلف في مشاغلها مع الحركة الوطنية التي لم تستطع حصر مطالبها - تحت ضغط من قواعدها كما راينا - و مراعاة الظرف العالمي و امكانياته.

و ان هذا التباين في الاولويات بين الشيوعيين و الوطنيين سيتحول من سوء تفاهم الى قطيعة جسدتها بوضوح احداث افريل 1938.

ان عدم نجاح الشيوعيين في الالتقاء مع الوطنيين على ارضية النضال ضد الفاشية زمن السلم هل سيتواصل ايضا زمن الحرب العالمية الثانية.؟

القســم الخـامـس

الحـزب الشيوعـي في دوامـة الحـرب العالميـة الثانية

(سبتمبر 1939 / ماي 1943)

بداية من صائفة 1839 ستزداد اوضاع الحزب الشيوعي التونسي تعقدا نتيجة تداخل عوامل محلية و عالمية لم يكن قادرا على التفاعل بسرعة او ادخالها ضمن الاطار العام لاهدافه السياسية و خاصة و ان جزءا هاما من تفاصيل هذه الاحداث لم يكن مطلعا عليها وهو ما سيعمق أرتباطه ـ في مستوى تحديد مواقفه ـ بالحزب الشيوعي الفرنسي.

صحيح ان الحزب استطاع ـ كما راينا ـ ان يعقد مؤتمره الاول في اريانة ، الا ان هذا الاجتماع واصل الخط الانعزالي الذي سلكه الحزب تجاه الحركة الوطنية و لم ينته الى خلاصة ايجابية فيما يتعلق بالخلاف الذي عبر عنه العديد من الشيوعيين تجاه الموقف من احداث افريل 1938 و المطالب بتعديل سياسة الحزب تجاه الحركة الوطنية و خاصة الحزب الدستوري ـ الجديد.

فقد راينا ان عددا من الشباب الشيوعي عبر اثناء احداث افريل عن معارضته لموقف الحزب تجاه الحركة الوطنية و ابدى تعاطفه مع المتظاهرين و هذا الموقف سيتدعم اثر تعمق عزلة الحزب سنة 1939 و عدم ادخال اي تغيير على سياسته بمناسبة انعقاد المؤتمر الاول.

و من ابرز العناصر التي وقفت هذا الموقف المنتقد لسياسة الحزب خميس الكعبي و خاصة الهادي الغربي .
و يبدو انه تم اتخاذ قرار بطردهما من التنظيم (1)

---

(1) خزينة الوثائق التونسية السلسلة التاريخية (E) كارتون 500/27.
تقرير بتاريخ 24 جانفي 1940 يذكر ان جذور هذا الخلاف ترجع الى اواخر 1937 و ان الكعبي استطاع ان يقنع 5 او 6 من رفاقه المسلمين و خاصة الهادي الغربي المعروف بنشاطه الشيوعي منذ اكثر من 15 سنة الا انه لم ينجح في التاثير على الشيوعيين اليهود.

خلافات داخلية – و ان لم تاخذ ابعادا كبرى – و عزلة تجاه الراي العام ستضاف اليهما مصاعب اخرى بداية من شهر اوت 1939 ناتجة عن موافقة الحزب الشيوعي التونسي على التغيير الذي طرأ على السياسة السوفياتية و ابرام معاهدة عدم الاعتداء المتبادل مع المانيا.

ذلك ان موافقته على هذا التحول ستضعه في مواجهة الاحزاب الفرنسية و ستجعله عرضة لتعسف السلط الاستعمارية ، في نفس الوقت سيتحتم عليه اخذ موقف من اندلاع الحرب بين المانيا و فرنسا في خريف 1939. (1)

و يمكن ابراز فترتين في سياسة الحزب الشيوعي خلال الحرب العالمية الثانية ، الفترة الاولى تمتد من اعلان المانيا الحرب على فرنسا حتى الهجوم النازي على الاتحاد السوفياتي اما الفترة الثانية فستتواصل حتى خروج الالمان من تونس في شهر ماي 1943.

---

(1) سيتعمق الشعور لدى الشيوعيين اثناء الحرب العالمية الثانية بارتباط مصير تونس بالاحداث الجارية على الساحة الاوروبية لكن كما سنرى فان العنصر المحدد لمواقف الاممية الشيوعية ستطغى عليه اولوية الدفاع و المحافظة على الدولة الاشتراكية : الاتحاد السوفياتي وهو ما سيفرض على الشيوعيين سلوك سياسات مختلفة . و لكن اهتمامها واحد وهو حماية تلك الدولة وهو ما سيقوى الصبغة الخارجية لمنطلقات سياسة الحزب الشيوعي اثناء فترة الحرب.

الفصل الاول : سياسة الحزب الشيوعي

التونسي خلال الحرب الثانية

قبل الهجوم النازي على الاتحاد السوفياتي (سبتمبر 1939/جوان 9141)

اولا / منعرج اوت / سبتمبر 1939 في العلاقات الدولية و انعكاساته

على الشيوعيين بتونس

كان لتوقيع معاهدة عدم الاعتداء المتبادل بين الاتحاد السوفياتي و المانيا يوم 23 اوت 1939 ، ردود فعل داخل الشيوعيين بتونس. كما احدثت تحولات في موقف الحركات السياسية و النقابية تجاههم.

صحيح ان مناضلي الحزب الشيوعي كانوا يتابعون المساعي و المحاولات التي كان يقوم بها الاتحاد السوفياتي منذ لقاء لافال - ستالين سنة 1935 بهدف التقارب مع الدول الديمقراطية البورجوازية ، و ذلك رغم الانتكاسة التي احدثتها هذه الاخيرة عندما ،، تماشت ،، مع سياسة هتلر التوسعية و امضت معه اتفاقية مونيخ يوم 29 سبتمبر 1938.

وقد عارض الاتحاد السوفياتي بشدة هذه الاتفاقية و اعتبر ان الهدف من مهادنة فرنسا و بريطانيا لهتلر هو توجيهه نحو الشرق حتى يدخل في مواجهة مع الشيوعية تؤدي الى اضعاف الطرفين المتقابلين

الا ان هذه السياسة ،، المرنة ،، مع هتلر التي سلكتها الديمقراطيات الغربية لم تؤد الى النتائج المرجوة. فبعد ان تمكن من السيطرة على كامل

.../...

تشيكوسلوفاكيا في 15 مارس 1939 عاد هتلر ليطالب بالمستعمرات الالمانية التي تسلمتها فرنسا و بريطانيا عقب الحرب الاولى بمقتضى معاهدة فرساي.

ان عدم التزام المانيا سلوك سياسة منسجمة مع اتفاقية مونيخ جعل الحكومتين البريطانية و الفرنسية تفتحان من جديد مفاوضات مع الاتحاد السوفياتي بداية من ربيع 1939. بهدف الضغط على هتلر في محاولة لعزله من جديد.

لقد شاركت الحكومة السوفياتية في المفاوضات مع فرنسا و انقلترا التي دارت بموسكو في شهر جويلية 1939 . لكنها كانت شديدة الحذر. تجاه مخاطبيها و ذلك لسببين على الاقل.

فمن ناحية اوفدت كل من فرنسا و انقلترا مبعوثين عنها من درجة ثانية و من ناحية اخرى تسربت معلومات الى السوفيات تفيد حصول في نفس الوقت اتصالات سرية بين بيرطانيين و المان من اجل التوصل لمفاهمة جديدة كالتي وقعت في مونيخ. (1)

ان هذه العوامل ستقوى لدى ستالين القناعة بعدم جدية المفاوضات مع الدول الديمقراطية في وقت اشتدت فيه التهديدات اليابانية من الشرق بالاضافة لرفض الحكومة البولونية التنسيق معه في صورة حصول عدوان الماني على ترابها (2) وهو ما سيجعل الاتحاد السوفياتي يقبل الاقتراح الالماني الصادر في اوت 1939

---

(1) - L'URSS. dans la lutte pour la paix à la veille de la seconde guerre mondiale (Sept. 1938 / Aout 1939) /Documents et matériaux choisis par I.KOBLIAKOV. éd. du Progrès/ Moscou. 1976. 530P.

برقية من سفير الاتحاد السوفياتي بلندن الى وزير خارجيته بتاريخ 24 جويلية 1939 يعلمه فيها بوجود اتصالات سرية بين الحكومة البريطانية والالمانية. (ص 374)

(2) - Histoire de la politique extérieure de l'URSS (1917&1945) sous la direction de B. PONOMAREV et A. GROMYKO ed. du Progrès 1971. 695P.

انظر كذلك كتاب الاتحاد السوفياتي و النضال من اجل السلم . المصدر السابق ص 492 تصريح فوروشيلوف رئيس الوفد السوفياتي في المباحثات العسكرية مع انقلترا و فرنسا ص 492 (تصريح يوم 27 اوت 1939)

.../...

بابرام معاهدة في عدم الاعتداء المتبادل بعد ان فقد كل امل في التوصل لعقد تحالف عسكري مع كل من انقلترا و فرنسا.(1)

و بطبيعة الحال لم يكن الشيوعيون في تونس و لاحتى في فرنسا على اطلاع بتفاصيل هذه المفاوضات و لا على جزئيات تقييم القادة السوفيات لها في مختلف مراحل تطورها.

لذا فان خبر ابرام المعاهدة و مصافحة ليبنتروب لمولوطوف ستنزل عليهم نزول الصاعقة. كيف سيقع ادارج هذا التغيير الفجئي ضمن الاطار النظري و السياسي الذي سيّر تحركات جميع الشيوعيين في العالم منذ المؤتمر الاخير للاممية الشيوعية ؟.
الم يطرحوا دوما النضال ضد الفاشية كمهمة اولى تربط بها كل المهام الاخرى بما فيها المسالة الوطنية في المستعمرات ؟.

ان امضاء هذ المعاهدة بين الاتحاد السوفياتي و المانيا و ان مثلت ،، مهلة راحة ،، بالنسبة للسوفيات (2) فانها كانت تعني في نفس الوقت تفرغ هتلر لاعلان حربه على فرنسا، تلك الحرب التي طالما حذر الشيوعيون من اخطار اندلاعها و اشاروا الى المسؤول الاول عن التحضير لها وهو ،، العدو الفاشي،، كما اكد ذلك توقلياتي في تقريره امام المؤتمر السابع للاممية.

---

(1) الاتحاد السافياتي في النضال من اجل السلام... المصدر السابق ص 12 . يذكر فوروشيلوف رئيس الوفد العسكري السوفياتي في مباحثات جويلية 1939 مع انقلترا و فرنسا ان الاتحاد السوفياتي قام بامضاء المعاهدة مع المانيا لان المفاوضات دخلت في مازق و ظهرت خلافات يستحيل حلها خاصة اثر رفض الحكومة البولونية عبور القوات السوفياتية ترابها في صورة اندلاع الحرب

(2) الاتحاد السوفياتي... نفس المصدر ص 12 لم يكن للحكومة السوفياتية اي وهم حول النوايا الحقيقية لسياسة المانيا و انما ارادت ربح بعض الوقت (سنتين) لاحكام التعبئة العسكرية و تعصير جيشها.

.../...

الـم بخـطب القـادة الشيوعـيون في فرنـسـا و تونس مؤكدين ان الوسيلة الوحـيدة لمقاومـة الحرب ، تتمثل في النضال ضد الفاشيـة و التحالف مع القـوى و الدول الديمقراطيـة و في مقدمتهـا الاتحـاد السوفيـاتـي

لقد اعـلـن جول فوريي (J.FOURIER) النـائب الشيوعـي الفرنسي في اجتماع عـام امام الشيوعـيين بتونـس يوم 3 ماي 1939 ان ،، الفاشيـة تمثل في تونس كما هو الشان باوروبـا الخطر الاساسي الذي يتحتم على العمال النضال ضده و ان الحزب الشيوعـي يضع نفسه في المقدمـة لمواجـهة البلدان الاستبداديـة (المانيـا و ايطاليـا) المدججة بالسـلاح لذلك يقتـرح على الحكومة الفرنسيـة تشديد تحالفهـا مع الاتحاد السوفيـاتي،،. (1)

و فعـلا فان جميع مبادرات الحزب الشيوعـي الفرنسي حتى صائفـة 1939 - بالرغـم من سقـوط حكومة الجبهـة الشعبيـة - كانت تهـدف للتمسك بافكار و مبادئ هذه الجبهـة و تحويلهـا الـى ،، جبهـة فرنسيـة ،، تضـم كل الاحزاب و القـوى الفرنسيـة للتـصدي للخـطر الالمانـي ، لكـن موقـف حكومة دالاديي كان مغـايرا لذلك و سائرا في الاتجـاه الذي جسدتـه معاهـدة مونيـخ. (2)

عمليـا لم يكـن الشيوعـيون في تونـس او فرنسـا مهيئيـن لقبول التغيير الفجئي الذي شهدته السياسـة السوفيـاتية عند موافقتهـا على المقترح الالماني، لكن ما العمل خاصة و انهم اعتقـدوا دوما ان كـل قرار يتخـذ مـن

---

(1) خزينة الوثائق التونسية. السلسلة التاريخية (E) 500/27 تقرير بتاريخ 3 ماي 1939 عن الاجتماع الشيوعي الذي التام بقاعة الجمعيات المالطية 11 نهج اليونان تونس و حضره حوالي 250 شخصا.

(2) - Roger Martelli, la stratégie communiste de Munich au front national in cahiers d'histoire de l'Institut de recherches marxistes N° 14 1983. P 14

.../...

طرف القيادة السوفياتية له ما يبرره من حيث مصلحة الحركة الشيوعية العالمية و المحافظة على ،، الدولة الاشتراكية الوحيدة ،،.

فرغم ان قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي لم تكن مكتملة الحضور في باريس فان الاعضاء الموجودين هناك سارعوا للموافقة على المبادرة السوفياتية و اعتبروها محاولة لردع هتلر و الحفاظ على السلم. حيث صرحوا ان ،، المعاهدة هي اخر امل في السلم، و لكن اذا واصل هتلر سعيه نحو الحرب فان الشيوعيين سيتحملون واجباتهم كفرنسيين. ،، (1)

و فعلا فانه عند اعلان المانيا الحرب على فرنسا صوت النواب الشيوعيون على القروض الاستثنائية. و اتجه المناضلون نحو الثكنات للالتحاق بوحداتهم و في مقدمتهم موريس طوريز الكاتب العام للحزب(2).

اما في تونس فلم يكن للحزب الشيوعي صحيفة ناطقة باسمه و لم نعثر في الارشيف على اي بلاغ رسمي بخصوص المعاهدة الالمانية السوفياتية الا انه يمكن اعتبار ما كتبه فيليو سبانو (3) و اميندولا في صحيفة ،، الجورنالي ،، الناطقة باسم الايطاليين المعاديين للفاشية بمثابة موقف الحزب خاصة و ان سبانو كان في نفس الوقت عضوا بالمكتب السياسي للحزب الشيوعي التونسي كممثل للمجموعة الشيوعية الايطالية المقيمة بتونس

---

(1) روجي مارتيلي، الاستراتيجية الشيوعية... المصدر السابق ص 19

(2) نفس المصدر ... ص 19

(3) فيليوسبانو . ولد في 15 جانفي 1905 في توليدا وهي قرية صغيرة بجزيرة سردانيا انخرط سنة 1923 في جامعة الشبيبة الشيوعية و اثر منع الحزب الشيوعي الايطالي هاجر لفرنسا حيث ناضل في صفوف المهاجرين الايطاليين. ارسل الى تونس سنة 1938 للاشراف على نشاط الشيوعيين الايطاليين ، حيث اصدر مع شيوعي اخر وهو اميندولا صحيفة ،، الجورنالي ،، الناطقة بالايطالية و المعادية للفاشية . و انضم في نفس السنة للمكتب السياسي للحزب الشيوعي التونسي . و سيصبح من ابرز مسيريه حتى ماي 1943 تاريخ التحاقه بايطاليا اثر تحريرها و سيكون احد قادة الحزب الشيوعي الايطالي.

لقد تحدث اميندولا عن المعاهدة في مذكراته بقوله ،، لقد وصلنا خبر المعاهدة الالمانية - السوفياتية يوم 24 اوت 1939 و حررنا انا و سبانو مقالين في صحيفة ،، الجورنالي ،، استعملنا فيهما حججا مختلفة دون ان تكون متناقضة تنتهي بالموافقة على القرار السوفياتي و هكذا عبرنا عن تضمننا اللامشروط مع الاتحاد السوفياتي و مع ستالين...،، (1)

و اثر نشر هذين المقالين تم حجز الصحيفة المذكورة و تحجير صدورها و هي اخر منبر بقي للشيوعيين بتونس اثر توقف صحيفتي ،، الطليعة ،، و ،، المستقبل الاجتماعي ،، لاسباب مادية .

و هكذا سيتتالى تعسف السلط الاستعمارية و ملاحقتها للشيوعيين رغم ان كلا من علي جراد الكاتب العام للحزب و موريس نيزار سينسجان على منوال الشيوعيين في فرنسا و سيتقدمان عند اندلاع الحرب لمكاتب التجنيد كمنطوعان . (2).

ان مساعي الشيوعيين في تونس للتخفيف من الانعكاسات التي احدثتها موافقتهم على المعاهدة السوفياتية - الالمانية لن تغير شيئا في موقف السلط . ففي يوم 26 سبتمبر 1939 تم حل الحزب الشيوعي الفرنسي و في تونس اصبح الشيوعيون يعتقدون في حتمية تعميم القرار عليهم.(3)

---

(1) وردت هذه المقتطفات من مذكرات اميندولا في كتاب (بالايطالية) Autonello Mattone velio spano.vita di revoluzionariodi professionne.Edizionidella tone. cagliarri Avril 1978. P. 55
اما الدكتور كوهين حضرية فيذكر في كتابه ... المصدر السابق انه كان اول من اعلم اميندولا بخبر المعاهدة، الذي رفض تصديق و قوعها معتبرا ان الخبر هو من صنع الاذاعات الانقلو - سكسون المعادية للشيوعية.

(2) هذا ما اكده لنا موريس نيزار في حوارنا معه في باريس 1985.9.9.

(3) خزينة الوثائق التونسية السلسلة التاريخية تقرير بتاريخ 1939.9.1 يذكر ان قيادة الحزب اتخذت جميع الاحتياطات تحسبا لتعسف السلط ضدها حيث تم افراغ مقر الحزب بنهج الدباغين من جميع الوثائق.

.../...

و فعلا فقد صدر مرسوم للباي يوم 6 اكتوبر 1939 يمنع نشاط الحزب الشيوعي التونسي (1).

ان تسارع الاحداث و تتالي ردود الفعل ستزيد وضع الحزب الشيوعي التونسي تعقدا ، فبالاضافة للخلافات التي شهدها منذ احداث افريل بخصوص المسالة الوطنية كما سبق ان راينا ، فان قرار المنع سيبرز اتجاهين بخصوص طريقة عمل الحزب . ففي الوقت الذي دعي فيه علي جراد الى الحذر و التريث ، فان حسن السعداوي تزعم مجموعة من الشباب دعت الى تنظيم الحزب وفق الظروف الجديدة و الدخول مباشرة في العمل السري.(2)

---

(1) شمل هذا المنع ايضا جمعية اصدقاء الاتحاد السوفياتي و اتحاد الفتيات (تقرير بتاريخ 1939/12/19).

(2) خزينة الوثائق التونسية ، السلسلة التاريخية كارتون 500/27
تقرير بتاريخ 29 .1. 1940 يذكر ان مجموعة السعداوي كانت تضم بالخصوص المسمى صالح بن احمد السبعي و عمره 23 سنة . و قد عبرت عن رغبتها في مواصلة النشاط عن طريق اصدار المناشير.
كما يخبر التقرير ان علي جراد لم يعد يتمتع بنفوذ قوي على بقية رفاقه نتيجة تشتت الحزب اثر المنع.

ثانيا / **الشيوعيون بتونس في مواجهة ظروف**

الحرب الفرنسية الالمانية (اكتوبر 1939/جوان 1940))

ان دعوة الكاتب العام علي جراد الى التريث تدل على ان الغموض اصبح سيد الموقف. فالاتصال بالشيوعيين الفرنسيين بات مستحيلا بسبب ظروف الحرب و السلط الفرنسية ترد الفعل بقوة و تمنع الحزب و تغلق مقراته و القوى الفرنسية الاخرى تتهم الشيوعيين بالتواطؤ مع العدو الالماني و تطردهم من النقابات و من الجمعيات المهنية (1)

المرجع الوحيد الذي بامكانه اصدار ،، توجيهات ،، هي الاممية الشيوعية التي لن تبث نداءها الا في بداية نوفمبر عن طريق اذاعة موسكو. (2)

النداء ،اعتبر الحرب التي اندلعت بين المانيا من جهة و فرنسا و بريطانيا من جهة اخرى،، حربا امبريالية ،، يتحتم النضال ضدها و مواجهة مرتكبيها و هذا يعني عمليا مقاومة الحكومات البرجوازية التي دعت اليها و استغلال ظروف الحرب لتحقيق اهداف الطبقة العاملة كما كان الشان في الحرب العالمية الاولى بالنسبة للبلاشفة.

و لكن كيف سيتم بلورة و تجسيد هذا الشعار بالنسبة للشيوعيين في البلدان المستعمرة مثل تونس ؟.

---

(1) تم يوم 18 سبتمبر 1939 اقصاء النقابيين الشيوعيين من المكتب الفيدرالي للجامعة العامة للشغل(الس. ج. ت) كما حلت السلط 600 نقابة اساسية بدعوى ان مسؤوليها شيوعيون و قد تم تعميم هذا القرار على تونس

(2) يذكر بول صباغ وحوار اجريناه معه (1985.9.6)، انه منذ انطلاق الحرب ستصبح اذاعة موسكو هي المصدر الوحيد للاعلام و لتحديد الموقف بالنسبة للشيوعيين في تونس

.../...

النداء لا يوضح ذلك و لكن السلط لن تترك لهم المجال للتفكير ، اذ سرعان ما ستشرع في ملاحقتهم ، ففي يوم 18 فيفري 1940 تم اصدار قرار يقضي بابعاد عدد من الشيوعيين المعروفين الى مناطق مختلفة داخل البلاد.

فقد تم ارسال علي جراد الى مكثر ، و صالح بن احمد السبعي الى طبرقة ، و حسن السعداوي الى الكاف، و محمد جراد الى قليبية (1) و سيتم ابعاد جورج عدة الى زغوان يوم 11 افريل 1940 (2) و بمقتضى قرارات اخرى سيتم نقل كل من السعداوي و السبعي الى محتشد القطار في شهر ديسمبر 1941 (3)

ان هذه الاجراءات الاحتياطية التي تم اتخاذها من طرف السلط العسكرية كانت لاتقاء اي عمل ،، تخريبي،، يمكن ان يصدر عن الشيوعيين خاصة وانهم اعلنوا موقفهم المعادي للحرب.
لكن ذلك لن يوقف مظاهر النشاط الشيوعي الذي يتواصل عن طريق مناضلين لم يخضعوا لمراقبة مشددة من طرف السلط.

و فعلا فقد شهد شهر مارس 1940 محاولات لاعادة تنشيط الحزب الشيوعي عن طريق اصدار مناشير سرية تحمل عنوان ،، المستقبل الاجتماعي ،،وهي تتضمن مواقف الاممية الشيوعية التي التقاطها عبر المذياع ، لذا فان السلط ستعود

---

(1) محمد بن ابراهيم جراد. من مواليد 1907 بالمطوية كان يشتغل انذاك بائع نفط و قد سبق ان قبض عليه يوم 29 افريل 1935 و عرف المنفى في فترة بيروطون.

(2) راينا جورج عدة غادر البلاد التونسية يوم 18 فيفري 1938 . و بقرار من وزير الداخلية الفرنسي تم طرده من فرنسا يوم 20 مارس 1940 و يوم 11 افريل 1940 اتخذ قرار بابعاده الى زغوان.

(3) كما نقل السعداوي فيما بعد الى محتشد لا مباز في الجزائر و لن يطلق سراحه الا في شهر جوان 1943.

لملاحقة الشيوعيين في افريل 1940 حيث سيتم القبض على 10 شيوعيين يوم 17 افريل 1940، بتهمة اعادة تكوين منظمة وقع حلها و القيام باعمال مضره بالدفاع الوطني (1).

و اثر اعلان ايطاليا الحرب على فرنسا في بداية جوان 1940 قامت السلط الفرنسية في تونس باعتقال عدد كبير من الايطاليين من بينهم المعادون للفاشية و الشيوعيون حيث تم تجميعهم بمحتشد في سبيطلة (2).

و هكذا تقلصت كل امكانيات العمل و لم يبق خارج السجون او المحتشدات الا عدد قليل من المناضلين عديمي التجربة و الخبرة.

الا ان نفي الشيوعيين من ذوي الجنسية الايطالية لن يدوم طويلا اذ بمجرد هزيمة فرنسا و توقيعها غلى الهدنة في اواخر جوان 1940 و تكوين حكومة موالية للالمان برئاسة بيتان، تم اطلاق سراحهم قبل قدوم ممثلي حكومة فيشي الى تونس

لذلك فان اعادة هيكلة الحزب الشيوعي في ظروف الحرب ستكون بالخصوص حول العناصر الايطالية.(3)

---

(1) هذه الاعتقالات شملت بالخصوص الشيوعيين اليهود و الايطاليين و من بينهم موشي شمامة الذي حكم عليه 5 سنوات سجن ، و فيكتور ستروك 3 سنوات سجن ، جورج شمامة 5 سنوات سجن. جورج زراح 4 سنوات سجن ، قزلان سنة سجن، اسحاق كوهين و ايدوار ممو و جاك بلعيش و قد اكد لنا هذا الاخير انه تم القاء القبض عليه بوصفه المسوول عن طبع المناشير . و قد قضى 17 شهرا رهن الاعتقال من ضمنها 9 اشهر في سجن عاصمة الجزائر(حوار مع جاك بلعيش باريس 10.9.1985)

(2) - Maurizio Valenzi. Nell'Africa del Nord Durante la Gueurra. In Calendario d'EL POPOLO . Octobre 1971. P. 312.

(3) ابرز هذه العناصر هي ، فيليو سبانو، ز موريز يوفالنزي. و الاخوان قاليكو.

.../...

ثالثا / اعادة هيكلة الحزب و بداية بلورة البرنامج السياسي الملائم لظروف الحرب (جويلية 1940 /جوان 1941)

سيقع الشروع في اعادة هيكلة الحزب في صائفة 1940 و يذكر موريزيوفالنزي وهو شاهد عيان ،، كان عملا صعبا تمثل في البحث و الاتصال بالرفاق الاكثر صلابة بهدف اعادة تكوين و هيكلة الحزب، تكونت خلايا قليلة العدد بدون اي اتصال ببعضها ، و كان لها نشاط محدود فهي تمارس اعمالا تثقيفية و دراسية تواصل هذا العمل خلال عدة اشهر و مكنها من بعث 20 خلية تعد في مجملها 70 او 80 رفيقا و لكن لم يكن من بينهم الا عدد قليل من التونسيين و هذا اكبر خطر لانهم يمثلون الاغلبية الاساسية للسكان...،، (1)

كان هذا العمل التثقيفي يتم في شكل حلقات داخلية لم تكن مطالبة بالقيام باي نشاط خارجي(توزيع مناشير او تحريض) .
و هذا ما يفسر تقلص الملاحقات البوليسية ضد الشيوعيين في النصف الثاني من سنة 1940 و النصف الاول من سنة 1941 . هذا بالاضافة الى ان ممثلي حكومة فيشي بتونس كانوا في تلك الفترة منكبين بالخصوص على تركيز نفوذهم بالبلاد.

و قد كان على هذه المجموعة الشيوعية بذل مجهودات للتاقلم مع الواقع الجديد خاصة و ان تونس تحولت الى مستعمرة تابعة و لو بصفة غير مباشرة لالمانيا. ذلك انه بالرغم من تاكيد نصوص الهدنة بين فرنسا و المانيا على بقاء المستعمرات تابعة لحكومة فيشي، فان هاته الاخيرة باعتبارها مهزومة فانها تكون خاضعة لجميع الضغوط الالمانية. و قد حل ممثلها بتونس الاميرال استيفا يوم 19 جويلية 1940.

---

(1) موريزيو فالنزي. افريقيا الشمالية خلال الحرب.. المصدر السابق ص 313.

.../...

ان الظـروف الجديدة ستحتم فتح نقـاش بين الشيوعـيين حـول طبيعـة المرحلة و المهام السياسـية المطروحـة . ابتـدأ هذا النقـاش في شهر افريل 1941 في شكـل نـدوة قامت بالتحضير لهـا القيادة السريـة الجديدة للحـزب والمـتكونـة من فيليوسبانو، موريس نيزار (1) روبـار ميمون ، و فردينان بوزار (2).

تواصـل النقـاش الداخلي الـى شهـر جوان 1941 و انتهـى الـى اصدار نـص سمـي ،، اطـروحات جـوان ،، و قـد كان لسبانو دورا مميزا في تحريرها و بلورتهـا. (3).

---

(1) موريس نيزار . ولد في حلق الوادي يوم 31 مارس 1914 . درس الحقوق في باريس و بعد فترة من الاقامة هناك و النضال في صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي عاد الـى تونس سنة 1939 عند اندلاع الحرب سينضم للقيادة السريـة للحـزب، حكم عليـه بالاعدام غيابيا من طرف محكمة بنزرت العسكرية ، سيصبح عضوا في كتابة الحزب الشيوعي من 1943 الـى 1956. اعتقل يوم 18 جانفي 1952 و نفي الـى رمادة ، برج البوف تطـاوين. زعـرور.

(2) فردينان بوزار. ولد في تونس 17 ماي 1903 اشتغل في السكة الحديدية . انخرط في العمل النقابي ثم في الحزب الشيوعي سنة 1936 و أصبح عضوا في اللجنة المركزية اثـر مؤتمر اريـانة و بدايـة 1940 اصبح عضوا في القيادة السرية.
القي عليه القبض يوم 28 نوفمبر 1941. اثنـاء التحقيق خان رفاقه و تعاون مع البوليس وشـهـد ضدهم اثنـاء المحاكمة في شهر مارس 1942 في بنزرت (انظر جوليات بسيس المؤسسون... المصدر السابق ص 116).

(3) انطونلي ماتون، المصدر السابق ص 55

تتضمن ،، الاطروحات،، جانبين ، جانب نظري و جانب سياسي
يركز الجانب النظري على اعتبار البلاد التونسية قائمة على هياكل اقتصادية و سياسية من نوع استعماري، تتعايش معها اشكال ما قبل راسمالية. و قد حددت الاطروحات طبيعة الحزب الشيوعي التونسي باعتباره يناضل من اجل تحرير تونس و هذا الهدف لا يمكن تحقيقه الا عن طريق الاستقلال كما توضح الاطروحات نوعية المهام التي يتعين القيام بها في تونس المستقلة (1)

ان هذا العمل الهام يعكس توجها ايجابيا و محاولة فهم الواقع انطلاقا من عناصر المجتمع الداخلية دون اهمال الظروف و المحيط الخارجي وهو يعتبر سابقة هامة في تاريخ بلورة برامج الحزب الشيوعي (2) فباستثناء – فترة لوزون – كان يتم اعداد الخطوط الرئيسية لمطالب الشيوعيين في تونس من طرف لجنة المستعمرات التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي من قبل مناضلين ليست لهم المعرفة الكاملة و الاطلاع على خصائص الوضع التونسي.

و الجدير بالملاحظة ان نفس هذا التحول سنلاحظه لدى الشيوعيين في الجزائر الذين اعتبروا في برنامجهم المصادق عليه في نوفمبر 1940 ، انه لم يعد ممكنا الدعوة للتحالف مع فرنسا التي اصبحت محكومة من طرف ،، عملاء ،،

---

(1) اطروحات .جوان 1941 ، تسلمنا نسخة منها من روبار ميمون وهي مرقونة باللغة الفرنسية . تحتوي على 7 صفحات . الى جانب التحليل و المطالب فهي تتضمن برنامجا عاجلا لعمل الحزب (يقع تطبيقه في ظرف 3 اشهر).من ابرز ماتحتوية تقوية الصلة بالجماهير، ربط اتصالات مع الدستوريين في القاعدة و القيادة اعادة ربط الصلة مع الشيوعيين الموزعين في كامل البلاد. اصدار نشرية ناطقة باسم الشيوعيين.

(2) صحيح انه وقع بذل مجهود للتاقلم مع الواقع المحلي. لكن ذلك تم في وقت دعت فيه الاممية للتخلي عن السياسات السابقة و اعتبار طبيعة الحرب التي نعتت في البداية بكونها امبريالية.

للنازية و مثلما سيقع في تونس في السنة الموالية سيطالب الشيوعيون بالاستقلال الوطني ذلك الشعار الذي وضع في مرتبة ثانوية منذ صعود حكومة الجبهة الشعبية للحكم سنة 1936 (1)

و لا شك ان عوامل مختلفة تظافرت لتساعد على حصول ذلك التغيير :

- تغيير الظرف و انتقال السلطة في فرنسا الى قوى برجوازية متعاملة مع المانيا لم يعد مطروحا دعمها.

- تغيير موقف الاممية الشيوعية على اثر ابرام معاهدة عدم الاعتداء المتبادل بين المانيا والاتحاد السافياتي حيث تم اعتبار الحرب امبريالية يجب فضح المشاركين فيها.

- كما ان تقلص تاثير العناصر الشيوعية الفرنسية في كل من الجزائر(2) و تونس (3) و تعاظم دور الاسبان في الاولى و الايطاليين في الثانية سيساعد هذا التحول خاصة و ان هؤلاء لم يكن لهم اي ارتباط ،، وطني،، مع فرنسا . لذلك فانهم لن يترددوا في المطالبة باستقلال تونس و الجزائر.

الا انه و مع اقرارنا للمجهودات التي بذلها الشيوعيون الايطاليون في تونس اثناء الحرب فاننا لا نعتقد ان المنعرج الذي حصل في سياسة الحزب بداية من ،، اطروحات جوان 1941 هو من صنع سبانو و رفاقه بقدر ما هو تجسيد محلي

---

(1) -J.LASZLO Nagy, les activités communistes en Algérie sous le régime de Vichy, in les cahiers d'histoire de l'IRM N° 11, 1982-P.89

(2) و (3) نلاحظ نوعا من التشديد لدى كل من جوليات بسيس بالنسبة لتونس و ايمانويل سيفان بالنسبة للجزائر لاعتبار ان المحدد في هذه التغييرات هو انقطاع الصلات بين الشيوعيين الفرنسيين و فروعهم في المستعمرات الشيء الذي اوقف تاثيرهم السلبي و فتح المجال للمبادرات الخلاقة لكل من الاسبان و الايطاليين ذلك بسيس تتحدث في اطروحتها عن المرحلة الايطالية في تاريخ الحزب الشيوعي التونسي،،

.../...

للموقف الذي اقرته الاممية الشيوعية منذ نوفمبر 1939 و الذي عرفت فيه طبيعة الحرب كماسبق ان راينا وهو ما يعني عمليا عن سياسة التحالف منع الدول البرجوازية .

لكن لا شك انه كان لتجربة سبانو و خبرته السياسية و التنظيمية التي اكتسبها ضمن الحركة الشيوعية الايطالية دور هام في اعادة بناء و هيكلة الحزب في الظروف الصعبة التي كان يمر بها اثر حله و ابعاد اهم عناصره الذين تكونوا منذ بداية الثلاثينات مثل علي جراد و حسن السعداوي و جورج عدة .

و مهما يكن من امر فان هذا المجهود التنظيمي و السياسي الذي شهده الحزب الشيوعي في ربيع 1941 سيواجه مهام كبرى تتجاوز حجمه بكثير فرضها التحول الذي حصل في مجرى الحرب العالمية الثانية و ذلك اثر الهجوم الالماني على الاتحاد السوفياتي في اواخر جوان 1941.

الفصل الثاني

الهجوم الالماني على الاتحاد السوفياتي

و تغيير موقف الشيوعيين في المستوى الداخلي و الخارجي

(جوان 9141 / ماي 1943)

في صبيحة 22 جوان 1941 شرعت القوات الالمانية في هجومها على الاتحاد السوفياتي و بذلك سيتغير موقف الشيوعيين في العالم من طبيعة الحرب خاصة و ان النازية ستركز على احتلال الدولة الاشتراكية.
ان مساهمة الشيوعيين في الحرب ستصبح نشيطة و سينضمون الى معسكر الحلفاء المتكون من الديغوليين و الانقليز و الذي ستلتحق به امريكا.
ان انخراط الشيوعيين في تونس في النضال ضد الفاشية سيمر بمرحلتين، المرحلة الاولى تمتد من جوان 1941 الى نوفمبر 1942 وهي الفترة التي كانت فيها البلاد تابعة لحكومة فيشي الموالية للالمان، اما المرحلة الثانية و الممتدة من نوفمبر 1942 الى ماي 1943 عندما اصبحت تونس تحت الاحتلال الالماني المباشر قبل ان يتم تحريرها من قبل قوات الحلفاء.

و في نفس الوقت الذي ستصبح فيه مساندة الاتحاد السوفياتي مهمة اساسية بالنسبة للشيوعيين فانه سيترتب عنها مجموعة من الاولويات و المطالب التي سيتم طرحها على مستوى البلاد التونسية.

اولا / مسانـدة الاتحـاد السوفيـاتـي ، المطالبـة بالاستقـلال و الدعوة للتحالف مـع الحـزب الحر الدستوري - الجـديـد

(جوان 1941 / نوفمبـر 1942)

اثـر الهجوم الالمـاني على الاتحـاد السوفـيـاتي اصبحـت المهمة الاكيـدة على كل الشيوعـيين هي النـضال ضـد المـانيـا النـازيـة و دعـم و مسانـدة الدولـة الاشتراكيـة و تنظـيم المقاومـة مـع القوات الحليفـة (الديقوليين و الانقليـز ثم الامـريكان).

و في تونـس سيركز الشيوعيـون على مقاومة هـتلر و اعتبروا المقيـم استيفـاعونا لـه ، لذلك سيدخلون في مواجـهة مباشرة مع السلط الفرنسية بتونـس بوصفهـا ،، عميلـة للنـازية ،،

لكن لمباشرة هذا العـمل لا بـد من تنظـيم محكم و مناضلين قادرين على خوض المغامرة. صحيح انه تـم قطـع خطوات على طريق اعـادة الهيكـلة و بلورة البرنـامج السياسي، لكـن هذه العمليـة لم تكتمل بـعد.
كان على الحـزب ان يتحـول بسرعـة فائقـة من طـور الحلقات التثقيفيـة الـى مرحـلة الخلايا النشيطة المسـتعدة لانجاز مهـام التحـريض و الدعـاية فـي ظروف العمل السـري مثـل تلصيق المنـاشير و المعلـقات على الجـدران و طبـع المناشير و توزيعـهـا.

اول منشـور صدر بعـد اسبوع من الهجوم على الاتحـاد السوفيـاتـي بتاريخ 30 جوان 1941 (1) احتوى على وصف مدقق لكل الاعمـال الوحشـية التي قام بهـا هتـلر داخل المانيـا و في البلدان التي احتلهـا جيشـه و قد دعـى

(1) هذا المنشور و غيره من الورقات و الصحف السرية التي وزعها الحزب الشيوعي خلال فترة الحرب المتراوحة بين 41 و 1943 تم جمعها ضمن كتاب وثائقي اصدره الحزب الشيوعي التونسي سنة 1945 و قد ذكرلنا جورج عدة انه كان من بين الذين اعدوا ذلك الكتاب تقنيا وهو يحمل عنوان
La lutte clandestine du Parti communiste de Tunisie contre les Hitleriens et les Valets à leur service. édité par le PCT 1945.
و سنشير اليه لاحقا بالنضال السري...

المنشور كل القاطنين بالبلاد التونسية الى التعبير عن حقدهم على الفاشية و عن تعاطفهم و مساندتهم للاتحاد السوفياتي(1).

ان هذا الموقف الاولي لن يتضمن اي مقترح عملي باستثناء التشهير بالغزو الالماني وهو ما يؤكد ان الحزب الشيوعي لم يكن على اتم الاستعداد لمجابهة المتطلبات الجديدة و الانتقال الى العمل المباشر بشعارات واضحة و مطالب قابلة للفهم و التعبئة حولها.

لكن مع مرور الاشهر سنلاحظ تطورا في طرق العمل و محاولات لاعطاء محتوى للدعاية و المطالب. فبداية من شهر اوت 1941 سيشرع الشيوعيون في اصدار صحيفة سرية ،، المستقبل الاجتماعي ،، بصفة دورية كل شهر وهي ناطقة بالفرنسية ، ثم سيقع اصدار صحيفة ،، الطليعة ،، بالعربية.

اضافة للجانب التحريضي المباشر احتوت هذه الصحف على مواقف الشيوعيين من القضايا التي اعتبروها جوهرية في تلك الفترة ، وهي امتداد و تطوير لاطروحات جوان 1941، و يمكن تصنيف هذه المواقف حسب المحاور التالية :

٠1) القوى المعادية للفاشية و علاقاتها بمصالح الشعب التونسي

وقع ابراز ان لفرنسا سياستين، فمن ناحية هناك حكومة فيشي التي تواصل استعمار البلاد التونسية وهي تتعاون مع هتلر و ترسل اليه خيرات البلاد لدعم جيوشه ، و من ناحية اخرى يوجد انصار ديقول و جيوشه

---

(1) النضال السري... المصدر السابق... ص 9 ،، المستقبل الاجتماعي،، (بالفرنسية) العدد الصادر في شهر اوت 1941.

الحرة التي رفضت الخضوع لالمانيا حيث اعلن ديقول صراحة الوعد بالاستقلال لسوريا ، لذلك يتحتم على التونسيين مساندة ديقول (1).

فالدعوة لمناصرة ديقول سيقع تبريرها من الجانب الذي يهم اكثر التونسيين. و ذلك عن طريق التعريف بموقفه من المسالة الوطنية و وعده بتحرير الشعوب المستعمرة اثر الحرب.

كما ان الدعوة لمناصرة الاتحاد السوفياتي سيتم تبريرها بواسطة العامل الديني، ذلك ان المناشير ستركز على ان هذا البلد يضم اكثر من ،، 40 ميلون مسلم يواجهون ببسالة العدوان الالماني،،. و هكذا يتم تحذير التونسيين من الانسياق وراء الدعاية القائلة بصداقة هتلر للمسلمين (2).

نلاحظ تعمد الحزب الشيوعي القيام بدعاية مرنة في محاولة اضافية لاقناع الشعب التونسي الذي انساق في رد فعل طبيعي نحو التعاطف مع الالمان ضد الفرنسيين الذين سلطوا عليه الوان التعسف و الاضطهاد في السنوات التي سبقت الحرب. لقد كان التركيز في التشهير بالسياسة الالمانية انطلاقا من القضية الوطنية والمسالة الدينية الا ان هذا المجهود للتاقلم مع المحيط التونسي و الانطلاق من اهتماماته ، على اهميته بقي سطحيا و عاجزا عن الاقناع ، فالعنصر البشري الذي قام بهذا المجهود و المناضلون الذين تطوعوا لتوزيع المناشير و ابلاغ هذه الافكار ، كانوا في معظمهم اجانب او من اليهود الذين يمثلون اقلية ،فاعتبروا تبعا لذلك غرباء عن المجموعة السكانية التونسية المسلمةوهي التي تمثل الاغلبية (3).

---

(1) النضال السري... المصدر السابق . ص 9 ،، المستقبل الاجتماعي،، شهر اوت 1941

(2) النضال السري... نفس المصدر. ص11،، المستقبل الاجتماعي،، شهر اكتوبر 1941

(3) ذكرلنا بعض من حاورناهم من الشيوعيين الذين عاشوا تلك الفترة انه حدث ان تم القبض على شيوعي اسباني كان يوزع ،الطليعة،، و يحرض المارين في الاسواق ضد الالمان. وذلك من طرف تونسيين و تقديمه للبوليس باعتباره متعاونا مع الفرنسيين و يريد عودتهم.

وفي محاولة لتقليض هذه الحواجز سيعملون على توضيح مطلب الاستقلال و السعي للتعريف بالقوى القادرة على تحقيقه بالارتباط مع ظروف الحرب و القوى المتقابلة فيها.

2. مطلب الاستقلال و محتواه و القوى القادرة فعلا على تحقيقه

بداية من خريف 1941، سيقوم الحزب الشيوعي بخطوة في اتجاه الدستوريين ، فاثر اعدام المولدي الحرشاني الذي تزعم انتفاضة اهالي ذقاش في غرة نوفمبر 1940 ضد فرنسا و سلطتها، اصدر الشيوعيون منشورا دعوا فيه للاخذ بالثار وضرورة التحالف بين الدستوريين و الشيوعيين و الفرنسيين المعادين لهتلر(انصار ديقول) .(1).

اما المطالب التي اقتراحها الشيوعيون على هذا التحالف فتتمثل في ايقاف ارسال خيرات البلاد التونسية الى هتلر و جيوشه، التحصل على اطلاق سراح جميع المساجين السياسيين ، و التحصل على الحريات الديمقراطية مثلما هو الحال في سوريا.(2)

ان هذا المسعى نحو الالتحام بالمطالب التونسية سيتضح امثر في ربيع 1942، فالشعار القار الذي ستتخذه صحيفة ،، الطليعة ،، السرية بداية من شهر افريل 1942،، ايها الشعب التونسي جاهد في سبيل الاستقلال،، و المهمة التي وقع التاكيد عليها هي اطلاق سراح جميع المساجين السياسيين، و الوسيلة الممكنة لتحقيق ذلك هي ،، اتحاد الدستوريين و الشيوعيين

---

(1) النضال السري... نفس المصدر ص 5و 6 نص المنشور الذي اصدره الحزب الشيوعي التونسي اثر اعدام المولدي الحرشاني.

(2) النضال السري... نفس المصدر ص 11،، المستقبل الاجتماعي ،، اكتوبر 1941

و القـوليـست ،،، (1)

و في شهر ماي 1942 سيتم توضيح شعار الاستقلال باكثر جراة، حيث سيتم اعتبار ان هذا المطلب سيبقى قارا في ظروف الحرب و بعدها: ،، احنا الشيوعيين اللي نحبوا نحرروا بلادنا، مش بركة من الفاشيزم بل من جميع الاضطهاد و من جميع الاستعمار.،، (2)

ما هي نتائج هذا التحول في سياسة الحزب الشيوعي، و عودته للتاكيد من جديد على مطلب الاستقلال؟.

صحيح ان هذا الطرح يتماشى مع ماكان يتمناه التونسيون من ضرورة تحرير بلادهم و التخلص من الحضور الاجنبي. الا اننا نلاحظ انه في المستوى الشعبي، انتشر وهم مخالف تماما لما كان يعتقده الشيوعيون.

فالراي الذي هيمن في معظم الاوساط التونسية هو ان الاستقلال يمكن التحصل عليه عن طريق المانيا - التي هزمت فرنسا - و كذلك الامر بالنسبة لاطلاق سراح المساجين السياسيين الذي يمكن الحصول عليه بواسطتها خاصة و ان اهم القادة الدستوريين موجودين بالسجون الفرنسية الواقعة في المناطق تحت الحماية الالمانية . (3).

---

(1) النضال السري.. نفس المصدر ص 23 ،، الطليعة،، افريل 1942نلاحظ في مستوى اللغة استعمال العربية الدارجة وهو ما قد يدل على مجهود اضافي لتقريب محتوى الدعاية الشيوعية في اتجاه في عامة التونسيين.

(2) النضال السري... نفس المصدر..ص 28،، الطليعة،، ماي 1942

(3) سيتم اطلاق سراح الدستوريين المعتقلين في فرنسا يوم 16 ديسمبر 1942 و ذلك في محاولة من السلط الالمانية للتقرب من الحركة الوطنية و تسهيل عملية احتلالها للبلاد التونسية التي شرعت فيها منذ بداية نوفمبر 1942.

ان هذه الاوهام التي انتشرت في البلاد التونسية و التي ساهمت في خلقها الدعاية الالمانية و خاصة ردود الفعل على الاضطهاد الفرنسي للشعب التونسي قبيل الحرب، ستتدعم في صائفة 1942 وسط المناخ الحماسي الذي خلقه صعود المنصف باي للحكم و محاولته قيادة الحركة الوطنية.

3.) صائفة 1942 : صعود المنصف باي للعرش و موقف الشيوعيين المحترز من برنامجه الاصلاحي

شهدت صائفة 1942 بروز عنصر جديد على الساحة التونسية، ففي يوم 19 جوان اعتلى العرش الحسيني المنصف باي، الذي اراد استغلال ظروف الحرب و ضعف قوة فرنسا لاعادة الاعتبار لعرش اجداده و اعادة الكرامة لشعبه (1)

و الى جانب ما عرف عنه من تعاطف مع الحركة الوطنية خاصة اثناء ازمة افريل 1922، فانه قام بمجموعة من الاجراءات ستزيد في لفت الانتباه اليه و التعلق به، من ذلك انه الغى عادة تقبيل اليد وعوضها بالمصافحة و اصبح يقوم بجولات للاتصال بالمواطنين، و ابعد من حاشيته العناصر المعروفة بولائها الشديد للاستعمار و كوّن باشراف شقيقه الامير حسين مجلسا خاصا يضم عددا من المستشارين الذين لهم علاقات و تعاطف مع الحركة الوطنية.

---

(1) محمد المنصف باي، هو ابن محمد الناصر باي الذي هدد بالتنازل عن العرش في ربيع 1922 اثر المناورات التي حاكتها ضده اوساط الاقامة العامة التي تحرجت من تعاطفه مع الحركة الوطنية.
و قد كان للمنصف باي دورا في التاثير على ابيه.

و في نفس الاتجاه قدم الباي يوم 2 اوت 1942 مذكرة للسلط الفرنسية احتوت على 16 نقطة تهدف عموما الى تدعيم الشخصية التونسية و التخفيف من وطاة الظروف القاسية التي كان يعانيها الشعب التونسي من جراء الحرب و الاستعمار. (1)

ماذا كان موقف الحزب الشيوعي من هذا التحول في سلوك البايات؟. و ما هو الموقف الذي سيتخذه من هذا البرنامج الاصلاحي ؟.

فعلا نجد صدى ايجابي في المناشير الشيوعية لمحاولات ،، الباي الذي سمع بغضب الشعب ، و قدم للحكومة الفرنسية بعض المطالب منها تسهيل بيع الزيت و السميد باش يرضي الراي العام...،، (2).

الا انه سرعان ما يتم التعبير عن الشك و الاحتراز في قدرة الباي في ،، الدفاع على مصالح الشعب و ترضيته ضد الفاشيزم المضطهد،، (3).

ان هذا الموقف الحذر يعكس التحليل العام الذي تبناه الحزب الشيوعي في خصوص البايات حيث اعتبرهم في جميع مراحل الحماية متواطئين مع الاستعمار و تعبيرة سياسية لطبقات الاقطاع و هذا التحليل في المطلق سيمنعه من التنبه الى الحالات الاستثنائية لبعض البايات التحررين و من ضمنهم المنصف باي.

---

(1) حمادي الساحلي، المنصف باي و الحركة المنصفية، مداخلة في الملتقى الرابع لتاريخ الحركة الوطنية ، سيدي ظريف 5، 6، 7 جوان 1987 . من اهم المطالب يذكر الساحلي (تكوين مجلس تشريعي استشاري و تمكين التونسيين من المساهمة في المجالس البلدية و ارتقاء الموظفين الى جميع المناصب الادارية و المساواة في المرتبات بين التونسيين و الفرنسيين، و اقرار اجبارية التعليم و نشر تعليم اللغة العربية...)

(2) النضال السري... نفس المصدر ص 31، ،، الطليعة،، اوت 1942

(3) النضال السري... نفس المصدر السابق.

.../...

كما ان موقف الشيوعيين تجاه الباي و كذلك تجاه الوطنيين خلال فترة الحرب ستكون شديدة التاثر بالاستقطاب الذي عرفته اوروبا على المستوى العسكري و ظهور تمايز في المواقف بين قوى الحلفاء من جهة و قوات المحور من جهة اخرى و انطلاقا من هذا التحليل فان كل تردد او حياد سيعتبر خيانة و تعامل مع الالمان.

لذلك سنرى المناشير الشيوعية تؤكد على عناصر التباين بينهم و بين مطالب الباي رغم اقرارها بانه يقوم فعلا بمساعي لطلب ،، استقلال الادارات التونسية ،، او انه ،، متكدر من حالة الشعب التعيسة ،، و هذا يعني بالطبع تفاعله مع شعبه (1)

ان الاستقطاب الذي فرضته ظروف الحرب جعل الشيوعيين يقيمون كل موقف بالارتباط مع موقعه من الصراع القائم بين الديمقراطية و الفاشية كما ان الشيوعيين راوافيه مزاحما عنيدا قادرا على توجيه التونسيين في اتجاه موقف الحياد الذين كانوا يرفضونه بشدة. لذا نراهم يشككون في قدرته على تغيير اوضاع التونسيين و التحصل على الاستقلال مؤكدين انه لا يمكن ،، للباي او اي شخصية اخرى ينجمو يعطيو الاستقلال للشعب، شعبنا ما يحصل على تحريرو الا اذا سعى وجاهد في ها الطريق...،، (2)

ان التقليل من اهمية دور المنصف باي لن ينفرد به الشيوعيون وحدهم- فسنرى ايضا شقا من الدستوريين - و ان كانوا لاسباب مغايرة يتخذون موقفا منتقدا لسياسة الباي(3) و ذلك خوفا من المنافسة التي يمكن

---

(1) النضال السري.. نفس المصدر...،، الطليعة،، اكتوبر 1942
(2) النضال السري.. المصدر السابق ،، الطليعة،، اكتوبر 1942.

(3) هذا الخلاف مع المنصف باي سيعبر عنه بعض الدستوريين الشبان من بينهم الرشيد ادريس وحسن التريكي الذين استاؤوا من عدم تشريك ممثل عن الحزب الدستوري في الوزارة التي كونها محمد شنيق في مطلع سنة 1943 و قد ادى اتخاد المجموعة لهذا الموقف الى عزلها من الحزب الدستوري و اقصائها عن الاشراف على صحيفة ،، افريقيا الفتاة ،، التي اصبح يسيرها مباشرة الدكتور الحبيب ثامر. انظر حمادي الساحلي... المنصف باي... المصدر السابق.

.../...

ان يحدثـها لهم في مستوى قيادة الحركة الوطنية.

و ان تركيز الشيوعيين على تصنيف القوى السياسية حسب موقفها المعلن من المعسكرين المحاربين سيتدعم اكثر عند نزول الالمان بتونس في نوفمبر 1942 حيث ستكون البلاد ميدانا للمواجهة العسكرية بين المحور و الحلفاء، خلال ستة اشهر.

ثانيا / الاحتلال الالماني لتونس و تعمق الاختلاف بين الشيوعيين و الدستوريين (نوفمبر 1942/ماي 1943)

في يوم 8 نوفمبر 1942 تمت عملية الانزال الامريكية - البريطانية بالمغرب الاقصى بقيادة الامريكي ايزنهاور ، فكان ذلك مناسبة ليؤكد الشيوعيون موقفهم المساند لقوات الحلفاء ،، فجيوش الامريكان تمثل الاعتصاب العسكري الانقليزي السوفياتي و الامريكاني العظيم اللي من شروطه تحرير الشعوب من اضطهاد هتلر...،، . كما يطرح المنشور الموزع بالمناسبة على التونسيين الدور الذي يجب عليهم القيام به وهو ،، اعانة الجيوش الامريكانية بمقتضى ارشادات و نصائح اذاعتهم و مناشيرهم... يلزمنا ايضا مقاومة جميع المضادين للامريكان...،، (1)

الا ان الاحداث ستتالى بسرعة ففي يوم 9 نوفمبر 1942 ستشرع قوات المحورفي القيام بعمليات انزال في مطار العوينة ستتواصل في الايام الموالية و هدفها احتلال تونس للتغطية على الفليق الافريقي بقيادة رومل القادم من مصر بعد انهزامه في واقعة العلمين يوم 3 نوفمبر 1942 امام الجيش الثامن الانقليزي بقيادة منتغمري.

---

(1) النضال السري ... نفس المصدر ص 40 منشور وزعه الحزب الشيوعي اثر نزول الجيوش الامريكية بالدار البيضاء و وهران و الجزائر يوم 8 نوفمبر.

.../...

و قد ذكر الحزب الشيوعي بموقفه الداعي الى ضرورة الانحياز بوضوح الى معسكر الحلفاء ، كما جدد نداءه للحزب الدستوري و للديقوليين للتحالف جميعا ضد القوات الالمانية ، و قد تضمنت هذه الدعوة في نفس الوقت تحذيرا ضمنيا حيث تنتهي الى اعتبار كل تردد معناه التواطؤ مع العدو الالماني. (1).

لكن الموقف اصبح حرجا للغاية ، فالحضور الالماني يتضاعف مع مرور الساعات و السجون التونسية تحتوي على عشرات المعتقلين من معادين للفاشية و شيوعيين (2) و مآت المعتقلين الدستوريين (3).

ان بقاءهم في السجن ووقوعهم بين ايدي الالمان ستكون نتائجه خطيرة على العديد منهم خاصة الشيوعيين و الديقوليين لذا، ستتظافر عدة مجهودات لاخراجهم تحركات و احتجاجات داخل السجن، تدخل الباي، ورئيس الاساقفة و كذلك البار بسيس عميد المحامين بتونس و مقرر الميزانية في القسم التونسي للمجلس الكبير لفائدة المعتقلين.

لقد استجابت السلط لحركة المطلبة باطلاق سراح المعتقلين(4) لكن تم ذلك على مراحل.

---

(1) النضال السري... نفس المصدر، المستقبل الاجتماعي، نوفمبر 1942

(2)جرت عدة اعتقالات في صفوف الشيوعيين منذ صائفة 1941 اثر شروعهم في توزيع المناشير المناهضة للالمان و لحكومة فيشي و من اكبر الاعتقالات تلك التي تمت يوم 28 نوفمبر 41 و التي شملت مورزيو فالنزي، فاليكو(لوريس و روجي) روبار ميمون ، بوزار و اثر انهيار هذا الاخير امام البوليس جرت اعتقالات اخرى شملت مناضلي منطقة بنزرت/فري فيل

(3) الى جانب الاعتقالات التي شملتهم اثر احداث افريل 1938 فقد جرت عدة اعتقالات اخرى سنوات 1939. 1940 و كان عددهم يقارب 2000 سجين.

(4) تبين فيما بعد ان روبار لافون(نائب المقيم العام استيفا الذي كان غائبا عن تونس) كان ينتمي لشبكة سرية كانت تعمل لفائدة حركة المقاومة التي يتزعمها ديقول. وفعلا فبعد ايام قليلة من دخول الالمان سيلتحق لافون بديقول في لندن.

ففي يوم 11 نوفمبر تم اطلاق سراح الديقوليين و توجيههم نحو الكاف و في يوم 12 نوفمبر تم اطلاق سراح الايطاليين المعادين للفاشية ، اما الشيوعيون ، فلم يقع اطلاق سراحهم الا يوم 14 نوفمبر 1942 على الساعة الحادية عشر صباحا في وقت اصبحت فيه الانهج تحت مراقبة الالمان. (1).

و لكن الدستوريين بقوا في السجن وهو ما جعل القيادة السرية للحزب الشيوعي تقرر ارسال احد اعضائها وهو موريس نيزار المحكوم عليه بالاعدام غيابيا من طرف المحكمة العسكرية ببنزرت في شهر مارس 1942 و ذلك لمقابلة المقيم العام و تقديم رسالة تطالب باطلاق سراح الدستوريين و فعلا فقد تمكن يوم 15 نوفمبر من التسرب الى مقر الاقامة و مقابلة روبار لافون نائب المقيم (2)

و رغم اطلاق سراح جميع المساجين السياسيين في بداية ديسمبر 1942 فان العلاقات بين الشيوعيين و الدستوريين لم تشهد تحسنا نتيجة الاختلاف في تقييم كل منهما للوضع الجديد الذي اصبحت تعيشه البلاد اثر احتلالها من طرف القوات الالمانية .

فقد اقترح الشيوعيون على الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد عقد لقاء مشترك لاخذ موقف من الحضور الالماني . الا ان الديوان السياسي بعد الموافقة على مبدا الاجتماع تراجع معللا بانه ليس بامكانه اخذ اي موقف سياسي (3)

و هكذا يبدو الحزب الشيوعي في شهر ديسمبر 1942 مصمما على التصدي للالمان لكن وسط عزلة قاتلة .

---

(1) معلومات و تفاصيل رواها لنا بول صباغ الذي كان ضمن المعتقلين الشيوعيين بالسجن المدني بتونس (حوار اجريناه معه بباريس يوم 1985.9.6)

(2) هذا ما اكده لنا موريس نيزار بنفسه في الحوار الذي اجريناه معه يوم 1985.9.9. كما اشارت الى ذلك دون ذكر الاسم صحيفة ،، المستقبل الاجتماعي ،، السرية عدد ديسمبر 1942 انظر النضال السري.... المصدر السابق ص 43.

(3) النضال السري... المصدر السابق ص 47، ،، المستقبل الاجتماعي ،، (جانفي 1943)

فالموقف الرسمي للسلط التونسية الذي اعلنه الباي تمثل في الحياد تجاه المتحاربين ، حيث قام بارسال مكتوب تضمن ذلك الموقف الى كل من الرئيس روزفلت و ملك انقلترا حورج الخامس و المستشار الالماني هتلر و موسوليني (1)

اما الدستوريون - الجدد فقد استعادوا بداية من شهر ديسمبر نشاطهم بقيادة الدكتور الحبيب ثامر و سيقومون بعدة مبادرات مثل مقابلة ممثل المانيا بتونس الوزير راهن يوم 30 ديسمبر 1942 و اصدروا صحيفة ،، افريقيا الفتاة ،،و اعادوا هيكلة حزبهم مغتنمين التسهيلات المقدمة من طرف الالمان للقيام باجتماعات علنية . و هذه الاعمال ستجعل الشيوعيين يعتقدون ان الدستوريين اتجهوا نحو قبول الحضور الالماني و التعامل الايجابي معه رغم ان بورقيبة غير موقفه الواضح من ضرورة دعم الحلفاء منذ اوت 1942 (2).

ان هذه التطورات الداخلية التي شهدتها تونس منذ بداية نوفمبر 1942 في المستوى السياسي و خاصة العسكري بعد فشل الهجومات الاولى التي قام بها الحلفاء انطلاقا من الجزائر على مواقع المحور بتونس ، ادى بالشيوعيين للاعتقاد ان البلاد التونسية ستمر بفترة حرجة و انها ستبقى لمدة قد تطول تحت الاحتلال الالماني (1).

ان توصل الشيوعيين لهذه القناعة ، سيجعلهم يستعدون لمواجهة ظروف الاحتلال الالماني بتونس و ذلك عن طريق عقد ندوة اخبارية لتقييم الاوضاع في تونس و تنظيم عمليات المقاومة للالمان.

---

(1) حمادي الساحلي ، المنصف باي... المصدر السابق ص 14. وقد استمر المنصف باي ملتزما بهذا الموقف رغم الضغوط الكبيرة المسلطة عليه من طرف الالمان الذين كانوا يحتلون البلاد.

(2) رسالة بورقيبة الى ثامر (اوت 1942) نشرت في كتاب بين تونس و فرنسا ص 218 و 224 ، و رغم انها كانت موجهة بصفة سرية فقد علم الشيوعيون بمحتواها و نراهم يستعملونها كحجة لاقناع اعضاء الديوان السياسي لاخذ موقف.

(3) عقد الشيوعيون ندوة يوم 15 نوفمبر و ذلك اثر اطلاق سراح المعتقلين بالسجن المدني. وقد توقعوا ان الحلفاء سيتمكنون بسرعة من السيطرة بسرعة على كامل شمال افريقيا.. و انه يتحتم على الحزب الاستعداد لظروف النضال العلني الا بعد مرور اكثر من شهر و نصف لم يتحقق انتصار الحلفاء على المحور في تونس

1.) الندوة الاخبارية للحزب الشيوعي . 1 جانفي 1943

انعقد هذا الاجتماع في الليلة الفاصلة بين سنتي 1942 و 1943 ، حيث تم استغلال ظروف الاحتفال بالسنة الجديدة لجمع اكبر عدد ممكن من المناضلين الشيوعيين في منزل احدهم وهو الدو بسيس (1) الكائن بنهج روسيا.

في التقرير (2) الذي قدمه جول مارتان (الاسم الحركي لفيليو سبانو) تم التعرض لتعقيدات النضال ضد النازية في تونس حيث اعترف انه يصعب على الحركة الوطنية توجيه الجماهير التونسية الى مواقع معادية للنازية ، فهذه الجماهير ترى في الامبريالية الفرنسية مضطهدها المباشر ، لذلك اتجهت لاعتبار ،، ان عدوها هو حليفها الطبيعي.،،

و يعيب التقرير على الدستور الجديد عدم اهتمامه بتثقيف الجماهير و اقناعهم بان القضية الاساسية لا تزال تتمثل في التناقض بين الفاشية و الديمقراطية و ان المهمة الاولى تكمن في الانحياز لمعسكر الحلفاء اذا ما اردنا ضمان حظوظ في المستقبل لحل القضايا الوطنية و الاجتماعية للشعب التونسي. (3).

و يرجع سبانو هذا الموقف الى عوامل طبقية ،، فالدستور - الجديد يعبر عن مصالح فئات بورجوازية لم يكتمل تبلورها الطبقي بسبب الهيمنة

---

(1) الدو بسيس ، ولد يوم 18 افريل 1918 بتونس ابن عميد المحامين البار بسيس انخرط في الشبيبة الشيوعية سنة 1936 . شارك في اعادة هيكلة الحزب سنة 1940. و عين مسؤولا على التنظيم. اثر ذلك اصبح عضوا في المكتب السياسي. اشتغل مهندسا فلاحيا و كان في نفس الوقت مسؤولا نقابيا. غادر تونس سنة 1962 و توفي سنة 1969 وهو زوج المؤرخة جوليات بسيس

(2) تقرير فيليو سبانو الى ندوة الحزب الشيوعي تحت عنوان الوضع الراهن و مهام للحزب و يقع في 25 صفحة (سلمنا نسخة منه روبار ميمون).

(3) تقرير سبانو امام الحزب الشيوعي... المصدر تلسابق . ص 8

الامبرياليـة ، لذلك تشقهـا مصالح متناقضة وهو ما يبرز في مواقـف الدستور و برامجه التي يتم اختزالها في شعـار استقلال البلاد دون اي تحديد مبدئي للتحالفـات الضروريةبين القوى التي بامكانها المساعـدة على ذلك. (1).

و يعترف سبانو في نهاية تقريره ان هذا الوضع المعقد فـرض على الحزب الشيوعي حـدودا في نشاطـه و جعلـه يبقى ،، مجموعة قليلـة العـدد ليست لها ارتباطات كبرى بالجماهيـر .،، (2)

ان هـذا التحليـل الدقيـق الذي تميـز بـه التقريـر و التحـري الشديـد عنـد تقيـيم الاوضـاع بالبـلاد القـوى السياسـية الفاعلـة سوف لـن ينعـكس الا جـزئيـا في مواقـف الحزب الشيوعـي في الفتـرة الممتـدة بيـن جانفي و ماي 1943.

---

(1) تقرير سبانو. .. نفس المصدر ص 15 كما يذكر التقرير انه لا يستبعـد امكانية وجود تباين بين قادة الدستور انفسهم فيما يتعلق بالموقف من القوى المتحاربة حيث يمكن لبورقيبة لعب دور متميـز في اتجاه ابراز جناح ثوري يقبل التحالف مع الشيوعيين و القوليست. اما في المدى العاجل فيطرح التقرير التحالف مع الجماهير الدستورية فقط.

(2) تقرير سبا نو... نفس المصدر... ص 14 و يذكر التقرير انه رغـم صغر حجم الحزب فانه الوحيد الذي استطاع الصمود في ظروف السريـة و ان يكون له تنظيم قادر على التحرك و مقاومة النازية.

2.) موقف الحزب الشيوعي من حكومة شنيق

في اواخر ديسمبر 1942 قدمت حكومة الهادي الاخوة استقالتها وتكونت في بداية جانفي 1943 حكومة جديدة برئاسة محمد شنيق شارك فيها محمود الماطري (وزير الداخلية) و صالح فرحات (وزير العدل) و محمد العزيز الجلولي (وزير الاوقاف).

ان تكوين هذه الحكومة بمشاركة عناصر معتدلة في الحركة الوطنية يعتبر تجسيدا جديدا للسياسة التي شرع فيها المنصف باي و التي تهدف الى ادخال بعض الاصلاحات على اوضاع البلاد المتضررة من الحرب و من الاستغلال الاستعماري. (1).

الا ان الشيوعيين انتقدوا بشدة هذا المسعى و اعتبروا هذه المبادرة من صنع الوزير الالماني راهن،، ان الوزارة التي كونها الوزير الالماني راهن ليست وزارة وطنية بل وزارة خائنة فهي متركبة من اشهر اعوان الاستعمار : محمد شنيق و من خائنين دستوريين الماطري و فرحات.،، (2)

و في الحقيقة فان رفض الشيوعيين لتكوين الوزارة الجديدة هو مواصلة لموقفهم المحترز من سياسة منصف باي علي الحياد. فقد راوا ان الموقف الوحيد المقبول هو مساندة الحلفاء و مقاومة الاحتلال الالماني.
و هذا المقياس سيتم اعتماده في تقييمهم لسياسة الدستوريين خلال فترة الاحتلال الالماني لتونس

---

(1) من بين الاجراءات التي اتخذتها الوزارة بدون الحصول على موافقة المقيم العام : تحقيق المساواة بين الموظفين الفرنسيين و التونسيين حيث تمتع هؤلاء بالثلث الاستعماري. ثم الغاء الامر المؤرخ في 30 جانفي 1896 الذي يمكن المعمرين من الاستحواذ على املاك الاوقاف (انظر مداخلة حمادي الساحلي.. المنصف باي.. المصدر السابق . ص5)

(2) النضال السري... ص 46،، الطليعة ،، عدد جانفي 1943

.../...

3.) اشتداد نقد الشيوعيين للدستوريين.

انتقد الشيوعيون بشدة صحيفة ،، افريقيا الفتاة ،، و اعتبروها «ورقة حقيرة للدعاية الالمانية و لا علاقة لها بشعبنا ،،(1) كما اتهموها بالدفاع عن القياد(2).

و قد راوا في تحول هذه الجريدة الى لسان رسمي ناطق باسم الدستور تحت اشراف الحبيب شامر دليلا واضحا على خيانة قادة الدستور. (3).

و هذا سيجعلهم يتخلون عن التمييز بين المواقف في صفوف القادة الدستوريين الذين سيتم اعتبارهم ،، خونة ،، و سيصبح الشعار هو ،، التحالف مع الجماهير الدستورية ،، (4)

ان هذا التباين مع الحزب الدستوري سيتدعم على اثر التطورات التي ستشهدها المعارك بين الاطراف المتقابلة على الاراضي التونسية.

---

(1) النضال السري... ص 46،، الطليعة ،، جانفي 1943

(2) النضال السري... ص 52 ،، الطليعة ،، مارس 1943.
مقال بعنوان افريقيا الفتاة تدافع عن القياد حيث ،، رات ،، ان القايد يمثل السلطة التونسية فهي تدافع عليه و تطالب بتوسيع نفوذه لكن وجهة النظر هذه ليست وجهة نظر شعبنا...،،

(3) صدرت ،، افريقيا الفتاة ،، يوم 3 جانفي و اشرف عليها الرشيد ادريس و حسين التريكي و اثر تكوين حكومة شنيق انتقدت هذه الصحيفة عدم تشريك ممثلين عن حزبهم فوقع خلاف بينهم و بين الديوان السياسي و تم عزلهم من ادارة الصحيفة فاصدروا صحيفة ،، الشباب ،،

(4) النضال السري... المصدر السابق ص 51 ،، الطليعة ،، مارس 1943

فقد حارب المحوريـــون في ظروف صعـــبة - رغم الصمود و التحصينـات التى اقاموهـــا في البدايـــة - حـــيث تمت محـــاصرتهـــم من طرف القوات البريطانيـــة القادمـــة من مصـــر و ليبيـــا و القوات الامريكية و البريطانيـة القادمة من الغـــرب و امام هذا الحـــصار و انهيار صحة رومل بدات القوات الالمانيـــة في التـــراجـــع .

ففي مارس 1943 استـــطاع الجيـــش البريطانـــي ان يتجـــاوز خـــط مارث المحـــصن و ان يقتحـــم الممـــر بين قابـــس و الشـــطوط و ان يـــدخـــل صفاقـــس يوم 10 افريل ثـــم ســـوسة .
و اثر هذه الهزيمة تحصنـــت قوات المحـــور بالتـــل الشمالي الشرقي داخـــل جبهـــة ممتـــدة من النفيضـــة الـــى غـــرب بنزرت مرورا امـــام مجاز البـــاب.

و هذا التطـــور الايجابي الذي جـــعل من انتـــصار الحلفاء امـــرا وشيك الوقوع سيزيد في حـــدة انتقـــاد الشيوعـــيين للزعماء الدستوريين،،الذيـــن تعاطفـــوا مع الالمـــان،، و للبـــاي الذي اتخـــذ موقف الحـــيـــاد.

هذا الخـــلاف سيصـــل الـــى قمـــة يوم 7 مـــاي 1943 عندمـــا سيدخـــل الحلفاء الـــى تونـــس العاصمة حيث ســـيـــســـارع الشيوعـــيون للمشاركـــة في مظاهرات الفرحـــة ،، لتحرير البلاد ، في حـــين كان قادة الحـــزب الدستوري الذين نشطوا الحياة السياسية اثناء فترة الاحتلال الالمـــاني ، يبحـــثون عن طريقـــة للفرار خوفـــا من انتقـــام السلط الفرنســـية العائـــدة الـــى الهيمنة و تبدا ،،العهـــد الجـــديد ،،بعزل المنصف بـــاي و مـــلاحقة الدستوريـــين.

ثالثا / تقييم دور الحزب الشيوعي خلال الحرب الثانية و اشكالية النضال ضد النازية و الفاشية في بلد مستعمر.

سايرت سياسة الشيوعيين بتونس خلال الحرب العالمية الثانية التطورات التي حصلت في مواقف السياسة السوفياتية تجاه المانيا التي مرت بمرحلتين : مرحلة الهدنة و عدم الاعتداء المتبادل ، و مرحلة الصراع و الاقتتال

ان هذا التحول و الذي يجد ما يبرره في تطورات العلاقات الدولية لفترة ما قبل الحرب خاصة بالنسبة للدول الاوروبية . نراه يصطدم بمجموعة من التعقيدات في بلد مستعمر مثل تونس لقد كان على الشيوعيين في تونس ـ تلك المجموعة المحدودة العدد و الانتشار ـ التفاعل مع انعكاسات هذه التحولات ومراعاة الواقع المحلي الذين يعملون فيه .

ان وقوع الشعب التونسي تحت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية جعلت محاولات الشيوعيين في الاقناع بوجود قسمين داخل الفرنسيين ، قسم رجعي متحالف مع الالمان (فيشي) و قسم ديمقراطي (الديقوليين) جعلت ذلك امرا مستحيلا خاصة و انه كان يرى كلا منهما (المتواطىء مع الالمان او المعارض لهم) يمارس عملية احتلال البلاد التونسية و يتمسك بمصالحه الاستعمارية فيها.

فالتناقض بين الديمقراطية و الفاشية الذي سيميز المواقف ـ المتقابلة على الساحة الاوروبية سوف يدخله الغموض ـ لدى الشعوب التي كانت تعيش تحت الهيمنة الاستعمارية للدول الحليفة (فرنسا ـ انقلترا).

لذا فان محاولات الحزب الشيوعي لدفع الشعب التونسي للانصهار ضمن الجبهة العالمية المناهضة للفاشية و مقاومة الاحتلال النازي ستعترضها عقبات و حواجز موضوعية ياتي في مقدمتها وقوع تونس تحت الاستعمار الفرنسي.

فهزيمة فرنسا امام المانيا في جوان 1940 ، ثم الاحتلال الالماني لتونس من نوفمبر 1942 الى ماي 1943 سيقع النظر اليهما بصفة مختلفة من طرف الفرنسيين و التونسيين .

فاذا كان الاحتلال الالماني لفرنسا يمثل اهانة للفرنسيين و اخذا بالثار فان نفس العملية ستجد تجاوبا تلقائيا في تونس لانه سيقع النظر للحضور الالماني في تونس من زاوية ازاحته للسيطرة الفرنسية على الشعب التونسي و لو لفترة مؤقتة .

فالاستعمار لعب دورا اساسيا في منع الشعوب الغير الاوروبية من تقديم مساهمتها التاريخية في النضال ضد الفاشية ، بل وحتى انه ادى الى ابراز هذه الاخيرة في شكل ،، المنقذ ،،

لذا فان سياسة الشيوعيين في البلدان المستعمرة و منها تونس ستبدو و كانها معارضة للتيار الشعبي الجارف المتعاطف مع الالمان وهو ما سيشكل احدى العوامل الاضافية لعزلتهم في الفترات اللاحقة الى جانب هذه العقبات الموضوعية فان طرح النضال ضد الفاشية و الاحتلال الالماني تم في اغلب الحالات ـ باستثناء بلدان جنوب شرقي اسيا ـ من طرف احزاب شيوعية ضمت في تلك الظروف عناصر اغلبها اجنبية او تنحدر من الاقليات الدينية المتواجدة في ذلك البلد كما كان الشان بالنسبة للشيوعيين اليهود في تونس . فالمتخصص للقائمة الاسمية لابرز العناصر الشيوعية التي كان لها دور في التشهير بالفاشية و الدعوة لمقاومتها في تونس و التي نالها من اجل ذلك التعسف و الاضطهاد (1) يلاحظ هيمنة غير التونسيين ، وهو ما يشكل عقبة اضافية امام انتشار و تقبل الدعاية المعادية للفاشية من طرف اغلبية التونسيين هذه الدعاية التي اقتصرت ميدانيا على العاصمة و فري ـ فيل و بنزرت.

---

(1) النضال السري... المصدر السابق... المقدمة ص4 . وقع تقديم قائمة اسمية للمناضلين الذين نالهم التعسف و الابعاد و المحاكمات،
ـ وقع اغتيال ثلاث مناضلين. اصدار الحكم بالاعدام غيابيا علي 3 مناضلين. 20 مناضلا صدر ضدهم الحكم بالاشغال الشاقة مدي الحياة .
(انظر تفاصيل ذلك في الملحق.)

يضاف الى ذلك ان هذا الاستبسال في مقاومة الفاشية كان يتم وسط تبسيط سياسي كبير من ذلك عدم اخذ الشيوعيين لموقف مرن تجاه المنصف باي الذي تمتع بشعبية كبيرة و نالت اعماله الاصلاحية المتواضعة صدى ايجابيا لدى التونسيين.

كما ان هذه التضحية كانت تتم وسط ،، اسقاط ،، يذكرنا بالواقع الاوروبي في حين كان من الضروري تفهم التعاطف الذي وجد في صفوف الوطنيين تجاه الالمان و عدم التسرع لاتهامهم ،، بالخيانة ،،.

ان مجموعة هذه الاسباب الموضوعية و الذاتية مثلت حاجزا امام انتشار الافكار المعادية للفاشية التي اراد الشيوعيون بثها في تونس فهذه السياسة لن تجد صداها الا لدى الذين كان يتهددهم بصفة مباشرة الخطر النازي وهم اليهود او لدى اقلية من الوطنيين العقلانيين و الواقعيين الذين استطاعوا تجاوز عواطفهم الانية للنظر في السلبيات التي يمكن ان تنجر مستقبلا على الحركة الوطنية في صورة هزيمة المحور و انتصار الحلفاء (1) وهو ما عبر عنه بورقيبة في رسالته الى الدكتور ثامر في اوت 1942 عندما كتب ،، ان تاييدنا للحلفاء يجب ان يكون بدون قيد او شرط لان غايتنا الاساسية هي ان نكون عند انتهاء الحرب - وما هو الان ببعيد - في صفوف المنتصرين ، نظرا لمشاركتنا في اسباب الانتصار المشترك. مهما كانت ضآلة تلك المشاركة (2).

---

(1) في الحقيقة لا يخلو هذا الموقف من اعتبارات تكتيكية ففي ذلك الوقت بدأ التاكد من ان هزيمة الالمان اتية. رغم نجاحاتهم على بعض الجبهات - خاصة بعد تورطهم داخل الاتحاد السوفياتي و فشلهم في معارك ستالينقراد.

(2) رسالة بورقيبة الى ثامر (اوت 1942) منشورة في متاب بين تونس و فرنسا ص 218 و 224.

* الخاتمة *

في خاتمة هذا البحث الذي حاولنا فيه متابعة مسيرة الحركة الشيوعية في تونس خلال 23 سنة من النشاط يمكن الملاحظة ان هذه الحركة مرت خلال تطورها بمراحل مختلفة اتخذت فيها مجموعة من المواقف و المبادرات . كانت منسجمة دوما مع سياسة الاممية الشيوعية و الحزب الشيوعي الفرنسي.

ان هذا الانتماء لحركة عالمية سيمكنها من ان تكون سباقة لطرح العديد من القضايا مثل الاستقلال و الانفصال عن الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية و اهمية المسالة الاجتماعية و النقابية... لكن هذا الارتباط ستكون له ايضا سلبيات، فمواقف الاممية كانت تحددها منطلقات اوروبية التي لم تكن لتتوافق بالضرورة المهمات الوطنية المطروحة على الساحة التونسية .

لذا فان مسايرة الحزب الشيوعي التونسي في فترة ما بين 1919 و 1943 تطرح كانموذج لدراسة اشكالية العلاقة بين الحركة الشيوعية العالمية و الحركات الوطنية التحريرية التي برزت في الدول التي عرفت الهيمنة الاستعمارية للدول الاوروبية الراسمالية .

لقد تطورت هذه العلاقة وسط مجموعة من التعقيدات فرضها ظهور الحركة الشيوعية في بلدان تعيش السيطرة الاجنبية ، حيث تصبح المسالة الوطنية ، القضية الاساسية التي تتمحور حولها كل المهمات الاخرى بما فيها المهمة الطبقية .

و قد راينا ان مواقف الحزب الشيوعي من المسالة الوطنية خلال هذه الفترة كانت مرتبطة بالتحولات التي شهدتها الحركة الشيوعية العالمية، و خاصة اثر بروز الخطر الفاشي حيث وظفت كل القضايا لفائدة جبهة عالمية معادية للفاشية.

و لم تكن عملية البحث عن معادلة بين متطلبات النضال الوطني و المهام العامة للحركة الشيوعية العالمية بالمهمة السهلة، خاصة في تلك الظروف التي تميزت بهيمنة الطابع المركزي و الاجباري في علاقات الاممية الشيوعية بفروعها الوطنية بالاضافة لتاثيرات الحزب الشيوعي للبلاد المستعمرة (بالكسر) .

و رغم ذلك فان التجربة الشيوعية في تونس افررت في فترة ما بين الحربين محاولات جنينية للالتحام بالواقع المحلي ، فالى جانب التيار الاورتودوكسي الذي ركز على ضرورة توافق سياسة الحركة الشيوعية بتونس مع الخط العام للاممية الشيوعية ، فقد لاحظنا بروز - ولو بصفة متقطعة - بعض الاجتهادات للتفاعل مع الواقع المحلي و المساعي لاعطاء الحزب صبغة وطنية (1) و ذلك عن طريق طرح استقلاله التنظيمي عن الحزب الشيوعي الفرنسي او في محاولات الاقتراب من الاحزاب الوطنية و تاثر بعض المناضلين بشعاراتها.

الا ان هذا التيار بقي هامشيا في فترة ما بين الحربين و لم يستطع التاثير في التوجهات الاساسية للحزب التي بقيت محكومة في اهدافها بالمنطلقات المركزية - الاوروبية. فحتى بعض المحاولات التي وقعت سيتم اجهاضها او ،، التخلص ،، من الداعين اليها.(2).

---

(1) راينا كيف ان روبار باك و مجموعة من رفاقه ارتكزوا سنة 1928 على قرار المؤتمر السادس للاممية الشيوعية القاضي بتحويل فروع الحزب الشيوعي الفرنسي في شمال افريقيا الى احزاب مستقلة. اعتمدوا ذلك القرار ليعلنوا فوريا بعث الحزب الشيوعي التونسي.

(2) لقد راينا كذلك انه على اثر المحاولة التي قام بها باك فانه لم يقع السماح له بالرجوع الى تونس كما راينا كيف تم طرد كلامن خميس الكعبي و الهادي الغربي على اثر انتقادهما لسياسة الحزب تجاه المسالة الوطنية سنة 1939.

ذلك ان هذا التيار ، او المجهود كان متقطعا و متنافرا من حيث الاشخاص و التجربة . ولم يبلغ درجة من النضج و البلورة الجماعية فبقي مقتصرا على ،، طفرات وعي،، يصلها بعض المناضلين اثر معاناة شخصية او كنتيجة لتجربة قاسية ، لذا ترى علي جراد في سنة 1938 مدافعا عنيدا على سياسة انعزالية تجاه الحركة الوطنية رافضا تفهم كل حركة منتقدة لموقف الحزب و عندما سيقتنع هو بدوره بضرورة التفاعل مع الواقع الوطني فانه لن يجد ،، انصارا،، لفكرته داخل الحزب لانهم غادروه او ابتعدوا عنه نتيجة التحجر الذي وجدوه قبل عشر سنوات. (1)

ان هذا التيار لن يتبلور بشكل واضح الا بعد الاستقلال و خاصة في التحضير للمؤتمر السادس للحزب الشيوعي التونسي سنة 1957 حيث سيقع البحث عن عناصر ،، الائتلاف ،، بين رصيد الحزب و تجربته و الشروط الضرورية لتأصله في الواقع الوطني و يبدا التخلي عن منطق ،، التكفير ،، للراي المخالف داخل الحزب.

و قد حاولنا استكشاف خلال مراحل تطور الحركة الشيوعية بتونس في فترة ما بين الحربين اهم العوامل التي حالت دون تبلور التيار ،، الوطني،، داخل الحزب الشيوعي و تقوية تاثيره واشعاعه في البلاد.

لقد لاحظنا في هذا المستوى عدة اسباب من ابرزها :

- ان سياسة الحزب الشيوعي كانت تعتمد على مواقف و تحاليل الاممية الشيوعية التي كانت تنطلق بالاساس من الوضع الاوروبي و خاصة مصلحة الدولة الاشتراكيةوقد ادى ذلك في كثير من الحالات الى تباين في المشاغل بين الشيوعية و الحركة الوطنية.

---

(1) سيقع اقصاء علي جراد من المسؤولية الاولى في الحزب الشيوعي التونسي ثم طرده من الحزب و ذلك في المؤتمر الثالث المنعقد سنة 1948.

- وجـود عناصـر اجنبيـة داخل الحـزب الشيوعـي لم يساعـد على بلورة خـط وطني ياخـذ بعين الاعتبار الخصوصيـات المحليـة. فرغم التضحيات التي قامت بهـا هذه العناصر فان انتماءها الاوروبي سيجعلها غير قادرة على تفهم الحس الوطني بل كثيرا ما تخشاه. (1).

- ان انخراط عدد من ابناء الجاليـة اليهودية التونسية في الحزب الشيوعي باعتباره ملجـأ ضد التعصب و العنصرية لن يساعـد على استقطاب التونسيين المسلمين نظرا للحزازات القديمة الموجـودة بينهم و بين اليهـود و التي ستغذيها في الثلاثينات الاوساط الاستعماريـة و المحاولات الصهيونـية للاستيطـان في فلسطين.

- و من العوائق الاخرى نجـد ايضا الدعايـة التي كانت و لا تزال تبثهـا الاوساط الاكثر تخلفـا في المجتمـع على اساس تعارض الديـن الاسلامي مع الافكـار التي يدعـو اليهـا الحزب الشيوعي

- كما ان افتـقار الحـزب في مستوى اطاراته للمثقفيـن القادرين على الاجتهـاد و بلورة الافكـار و انتاجهـا - خاصة من بين التونسييـن الذيـن استوعبتهـم الحركة الوطنـية.

الا ان العائق الهـام الذي نضيفـه لمجموعـة هاته العوامل وهو يتمثل في خاصيـات المرحلة باعتبارهـا فترة تحرر وطنـي من الهيمنة الاجنبـية و التي تبرز فيهـا عوامل التجميـع و البحث عـن عناصـر الوحـدة الوطنـية امام المستعمر الاجنبي وهو ما يساعـد على بروز الحركات ،، القومـية ،، اكثر من الحركات الاجتماعيـة و التعبيرات الطبقيـة.

---

(1) ذكر لنا بعض المناضلين الشيوعـيين ان العناصر الغير منسجمة مع سياسة الحزب كانت تنعـت بانهـا قومية . Nationaliste

و فعلا فقد شهدت الثلاثينات تجذرا في الحركة الوطنية و ذلك على اثر انعكاسات الازمة الاقتصادية.

و هذه الحركة هي امتداد للحركات الاصلاحية العريقة التي ظهرت بتونس قبل دخول الاستعمار والتي سيزداد تاثيرها كلما زادت مظاهر الاستغلال و تعمقت التناقضات الوطنية و الاجتماعية الناتجة عنه. ان هذه الحركة ستشكل في فترة ما بين الحربين قطبا رئيسيا في المستوى السياسي و ستمثل عقبة تاريخية امام تطور الحركة الشيوعية.

الا انه رغم هذه الحواجز فانه كان للحركة الشيوعية بتونس مساهمتها في التصدي للحضور الاستعماري، و كانت متواجدة

- و لو بدور متواضع - في كل المعارك ضد المستعمر كما انها اثرت في الحركة الوطنية و في تجذيرها و خاصة في اعطاء المسالة الاجتماعية مكانة متميزة - رغم طغيان القضية الوطنية - فقد برزت خلال فترة ما بين الحربين اول تجربة نقابية وطنية بقيادة محمد علي الحامي التي ستمثل مرجعا بالنسبة لكل الحركات التي ستظهر في المراحل اللاحقة.

لذا فان حركة التحرر الوطني في تونس ستاخذ ابعادها الاجتماعية و التقدمية منذ فترة الاستعمار المباشر. هذه الابعاد التي ما فتئت تتطور و تحتل مكانة اكبر منذ الاستقلال السياسي للبلاد.

انتهى

قائمة المصادر و المراجع.

I المصادر :

الارشيف الغير منشور :

أ.) ارشيف معهد الدراسات الماركسية (م.د.م)

يقع هذا المعهد في 64 شارع اوغست بلانكي باريس وهو يضم بالخصوص محاضر جلسات اللجنة الاستعمارية التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي و كذلك تقارير وقع اعدادها عن اوضاع المستعمرات و مراسلات فروع الحزب الشيوعي الفرنسي في المستعمرات.
الا ان التقارير و المحاضر متقطعة زمنيا وهي تشمل خاصة السنوات 1924 و 1925 و 1926 و 1927 و 1928 ثم تتوقف هذه الوثائق لتعود خلال السنوات 1932 و 1933 و 1934 .
و قد ذكرنا في التقديم ان هذه الوثائق هي نسخة من الاصول الموضوعة بمعهد الماركسية، اللتينينية بموسكو، حيث يوجد الارشيف الاصلي للاممية، الشيوعية و لمراسلات فروعها.

ب) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية (و.خ.ف)

كما هو معلوم فقد تم في اطار البرنامج القومي للبحث في تاريخ الحركة الوطنية تصوير الوثائق التي يضمها ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية و المتعلقة بتونس و يتواصل نقلها الى المركز القومي للتوثيق العلمي و التقني. 1 شارع فرنسا بتونس حيث هي مجمعة في شكل ميكروفيلم.
و الوثائق التي يحتويها هذا المركز هي نصوص المراسلات المتبادلة بين المقيم العام الفرنسي ووزير خارجيته . وهي التي تشغل بال

الادارة الفرنسية بتونس او التي تريد اعلام السلط العليا الفرنسية بها.
و تحتل المسائل المتعلقة بالامن العام و بتطور موقف الراي العام التونسي تجاه السلط الفرنسية و القضايا العالمية الاخرى مكانة بارزة خاصة في الفترات التي تشهد نموا للاحتجاج الوطني و الاجتماعي و السياسي.

و ان احتلت التقارير المتعلقة بالاحزاب الوطنية مساحة اكبر فانها اهتمت ايضا و بصفة مستمرة بالنشاط الشيوعي في تونس (تحركاته تنظيمه، برامجه ، علاقاته بالحركة الوطنية ...)
و نشير هنا، الى انه يجب التعامل مع هذه الوثائق بحذر ، لا من حيث صحة المعلومات نفسها فقط ، بل و كذلك بسبب طابعها الموجه ، فهي تقلل دوما من اهمية النشاط الشيوعي(حيث تبرز سيطرتها المطلقة عليه). و تضخم كل محاولة اتصال بين الشيوعيين و والوطنيين لتبرز هؤلاء الاخيرين في مظهر ،،المتواطئين،، مع الشيوعيين و تسهل عملية عزلهم لدى الراي العام الفرنسي.
و السلاسل التي تحتوي على مظاهر من النشاط الشيوعي و التي اطلعنا عليها في تونس هي :

- السلسلة 1 تونس 1917 / 1940
- السلسلة 10 افريقيا (الشؤون الاسلامية) 1940/1918
- السلسلة 2 الحرب العالمية الثانية (1945/1939)

وهي تحتوي على معلومات كثيرة حول الحزب الشيوعي لكن تتعلق خاصة بالفترة التي تبدا مع رجوع السلط الفرنسية لتونس في ماي 1943، لذلك لم تفدنا كثيرا في عملنا هذا.

و تجدر الاشارة الى ان المركز القومي الجامعي للتوثيق العلمي و التقني يصدر منذ سنة 1984 مجلة ،، وثائق،، و التي ظهر منها لحد الان 7 اعداد وهي تحتوي على اخبار لجنة مصادر التاريخ التونسي في فرنسا

.../...

و تقدم عمليات التصوير و الوثائق الجديدة التي يمكن الاطلاع عليها في المركز كما تضم المجلة في كل عدد صورا لوثائق تتعلق بموضوع موحد و كذلك قوائم و فهارس LISTING تسهل على الباحث الوصول الى مبتغاه بسرعة.

ج) ارشيف الحكومة التونسية (قصر الحكومة بالقصبة) (أ.ح.ت)

ان الوثائق المتعلقة بالحركة الشيوعية بهذا الارشيف توجد ضمن سلسلتين :

- السلسلة الاولي : وهي المتعلقة بالحركة الوطنية وهي مجموعة كبيرة من صناديق الارشيف بدون اي ترقيم او احصاء او كشف عن محتوياتها لذا يقضي الباحث احيانا الساعات في تصفح التقارير علّه يفاجؤ بتقرير ضائع يتعلق بما يريد.

و الوثائق التي تحتويها هذه السلسلة هي تقارير المخبرين التابعين لمصالح الامن و ضمن هذه التقارير عثرنا في بعض الاحيان على وثائق اصلية لمناشير او صحف كان قد وزعها الحزب الشيوعي.

ان تنظيم هذه السلسلة و احصاء محتوياتها يمكن ان تساهم في تقديم معلومات اضافية عن الحركة الشيوعية التونسية.

- السلسلة الثانية : وهي السلسلة التاريخية المسماة E

و اهم الملفات التي تضم معلومات حول موضوعنا هي :

- 250/19 حول النقابات
- 500/27 الدعاية البلشفية
- 500/43 حول حل الحزب الشيوعي التونسي.

.../...

د -) ارشيف مركز التوثيق الوطني (م.ت . و)

لا يحتوي هذا الارشيف الا على وثائق قليلة متعلقة بالحركة الشيوعية (ملف وحيد) كان يحتوي على بعض الوريقات، و قد ساهمت شخصيا منذ 1981 في اثرائه حيث قدمت تباعا نسخا من الوثائق التي امكن العثور عليها عند المناضلين الشيوعيين خاصة و ان الحزب الشيوعي التونسي لا يملك لحد الان ارشيفا.

.2) المصادر المطبوعة و المنشورة /

أ) مؤتمرات : بيانات و قرارات الاممية الشيوعية

بالعربية /

- بيانات و موضوعات و مقرارت الاممية الشيوعية، المؤتمران الاول و الثاني 1919 و 1920 (النصوص الكاملة) ، ترجمة طلال الحسيني دار الطليعة بيروت . 1972 ، الطبعة الاولى:

بالفرنسية /

- Thèses, Manifestes et Résolutions adoptés par les 4 premiers congrès de l'Internationale Communiste (1919 1923)
  Bibliothèque Communiste 1934. Réimpression en Fac-Similé François Maspéro. 1975

- Enrica Collotti Pischell et Chiarra Robertazzi L'Internationle Communiste et les problèmes coloniaux 1919 - 1935 ed. Mouton 1968.

بالروسية /

- REZNIKOV A.B La stratégie et la tactique de l'Internationale Communiste dans la question coloniale. MOSCOU GOSPOLITZDAT 1978 342. P.

.../...

ب). ادبيــات و نشريات الحزب الشيوعــي الفرنسي المعادية للاستعمار و خــاصة تونــس

- Duclos (J) le Drame Tunisien, éd. du P.C.F 1952 31 P

- Durand (Pierre) Cette mystérieuse section coloniale, le P.C.F et les colonies 1920 - 1962) Ed. Messidor. Paris 1986. 339 P.

- DEWEZ. J que ce passe-t-il en Tunisie? Discours à la Chambre des députés 1. 12. 1934 préface d'ANDRE FERRAT Publications révolutionnaires 1934.

- Doriot(J) ,les Colonies et le Communisme, Paris Aubier Montaigne. 1927. 157 P

- P.C.F (S.F.I.C) Quatre ans de repression (Mai 1924 - Mai 1928) 35 P.

- P.C.F Devant l'Internationale Communiste. Paris Imp. Centrale 1931. 88p.

- Peri (gabriel) Union des Peuples de France et des Colonies pour la paix. L paix et la liberté. Paris - Bureau d'édition 1937.

- Péri (Gabriel) BELKAIM KADDOUR et d'autres délégués Coloniaux La France du Front Populaire et les peuples coloniaux (9è Congrès duP.C.F Arles 25 / 29 Décembre 1937) Paris ed. du Comité de propagande. 47.P

- Péri (Gabril) Ombres du fascime sur l'Afrique du Nord 62P. 1938.

ج) ادبيــات و نشريات الحـزب الشيوعـي التونــسي

بــالعربيـــة /

- جــراد علي، الشعــوب العربية، لا تغتر بالفاشيزم و العنصرية. مكتب المطبوعــات التونسيــة. تونــس ديسمبر 1938 72 صفحة.

- المسالة التونسية وحلـها بواسطة الشيوعـيـة، تقرير قام بتحريره بطلب من الشعبة الشيوعية التونسية نفر من انصار الافكار الحرة تحت رعاية الكاتب العام للشعبة الشيوعية. روبـار لوزون 1922.

بالفرنسية /

- Documents,la lutte clandestine du Parti Communiste de Tunisie, contre les hitleriens et les valets à leur service.

- Thèses de Juin 1941 et rapport de Velio Spano. devant la conférence du P.C.T tenu le 31/12/1942 (Archives privés de Robert MEIMON).

.3) الصحف و الدوريات :

-Correspondance Internationale (Bi-Hebdomadaire)

ب. الحزب الشيوعي الفرنسي :

- Bulletin Communiste 1920 - 1922
- L'Humainté (1920 - 1939)
- Les cahiers du Bolcherisme 1933 - 1934 - 1935 - 1936.
- La défenese , Organe du secours rouge français.

ج. الحزب الشيوعي التونسي :

* بالعربية / حبيب الامة (1921). حبيب الشعب (1921)

البصير (1921)، المظلوم (1921) ، الخبير (1921)، المهزوم (1921)

الطليعة (1937 و 1938) الطريق الجديد (1987/1981)

* بالفرنسية /

- L'Avenir social (1919. 1925) (1936 - 1938) (1943-44)
- Le combat social (1925) l'Aube sociale (1925) la Batialle sociale (1925) La révolte sociale (1925) Le Proletaire (1926)
- Revendiquons (1933 - 1934) Syndicalisme unitaire.

صحف اخرى (وطنية و اشتراكية)

* بالعربية /

- النهضة (1922) ، البرهان (1921) ، الارادة (1936)

* بالفرنسية /

- Tunis socialiste (1933) (1936) 1938)

- l'Action tunisienne §1936 - 1938).

.../...

4. شهادات و ذكريات المناضلين الشيوعيين

خلال اعدادنا لهذا العمل ، اجرينا عدة لقاءات و حوارات مع مناضلين شيوعيين شاركوا في فترات مختلفة من المدة المدروسة وتمت هذه اللقاءات في تونس و باريس حسب التواريخ التالية :

* في تونس /

الهادي الغربي	1983
محمد جراد	1982
الحبيب فرحات	1985
الجيلاني الجريدي (الجلاصي)	1985
جورج عدة	1985
روبار ميمون	1986
جورج شمامة	اجرينا معه احاديث عديدة سنة 1985 و قد توفي سنة 1987.

* في باريس /

اوجان بسيس	سبتمبر 1983
ليون زانا	سبتمبر 1983
موريس نيزار	سبتمبر 1985
جاك بلعيش	سبتمبر 1985
ايلي منيو	(عضو في الحزب الشوعي الفرنسي تحمل مسؤولية الاشراف على اللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي لسنوات عديدة.)

.../...

II المـراجـع

1) المـؤلـفـات :

*** بالعربيـة /**

- بلحولة (محمد علي) محمد علي ... و حوادث الايام . مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل 1985. 263 صفحة.
- التيمومي، (الهادي) النشاط الصهيوني بتونس بين 1897 و 1948 تقديم محمود الدرويش طبع التعاضدية العمالية للطباعة و النشر صفاقس 1982، 212، صفحة.
- الجادوي (سليمان) الفوائد الجمة في منتخبات مرشد الامة. المطبعة التونسية. تونس 1925.
- جعفر (ماجد) الطاهر الحداد، الشركة التونسية للتوزيع ، سلسة الطرائف. 1979 . 189 صفحة.
- الحداد (الطاهر) العمال التونسيون و ظهور الحركة النقابية الدار التونسية للنشر. النشرة الثانية ماي. 1972. 221 صفحة
- ديمتروف (غورغي) ضد الفاشية و الحرب، تقرير ديمتروف امام المؤتمر العالمي السابع للاممية الشيوعية ، صوفيا 1984، 145 ص.
- الدرعي (احمد) حياة الطاهر الحداد، الدار العربية للكتاب. تونس 1975. 144 ص
- الدرعي(احمد) دفاعًا عن الحداد تقديم و تحقيق محمد انور بوسنينة نشر و توزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1976 245 صفحة.
- الدستور الجديد و الجبهة الشعبية بفرنسا، (1936 /1938) الحوار1 دار العمل، 1979، 370صفحة.
- الشريف (محمد الهادي) تاريخ تونس دار سيراس للنشر 1980.
- الشريف (ماهر) الاممية الشيوعية و فلسطين (1919/1928) دار ابن خلدون، الطبعة الاولى، بيروت 1980، 303 صفحة.

.../...

- الشريف (ماهر) ، الشيوعية والمسالة القومية العربية في فلسطين (1943/1919)، الوطني و الطبقي في الثورة التحريرية المنهاضة للامبريالية ، مركز الابحاث و الدراسات الاشتراكية في العالم العربي 1986· 103 صفحة.
- عثمان (حسن) ، منهج البحث التاريخي، دار المعارف بمصر 219·1976 صفحة
- المدني (احمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات) الجزء الاول في تونس (1925/1905) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع. الجزائر 351·1976 صفحة.
- المحجوبي (علي)، الحركة الوطنية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية 1986· 270 صفحة.

*** بالفرنسية /**

- Ageron(Charles Robert), Politiques coloniales au Maghreb. Paris P.U.F. 1972. 291 P.
- BOURGUIBA (Habib) , la Tunisie et la France, vingt cinq ans de lutte pour une coopération libre, Paris,Juliard - 1954. 462 P.
- BENJAMIN (Stora) Messali Haj 1898 - 1974, le Sycomore. 1982. 300P
- BESSIS (Juliette), la Méditerranée Fasciste, l'Italie Mussolinienne et la Tunisie. éditions Khartala. Paris 1981. 403 P.
- BESSIS (Juliette) les Fondateurs, index bibliographique des cadres syndicalistes de la Tunisie Coloniale (1920 - 1956), éditions de l'Harmattan. 1985. 157 P.
- BEN MILED (Ahmed), la Naissance du mouvement ouvrier tunisien. éditons salambo. 1984.
- Cahiers du C.E.R.E.S Série sociologie. N° 2. Identité culturelle et conscience nationale en Tunisie. Actes du colloque tenu à Tunis 18 - 19 Mars 1974. Publications du C. E. R. E. S - TUNIS 1975.
- Congres national de l'unité: 1936 Institut C.G.T. d'histoire social (les congrès de la C.G.T) Collection dirrigée par MARC Piolot. Paris 1986 , 87 P.

- DROZ (Jacques),Histoire de l'antifascisme en Europe. 1923/1939, éditions la découverte . 318 P.

- DABBAB (Mohamed),Index des revues et journaux tunisiens de langue française de 1907 à l'Indépendance (1956) Publications du C.E.R.E.S . Tunis 1973. 114 P.

- FAUVET (Jacques), Histoire du Parti Communiste Français. 1920/1976 Fayard. Paris 1977. 605 P

- HADHRI (Mohieddine), 1 'U.R.S.S. et le Maghreb (de la révolution d'Octobte à l'Indépendance de l'Algérie 1917 - 1962) éditions de l'Harmattan. 1985. 211 P.

- Histoire de la politique extérieure de l'U.R.S.S 1917 1045 , sous la direction de BORIS PONOMAREV. Editions de MOSCOU 1971. 695 P.

- HADHRIA (ELIE-COHEN), Du protectorat Français à l'indépendance Tunisienne: Souvenirs d'un témoin socialiste. C.M.M.C Nice 1976.

- HAUPT (G) ET ROBERIOUX (M), la IIè Internationale et l'Orient CUJAS 1976.

- JULIEN (Charles - André), l'Afrique du Nord en marche . Nationalismes musulmans et souveraineté française. 3ème éditions. Paris Julliard. 1972.

- KHAIRALLAH (Chedly), le mouvement évolutionniste tunisien (Notes et documents) 2ème Tome. Editions de l'imprimerie de Tunis. 1934.

- KRAIEM (Mustapha), Nationalisme et Syndicalisme en Tunisie 1918 / 1929 Imprimerie de l' U.G.T.T. 1976. 691 P.

- KRAIEM (Mustapha), la classe ouvrière tunisienne et la lutte de libération nationale (1939 - 1952), Imprimerie de l'U.G.T.T. 1980. 446 P.

- KRAIEM (Mustapha), le Mouvement social en Tunisie dans les années trente. C. E. R. E. S. 1984. 315 P

- LEJRI (Mohamed Salah), évolution du mouvement national Tunisien, des origines à la 2ème guerre Mondiale. Volume II - M.T.E 1977, 289P

- LIAUZU (Claude) ,Salariat et mouvement ouvrier en Tunisie, crises et mutations (1931 - 1939) éditions du C. E. R. E. S. , Paris 1978. 192 P.

- LIAUZU (Claude), aux origines des tiers-mondismes. Colonisés et anticolonialistes en France, 1919 - 1939 Editions de l'Harmattan, 1982 , 275 P.

- MAHJOUBI (Ali), l'Etablissement du protectorat français en Tunisie, publications de l'Université de Tunis 1977, 423P.

- MAHJOUBI (Ali) , les Origines du mouvement national en Tunisie (1904 - 1934), Publications de l'Université de Tunis 1982, 698 P.

- Le mouvement ouvrier maghrébin, Extrait de l'Annuaire de l'Afrique du Nord, 1982, Editions du C.NR.S. Paris 1985. 327 P.

- NACCACHE (Gilbert) Cristal (récit) Editions Salambo 1982, 329P.

- PONCET (Jean), la Tunisie à la recherche de son avenir Editions sociales, 1974, 220 P.

- PERRAULT (G) un homme à part, qui était Henri Curiel ? tome 1 et 2, livre de poche 1985.

- RODINSON (Maxime) , Marxisme et monde musulman, Editions du Seuil, Paris 1972.

- REPRESSION et RESISTANCE, Synthèse de documents secrets M.T.E 1973, 439P.

- SEBAG (Paul), La Tunisie, Essai de monographie, Paris, Editions sociales. 1951

- STALINE (Les discours de), éditions France - URSS - ALGER 1946.

- SIVAN (Emmanuel) Communisme et Nationalisme en Algérie 1920 - 1962. Presse de la fondation nationale des sciences politiques 1976, 262 P.

- TLILI (Béchir), Nationalisme, Socialisme et Syndicalisme dans le Maghreb des années (1919 - 1934), 2 tomes, Publications de l'Université de Tunis 1984.

- Tunisie (la) Martyre, ses revendications. Paris Jouvre. 1920 - 212P.

/.376

*** بالايطاليـــة /**

- ANTONELLO (Mattone), Vélio spano vita di révoluzionario di professione , edizioni della torre. Caglliarri. 1978

2.) الفصول و المقالات

*** بالعربية /**

- الساحلي (حمادي)، المنصف باي و الحركة المنصفية (1942 / 1948). مداخلة في الملتقى الرابع لتاريخ الحركة الوطنية ، سيدي ظريف جوان 1987.

- القردغلي (حبيب) ، التطور التنظيمي للحركة الشيوعية بتونس (1939/1926) مداخلة في الملتقى الثالث لتاريخ الحركة الوطنية. سيدي ظريف ماي 1985.

- القردغلي (حبيب)، تطور سياسة الحزب الشيوعي التونسي خلال الحرب العالمية الثانية (1939 /ماي 1943) مداخلة في الملتقى الرابع لتاريخ الحركة الوطنية ، سيدي ظريف جوان 1986.

- القردغلي (حبيب)، محاولات احياء الحركة النقابية بعد محاكمة قادة جامعة عموم العملة التونسية (1928/1925)
مداخلة في ملتقى النقابة و المجتمع. مركز الدراسات الاجتماعية و الاقتصادية. تونس ديسمبر 1987.

- BEDARIDA (F), le Mouvement ouvrier français face à la Colonisation in le "MOUVEMENT SOCIAL ". Janvier - Mars 1974.

- BESSIS (J), Le Mouvement ouvrier tunisien : de ses origines à l'indépendance, in le "MOUVEMENT SOCIAL" N° 89. Octobre - Décembre 1974.

- BESSIS (J), l'Activité Syndicale de l'Union Locale de Tunis entre 1940 - 1943, in Annuaire de l'Afrique du Nord, 1982. CNRS. Paris 1982

- CHARLES (Jean), les débuts de l'internationale syndicale rouge et le mouvement ouvrier français (1920 - 1923), in les cahiers d'histoire de l'Institut Maurice THOREZ n° 28 (1978)

- GALISSOT (René), Sur les débuts du Communisme en Algérie et en Tunisie. Socialisme colonial et rupture révolutionnaire, in Mélage d'histoire sociale offert à Jean MAITRON, les Editions ouvrieres Paris 1976.

- HAJEK (Milos), les désaccords sur l'orientation de l'Internationale Communiste, in les cahiers d'histoire de l'Institut Maurice THOREZ N° 34. 1980

- IVANOV (N.A), la naissance du mouvement ouvrier national en Tunisie. 1924 - 1925 in l'Afrique dans les études soviétiques (Annuaire 1968)

- KAZDAGHLI (Habib) le rassemblement populaire de Tunisie (1936 - 1938) (renéotype), communication in colloque 1936 et le monde arabe . Paris - 4. 5. 6 Décembre 1986.

- KRAIEM (Mustapha). aux Origines du P.C.T. in revue d'histoire maghrébine (R.H.M) n° 2. 1974

- KRAIEM (Mustapha), la question du droit Sybducal en Tunisie (1981 - 1932) in R.H.M. N° 3 . 1975

- KRAIEM (Mustapha), contribution à l'étude de l'histoire du mouvement national tunisien pendant la seconde geurre mondiale in R. H. M. N° 10. 11 . 1978

- KRAIEM (Mustapha), le Parti Communiste tunisien dans les années trente, in R. H. M. N° 21 - 22 . 1981

- LIAUZU (Claude), les traminots de Tunis du début du siècle à la 2ème guerre mondiale, in les cahiers de Tunisie 1er et 2ème trimestre 1975.

- LIAUZU (Claude), la Presse Ouvrière Européenne en Tunisie (1981 - 1939), in Annuaire de l'Afrique du Nord C.N.R.S. Paris

- LIAUZU (Claude), les Syndicats en Tunisie au temps du cinquantenaire, in Annuaire de l'Afrique du Nord, CNRS Paris

- LIAUZU (Claude), classes et "Races" luttes sociales et nationales, les solutions du socialisme colonial, Annuaire de l'Afrique du Nord, C.N.R.S Paris

- LIAUZU (Claude) et SOUMILLE (Pière), la Gauche française en Tunisie,in le mouvement social n° 86. Janvier-Mars 1974

- LOUZON (R) de Mohamed Ali à Farhat Hached. l'action ouvrière en Tunisie, in "REVOLUTION PROLETARIENNE" N° 373 Mai 1953.

- MARTELLI (Roger), la Stratégie Communiste de Munich au front national, in les cahiers d'histoire de l'Institut de recherche Marxiste (I.R.M) n° 14. 1983

- MARTELLI (Roger),une Introduction à l'année 1934, le PCF. l'Internationale et la France,in les cahiers d'histoire de l'I.R.M N° 18 (1984)

- MICHEL (Jean-François) , la création de la F.S.M (Septembre Octobre 1945) in les cahiers de l'I.R.M.N° 15 (1983)

- MORABIA (A), la propagande " Communiste " vilipendé par un Docteur d'AL-AZHAR, in les cahiers de Tunisie n° 53 - 54 - 55 et 56 (1966)

- NAGY (J. LASZLO'), le Komintern et le Maghreb, intervention in Séminaire du C.E.R.E.S? Tunis 3/8 Octobre 1983.

- NAGY (J. LASZLO'), les activités communistes en Algérie sous le régime de Vichy, in les cahiers de l'I.R.M n° 11 (1982).

- ROBERT (Jena Louis), Nouveaux, éléments sur les origines du P.C.F, in les cahiers de l'IRM n° 3 (1980)

- SIMONIA (Nodari), le nationalisme et la lutte politique dans les pays affranchis, évolution du nationalisme en Asie et Afrique, in Sciences sociales. Editions de l'Académie des Sciences Sociales de l'U.R.S.S 1975 P. P. 67 - 94

- SIMONIA (Nodari),le Processus Historique de "L'EVEIL DE L'ORIENT", in sciences sociales n° 3. 1975. Académie des Sciences Sociales de l'U.R.S.S. P 186 - 201.

- SURET - Canal (Jean), Présence africaine Février - Mai 1959, Intervention in IIè Congrès des écrivains noirs.

- SCHWEITZER (T.A), le P.C.F, le Komintern et l'Algérie dans les années 1930, in le mouvement social n° 78 (Janvier Mars 1972).

- TLILI (Béchir) la Fédération Communiste de Tunisie, in le mouvement ouvrier,communisme et nationalismes dans le monde arabe, études coordonnées et rassemblées par René Galissot Edition ouvrière.Paris 1978. 292 P.

.../...

- TLILI (Béchir), la Fédération Socialiste et la " TUNISIE MARTYRE " in cahiers de Tunisie n° 99 - 100, 1977

- TLILI (Béchir), le Groupement de la Revue le Maghreb in les cahiers de Tunisie, n° 101 - 102

- WOLIKOW (Serge), le P.C.F et la question de sa participation au groupement du front populaire, in les cahiers d'histoire de l'Institut Maurice THOREZ N° 34 (1980)

* مقالات باللغة الايطالية /

- VALENZI (Maurizio), Nell'Africa del Nord durante la guerra in calendario d'El popolo, Octobre 1971.

3.) البحوث و الرسائل الجامعية الغير منشورة :

* بالعربية /

- الاخضر (لطيفة)، الحزب الشيوعي التونسي من خلال صحافته (1956 / 1962) ، شهادة الكفاءة في البحث تحت اشراف الاستاذ علي المحجوبي. سبتمبر 1984.

- الساحلي (مهدي)، صدى اصلاحات كمال اتاتورك العلمانية في تونس(1923/1938) شهادة الكفاءة في البحث. تحت اشراف الاستاذ علي المحجوبي. سبتمبر 1986.(258 صفحة).

- ماني (نائلة)، المراة من خلال الصحافة التونسية من الثلاثينات الى سنة 1956. شهادة الكفاءة في البحث، تحت اشراف الاستاذ محمد الهادي الشريف. السنة الجامعية 1982/1983. (263 صفحة).

* بالفرنسية /

- BEN TEMIME (LEILA), la Fédération Communiste de Tunisie (1921 1922), un effort précoce de tunisification, mémoire de maîtrise sous la direction de Mme ROBERIOUX, Université Paris VIIIè Octobre 1976. 153 P.

- CHAKER (Mustapha),histoire du Parti Communiste Tunisien mémoire pour le D.E.S. (Sciences politiques) Paris (non daté , probablement 1970 ou 1971).

- FAKHFAKH (Moncef) les évènements d'Avril 1938 et la réalité Tunisienne, mémoire pour le C.A.R, sous la direction d'ALI MAHJOUBI, Université de Tunis, Septembre 1980.

- HAMZA (Hassine - Raouf), le Parti Communiste Tunisien, face au nationalisme et la question nationale de 1943 à 1946, mémoire de D.E.A, préparé sous la direction de Jacques DROZ et René GALISSOT Université de Paris I. année 1975/1976.

- HAMZA (Hassine - Raouf),le P.C.T face aux nationalistes et la question nationale, de la libération à l'indépendance (1943/1956), thèse de 3ème cycle préparée sous la direction de J.DROZ et R. GALISSOT . Paris I, année 1982/1983.

- KAZDAGHLI(Habib), les problèmes de la paix en Tunisie au lendemain de la 2ème guerre mondiale, mémoire pour le C.A.R. préparé sous la direction de Béchir TLILI, Université de Tunis. Sept.1980

- LARGUECHE (Dalenda), le Mouvement Syndical en Tunisie de 1936/1939) mémoire pour le C.A.R. préparé sous la direction de Béchir TLILI Université de Tunis. Septembre 1980.

- MAMET (Pière), les expériences syndicales en Tunisie de 1881 à 1956, Diplôme de l'Ecole Pratique des Hautes Etudes, Mai 1966 391P. préparé sous la direction de J.BERQUE.

- NOOMANE (Kacem) l'Internationale Communiste, le P.C.F et la question tunisienne jusqu'à l'indépendance (1956), mémoire de maîtrise préparé sous la direction de Monsieur CHESNAUX, Université de Paris I, année 1970 / 1971. 102P

فهـــرس المــــلاحـــق

.../...

* ملحق عدد 8 : كلمة المندوب التونسي المام المؤتمر السابع للاممية الشيوعية (موسكو .جويلية 1935) التي القاها كولتير (اوجين بسيس) المصدر : المراسلات الدولية . 27 امتوبر 1935

* ملحق عدد 9 : ،، الحقيقة ،،نشرية سرية اصدرها الشيوعيون سنة 1935 في فترة التصدي للتعسف البيروطوني

* ملحق عدد 10 : نص رسالة موجهة من دوبون مارسيل (مندوب الحزب الشيوعي الفرنسي بتونس) الى قيادة حزبه بتاريخ 9 سبتمبر 1935. و قد تم العثور عليها في بيته عند مداهمته من طرف البوليس لالقاء القبض عليه يوم 15 سبتمبر 1935.

* ملحق عدد 11 : مقال نحن و المسالة الوطنية بقلم علي جراد . المصر افتتاحية صحيفة ،، الطليعة،، الاحد 28 جوان 1937

ملحق عدد 12 : مقتطفات من كتاب لعلي جراد: الشعوب العربية لا تغتر بالفاشيزم و العنصرية الصادر في ديسمبر 1938.

* ملحق عدد 13 : اللائحة الصادرة عن المكتب السياسي للحزب الشيوعي التونسي يوم 7 افريل 1938. المصدر ،، المستقبل الاجتماعي ،، 9 افريل 1938

* ملحق عدد 14: حصيلة مشاركة الحزب الشيوعي التونسي في الحرب العالمية الثانية مقتطفات من مقدمة الكتاب الوثائقي ،، النضال السري للحزب الشيوعي بتونس ضد الهتلاريين و اعوانهم. تونس 1945

* ملحق عدد 15: صورة مؤرخة في سنة 1926 لثلاثة من اعضاء الشبيبة الشيوعية وهم فارح فيكتور زانا و الهادي الغربي.

* ملحق عدد 16 :صورة اخذت في رمادة في شهر افريل 1952 (نفي الشيوعيين و الدستوريين الى الجنوب في 18 جانفي 1952) .و اغلبهم-باستثناء محمد النافع-انخرطوا في الحزب الشيوعي في الثلاثينات.

* ملحق عدد 17: صورة لخميس الكعبي (1912 /1975)

* ملحق عدد 18: صورة لحمادي الجلولي ابن وزير القلم في حكومة المنصف باي اثناء الحرب و الذي انخرط في الحزب الشيوعي اثناء الحرب العالمية الثانية.

ملحق عدد 1 : برنامج الشيوعيين الصادر في فيفرى 1922

مقتطف من كتاب :

المسألة التونسية وحلها

بواسطة الشيوعية

تأليف مجموعة من أعضاء

الجامعة الشيوعية تحت

اشراف روبار لوزون .

..

هذا ما كان على الشعب ان يقوم به بصفة اجمالية ليهيء لنفسه عصرا يعيش فيه حرا من كل قيد ومطلقا من كل عنان . فان تحضير الافكار أولى من اقتحام الاسفار وتوجيه الارساليات التعليمية الى داخل العمالة أفضل من توجيهها الى ما وراء البحار . الى حكومة لا تعين إلا الفسقة والفجار . ولا تساعد إلا اساتذة الطمع والمتكالبين على الاستثمار ـ ولو كان في الحكومة الفرنسوية على شكلها الحالي خير لما كان معظم الفرنسيين أنفسهم يتذمرون من صنيعها ويطلبون في كل آن وحين تقويضها وابدالها بحكومة غيرها

والمسالة الثانية التي لم يلتفت اليها متنوروا هذا الشعب وهي مسالة تنبيه الاميين منهم وايقاظهم من غفلاتهم وهم نعم الذخر لوقت الحاجة ومن الاسف ان هذه الطبقة من الامة لا تصلها انباء الصحافة ولا تدركها اشعتها وهذه هي الطبقة التي سيعتني بها الحزب الشيوعي بصفة خاصه ليؤهلها لاخذ حظها من الوجود وليمكنها من استعمال سلاح الحياة ولتكون متبصرة اذا ولجت معترك التنافس الحيوي فانما تلجه عن دراية وتخرج منه بنجاح

ولاجل السعي في تعجيل هذا الانقلاب ينبغي ان ينمو عدد المنخرطين في الحزب الشيوعي لان كل انخراط فيه يعتبره زعماءه بفرانسا كحجرة جديدة وضعت بالهيكل الجديد والذي سيشاد على اطلال المظالم والتعديات والذي ستصبح الناس كلهم بفضله اخوانا لا يظلمون ولا يظلمون

..

ان تعجيل هذا الانقلاب وتحضير

لأفكار لقبول التعاليم الشيوعية وتأهيلها أنواع من الارشادات والتنبيهات الى الانتفاع بمجهوداتها بصورة منظمة لا تجد صعوبة كبرى في هذه البلاد ولئن يجدها في بعض البلاد الاروبية . ذلك لأن هذه التعاليم سهلة الالقاء وسهلة التناول في بلاد تألم أهلها من وطأة الاحتلال الاجنبي فاذا قيل لمريد الانخراط أتريد ان تنظم الى عصابة ترابط الان في اروبا لتحريرك وقومك من قيود الرق والاسر وتسعى جهدها الان من وراء البحار في تخفيف ضربات الاستعمار والاحتكار عليك . فلا شك ان الجواب يكون بالايجاب اذ لا يعقل ان يمتنع ولو غنيا من الاهليين شاد صروح ثروته على رقاب الخدمة المتاعيس وقيل له اذا انتصبت الشيوعية وآل اليها النفوذ فانما يكون أول عملها قبل اطلاقها لك من الرق اطلاق من جعلته لك عبدا رقيقا فلا شك انه يمتثل اذا كان من ذوي الاحساس ويقول لئن أردت الحرية لنفسي فكيف أبخل بها على سواي فان الحرية ليست نعمة يتمتع بها الاغنياء وحدهم وتحرم منها الفقراء وأهل العمل ومن ذا الذي لا يفضل ان يكون حرا مستقلا في بلاده يشرع القانون ويراقب سير المالية العمومية عائشا من كد يمينه ومبلغ مجهوده على أن يكون عبدا ذليلا مولى عليه ومتحكما فيه على حسب الاهواء والاغراض ثم لا يكون له مقابل ذلك من السلوى إلا رغيفا من الخبز ياكله من ثمرة عمل غيره

ذلك جواب الأغنياء والموسرين بهذه الديار وقليل ماهم . اما جواب العملة والمستضعفين وهم المكونون للحزب باروبا على انهم أحرار بها من الوجهة السياسية فلا شك انهم يقبلون على حزبنا اقبالا عظيما لانهم في هذه البلاد يتمتعون عند انتصاب الشيوعية بشيئين عظيمين : استقلالهم من مؤجريهم وتمتعهم بنتيجة أعمالهم كاملة من دون نقصان شيء منها واستنشاقهم في آن واحد مع غيرهم نسمات الحرية والاستقلال

لذلك فلنا اليقين التام ان التعاليم الشيوعية الاستقلالية تجد في هذه البلاد أرضا صالحة لنموها كما رأينا المثال لحد الان بحيث لا يمر زمن طويل حتى ترى عشرات الالاف من اهلها منخرطين في الحزب على

ان كل فرد منها انما هو قوة جديدة للحزب المركزي بباريس وباعث له زيادة على عنايته
الهائي على المبالغة في الاعتناء بهذه البلاد واهلها

﴿ دواء البلاد من آلامها ﴾

لا أظن انه بعد هذه البيانات الطويلة والشروح المستفيضة في كشف النقاب عن
آلام الشعب التونسي وعلل انحطاطه لا يبادر الى تداركها بالمرهم الناجع لها والمنهض
لها من بعد كبوتها وهما : الشيوعية

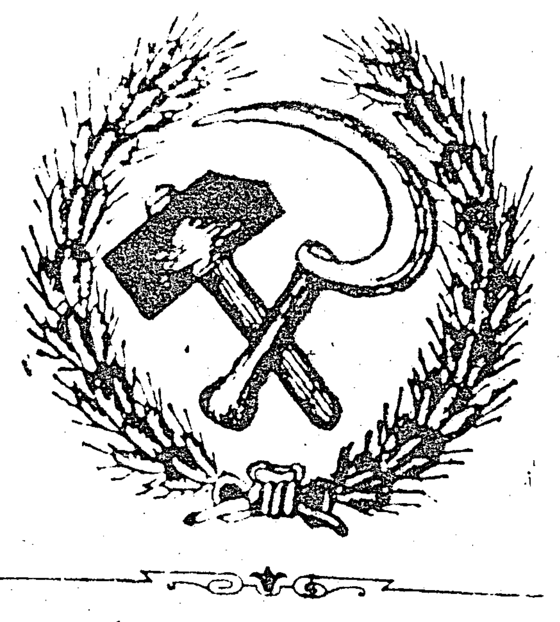
فالارتباط بالحزب الشيوعي الاروبي بل العالمي فيه فائدتان : فائد عاجلة ، وفائدة آجلة
فالعاجلة هي ما تحصله كل بلاد نما فيها عدد المنخرطين فيه وامكن لها بواسطة
تلك الجموع الكثيرة ان تقوم باعمال لا يستطيعها الافراد المشتتون

والاجلة هي تقوية الحزب الذي يجاهد من وراء البحار لتقويض اركان السلطات
الجائرة والحملات القاهرة التي لا تحلم ليلا نهارا إلّا بشن الغارة على بلاد المستضعفين
وسلبهم حريتهم وما يملكون

فاذا تقوى ذلك الحزب فانما يستعجل عمله ويكون اسكان هذه البلاد من وراءه
تمتعهم بالحرية والاستقلال بناء على قاعدة الحزب الشيوعي الذي لا يعترف لفرد من العالمين ان
يكون له على غيره سلطان فاحرى ان يكون المتسلط عليه هو الشعب باسره

فانخرطوا ولا ترددوا واعلموا ان تحرير الادميين من ربقة الذلة والعبودية امر
يستدعي مجهودا عظيما وعناء اليما فكونوا اولئك المجاهدين لتحظوا بالسعادة مكللة
بعرق الجبين

ملحق عـــدد 2 : ملزومـة شيوعيـة للشاعرعبد الرحمان الكـافي



﴿ ملـزومة شيـوعية ﴾

لاحـول ولا قـوة إلا بالمـاليين ۞ صحاب الفلوس بزايد وقناطر الشمون
حيثمـا تراهم تلقـاهم عـابسين ۞ الغضب ماكنهم ما فيهـم الحنون
لا يفهموا بالعربي لا يطيقوا كلمتين ۞ كل واحـد منهم يمشي في دعون
كما لا يخفاكم حال المترهمين ۞ يشوفو في انفسهم لا دونهمشي دون
في حسـابهم خلقـنا ليهم خـاضعين ۞ استحوذو على الدنيا وتمكنو بالكون
من الفقـر يشمازوا يبداو قـالقين ۞ يعـايروه بفقره ويعاملـوه بالهـون
لا يرحموا لا يحنوا لا يعاونوا مسكين ۞ لوكـان يبـد هو في معارفه [illegible]
يتكبر مع بعضهم بينـا متهاونين ۞ لا ينظرو لوراهم جنونهم [illegible]
على حقـنا استـولو بقبـاحة وقلت دين ۞ اذا نقشناهم يظهـرو المـ[illegible]
حكمـو واستبـلوا في القسمة جـابرين ۞ تمليقنا لحضرتهم كي النفح في [illegible]
نـتعبـو ونعـانو بكد اليمـين ۞ لاجل سعادتهم ما نفضو جفون
لاجلهـم نبـاتوا الليـل قـايمين ۞ نحـرسو ونعســو وهم نـايمون
ونلهطـو وانـقاسوا وحضرتهم زايطين ۞ نجمعـو ونلمـو وهـم الرايقـون
حفـات اعرات الاسيـاد مكسيين ۞ نعطشو ونجوعو وهم الاكلون
من بعد هذا بكله ومزال في الكنين ۞ كل شي مقابل ما فيهشي المخزون
آش زاد فيهم رب ها الصربة الملخنين ۞ يتخربقو في المثن وغذاهم المدهون

أولاد حوة وآدم وخلقنا من طين * عندنا عقول اللي تكهن الكروية من الكمون
ويتكبرو علينا برجود ناصرين * اذا طلبنهم في حقك تسهم الخنون
يتكلمو ويقولوا احنا معمرين * منين ها العمارة بل هم مخربون
كثير ساعدناهم منا هم مساعدين * بل زادو في عماهم وغمضو العيون
على قد ما عصمنا وخدمنا طايعين * ما حبوشي يصدو عرب القرون
لا فادنا لا غنانا مع المفرعنين * عبادت الدرهم والفرج والبطون
لباوشي يعفوا ولا هم حاشمين * شيطانهم متمرد هو رايس الخون
اليوم وضا بيهم ما بقاش ليهم وين * الشي لله وبيه حزب الشيوعيون
يحب الناس الكل اخوة متوادعين * كي مسو كي بيدي لكل فرد لون
بالله يا رفقايه يالي حاضرين * لتاخذو واتفقو لها السر المكنون
نبهوا معاكم من هوم غافلين * الي ها الحزب الهايل تبع الظنون
يامر بالاخوة والتعاضد المتين * ما ليه في الديانة لا دخل ولا فنون
ما صاب في لعرانة الا المتموين * يعني كمشة من جمعه متريفون
ينكرو وجودة حزب المستضعفين * يحبو يعيشو وحدهم ويمدو قرون
نتمنا لهم انهبر والا نهربن * ثم النفس العزيزة على الحقوق تهون
والموت موته وحدة ما هيش ميتتين * اكثر من الموت الحمرة حتى شي ما يكون
اللي عمره سته ما يوصل الستين * اللي عمره سيه ما يموتشي دون
هصم الحقوق خايب يخلي القلوب تبين * ويركب الضغاين ويسهل المنون
اللي ظهرلي قلته واسم سمعين * واللي ما عجبوشي يحك بالكرسون
عبد الرحمان الكافي يسلم على الحاضرين * وكذلك اللي غايب من الاشتراكيون
تعيش الاخوة ويحيو الشيوعيين * والمنجل والمطرقة تعيش يا لوزون

طبع بمطبعة لوزون

ملحق عـــدد 3 : منشور صادر عن لجنة تحرير افريقيا الشمالية ، المصـدر ، معهـد الدراسات الماركسية ، شريـط 25 سلسلـة 1/2

لاستقلال المملكة التونسية

إليك أيها الشعب الفرنساوي النبيل ذو التاريخ المجيد الحر توجه تونس الشهيدة نداء حارا وتناجيك بالحقيقة .

منذ شهر مهزلة بل دور سياسي صبياني لعب أخيرا بباريس فبينما القنابل الفرنساوية تمطر يوميا على جوامع سوريا والمغرب فتخربها وتقتل المتعبدين بها رأت لهاته الدولة كأنه من الجميل للإعراب عن اهتمامها بالمسلمين وتوددها لهم أن تبني لهم جامعا بباريس وكلفت صنيعها باي الأمة وعدو الإسلام والمسلمين مولاي يوسف أن يترأس حفلة افتتاح هذا الجامع .

وبلا خجل شارك باي تونس وغيره من الخونة الذين بطريقة لا زالوا ينسبون أنفسهم للإسلام في هذا الدور المحزن محاولين بذلك مغالطة المسلمين المغلوبين على أمرهم .

إن الشعب التونسي لا يغتر بهاته الأراجيف وإن منذ ما يزيد عن الخمسة وأربعين سنة وتونس تئن تحت حمل الاحتلال الثقيل وتتألم من معاملة الضغط والإرهاب .

وهي محرومة من جميع الحقوق التي للحياة دونها : فالصحافة مخنوقة ولا وجود لحرية الاجتماعات ولا المؤسسات . عشرات من الجرائد الحرة نزلت عليها صواعق الإدارة فعطلت بدون محاكمة ونفيت أو سجنت أربابها بلا موجب . مئات الآلاف من الصبيان التونسيين يتجولون في الشوارع من قلة المدارس - أما معاهد تونس والمدرسي فلا كلام عليهما الآن إذ عوضت سلطة الباي ووزرائه بنفوذ الحكومة الفرنساوية . إن المعمرين وأرباب الشركات الصناعية بعدما اختلسوا الأراضي صاروا يتبرعون على عبيدهم العمال بأجر طفيفة لا تسمن ولا تغني من جوع رغم غلو المعيشة المتزايد . وتمادت الحكومة في العبث بالمؤسسات التي تدافع عن الشعب وتزج بأعضائها في أعماق السجون بل وتقتل مثال واقعة بنزرت كل من يتطلب نصيبه في الحياة .

وإذا كان جامع باريس لا ينسينا ولن ينسينا في الجرائم التي ترتكبها يوميا الاستعمار الفرنساوي باسم تحت ظل المدنية و « باسم الشعب الفرنساوي »

فالمسلمون التونسيون لا يطلبون إلا استقلالهم والحفاظ عليه وهم مستعدون للمقاومة بلا فشل طالت المدة أو قصرت

لتعش تونس حرة .

لجنة تحرير إفريقيا الشمالية « الشعبة التونسية »

ملحق عـــدد 4 : منشور وزع في بداية شهر سبتمبر 1926 في الذكرى الثانية لأحداث بنزرت 1924

134

أيها العمال والفلاحين بتونس
تذكروا !

يوم [illegible] سبتمبر سنة ١٩٢٤

في هذا اليوم المشهود أضربت عملة الرصيف ببنزرت عن العمل تضامنا مع إخوانهم المعتصبين بتونس مطالبين بزيادة طفيفة في أجورهم الزهيدة التي لا يمكن لأي حي أن يعيش بها. فجاءتهم حكومة الاستعمار عن مطلبهم الشرعي بطلق الرصاص وقتلت منهم الشهيدين

يوسف بن محمد والكومي

ولم يبدوا إذاك رؤساء الإصلاحيين في ويل وقلاتي ومن معهما أدنى حركة احتجاج بل تشمتوا بكم وأجبهم ذاك الصيع المفوت بل وقرنوا أعمالهم الخبيثة بأعمال رئيس المحافظة العاملين فيما. وقد كتبوا في صحيفة حزبهم عند ما ألقي القبض على زعمائكم في قضية «المؤامرة» التي دبرها البوليس «إنهم لا يدافعون عنهم قط».

فتذكروا ذلك ولا تنسوا من مثلتكم !

إن رؤساء الإصلاحيين من نقابيين وسياسيين يحملون اليوم على عاتقهم أعظم مسؤولية يحفظها لهم التاريخ. فهم الذين خدعوكم وكوفوا لكم بمواعيدهم الخلابة آمالا عظيمة في نتائج لجنة الإصلاحات التي لم توجد إلا لمغالطتكم وتحويل أنظاركم عن أعمالكم التي يراها مستعبدكم قاضية على مطامعه الاستعمارية ليبقيكم على ما أنتم عليه من البؤس والشقاء

إننا توقعنا كل ذلك من قبل وقد حذرناكم من الوقوع فيه في الإبان واليوم ها قد بان لكم بالكاشف صدق ما توقعنا. وأين نتائج لجنة الإصلاحات التي وعدوكم بها وهل لازلتم تسمعون حتى بذكرها ؟

وها هي اليوم دولة الاستعمار تفتك بإخوانكم السوريين والمغاربة فتكا ذريعا فتحرقهم وهم أحياء وتخنق جميع الصحف المدافعة عنكم وتنفي وتسجن أعز العاملين في قضيتكم المقدسة.

تذكروا !

البؤس ينمو وغلو المعاش وخطورة الحالة في ازدياد بينما أجوركم الضعيفة باقية على حالها والضرائب تتساقط عليكم كأوراق الخريف

إن هذا اليوم هو خاتمة السنة الثانية لتأسيس "جمعية عموم العملة التونسية" التي كلفت عليكم بدوام اثنين منكم فليكن بداية عمل ثابت ونشاط هائل في سبيل تنظيم نقاباتكم ودخولكم فيها جميعا

وها هو الحزب الشيوعي ماد لكم يد المساعدة عاملا للتحصيل على استقلالكم وحكم أنفسكم بأنفسكم فعليكم بمساعدته والدخول في صفوفه وهو الذي يقودكم للتحرير النهائي

لتعش تونس مستقلة !

ولتعش الثورة العالمية !

الحزب الشيوعي

ملحق عــدد 5 :

جزء من تدخل المندوب التونسي "مصطفى" أمـام المؤتمر السادس للأمميـة الشيوعية

المصـدر : "المراسلات الدوليـة"

عـــدد 128، نوفمبر 1928.

[illegible] de l'Afrique du nord.

MUSTAPHA (*Tunisie*) : Dans les thèses coloniales, la Tunisie est mentionnée dans la deuxième catégorie, pays où la différenciation des classes est relativement peu développée.

Camarades, je veux vous parler de la Tunisie et surtout de l'expérience du mouvement national tunisien, dont l'activité et l'évolution sont très caractéristiques.

Les pays de l'Afrique du nord, dont la Tunisie, sont surtout des pays agraires. L'industrie y est très peu développée, elle est réduite à l'extraction des minerais de fer, de plomb et surtout du phosphate. Les quelques usines qui existent en Tunisie se rapportent à cette industrie minière. Actuellement, le prolétariat employé dans cette industrie est de 110.000 ouvriers, composés surtout de manœuvres non qualifiés.

Presque toute la population de Tunisie vit et dépend de l'agriculture. Nous avons en Tunisie 2 millions d'habitants dont 1.500.000 vivent avec un revenu de 100 à 210 francs. C'est surtout un pays de la paysannerie pauvre. De ce fait, la question agraire a une grande importance, ce qui n'est pas suffisamment souligné dans la thèse. Nous voyons en Tunisie différents types d'économie paysanne. Ce sont d'abord les féodaux qui sont en petit nombre, et les grands propriétaires fonciers. Ces féodaux exploitent la grande masse des Khammes, c'est-à-dire une sorte de serfs qui travaillent la terre des grands propriétaires d'une manière primitive. Ensuite, nous avons la moyenne et la petite paysannerie possédant la terre en propre, ou bien louant les terres Habous ou Wakfs. Ces biens, Habous ou Wakfs, sont de biens inaliénables, ils sont très étendus en Tunisie. Il y a aussi des vestiges de terres collectives cultivées par les tribus. Ces tribus sont à l'heure actuelle éliminées dans toute la région du nord, mais ces économies collectives existent encore dans le sud tunisien. Cette grande masse de tribus subit périodiquement la sécheresse et la famine. C'est elle qui fournit la grande armée de nomades qui remonte régulièrement vers le nord, pour trouver du travail et plus de ressources.

En face de cet état aussi arriéré de l'économie paysanne, il y a les grandes propriétés des colons et des sociétés capitalistes. Ces colons, bourgeois venus de la métropole, jouent un assez grand rôle. Les contradictions entre cette population étrangère et la majorité de la population indigène aspirant à la libération nationale, donnent un contenu agraire plus prononcé encore à la révolution nationale.

Au recensement de 1921, ces colons possédaient 651.000 hectares répartis en 1.700 propriétés. C'est donc la grande propriété qui prédomine chez ces colons. Une partie de l'émigration italienne cultive aussi la terre. Elle compte 1.565 petits propriétaires qui possèdent en tout 60.000 hectares.

Dans la période actuelle, nous pouvons constater une accentuation de la mainmise de l'impérialisme sur les colonies, en Afrique du nord, particulièrement. C'est ce qu'ils appellent mettre en valeur les colonies. Cette mise en valeur se traduit tout d'abord par l'extension de la colonisation. Le nouveau programme agricole prévoit la distribution de 300.000 hectares aux colons. Il faut donc prévoir une pression plus forte sur les indigènes, une exploitation plus accentuée, violente ou plus ou moins déterminée, une aliénation plus complète des biens Habous ou Wakfs. Mais en même temps, ils vont donner quelques avantages politiques et économiques à la grande bourgeoisie terrienne, distribution de nouvelles terres, crédits agricoles, etc... Dans ce programme, ils envisagent une nouvelle distribution de 20.000 hectares à quelques familles indigènes.

La mise en valeur des colonies se manifeste aussi par l'extension de l'industrie minière, par le perfectionnement des méthodes d'exploitation, par la construction de nouvelles lignes de chemins de fer et de routes, par la création de nouvelles usines pour la première transformation de ces produits miniers et aussi des produits agricoles. C'est ainsi que les capitalistes français vont construire en Tunisie des usines pour la transformation sur place du phosphate et aussi du plomb, au lieu de les exporter à l'état brut, comme cela se fait actuellement. De nouvelles conventions douanières vont permettre à l'industrie française de trouver en Tunisie un débouché plus large. Ces nouvelles conventions douanières qui auront leur répercussion sur l'industrialisation du pays, sur la petite industrie artisanale qui est encore assez développée en Tunisie, sont aussi dirigées contre la concurrence italienne.

Quelques mots au sujet du conflit franco-italien qui devient de plus en plus aigu. Actuellement, l'impérialisme français prend toute une série de mesures pour la défense de ses colonies contre les prétentions de l'impérialisme italien. C'est d'abord le développement de la base navale de Sidi Abdallah, la construction de nouvelles lignes de chemins de fer et de routes stratégiques, surtout en direction de la Tripolitaine. Tout cela, en rapport avec son plan de défense autonome de l'Afrique du nord, dont le camarade Algérien a parlé tout à l'heure.

Le conflit franco-italien a aussi sa répercussion sur la politique intérieure du gouvernement français en Tunisie. Par une politique habile de naturalisation, il gagne une partie de la population italienne de Tunisie, qui constitue un danger permanent pour l'impérialisme, parce que cette population dépasse en nombre la population française. Deuxièmement, l'impérialisme français cherche à gagner une partie de la bourgeoisie indigène à sa politique, parce que cette bourgeoisie indigène est elle-même travaillée par l'impérialisme italien. Ce conflit franco-italien peut risquer de donner au mouvement national de Tunisie une orientation dans le sens de la défense de la Tunisie, soi-disant la défense de la patrie tunisienne, ce qui aboutirait en fait à renforcer l'impérialisme français.

Notre parti a réagi vigoureusement en dénonçant cette politique de l'impérialisme français dans un manifeste. Il a mis en garde la population tunisienne contre les manœuvres des deux impérialismes et a lancé le mot d'ordre de la lutte contre ces deux impérialismes, pour l'indépendance de la Tunisie.

Je passe maintenant au mouvement national lui-même. Il existe un parti national Destour, parti de la constitution. Au cours de ces dernières années, ce parti a passé par un évolution tout à fait caractéristique. Constitué au lendemain de la guerre, en 1918, il a mené au cours de la crise de 1918-1922 une certaine lutte révolutionnaire en provoquant de grandes actions de masses : plusieurs de ses militants ont été frappés. A un moment donné, il comptait plus de 100.000 adhérents et ses manifestations ont pu obliger le bey de Tunis à poser à la France des revendications nationales. Il faut vous dire qu'à ce moment-là, le parti de Destour était composé de presque toutes les couches de la population tunisienne : des féodaux, de la petite-bourgeoisie, de la paysannerie. C'est alors que l'impérialisme français a commencé à pratiquer sa politique de corruption dont le premier acte a été l'octroi à la Tunisie des fameuses « réformes » de 1922 qui, concédant certains droits politiques aux féodaux et aux grands propriétaires fonciers, lui ont

ملحق عــدد 6 : منشــور شيوعي للاحتجاج على المؤتمـر الافخارستـي مـاي 1930.

221

إن الاستعمار الفرنسي والبرجوازية التونسية

الشعب الشهيد - بدى عرس [illegible]

في الوقت الذي تنفخ فيه [illegible]

الاستعمار ومدافعه فتك بلاد

محرقة على سكان الجنوب المغربي

ويفتك الاستعمار [illegible]

الهند الصينية [illegible] ورميا [illegible]

لا لسبب إلا وقد تبعث في وجهه سعيا

وراء استرجاع استقلالهم المغصوب

في هذه الظروف نرى الاستعمار يحتفل

بمرور قرن على استعباد الجزائر ويستعد

للاحتفال بخمسيني بتونس ويقوم [illegible]

عسكرية عظمى ويحضر مؤتمر [illegible]

تحت رئاسة [illegible] وبمشاركة البرجوازية

التونسية - إن [illegible]

عظمى يقوم بها الاستعمار الفرنسي

في مستعمراته لتتظاهر بقوته [illegible] اضطهاد الاهلي

والتشديد عليهم وهذا كله إلا لمحاولة [illegible] الأزمة الشديدة التي [illegible]

[illegible] الأفخارستي [illegible] الاستعمار [illegible] المقاومة

كل حركة ترمي إلى التحرير [illegible] روسيا السوفياتية

التي أصبحت كعبة الشعوب [illegible] روسيا السوفياتية

[illegible] النظام [illegible] وهي

الآن تحيي كل الشعوب المستعمرة على التخلص من الاستعمار [illegible]

[illegible]

[illegible] والشعوب المغلوبة [illegible] حكومة العمال والفلاحين

- أيتها الجموع الكادحة - تظاهروا [illegible] في الشوارع ضد المؤتمر

الأفخارستي يوم 7 ماي مع إخوانكم [illegible] - ضد الاستعمار

في [illegible] الأحرار على [illegible] واستغلالكم [illegible] حكومة

العمال والفلاحين السوفياتية - أيها العمال والفلاحون [illegible]

مطامعهم وجهودهم [illegible]

[illegible] الحزب الشيوعي [illegible] المؤتمر الأفخارستي وليحيى

الحزب الشيوعي

الى الامة التونسية

أيها الاخوان والاخوات

إن اخواننا المبعدين في الجنوب التونسي والذين تضمهم
في الاحباس أثر المظاهرات الفاخرة التي وقعت في موكنين
برجين ونابل يتألمون جداً لأنهم لم يكونوا بينكم ليحاربوا
ضد الامبرياليزم الفرنساوي.

إنهم يقاسون الاتعاب الشديدة الناتجة عن الاهانة من طرف
السلطة العسكرية والحالة الرديئة التي يعيشون فيها [illegible]
الى أولادهم وعائلاتهم إن النساء بفقد نفقة عضو العائلة الذي
يسجن بكد يمينه أصبحن على غاية من الفقر والخصاصة.

إن الاستعمار الفرنساوي ينتهج لخصي نهمه يضرب بها المسجونين
تكون وسيلة لبعوثهم الى الاشغال الشاقة. يلزم طلق سراح
اخواننا. يلزم أن تفتح أبواب السجن كي تخرج ضحايا الدفاع ضد
الاستعمار الفرنساوي ويتمتعون بحريتهم.

كذلك عائلات المقتولين برصاص الاستعمار على غاية من الخصاصة
لهذا يجب على الحكومة أن تجعل لهم راتبا رسميا.

أيها الاخوان والاخوات إن الاوامر الاستثنائية [illegible]
سلاسل جديدة تربط رقابنا بحبال العبودية يلزم [illegible]
بل لتسقط الاوامر الاستثنائية ولتحيا حرية الصحافة و[illegible]
الاجتماعات والمظاهرات التي تجمعنا وكل [illegible] امة

أيها الاخوان والاخوات إننا ننكر ونكره النشاط المجرم الجاني على أمتنا
[illegible] تون وكيل البنوك الفرنساوية والكولونيين. يجب طرده من بلادنا.
ذهبت علينا كي نصبح [illegible] من ضد الاستعمار.

أيها الاخوان والاخوات إن الفقراء يشعرون بفقرهم في الاعياد أكثر
من العادة لأنهم يعلمون أن الاغنياء يتمتعون في عيدهم ولهذا [illegible]
إعانة مالية كافية ليوم العيد الى البطالين على نفقة [illegible] الاغنياء

أيها الشعب التونسي أيها الدستوريون أيها الشيوعيون [illegible]
في نظمهم وإرادتكم للتحصيل على هاته المطالب تظاهروا مساء
[illegible] رمضان المعظم أمام دار الباي في القصبة.

الحزب الشيوعي التونسي

ملحق عـــدد 8 : كلمة المندوب التونسي أمام المؤتمر السابع للاممية الشيوعية (موسكو جويلية 1935) .

NUMERO SPECIAL

XIV

N° 100 - 15e Année - 27 Octobre 1935

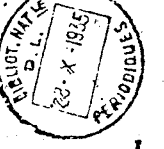
Inédit. Prière de reproduire

LA CORRESPONDANCE INTERNATIONALE

BIHEBDOMADAIRE PARAISSANT LE MERCREDI ET LE SAMEDI Prix : 1 franc

RÉDACTION - ADMINISTRATION :
rue St-Germain-l'Auxerrois, Paris (1er)
Chèque postal : 943-47.

PRIX DE L'ABONNEMENT, PAYABLE D'AVANCE :
France et Colonies : 3 mois, 12 fr. ; 6 mois, 22 fr. ; 12 mois, 44 fr.
Etranger : 3 mois, 30 fr. ; 6 mois, 55 fr. ; 12 mois, 100 fr.



SOMMAIRE

VIIe Congrès mondial de l'Internationale communiste

Discussion sur le rapport d'activité du Comité exécutif de l'Internationale communiste

(SUITE)

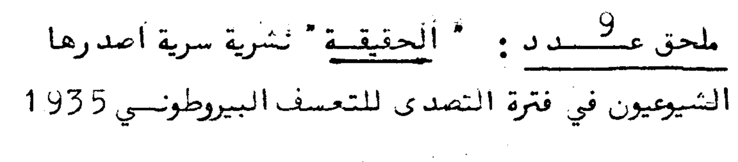
Dixième séance

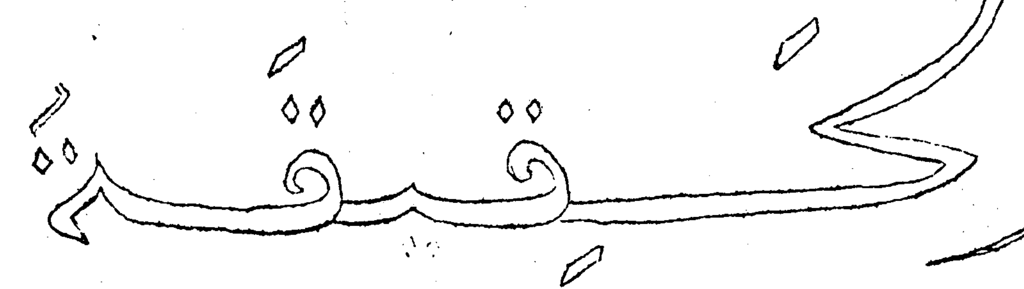
COLTER (Tunisie) : Le mouvement révolutionnaire en Tunisie s'est considérablement renforcé ces années-ci. L'aggravation de la situation de la classe ouvrière, dont la moitié est sans travail, entraine une grande radicalisation des esprits. Le P.C. a organisé des manifestations pour le pain, la terre, les libertés démocratiques et contre les arrestations et les déportations. Les nationaux-réformistes exercent encore une grande influence sur les masses. Il est nécessaire de renforcer le front unique, sinon le parti sera isolé des masses. Il lutte contre toutes les déviations opportunistes et nationalistes. Ses cadres sont encore faibles et la liaison avec les masses insuffisante. C'est pourquoi il est nécessaire de le réorganiser. Nous proposons la constitution d'un parti indépendant.

LUCIEN (Algérie) : La situation des fellahs, des petits commerçants et des ouvriers s'est considérablement aggravée. Le mouvement antiimpérialiste s'accroit en liaison avec le mouvement de grèves. Le parti doit renforcer le front unique avec les nationaux-réformistes.

/.398 عدد 4

... سبتمبر الاول 35


ملحق عدد 9 : "الحقيقة" نشرية سرية أصدرها
الشيوعيون في فترة التصدى للتعسف البيروطوني 1935



لسان الجهاد الوطني والاجتماعي لتونس
منشور بالحزب الشيوعي التونسي

كتاب امحمد بورقيبة الى الاستعماريين الفرنسويين ما هو إلا عملية ضد ثورية

...تقرأون فيما يأتي كتاب امحمد بورقيبة الشنيع
...تقرأون بعده كتاب أحد الشيوعيين
...غاربين حكم عليهم بالاعدام وقد رفض الاقتراح
العفو عنه ذلك العفو الذي كان ثمنه خيانة
...به ووطنه زعم أن حياته في خطر ولم يحصل
... من قبيل تشويه كما فعل امحمد بورقيبة

كتب من الدستوريين الثوريين قد ...
...دت عن أفهم تلك الضربة القاسية التي
...عها الخائن امحمد بورقيبة الى ... وبا
...ها الاخوان الدستوريون إنكم وأنتم اجتمعوا و
...شيلوا الآن ذلك ما تريد الاستعمار كنتيجة
خيانة بورقيبة وباستعمار كتابه المخزي
...ب أن تحسوا [illegible] الحكومة [illegible]
امحمد بورقيبة لا يجب أن تبعدوا النضال بل
العكس يجب عليكم أن تتحدوا [illegible]
من هذه الخيانة التي تظهر [illegible] موقف الشيوعيين

نحو البرجوازية الأهلية الموقف الذي حدده
لنا المؤتمر السادس ولجنته الشيوعية
بالاعتماد على تجارب الحركات الوطنية [illegible]
الاستعمار في كل الممالك المستعمرة وها كم
قرار ذلك المؤتمر «... والطبقة من البرجوازية
الأهلية (ما عدا البرجوازية التجارية التي [illegible]
مباشرة مصالح الرأسمال الاستعماري) [illegible]
الطرفة التي تمثل مصالح [illegible]
إلى [illegible] الحركة الوطنية [illegible]
وترجع أمام التشكلات التي نطلق عليها إسم
الوطنية الاصلاحية...

«... والبرجوازية الأهلية التي هي أضعف من
الاستعمار هي دائما مستعدة للخضوع أمامه
وخضوعها لا يكون ذهابا ما لم يكن هناك خطر
ثوري [illegible] من طرف الجماهير [illegible]
الخطر تسعى الوطنية البرجوازية [illegible] المستعمرات

ملحق عـــدد ١٠ نص رسالة موجهة من دوبون مارسيل (مندوب الحزب الشيوعي الفرنسي بتونس) الى قيادة حزبه. 1935

Copie de la lettre de Marcel DUPONT

Le bureau du P.C. a discuté avec nos trois camarades de retour du Sud. Ils n'ont signé aucune déclaration de soumission, alors que tous les destouriens exilés, sauf Habib Bourguiba, se sont soumis, ont demandé l'amam, le pardon. Nos camarades nous ont informé qu'ils ont discuté avec Habib Bourguiba étant à Bordj le Boeuf, et ils disent qu'il désire (Habib Bourguiba) discuter avec le parti afin d'élaborer un programme d'action pour un parti révolutionnaire en Tunisie. Habib Bourguiba fait partie du groupe d'exilés à qui le Gouvernement a donné à choisir ou bien le Sud tunisien ou le bannissement. Habib Bourguiba et ses amis ont choisi le bannissement. Ils voulaient aller en Egypte, mais le Gouvernement de ce pays ne veut pas d'eux. La France et tous les territoires français leur sont fermés, ils comptent aller en Belgique ou en Suisse, cest dans un de ces pays que le parti pourrait prendre le contact avec Habib Bourguiba car en attendant son bannissement, il est toujours à Bordj Le Boeuf. Habib Bourguiba a déclaré à nos camarades qu'il désire beaucoup aller en U.R.S.S. où il pourrait voir les dirigeants de l'I.C. et discuter avec eux sur la question du programme d'un parti révolutionnaire. Vous savez combien est grande l'influence d'Habib Bourguiba sur les masses. On peut penser qu'elle s'esta encore accrue car de Bordj Le Boeuf, il a toujours eu la liaison avec le néo-destour et a recommandé aux masses de se débarrasser des intellectuels timorés, de prendre elles-mêmes la direction du néo-destour. Et le fait qu'il est le seul à ne pas avoir signé sa soumission renforce sa popularité. Ses conseils sont très écoutés seront très écoutés, aussi le Secrétariat du P.C.T. et moi-

même (le bureau n'a pas encore discuté de la question) pensons qu'il est extrêmement important que le P.C.F. et l'I.C. fassent le maximum pour prendre le contact avec Habib Bourguiba soit dans un des deux pays (Belgique ou Suisse), soit en U.R.S.S. s'il peut obtenir l'autorisation d'y aller. Nous pensons qu'un programme révolutionnaire complété par la condamnation des méthodes réformistes, ceci signé de Habib Bourguiba et peut-être un préambule de Habib Bourguiba expliquant son revirement politique, serait un instrument puissant pour la transformation du néo-destour, parti national réformiste en un parti national révolutionnaire et pour le front unique avec le P.C.T. que ce serait un premier jalon de planté sur le chemin d'un parti révolutionnaire unique en Tunisie. Nous pensons que comme nous, vous attacherez une grande importance à laqquestion dont notre lettre fait l'objet.

Nous pensons qu'aux conversations que Habib Bourguiba aura, soit avec le P.C.F. soit avec l'I.C. il serait utile qu'un camarade arabe de la direction du P.C.T. assiste afin qu'il y ait un camarade du parti bien au courant des questions tunisiennes et aussi connaissant bien la personnalité de Habib Bourguiba.

Pour le Secrétariat du P.C.T. R.
Le Secrétaire Nar le 11 - 9 - 35

P.S. Je vous prie d'envoyer le colis régulièrement le premier du mois. Tout retard dans l'envoi nous gène considérablement, les ressources du P.C.T. sont très réduites, vous le savez./.

ملحق عــــدد 11

مقـــال تحت عنـــوان :

نحـن والمسألــة الوطنيـــــــه

بقلم علـي جـــراد

_=_=_=_=_=_

لم يترك الشيوعيون أبدا مبداهم في حق الشعوب في تقرير مصيرها ولم ينسـوا ما قاله ماركس " الشعب الذي يضطهد شعبا آخر لا يتيسـر له أن يكـون حـرّا ".

ان الفاشستين اعـداء الشعب يقومون الآن بدعاية متسعة النطاق ضد الشيوعيـــة فهم يقولون للفرنسيين الشيوعيون يريدون القاءكم في البحـر.

ولكنهم مع التونسيين يتكلمون بلهجـة اخـرى : لقد اغفل الشيوعيون مبادئهم وتناسوهـــا وأصبحوا استعماريين ... ولسوء الحظ وقع بعض الوطنيين في فخ الفاشستية وأصبحوا هـــم كذلك يقومون بحملة كاذبة ضد حزبنا .

لا أيها الزعيم بورقيبة ان الشيوعيين لا زالوا ثوريين وسيبقون كذلك ولم يهملـــــوا شيئـا من مبادئهـم التي أظهرت الأيام صحتها ونحن معشر الشيوعيين التونسيين نجاهد دائما ـ رغم ما أثبتموه في خطابكم بالقيروان ـ لتحرير وطننا : البلاد التونسية ،تحـريـر سياسيــا واجتماعيا واقتصاديا ولا زلنا نعتبر الاستعمار عدوا الد لكل من الشعوب المغلوبة على أمرها وعملة البلاد الاستعمارية ولم نغفل عن مقاومته ولو لحظة واحدة بكل حـزم ونشاط .

ان الاستعمار ـ بالنسبـة الينـا ـ ليس هو مجرد سلطـه سياسية فقط ولكنـــه كذلك وبالأخص سلطـه اقتصادية . واخواننا الشيوعيون الفرنسيون الذين اتهمتموهـــم بخيانة الشيوعيه لارضاء الاشتراكيين والراديكاليين يقومون الآن بنضال عنيف ضد الـ200 عائلـه التي تستثمر 90 مليونا من فرنسيين وشمال افريقيين وصينيين و زنوج ويناضلـــو ن في نفس الوقت ضد الفاشستية التي تريد أن تجعل من الشعوب المستعمرة أو الاستعماريـة فريسـة لـسره حفنـة من كبار الماليـيـــــن .

ومـا الـ200 عائلـة والفاشيـزم بفرنسـا سوى الاستعمار الفرنسي في صبغته السياسية والاقتصـادية ونضـال اخواننا الشيوعيين الفرنسيين ضدّ هما هو في الحقيقة نضال الاستعمار.

وحزبنا الشيوعـي التونسي ناضـل ضد الشركـات الكبـرى التي ابتـزت ثــروات بلادنا وافقـرت شعبنا وحكمـت عليه بالموت جـــوعا ويناضـل ضـد العناصر الرجعيـــة الفاشستيه التي ما زالت ماسكه بزمـــام الحكم ببلادنا والتي تستعمل كل ما بقـي لديهـا

.../...

من السلطة والنفوذ كي تخضع شعبنا للاستثمار الاستعماري الشنيع واضطهاده. وجهادنا هذا هو في الحقيقة جهاد ضد الاستعمار.

فالشيوعيون لا زالوا أبطال تحرير بلادهم من سلطة الاستعمار الفرنسي وسلطة الاقطاعيه الأهليه ولا زالوا يسعون لبسط نظام سوفياتي بتونس.

ولكن الشيوعيون عمليون لا خياليون ويميزون بين الغاية والمطلب الاستعجالي فعندما نحاول تجهيز كل قوى الشعب للنضال في سبيل المطالب الاستعجالية لا ننسى أبدا غايتنا التي هي غاية شعبنا ونعلم أننا نصل الى الغاية عن طريق النضال للمطالب الاستعجالية.

والفاشيزم والحرب يمثلان خطرا حاليا لا يمكن لشعبنا التونسي أن يقف أمامه مكتوف الأيدى اذ أن مصالحه مهددة بذلك الخطر، ولشعبنا فائدة كبرى في منع الحرب ومنع الفاشستية من المجيء للحكم ولذلك نسعى لتقريبه من الشعب الفرنسي الذى يناضل بكل قواه للدفاع عن الديمقراطية ضد الاستعباد الفاشستي.

وبنضاله مع الشعب الفرنسي ضد الفاشستية يناضل شعبنا في الحقيقة ضد الاستعمار لأن الفاشستية هي دكتاتورية الرأسمال الكبير يعني الاستعمار.

على أن الشيوعيين لا يتغافلون على المطالب التونسية البحتة في النضال ضد الفاشية ولكنهم بالعكس يجعلون المطالب التونسية على رأس برنامج عملهم اذ يعلمون سلفا أن اعطاء رغبات الشعوب المغلوبة على أمرها هو شرط اساسي للتغلب على الفاشستية والشيوعيون التونسيون يبذلون نشاطا كبيرا للدفاع على شعبهم المضطهد من طرف أقوياء المال.

افتتاحية "الطليعة" ليوم الأحد 28 جوان 1937.

مقتطـفات من كتــاب علي جــراد

الشعوب العربيــة لا تغتر بالفاشيــزم والعنصرية

ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ١

٠٠٠ مثال طرابلس أمامنـــا ، (ص68،69،70)

فالعنصرية كما رأينا هي عدوة كل الشعوب، هي عدوة الشعوب المستعمرة ،هي عدوة العناصر السامية عمومــا والعربية منها خصوصا ٠

وأى انسان في قلبه ذرة من الشفقة والحنان لا يسخط على ما ترتكبه ايطاليا من الأعمال الوحشية مع اخواننا الطرابلسييــن ؟ من لا يثور وجدانه ـ احتجاجا ـ على تقتيل العجــز والأطفــال وامتهان الشعائر الدينيــة والاعتداء الغاضح على نساء المسلمين وبناتهم ؟ ان نسي المسلمون فلن ينسوا أن طرابلس التي كان بها مليونا ونصف من السكان المسلميـــــن قد اصبح عددهم الآن لا يتجاوز السبعمائة الف نفر ، فاين ذهب البقية ، كم سقط منهـــم بطــلا مجاهدا في ميدان الشرف وكم هاجر منهم الى البلاد الاسلامية المجاورة تاركـــــا وراءه مكاسبه ـ وفي كثير من الأحيان عياله وحريمه ـ اين ذهبت تلك الاراضي التي كانت بأيدى الطرابلسيين فحرموا اليوم من حق التملك في مسقط رؤوسهم ٠

نعم لقد تحولت خيرات البلاد الطرابلسية من أيدي أبنائها الى أيدي الاستعماريين ـ لا الى أيدي الشعب الايطالي ـ هي البنوك والشركات الكبرى الايطالية التي تستغل الآن خيرات بلاد كانت كافلــة لساكنيها وشردتهم في بلاد اجنبيــة هم عنهــا غربــــاء وذاقوا فيهـــا آلام الجـــوع والتشــرد ٠

ها هي طرابلس الشهيدة أمـــام الشعـــوب الاسلاميــة فهــي جـــارة لتونــــــس جوهرة افريقيا الشماليــةـ وجارة مصر مصدر الأدب والفن العربي فلماذا يتجــاهل بعض الناس وجودهــا ولمــاذا لا يتذكرون مــا وقع لاخوانهم هنــاك ولما لحقهم من تعذيـــب شنيــع ٠٠٠

ففــي طرابلس تظهر الفاشستيــة وجهها الحقيقي ـ فهي التي تدعي "حمايـــة الاســلام" هي نفسهــا التي تمتهن المسلميــن وتحتقرهم وتلحقــهم كل اهانـــــة ٠

فلينهض العــرب ولينادوا بصوت واحــد : كلا لن نغتر بألاعيبــك وخداعـــك

٠٠٠/٠٠٠

فأنت أيتها ـ الفاشستية عدوة الشعوب المغلوبة على أمرها وأنت نصيرة عدونا الألد وصنيعته : الرأسمال الكبيـــر.

خـــاتمـــة (ص 81 و 82)

والآن أخي القارئ وقد بجهدى لتنبيهك وتحذيرك من شراك الفاشستية وخداعها أريد أن أقول لك : ان العالم الآن منقسم الى قسمين : الديمقراطية من جهة والفاشستية من الجهة الأخرى، فالفاشستية هي عدوتك ـ أولا كعربي وثانيا كفرد من الطبقـــة الوسطى أو شغالة وثالثا كفرد من شعب مستعمر يحن الى تحسين حاله. لذلك كـــان واجبا عليك أن تضم قواك الى قوى كل أعداء الفاشيـزم. فباتحاد القوى المعارضـــة للفاشستية ينتصر السلم على الحـرب وتنهـزم جيوش الظلم والاضطهاد أمـــام الحركات التحريريـــة.

الفاشستيـــة سواء كانت بألمانيـا أو اسبانيـا تستغل اليوم بصورة غـير شريفـة شعور الشعوب العربيـة نحو المجاهدين الفلسطينين العرب ومعاضدتها لهـم فيحاولـون اجتذاب عواطف العرب وقلوبهم نحو الفاشستيـة بتظاهر هاته الأخيـرة بالعطف علـــى المسألة الفلسطينيـة وبالظهـور بمظهـر المنتقم للعرب باضطهاد اليهود ببـلادهـا.

فحذار أيها القارئ من الوقوع في خطأ مثل هذا، فلو أرادت ايطاليـا الخـــير للعرب لما اضطهدت الطرابلسيين بتلك الصورة الشنيـعة...

فأحسن خدمة وأجلها نقدمها لاخواننا الفلسطينين هي اعانتهم على ظالميـــهم ومضطهديهم بتوحيد كل الشعوب العربية مع الشعوب الأوروبيـة الديمقراطية ضد الرجعيـة والفاشيـزم والعنصرية لحفظ السلـم وللتحصيل على الحرية والسعادة.

تـونس في 23 ديسمـبر 1938

ملحق عـ13ـدد ، اللائحة الصادرة عن المكتب السياسي للحزب الشيوعي التونسي يوم 7 أفريل 1938

" L'AVENIR SOCIAL" Samedi 9 Avril 1938

4

UNE RESOLUTION DU BUREAU POLITIQUE DU
PARTI COMMUNISTE DE TUNISIE

Le Bureau politique du Parti Communiste Tunisien s'est réun jeudi soir 7 avril, pour examiner la situation crée par l'arrestation d'un certain nombre de membres de bureau politique du Parti Néo-Destourien, officiellement inculpés d'excitation à la désobeissance civile, de non-soumission au service militaire, d'appel à la grève des impôts, ce qui équivaut au soutien des menées fascistes e Tunisie et qui fait penser à la collusion avec le fascisme italien.

Il considère que le soutien accorde au fascisme qui menace la Tunisie d'une invasion militaire constitue, de la part de certains militants destouriens une double trahison: 1) à l'égard du pa ti destourien lui-même qui par son programme, ses principes, et la volonté de l'écrasante majorité de ses adhérents doit rester essentiellement un parti progressiste et démocratique; 2) surtout à l'égard du peuple tunisien tout entier qu'il livrera à la honte de l'esclavage fasciste, dont l'horreur ferait pâlir le souvenir de l'époque maudite du sinistre Peyrouton.

Le Bureau Politique approuve l'action du gouvernement dans la mesure où elle s'applique à des complices du fascisme italien, lequel rêve d'asservir notre pays. Mais il demande que ces mêmes mesures s'étendent à ceux qui ont manoeuvré les chefs destouriens, c'est-à-dire les agents fascistes italiens et les traîtres factieux de l'administration, complices de ces menées.

Le Bureau Politique demande au gouvernement de ne pas confondre quelques-uns des chefs avec la masse du parti destourien, qui reste sans doute fidèle à ses idéaux antifascistes et aux intérêts du peuple, de ne pas les confondre avec la masse du peuple tunisien qui entend défendre contre le fascisme la patrie menacée.

Il adresse au peuple un vibrant appel au calme, plus que jamais nécessaire dans les actuelles contingences internationales, et à l'union pour la lutte en faveur des revendications immédiates des ouvriers, des paysans, des intellectuels, des artisans et petits commerçants tunisiens, à l'union contre les provocations des agents des "200 familles" et du fascisme international.

حصيلة مشاركة الحزب الشيوعي التونسي في الحرب
العالمية الثانيـــــة .

(من مقدمة الكتاب الوثائقي « النضال السرّي للحزب
الشيوعي بتونس ضد الهتلاريين وأعوانهم)

Documents

LA LUTTE CLANDESTINE DU PARTI COMMUNISTE DE TUNISIE CONTRE LES HITLERIENS ET LES VALETS A LEUR SERVICE

DI MERCURIO, CAVIA, LUNA les ont payés de leur vie.

Maurice NISARD, Georges ATTAL, Velio SPANO ont été condamnés à mort par contumace et malgré la menace suspendue sur leur tête, ils ont poursuivi jusqu'au bout la lutte clandestine.

Ali DJERAD, deux fois arrêté, deux fois évadé avant de reprendre sa place à la tête du Parti, pendant toute l'occupation allemande. **Victor AUBERT, Hassen SADAOUI, Georges POROPANE** promenés à travers tant de camps de concentration. **Paul SEBAG,** fidèle à son Parti et à son pays malgré d'odieuses tortures électriques que lui infligeaient le sinistre MARTY et ses acolytes, aujourd'hui encore en liberté. **Khemaïs EL KAABI,** arrêté et évadé pour reprendre la vie pleine de périls du militant illégal ; **Robert MEIMON, VALENSI et GALLICO,** condamnés aux travaux forcés à perpétuité ; **Michel JOULAIN** qui a connu la prison et la dure vie illégale avant de tomber héroïquement devant Paris ; **Georges ADDA, Maurice ZARKA, Simone VAIS** et tant d'autres que l'on n'en finirait pas de nommer : des jeunes et des vieux, des hommes et des femmes, tous également admirables.

Et encore faudrait-il associer à ceux des nôtres qui ont subi la répression de l'ennemi, tous nos camarades qui ont réussi à tromper la vigilance de la police sans interrompre un seul jour leur combat. **AZZOPARDI,** médaillé de la Résistance, organisateur de la résistance à Ferryville, **Hamadi DJELLOULI,** magnifique de courage tranquille et d'enthousiasme réfléchi ; **Gabriel GOUIRAND, Aldo BESSIS, Jacques BELLAICHE, Taleb CHTIOUI** et tant d'autres seraient alors à nommer.

Contentons-nous simplement de publier ici le bilan de la répression fasciste subie par notre Parti :

TROIS MILITANTS ASSASSINES.

TROIS CONDAMNES A MORT.

20 CONDAMNES AUX TRAVAUX FORCES A PERPETUITE.

15 MILITANTS ONT TOTALISE 190 ANNEES DE TRAVAUX FORCES.

17 ONT TOTALISE 41 ANNEES DE PRISON.

1 A ETE CONDAMNE PAR UN CONSEIL DE GUERRE FASCISTE ITALIEN A 24 ANS DE RECLUSION.

SANS JUGEMENT, 16 MILITANTS ONT TOTALISE 80 MOIS ET DEMI DE PRISON.

20 ONT TOTALISE 583 MOIS DE CAMP DE CONCENTRATION.



ملحق عـــدد 15 ،صورة لثلاثة من أعضاء الشبيبة الشيوعية بتونس(1926) وهم من اليمين
الى اليســار : الهادى فارح ، فيكتور زانا ، الهادى الغربي .



ملحق عـــدد 16، صورة لمجموعة من أعضاء قيادة الحزب الشيوعي التونسي أثناء
منفاهم برمادة 1952 (الصورة أخذت 11 أفريل 1952)
وهم من اليمين الى اليسار: جورج عدّة، خميس الكعبي، موريس
نيزار، محمد النافع، جاك بلعيش و محمد جراد .



KHEMAÏS KAÂBI
1912 - 1975
Membre du B.P. du P.C. TUNISIEN.

ملحق عدد 17 ، صورة خميس الكعبي .

ملحق عـــدد 18 ، صـورة حمـادى الجلولـي



Hamadi Djellouli
Chef des Jeunesses Communistes de Tunisie
27 Avril 1923 – 9 Mai 1943

حمادي الجلولي
زعيم
الشبيبة الشيوعية التونسية
٢٧ افريل ١٩٢٣ - ٩ ماي ١٩٤٣